

الدكتور محمد فوزي نفاع

مدرس الأدب القديم بجامعة حلب

الجود والنجاة

في الشعر الجاهلي



مكتبة مكتبة مكتبة

٢٠١٤

التريسي Academic 82

Trrissy@hotmail.com

ربيع الدار
لهيئة مدارس أبناء وبنات الشهداء في الجمهورية العربية السورية

دمشق أوتومسترد المزة ص. ب: ١٦٠٣٥ — برقياً طلاسار

هاتف: ٢٢٤٤١٢٦ — ٢٢٤٣٩٥١ تلفاكس: ٢٢١٣٨٢١ تلكس: ٤١٢٠٥٠



مكتبة جامعة القاهرة

الجود والبخل

التريسي Academic 82

Trissy@hotmail.com

جميع الحقوق محفوظة لدار طلاس للدراسات والترجمة والنشر

الطبعة الأولى ١٩٩٤

الدكتور محمد فؤاد نعناع

مدرس الأدب القديم بجامعة حلب

المشراء - رقم السجل
٣٦٣٦

الجود والجذل

في الشعر الجاهلي

التريسي Academic 82
Trrissy@hotmail.com

الآراء الواردة في كتب الدار تعبر عن فكر مؤلفيها ولا تعبر بالضرورة عن رأي الدار

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدي الكتاب

للأستاذ الدكتور محمد حموية

قبل أن أقرأ هذا البحث — الجود والبخل في الشعر الجاهلي — للدكتور محمد قزاد نعناع وقفت عند هذا العنوان طويلاً، وساءلت نفسي، ما الذي يمكن أن يكتبه الدكتور نعناع، أو ما الذي يمكن أن يأتي به من جديد، في هذا الموضوع الذي أكثر دارسو الأدب العربي، ومؤرخوه، من الحديث عنه، والكلام عليه. فمما من كتاب من هذه الكتب التي تتناول الأدب الجاهلي، إلا تحدثت — إن قليلاً أو كثيراً — عن ظاهرة الجود عند العرب، وأنه كان القيمة المثالية التي يتفاخرون بها، في أشعارهم وخطبهم وأقوالهم. ولكنني لما بدأت القراءة وتوغلت في صفحات الكتاب، وجدت أن الموضوع ما يزال بكرةً، وأن الدكتور نعناع أحسن في اختياره هذا الموضوع، وأن هذا الكتاب قد وجد أمامه أفقاً واسعاً مترامي الأطراف، وظاهرة تحتاج إلى جمع الشتات والتصنيف والتبويب ودراستها — بعد ذلك — دراسة علمية منهجية، تجمع الجزئيات في نظرات كلية، فتوحد النظائر فيها، ولا يُلغى فيها الشاذ والنادر، بل يبقى لهما مكانهما الطبيعي في هذا الباب أو ذاك، وهذا يقتضي الوقوف على دواوين شعراء الجاهلية، والمختارات الشعرية، وكتب الأدب الأخرى التي تعج بها المكتبة العربية، وتعتز بها.

وقد خرجت — بعد قراءتي هذا البحث الممتع — بنتائج ثلاث، يمكن أن أذكرها للقارئ الكريم بإيجاز.

أولى هذه النتائج بطلان ما يذهب إليه بعض الدارسين، على قلتهم، أو ما يذهب إليه الهازلون في أحاديث سمرهم من أن العرب لو لم يكونوا بخلاء لما افتخروا بعقر ناقة، أو

ذبح شاة، وتقديماً للضيف، ثم يرفعون بعد ذلك عقيرتهم بالافتخار، شأن الجبان الذي تَبَدَّ منه الضربة على غير إرادته، فتصيب مقتلاً من العدو، فيملأ الدنيا صخباً وضجيجاً، ويفخر بشجاعته التي لا نظير لها، ذلك أن الجود كان من القيم الأصيلة، وما يزال من هذه القيم التي لا تتغير — كالصدق، والوفاء والأمانة — ودع عنك حديث أهل النسبية الذين يذهبون إلى نسبية هذه الأمور — فما هو حسن عند قوم ربما لم يكن حسناً عند آخرين — فهذا إن كان صادقاً في جانب من تصرفات الناس، في الطعام واللباس والمعاشرة، فهو ليس صادقاً في القيم المطلقة، ولا سيما إذا نوقشت على المستوى العقلي المحض. فأَيُّ نسبية في أن يمدح الوفاء ها هنا، ويذم هناك، وقل مثل ذلك في الأمانة، ولا نعلم — فيما قرأنا وشاهدنا وبلغنا من أخبار الناس في الماضي والحاضر — أن أمة من الأمم عدت الغدر والخيانة ميزة حسنة، وقل مثل ذلك في الأخلاق التي تضاد الفضائل المطلقة. فقولنا بنسبية هذه القيم يحمل في طياته تناقضاً ذاتياً Self-Contradictory أي هي حسنة وغير حسنة في وقت واحد، وذلك مما لا يخفى بطلانه على عاقل. ولذا فإن تعلق الأمة العربية بهذه القيمة مما يؤكد هذا الذي يذهب إليه أهل النظرة المطلقة للقيم.

والنتيجة الثانية أن الجود ينبع من كرم النفس وسموها، وإن كانت الظروف الطبيعية والاقتصادية قد تعزز هذا الجانب أو ذاك، وهو — في النهاية — ليس محصلة للظروف الطبيعية والاقتصادية، فإن الصحراء وما فيها من فقر ووحشية ليس المؤثر الأول في الجود العربي. ولو كانت الحياة الصحراوية هي المؤثر والمسبب للجود عند العرب، لكانت الظروف المشابهة لحياة العرب في صحرائهم مولدة للجود عند الأمم الأخرى التي تعيش ظروفاً مشابهة لظروفهم، أي أن الذين ينكرون أن يكون لغير القيم المادية المحضة تأثير في أخلاق الناس وحياتهم، عليهم إن أرادوا أن يكونوا علميين — عندما يزعمون أن العلم لا علاقة له إلا بالواقع المادي — أن يفسروا لماذا كانت الصحراء العربية تفرض الجود على العرب، ولا تفرضها على الأمم الأخرى التي تعيش الظروف نفسها، وهذه الظروف لا ينبغي أن تنحصر في الصحراء الموحشة المقفرة، بل عليها أن تمتد إلى بلاد التلوج، فهناك وحشة أشد من وحشة الصحراء، وفقر أشد هولاً، وأسرع فتكاً بالإنسان الذي يعاني من البرد والظلام والوحدة والجوع. وما هنا أرى أن الدكتور نعناع قد تأثر بهذه النظرة إلى حد ما في أماكن من الموضوع، وأرى أن هذا الحل لمسألة الجود عند العرب يزيد الأمر تعقيداً، على المستوى النظري، عندما يريد الباحث أن يلجأ إلى مثل هذه النظرة التي تبدو علمية في ظاهرها، ولكنها لا تثبت أمام التمهيص العقلي، والواقع العملي الذي تشابه فيه هذه الظروف، عند أمم متعددة، ولكنه لا يعطي النتائج نفسها. فالخلل، إذاً، إما في القاعدة المفسرة، وإما في المنطلق النظري نفسه.

وثالث هذه النتائج بطلان هذه النظرة المغالية التي أشاعها طه حسين في انتحال الشعر الجاهلي، وأنه من اختلاق الرواة، والكتاب الذي بين يديك، أيها القارئ، فيه مئات الأبيات وعشرات المناسبات المختلفة المتباينة التي تتناول ظاهرة واحدة هي ظاهرة الجود، فكيف يتسنى هؤلاء الرواة وعددهم محدود، وأماكنهم وأزمنتهم مختلفة أن «يخترعوا» كل هذه الأشعار، وأن يخلقوا لها المناسبات، ثم يخلقوا لها الشعراء ووقائع حياتهم، فهذا لا شبيه له في أمة من الأمم. ومن المعروف عقلاً أن المتحل والمقلد لا بد أن يقلد أصلاً من الأصول التي أمامه، هذا بالإضافة إلى أن وقائع «هذا الجود»، مثل الجاهلي، ظل في الإسلام مستمراً، وأخبار أجواد المسلمين ظاهرة تاريخية بشكلها العام، فإن دخل الشك، في جزئية من جزئياتها، فلا يمكن أن يتطرق الشك إلى الكلّي العام. وهؤلاء المسلمون من الأجواد، قد فعلوا ما فعله أجدادهم من قبل فتغنّوا بهذه القيمة الفذة الرائعة في قصائد كثيرة، مما يجعل نظرية الانتحال — إن صدقت — في هذه القصيدة أو تلك، أو في هذه الحادثة أو تلك، فليس تصدق في هذا الموروث الزاخر المأثور كالبهر، والباقي على مدى الدهر.

وبعد فأنّت أيها القارئ العزيز أمام هذا البحث الطريف الشائق الذي جمع بين استقراء العالم وتذوق الأديب، فنقلك إلى مسالك الصحراء توقد فيها النيران، وتنحدر فيها الذبائح تعبيراً أصيلاً عن نوازع الجود وتوغل لك في مسارب النفوس والعقول التي جعلت من الجود قيمة جاوزت المال إلى النفس، كما قال الشاعر العربي :

يجود بالنفس إذ ضنّ البخیل بها والجودُ بالنفس أقصى غاية الجود
ليغدو طبعاً لهم وخلقاً أصيلاً. لقد تناول الباحث كل ذلك في نظرة متأنية موضوعية مع التفصي للأشعار التي تغني البحث اللغوي، بالإضافة إلى الدراسة الأدبية الجادة.

حلب ١٩٩١/١٢/١

المقدمة

هذه الرسالة بحث تاريخي اجتماعي في الشعر العربي، وهي توضح عرفاً هاماً في المجتمع العربي الجاهلي، هو الجود والبخل، وذلك من خلال تصوّر الشعراء له، وتقدم أيضاً دراسة في لغة الشعر، حين عرضت العلاقة بين الموضوعات والتعابير المكررة التي استخدمها الشعراء، وكونت معجماً لغوياً خاصاً بالموضوع.

لقد ذكر الشعراء الجاهليون هذا العرف كثيراً، وخاصة في قصائد المديح والهجاء والرثاء، حتى إن أغلب كتب الحماسة احتفظت ببعض المقطوعات الشعرية التي عالجت، سواء أكان ذلك تحت اسم باب الأضياف، كما في الحماسة لأبي تمام: شرح المرزوقي ص ١٥٥٧ - ١٧٥٣، تحقيق أمين وهارون، القاهرة ٥٠ - ١٩٥١، والوحشيات لأبي تمام ص ٢٤٥ - ٢٧٦، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٦٣، والحماسة البصرية لأبي الفرج البصري ج ٢ ص ٢٣٤ - ٢٥٥ تحقيق مختار الدين أحمد، حيدر آباد ١٩٦٤، أم غيره كما في الحماسة الشجرية لابن الشجري ص ٤٦٧ - ٤٩٨، تحقيق الملوحي والحمصي، دمشق ١٩٧٠، وحماسة البحثري، ص ١٤٥ - ١٤٩ وما بعدها، تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩١٠.

وعلى الرغم من أنَّ الشعراء الجاهليين اهتموا بإبراز فضيلة الجود والقدح في البخل، فإنَّ الباحثين العرب لم يولوا الأمر أهمية كبرى، إذ إنَّهم كانوا يذكرون — على عادتهم — أخبار الحقبة الإسلامية ورواياتها وأشعارها التي تخص موضوعنا. وإذا ما نقلوا أخبار الجاهلية فإنَّهم يوردون أخبار بعض الأجيال المشهورين من أمثال حاتم الطائي وهرم بن سنان وكعب بن مامة، دون أن يقتربوا من الموضوع اقترباً يوضح جوانبه، ويبرز دقائقه. وتلك الأخبار والروايات والأشعار منتشرة في كتب الأدب والتاريخ والأمثال والسيرة، نحو:

المنمق في أخبار قريش لابن حبيب البغدادي ص ٤٦٤ — ٤٨٣،
تحقيق خورشيد أحمد مختار، حيدر آباد ١٩٦٤.

المحبر لابن حبيب البغدادي ص ١٣٧ — ١٥٦، تحقيق
I. Lichtenstädter، حيدر آباد ١٩٤٢.

الأخبار الموقفيات للزبير بن بكار ص ٤٠٣ — ٤٦١، تحقيق سامي
مكي العاني، بغداد ١٩٧٢.

المعاني الكبير لابن قتيبة ص ٣٦٥ — ٤٣٠، تحقيق Krenkow
حيدر آباد ١٩٤٩.

عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٣٢ — ٣٤٤، ج ٣
ص ١٩٧ — ٣٠١، القاهرة ١٩٦٣.

العقد الفريد لابن عبد ربه ج ١ ص ٢٢٥ — ٣٢٣، تحقيق أحمد
أمين وآخرين، القاهرة ١٩٦٥.

الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، القاهرة ٥٢ — ١٩٧٤.
محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ج ٢ ص ٦٤٨ — ٦٥٨،
بيروت ١٩٦١.

نهاية الأرب في فنون الأدب للنوري ج ٣ ص ٢٩٤ — ٣٢٣،
القاهرة ١٩٢٣ وما بعدها.

المستطـرف في كل فن مستطـرف للإبشيحي ج ١
ص ١٨٢ — ١٨٧، القاهرة ١٣٦٨.

المحاسن والمساوى للبيهقي ص ٢٠٠ — ٢٨٦، تحقيق F-
Schwally، غيسن ١٩٠٢.

و قليلاً ما كانوا يخصصون الموضوع بكتب، لا تختلف مادتها ومعالجتها،

عما هو مبثوث في الكتب المذكورة، كأبي هلال العسكري في « الكرماء » ،
تحقيق محمود الجبالي، القاهرة ١٣٢٦ ، والمحسن بن علي التنوخي في
« المستجاد من فعلات الأجواد » ، تحقيق محمد كرد علي، دمشق ١٩٤٦ ،
والجاحظ في « البخلاء » ، تحقيق محمد طه الحاجري، القاهرة ١٩٨١ ،
والخطيب البغدادي في « البخلاء » ، تحقيق أحمد مطلوب، ١٩٦٤ .

أما في العصر الحديث فقد أشار بعض الباحثين إلى الجود والبخل في
العصر الجاهلي إشارة مقتضبة في نطاق دراساتهم العامة ، وأخص بالذكر أحمد
محمد الحوفي في « الحياة العربية من الشعر الجاهلي » ، بيروت ١٩٧٢ ، وعمر
الدسوقي في « الفتوة عند العرب » القاهرة ١٩٥١ .

وأخيراً لا يسعني إلا أن أقدم الشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الأستاذ
الدكتور فيشر W. Fischer الذي أشرف على هذا البحث الذي قدمته باللغة
الألمانية إلى جامعة إيرلانجن — نورنبرغ بألمانيا الاتحادية عام ١٩٨٧ ، فقد
حظيت بتشجيعه الدائم ونصائحه القيمة .

ويسعدني أن أشكر أستاذي الجليل الأستاذ الدكتور محمد حموية الذي
تفضل بإبداء بعض الملاحظات القيمة أثناء تعريبي لهذا البحث .

والله ولي التوفيق

محمد فؤاد نعناع

التمهيد

١ — أهمية الضيافة والجود في العهود القديمة وفي مجتمع القبيلة العربية

قبل أن نتحدث عن الضيافة عند العرب سنحاول أن نقدم فكرة موجزة عنها في العهود القديمة .

الضيافة عرف تعود نشأته إلى ظهور المجتمع الإنساني ، وعدّت من الوسائل التي صانت الإنسانية من الهلاك ، ومكّنت اندماج المجموعات البشرية بعضها ببعض^(١) وقد احتلت مع مرور الزمن مكاناً هاماً بين الفضائل الحميدة ، حتى إنّ الشعوب المتمدنة عدّت حق الضيف مقدساً^(٢) ، لقد صوّرت الضيافة في قصائد هوميروس على أنّها خلق نبيل^(٣) ، ولعلّها كانت في العهود القديمة « من أنبل الفضائل »^(٤) .

١ — انظر :

Reallexikon für Antike und Christentum, "Gastfreundschaft", Stuttgart 1972, Bd. VIII, S. 1062.

٢ — انظر :

Schmidt, L. : Die Ethik der alten Griechen, Stuttgart o. D., Bd. I S.326.

٣ — انظر :

Reallexikon für Antike und Christentum, Bd. VIII S.1077.

٤ — انظر :

Lexikon für Theologie und Kirche, "Freigebigkeit" Bd. IV S.324-325, Gastfreundschaft Bd. IV S.

526-528, Freiburg 1960. S.526.

فقد عدّت دلالة التمدن كما يذكر فون إيرينغ^(٥)، أما التحلي عنها فكان يرمز إلى بربرية الشعب وعدم تحضره. ويرى فون إيرينغ^(٦) أنّ الضيافة عرفت في الأصول التاريخية عند كل شعوب العالم القديم المتمدنة، بحيث إنّها كوّنت الصيغة التي مكّنت حركة سلمية فيما بينهم.

ويستنتج من مصادر العهود القديمة أنّ الضيافة كانت في العهد القديم على مستويين، الأول: المستوى الشخصي، والثاني: المستوى الدولي، وذلك بإبرام عقد بين دولتين أو بين بلديتين مستقلتين. فالضيافة الشخصية التي مارسها الأفراد أصبحت لدى اليونانيين القدماء والرومان بدئية^(٧). فأرسطو أبرز المثل الأعلى للجدود متأثراً بأفلاطون، وعرضه على أنه فضيلة ارسقراطية حقيقية، ثم تدرج من الجدود مباشرة إلى الأريحية الكاملة^(٨). لقد نظر اليونانيون، كما يذكر فون إيرينغ^(٩) إلى الضيافة في عصر هوميروس على أنّها واجب تجاه الآلهة، أي تجاه ZEus ZEuc حامى الغرباء.

إنّ الضيافة عند اليونانيين القدماء لم تقتصر على المستوى الشخصي، وإنما كانت الدول اليونانية مرتبطة من خلال قوانينها بالمحافظة على الضيافة^(١٠) التي كانت مهمة جداً، بحيث إنّ عقدها الذي ينظم علاقاتها لديهم كان يورث. يقول شميت^(١١): «إذا أبرم عقد ضيافة بين رجلين فإنّ الأولاد والأحفاد يتوارثونه مع الحقوق والواجبات المناسبة».

أما الرومانيون فقد عرفوا الضيافة الشخصية، وكذلك الضيافة المنظمة بعقود مبرمة أيضاً،

٥ — انظر:

Von Ihering, R. ; Die Gastfreundschaft im Altertum, in: Deutsche Rundschau, Bd. LT, 1987, S.

358.

٦ — المصدر السابق ص ٢٦٩.

٧ — انظر:

Lexikon der alten Welt, "Gastfreundschaft", Zürich und Stuttgart 1965, S.1057.

٨ — انظر:

Lexikon für Theologie und kirche, Bd- IV S.324.

٩ — انظر:

Von Ihering, R.: Die Gastfreundschaft... S.367.

١٠ — انظر:

Lexikon der alten Welt, S. 1027.

١١ — انظر:

Schmidt, L. : Die Ethik der alten Griechen, Bd. I S.327.

وقد لعبت الضيافة الشخصية إضافة إلى الضيافة القائمة على عقد دولي دوراً بارزاً في الحياة الرومانية في وقت مبكر، كما يرى شرويدر^(١٢)، بحيث إنّ القاعدة القديمة التي كانت سارية المفعول في روما، والتي تنكر حقوق الغرباء، أصبحت عملياً لا أهمية لها.

وهكذا فإنّ عقد الضيافة لدى الرومانيين لم يرم فقط على المستوى الدولي، وهذا ما يستنتج أيضاً من دراسة مومسن^(١٣) الذي أشار إلى ثلاثة مستويات، الأول بين الأفراد، والثاني بين بلديتين، والثالث بين فرد وإحدى البلديات. فالأول يتم بين فردين من بلديات مختلفة، وليس بين شخصين من البلدية نفسها، وهذا يتعلق بالتسمية الأصلية لـ Hostis، «فهو الغريب الذي له حقّ بحماية قانونية». والثاني يتم بين بلديتين مستقلتين فقط. والثالث يتم بين بلدية وفرد مستقل من خلال التعبير عن الإرادة من الجانبين. إنّ عقد الضيافة بين الأفراد الذين تصادقوا وتعاهدوا على القيام بالضيافة ينتقل بالوراثة لدى الرومانيين أيضاً. وهذا ما لاحظته مومسن^(١٤) حيث يقول: «إنّ عقد الضيافة بعد نظرة في العصر القديم لا يستمرّ مفعوله فقط مدى الحياة، وإنما يستمرّ تأثيره في الأولاد والسلالات والأعقاب، وإنّ حق الضيف الذي يمكن أن ينشأ شخصياً بين أفراد غرباء يُظهر بشكل مؤكد الطبيعة الحقوقية نفسها، بخلاف الصداقة والمعرفة الواقعتين»

إنّ واجب الضيافة عند اليونانيين لا يحمل طابعاً خلقياً فقط،^(١٥) كما لدى الرومانيين الذين يؤكدونه، وإنما يحمل طابعاً دينياً، لأنّ العلاقة بين الضيف والمضيف تكون بحماية إله الغرباء.

إنّ الضيافة فضيلة جرمانية قديمة أيضاً، وقد ازدهرت على الطرقات والمعرات الشمالية، وخففت من آثار المناخ القاسي على المسافرين والمتجولين^(١٦). أما في مصر القديمة فإنّ الحديث يدور حول الإحسان الذي ينتمي إلى الفضائل العليا فيها منذ أزمان قديمة. وهذا الموقف لا يعلم

١٢ — انظر:

Schroeder, F. : Zur Bedeutungsgeschichte von Gast, in: Zeitschrift für deutsche Philologie, Bd. 56 S. 385-394, Stuttgart 1931. S. 387.

١٣ — انظر:

Mommsen, Th. Römische Forschungen, Bd. I S.331-335, Berlin 1964.

١٤ — انظر: المصدر السابق ص ٣٣٠ — ١٣١.

١٥ — انظر:

Von Ihering, R.: Die Gastfreundschaft... S. 370.

١٦ — انظر:

Weinhold, k. : Altnordisches Leben, bearbeitet und neu hrsg. Von Georg Siefert, Stuttgart 1938, S.303.

فقط حيال الأهل، وإنما حيال الغرباء أيضاً.^(١٧) وقد عرف الشعب العبري الضيافة التي فسرت بأن العبريين أنفسهم كانوا عبيداً في مصر قديماً، يضاف إلى ذلك دافع آخر هو عرفان الجميل تجاه الذين أكرمهم في سالف العصور.^(١٨)

وترتبط الضيافة في النصرانية ارتباطاً وثيقاً بوصية المحبة الكبرى، ويصبح الضيف مجسداً في شخص المسيح. ولم تكن الضيافة بالنسبة إلى النصارى شيئاً من العطف، وإنما هي واجب أولي للوصول إلى السلام.^(١٩) إن الضيافة النصرانية كانت تلقى دائماً عناية كبرى، وبقيت أيضاً حتى بعد ظهور المطاعم والاستراحات قيمة لا تعوض.^(٢٠)

وقد عرف الفينيقيون مرفق الضيافة أيضاً^(٢١)، وكانوا يجدون في كل المناطق الساحلية التي يتعاملون معها أصدقاءهم المضيفين^(٢٢). لذا فإن الباحث يفترض أن فكرة الضيافة في العهود القديمة تعود إليهم، وأنها انتقلت منهم، على أنها مرفق جاهز، إلى الإغريق والرومان^(٢٣)، لأن قسماً كبيراً من حضارة الإغريق يعود الفضل فيه إلى الفينيقيين.

ويرى فون إيرينغ^(٢٤) أن الفينيقيين أنفسهم لم يخلقوا هذا المرفق، وإنما حملوه معهم، فقد جلبوه، كما جلبوا أغلب الأغراض التجارية برّاً من شعوب الحضارة في داخل آسيا، عن الآشوريين والبابليين، لكي ينشروه من جديد على الطرق البحرية. ويستنتج من أهمية الضيافة لدى الفينيقيين أنها كانت مرفقاً تجارياً «أعدّ من أجل التجارة»^(٢٥).

١٧ — انظر :

Reallexikon für Antike und Christentum, Bd. VIII, S. 1073.

١٨ — انظر : المصدر السابق ج ٨ ص ١٠٧٠.

١٩ — انظر : المصدر السابق ج ٨ ص ١١٠٣.

٢٠ — انظر :

Lexikon für Theologie und Kirche, Bd. IV S. 528.

٢١ — حول دور الفينيقيين في نشأة الضيافة، انظر :

Von Ihering, R. : Die Gastfreundschaft... S. 395 ff.

٢٢ — المصدر السابق ص ٣٧٣.

٢٣ — المصدر السابق ص ٣٨٣.

٢٤ — المصدر السابق ص ٣٨٣، وهو يتبنى الرأي الذي يقول : « Zetus إلى الغرباء

ليس إلا إله الفينيقيين Baal المنقول إلى اليونانيين »

٢٥ — المصدر السابق ٣٩٦.

وتفيد بعض الروايات^(٢٦) أن القرشيين الذين كانوا تجاراً معروفين في شبه الجزيرة العربية عقدوا اتفاقيات تجارية مع الأسر القوية الحاكمة في العالم آنذاك، أي مع الرومانيين والفساسنة في بلاد الشام، ومع نجاشي الحبشة، ومع ملوك الفرس والمناذرة في العراق وإيران، ومع الحميريين في اليمن. وقد أمنت الطرق المؤدية إلى تلك البلاد المذكورة بمعاهدات مع القبائل العربية^(٢٧)، وبدهي أن يفترض المرء أن كلا طرفي المعاهدة التجارية كان يضمن الضيافة للطرف الآخر، وهكذا فإن التجارة ساهمت في نشأة الضيافة عند العرب أيضاً.

وإذا ما أثبت المرء أن مرفق الضيافة يعود إلى الشعوب السامية من الآشوريين والبابليين، فإنه يمكن القول: إن الضيافة وما تتضمنه من جود لها جذر سامي، اشترك العرب فيه إلى حد بعيد. ويستنتج من مصادرتنا أن الدوافع التي أخرجت الضيافة إلى حيّز الوجود مختلفة، تعود إلى فكرة الإنسانية، والدافع العملي، والدافع الديني:

أ — يرجع بعضهم أصل الضيافة إلى الفكرة العامة للإنسانية^(٢٨).
 ب — يعتقد بعضهم الآخر أن الضيافة لم تكن فعل الشعور الأخلاقي أو فعلاً إنسانياً، وإنما قررت بسبب المصالح الحقيقية^(٢٩). فالدافع الذي ساعد على وجود الضيافة في العهود القديمة لم يكن حسب رأي فون إيرينغ^(٣٠) ذا نزعة أخلاقية، وإنما كان ذا نزعة عملية، وليس إشار حب الإنسانية، وإنما المصلحة الأنانية في أن تتاح حركة معاملات تجارية بعيدة عن الخطر، في زمن انعدام حقوق الغرباء.

ج — للضيافة مكوّن ديني أيضاً، فقد شكلت في العهود القديمة واجباً شدد عليه تشديداً صارماً من خلال العرف والدين^(٣١). وهنا يرى فون إيرينغ^(٣٢) أيضاً أن «فكرة القداسة الدينية

٢٦ — انظر: تاريخ الرسل والملوك: الطبري ج ١ ص ٢٥٢، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٠ — ١٩٦٩، وتاريخ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي ج ١ ص ٢٧٩ — ٢٨٠، بيروت ١٩٥٥ — ١٩٥٦.

٢٧ — تاريخ اليعقوبي ج ١ ص ٢٨٠.
 ٢٨ — مثلاً شميت الذي يعتقد أن «مطالب الضيافة حسب أصولها ألهمت من قبل أنبل المشاعر الدينية والإنسانية». انظر:

Schmidt, L.: Die Ethik des alten Griechen, Bd. I S 335.

٢٩ — انظر:

Von Ihering, R.: Die Gastfreundschaft ... S. 282.

٣٠ — المصدر السابق ص ٣٩٥.
 ٣١ — المصدر السابق ص ٣٥٨.
 ٣٢ — المصدر السابق ص ٣٩٤.

لعلاقات الضيافة فكرة سامية لا يمكن أن ترد لدى الشعوب الآرية في إدراكها الأساسي لمفهوم الإله . إنهم استعاروها على أنها مؤسسة كاملة من الساميين . ومن المحتمل أنها إحدى أولى الحالات التي ظهرت الآلهة الآرية فيها باتصال مع الأخلاق التي كانت غريبة عنهم بشكل كامل . وهو يعمل هذا الرأي بصبغة الآلهة اليونانية الشريرة ، كما وصفت من قبل Homer ، ومن ثم توجب على الناس أن يصبحوا أحسن ، من خلال جهد غير عادي ، وأنهم « لن يصبحوا كذلك من خلال الآلهة » (٣٣) . إن الساميين أخبروا بالآوامر الأخلاقية مباشرة من آلهتهم .

إن الضيافة والجود من الفضائل الأساسية في المجتمع القبلي العربي القديم ، لذلك عُدَّت الضيافة فضيلة بارزة لديه ، وبرزت في الشعر الجاهلي على أنها الفضيلة الأهم (٣٤) . وهي صفة من الصفات التي يجب على البطل ، في التصور الجاهلي ، أن يتخلّى بها ، وبالمثل فإنّ البخل يمنع النظر إلى شخص على أنه بطل (٣٥) . هذا ولم تكن الضيافة لدى العرب تمارس على أنها مؤسسة ، كما رأينا لدى اليونانيين القدماء والرومانيين ، وإنما عُدَّت مطلباً أخلاقياً .

إن الأسباب الأصلية التي دعت إلى وجود الضيافة والجود لدى القبائل البدوية العربية القديمة (٣٦) ، متعلقة بالبيئة الخارجية ، والبنية الاجتماعية للمجتمع القبلي ، والحالة الاقتصادية ، لأنّ ظروف مجتمع ما هي التي تحدّد فضائله وعيوبه .

لقد عاش البدو العرب في الصحراء الضنيّة المقفرة حيث يسود الجذب والقحط في أغلب أوقات السنة ، وهذا يعني أن قسماً كبيراً من الناس قد أصابته هذه الظروف ، ولم يستطع أن يكسب غذاءه بنفسه ، ولكي يتغلب على هذه الحالة السيئة للناس المحتاجين ، نشأ شعور من

٣٣ — المصدر السابق ص ٣٩٣ .

٣٤ — نستطيع أن نقبس الآراء الآتية متفقين معها إلى حد بعيد ، فقد جاء في (Reallexikon für Antike... S.1074) : « تخصّ الضيافة الفضائل الرئيسة للرجل السليم لدى القبائل البدوية العربية القديمة » . ويذكر لوبون كما ورد في كتاب الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي لعفيف عبد الرحمن ص ٧١ ، بيروت ١٩٨٤ : « الكرم أفضل فضائل الأعراب ، وبعده الأعراب أخص ما اتصفت به أمتهم » . ويقول فيليب حتي في كتابه تاريخ العرب ج ١ ص ٣٢ ، بيروت ١٩٦٥ : « تغنّى شعراء الجاهلية وهم صحافيو يومهم بفضل الضيافة التي تعتبر هي والحماسة والمروءة من أسمى السمائل التي تميز بها الشعب العربي » . كما يُعَدّ الجود لدى البدويين العرب في وقتنا الحاضر أيضاً من أهم الفضائل الأساسية ، « فذكر البدوي وصيته الجيد يقاسان بجوده ويده السخية » . كما يذكر Sawayan في كتابه : Nabati, Poetry the oriel poetry of Arabia, USA 1985, P. 41.

٣٥ — شعر الحرب في العصر الجاهلي : علي الجندبي ص ٩٤ ، بيروت ١٩٦٦ ، ط ٣ .

٣٦ — نريد هنا أن نعرض الأسباب الأصلية التي سببت الضيافة والجود فقط ، وليس الدوافع والأهداف التي حدثت فيما بعد ، لأننا أفردنا حديثاً خاصاً عن هدف الجود وغايته ص ٣٦ .

التضامن بينهم^(٣٧)، بأن يذلّوا معاً هذه الصعوبات في الصحراء، إذ إنّ هذه الظروف الصعبة يمكن أن تصيب كل إنسان، وهذا يعني أنه يمكن أن يأتي وقت يحتاج فيه كل شخص إلى مساعدة الآخرين. ويضاف إلى ذلك أنه على الرغم من أنّ الغارات والغزوات كانت مألوفة في العصر الجاهلي، حاول العرب أن يؤمنوا حركة سلمية في الصحراء الواسعة من خلال الضيافة، لأنه لم توجد مطاعم أو استراحات يستطيع المسافرون فيها أن يسدوا حاجاتهم. ولكي لا يعزل البدو فقد مارسوا الضيافة التي تكونت قبل كل شيء لضمان أمن المسافر وحمايته خارج قبيلته.

في شبه الجزيرة العربية لم تكن هناك قوة مركزية كالمؤسسات الرسمية التي تعتنى بالاحتاجين والفقراء، وإنما سادت مجتمعات قبلية كانت مستقلة، وكان لكل مجتمع قبليّ بيته الاجتماعية الخاصة به، لذا فإنّ الطبقة العليا في المجتمع القبلي تعهدت أن تساعد الفقراء، وإلاّ فإنّها تفقد هيبتها وقوتها لقيادة القبيلة. وهذا معاوية بن مالك يسمي لنا مهمات الطبقة العليا في المجتمع القبلي، حيث تلعب الضيافة والجود دوراً بارزاً بينها، في قوله: (٣٨)

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ غُصْبَةٍ مَشْهُورَةٍ	حُشِدَ لَهُمْ مَجْدٌ أَشْمٌ تَلِيدٌ ^(٣٩)
أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ سَيِّدًا وَأَعَانَهُمْ	كِرْمٌ وَأَعْمَامٌ لَهُمْ وَجُدُودٌ
إِذْ كُلُّ حَيٍّ نَابَتْ بَارُومَةٌ	نَبَتْ الْعِضَاءُ فَمَا جَدَّ وَكَسِيدٌ ^(٤٠)
تُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا وَحَقِيقَهَا	فَهَا وَتَغْفِرُ ذَنْبَهَا وَتَسْوَدُ
وَإِذَا تُحْمَلْنَا الْعَشِيرَةَ ثِقْلَهَا	قُمْنَا بِهِ، وَإِذَا تَعُودُ نَعُودُ ^(٤١)
وَإِذَا تُؤَافِقُ جُرَاءَةٌ أَوْ نَجْدَةٌ	كُنَا - سُمِّيَ - بِهَا الْعَدُوُّ نَكِيدٌ
بَلْ لَا تَقُولُ إِذَا تَبَوَّأَ جِيرَةٌ	إِنَّ الْحُلَّةَ شِعْبُهَا مَكْسُودٌ ^(٤٢)
إِذْ بَعْضُهُمْ - يَحْمِي مَرَاصِدَ بَيْتِهِ	عَنْ جَارِهِ وَسَيْلِنَا مَوْرُودٌ
قَالَتْ سُمَيَّةٌ قَدْ غَوَيْتَ بِأَنْ رَأَتْ	حَقًّا تَنَابُوبَ مَالِنَا وَوَفُودٌ

٣٧ - لذا فإنّ فيليب حتى مصيب، حيث يقول: «إنّ الشعور المشترك بضعفهم وعجزهم تجاه مشاق الطبيعة القاسية العنيدة أنشأ فيهم الإحساس بحاجة ماسة مقدسة إلى الضيافة». انظر: تاريخ العرب ج ١ ص ٣٢.

٣٨ - أشعار العامريين الجاهليين: جمعها ووثقها وقدم لها عبد الكريم يعقوب ٣/٦٦ - ١٢، سورية ١٩٨٢.

٣٩ - الحشد: الذين يحشدون لضيقتهم وجارهم، أي يجتمعون له ولما ينوبهم من قرى ونصر.

٤٠ - الأرومة: الأصل. والعضاء: شجر عظام. والكسيد: الدون، جعله كالسلعة التي لا تنفق عن صاحبها.

٤١ - ثقلها: غرمها وما ينوبها من الحملات والديارات.

٤٢ - الشعب: ما أنفج بين جبلين. ومكدود: ضيق.

غَسِيَّ لِعَمْرُكَ لَا أَزَالُ أَعُوذُ مَا دَامَ مَالٌ عِنْدَنَا مَوْجُودٌ

وواضح أنه يفتخر بانتماؤه إلى طبقة السادة التي تتصف بالمجد الأسمى التليد والنسب الكريم، ورعاية شؤون أفراد القبيلة، والجرأة والشجاعة والجود والأريحية.

إن جود الطبقة العليا نحو الفقراء يختلف عن الضيافة التي كانت موجهة نحو الغرباء قبل كل شيء. لقد سادت في شبه الجزيرة العربية طبقة عليا ملكت الجزء الأكبر من الثروة، وعاش أغلب الناس في المدن خاصة في حاجة وعوز^(٤٣)، حيث تكونت الطبقة العليا هناك من التجار، وملكيت رأس المال ولم تعتنر بمصالح الفقراء. وهذه رواية تشير إلى أن الحاجة أرغمت المحتاجين في مكة أن يسرقوا، لذلك فقد سنت الطبقة العليا قانوناً لأول مرة يقضي أن تقطع يد السارق^(٤٤). أما البدو في الصحراء فلم تكن حالتهم أحسن حالاً، لأن حياتهم كانت متعلقة في أغلب الأحيان بالمطر المنتظر بلا طائل. وقد نشأت طبقة واسعة توجب عليها أن تعاني الفقر بسبب هذه الحالة الاقتصادية المضطربة التي أملت على الطبقة العليا في المجتمع أن تساعد الفقراء والمحتاجين. وهكذا فإن الطبقة العليا استخدمت الجود أيضاً تجاه الفقراء وسيلة للدفاع عن ثروتها.

ويستنتج مما ورد أن الضيافة والجود كانا منذ البداية حلاً جيداً ملائماً لمشاكل سببتها طبيعة الأرض، والبنية الاجتماعية، والحالة الاقتصادية. لقد كان هذا الحل في عين المجتمع الجاهلي ضرورياً، لذلك نظر الشعراء إلى قيمة الجود بعين الاعتبار والتقدير وأشادوا بها. هذا ولا يجوز للمرء أن يقلل من قيمة الضيافة والجود على أنهما حل لهذه المشاكل المذكورة، لأن المرء لا يستطيع أن يفصل ما عُدَّ فضيلة أو عاراً في مجتمع عن الظروف العامة المحيطة به.

إن طرق التصرف كالضيافة نحو الضيوف والجود نحو المحتاجين والفقراء أصبحت بمرور الوقت واجباً أخلاقياً ينبغي على الرجل الشهم النبيل أن يقوم به أو القبيلة كلها أن تتحلل به، وإلا فإنهما سيكونان عرضة للهجاء.

* * *

٤٣ — حول حالة المحتاجين السبعة، انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي، ج ٥ ص ٨٢ وما بعدها، بيروت ١٩٨٠.

٤٤ — صبح الأعشى في صناعة الإنشا: القلقشندي ج ١ ص ٤٣٥، القاهرة ١٩٢٢.

٢ — مكانة الشعر والشاعر في العصر الجاهلي

إنَّ مكانة الشعر والشعراء في العصر الجاهلي موضوع شامل ومتعدد الجوانب، لذلك سنحاول أن نلقي الضوء على هذه المكانة بوصف الشاعر عضواً في المجتمع، سواء أكان يصور المثل الأعلى للمجتمع البدوي، أم يعرض ما ينتظره المجتمع من أفراده^(٤٥).

لعب الشعر دوراً كبيراً في المجتمع الجاهلي، لأن العرب استخدموه للتعبير عن حياتهم اليومية، فوصفوا العلاقات والمنافسات بين القبائل، وأخبروا عن أيامهم، وصوروا بيئتهم، وسجلوا مناقبهم ومثالبهم. إضافة إلى ذلك فقد استعمل الشعر وسيلة للتعبير عن آرائهم وخصائص علاقاتهم بالملوك وسادة القبائل. إنَّ الأمر لا يقتصر كما يرى فرايتاغ^(٤٦) بأنَّ «الشعر كان العمل العقلي الوحيد للعرب تقريباً، نقلوا من خلاله أفعالهم المجيدة في الحرب والسلام، والدراية الأقرب بنسبهم للأجيال المقبلة»، بل إنه كان أيضاً، فيما بعد، مادة عمل علماء اللغة والأدب الذين عاشوا منذ بداية القرن الثاني الهجري، وجمعوا وفسروا شعر العرب قبل الإسلام، ودونوا النقول الشفهية. فقد كوّن الشعر نواة العلوم العربية التي تظهر أنه كان تعبير العرب الحضاري الأهم.

وللإجابة عن السؤال، لماذا لعب الشعر هذا الدور؟ وما هي الوظيفة المهمة التي كان يؤديها للعرب، نقتبس، آراء بعض العلماء العرب الأوائل الذين يؤكدون الآراء المذكورة. يقول ابن سلام

٤٥ — حول مكانة الشعر والشعراء يشار إلى المراجع الآتية:

Jacob, G.: Altarabisches Beduinenleben, 2 Aufl. Berlin 1897, S. 176 f.

Freytag, G. W.: Darstellung des arabischen Verskunst, Nachdruck, Osnabrück 1968, S. 372 ff.

تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان ج ١ ص ٩٦ وما بعدها، القاهرة ١٩٥٧.

مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية: ناصر الدين الأسد ص ١٠٩ وما بعدها، القاهرة ١٩٦٦، ط ٣.

المفصل في تاريخ العرب: جواد علي ج ٩ ص ٦٢ وما بعدها.

الشعر وطوايعه الشعبية على مر العصور: شوقي ضيف ص ٩ وما بعدها، القاهرة ١٩٧٧.

الشعر وأيام العرب: عفيف عبد الرحمن ص ٢٥ وما بعدها.

Freytag, G. W.: Darstellung des arabischen Verskunst, S. 373. — ٤٦

الجمحي^(٤٧) : « كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم ، به يأخذون وإليه يصيرون » . ويقول الجاحظ^(٤٨) : « كل أمة تعتمد في استيفاء مآثرها ، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال . وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى ، وكان ذلك هو ديوانها » . ويتحدث ابن قتيبة^(٤٩) عن أهمية الشعر عند العرب الذي جعله الله « لعلومها مستودعاً ، ولآدابها حافظاً ، ولأنسابها مقيداً ، ولأخبارها ديواناً » . ولا يبعد ابن عبد ربه^(٥٠) عما قرره النقاد القدامى حيث يقول : « كان الشعر ديوان العرب خاصة ، والمنظوم من كلامها ، والمقيد لأيامها ، والشاهد على أحكامها » .

إن هناك علاقة حميمة بين العرب والشعر بحيث إن الرسول عليه السلام ، قال : « لاتدع العرب الشعر حتى تدع الإبل الحنين »^(٥١) ، ومن هنا فإن عمر بن الخطاب أراد أن يبين مكانة الشعر عند العرب وأهميته فقال : « كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه »^(٥٢) . ولأن الشعر يكتسب مثل هذه الأهمية الكبيرة في المجتمع الجاهلي ، فقد احتل الشعراء مكانة عالية في القبيلة . ويمكن أن نميز ثلاث وظائف للشاعر متعلقة بمكانته الاجتماعية في القبيلة ، ومكانته الرسمية ، ومكانته العامة :

أ — مكانة الشاعر الاجتماعية :

يتبنى الشعراء شؤون القبيلة في أشعارهم ، فهم يدافعون عن القبيلة ضد القبائل الأخرى ويهاجمون أعداءها . إنهم يدونون مجد قبيلتهم ، ويحاولون أن يروّعوا عدوهم . يقول أبو عمرو بن العلاء^(٥٣) : « كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عدوهم » .

هذا وللشعر تأثير كبير في الحرب ، لذلك فإن الشعراء كانوا يرافقون قبائلهم لتشجيع

٤٧ — طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي . ج ١ ص ٢٤ ، تحقيق محمود محمد شاكر ، القاهرة ١٩٧٤ .

٤٨ — الحيوان : الجاحظ . ج ١ ص ٧١ — ٧٢ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ٣٨ — ١٩٤٥ .

٤٩ — تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة ص ١٤ ، تحقيق السيد أحمد صقر ، القاهرة ١٩٥٤ .

٥٠ — العقد الفريد : ابن عبد ربه ج ٥ ص ٢٩٦ ، تحقيق أحمد أمين وآخرين ، القاهرة ٤٠ — ١٩٥٣ .

٥١ — العمدة في صناعة الشعر ونقده : ابن رشيق القيرواني ص ١١ ، تحقيق محمد النعساني ، القاهرة ١٩٠٧ .

٥٢ — طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ج ١ ص ٢٤ .

٥٣ — البيان والتبيين : الجاحظ ج ٥ ص ٢٤١ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ٤٨ — ١٩٥٠ .

المقاتلين . جاء في السيرة النبوية لابن هشام^(٥٤) أَنَّ صفوان بن أمية قال لعمرو الجمحي عندما كانت قبيلة قريش تستعد لمعركة أحد : « يا أبا عزة إنك امرؤ شاعر ، فأعنا بشعرك ، فآخرج معنا » . لقد كان تأثير الشعر كبيراً بحيث شبه بتأثير السلاح ، وهذا ما أشار إليه الرسول الكريم محمد (ص) بقوله لحسان بن ثابت^(٥٥) : « فوالله لشعرك أشد عليهم من وقع السهام في غلس الظلام »^(٥٦) . ولقد كان الشعراء عالمين بمدى تأثير شعرهم ، كما يذكر عَبْدُ قيس بن خُفَاف البرُجُمي مشيراً إلى ما أعدّه لمواجهة خصومه والشدائد :^(٥٧)

فَأَصْبَحْتُ أَعْدَدْتُ لِلنَّائِبَا بَ عَرَضاً يَرِيماً وَعَضْباً صَقِيلاً^(٥٨)
وَوَقَعَ لِسَانِ كَحَدِّ السُّنَانِ وَرُحْماً طَوِيلَ الْقِنَاةِ عَسُولاً^(٥٩)

كما كان الشعراء يعلمون مكانتهم في المجتمع القبلي حتى إنهم دعوا إليها ، فالشاعر هو المدافع عن عرف القبيلة وموروثها . وهذا عبيد بن الأبرص يبرز هذه المكانة معدداً شروط السيادة في ذلك المجتمع لمن يرغب في أن يكون سيداً فيه^(٦٠) :

إذا كنت لم تَعْبَأُ برأيٍ ولم تُطِغْ إلى اللَّبِّ أو تُرْعِي إلى قول مرشد^(٦١)
ولا تُتَّقِي ذِمَّ العَشِيرَةِ كُلِّهَا وتدفع عنها باللُّسَانِ وبالْيَدِ
وتَصْنَعُ عن ذي جَهْلِهَا وتُخَوِّطُهَا وتَقْمَعُ عنها نَحْوَةَ الْمُتَهَدِّدِ^(٦٢)
وتَنْزِلُ منها بالمَكَانِ الَّذِي به يَرَى الْفَضْلُ في الدُّنْيَا على الْمُتَحَمِّدِ
فَلَسْتُ ، وإن عَلَلْتُ نَفْسَكَ بِالْمَنَى بذِي سُودٍ بَادٍ ولا كَرَبٍ سَيِّدِ^(٦٣)

- ٥٤ — السيرة النبوية : ابن هشام ج ٣ ص ٦٥ ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ١٩٣٦ .
٥٥ — حسان بن ثابت الخزرجي أحد الشعراء المشهورين وهو الشاعر الأكثر بروزاً بين الشعراء الذين ساعدوا الرسول الكريم محمد ﷺ وتعاليم الإسلام . شعره يشير إلى علاقته بالغساسنة وبالنعمان الثالث اللخمي . مات عام ٦٠٢ هـ ، انظر : Sezgin, F. Geschichte des arabischen Schrifttums, Leiden 1967-84, Bd. II S. 289 ff.

- ٥٦ — العقد الفريد : ابن عبد ربه ج ٧ ص ٢٧٧ .
٥٧ — شعر تميم في العصر الجاهلي ٤٦/٤ — ٦ ، جمع وتحقيق صلاح كزاره :
Die Dichtung des Tamim in voislamischen Zeit, ed. Salah Kazzarah, Diss. Erlangen 1982.

- ٥٨ — العضب : السيف القاطع . والصقيل : المصقول الحاد .
٥٩ — العسول : المضطرب اللدن .
٦٠ — ديوان عبيد بن الأبرص ١٩/١٠ — ١٤ ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٥٧ .
٦١ — اللَّب : العقل . وأرعى إليه يرعى : استمع إلى كلامه وأصغى .
٦٢ — تخوِّطها : تحفظها . وتقمع : تصرف ، أو تقهر وتذل .
٦٢ — علل نفسه : شغلها وألهاها . وكرب سيد : أراد قريباً من السيادة .

وواضح أنه يرى أن سيد القوم يجب ألا يكون مستبداً برأيه، وأن يدافع عن عشيرته بلسانه ويده ليتقي ذمها، وأن يصفح عن جاهلها، ويحوطها برعايته.

لذا كان الشعراء يفتخرون بأن ينظر إليهم على أنهم مدافعون عن قبائلهم. يقول الأعشى الكبير معتزاً بدفاعه عن عرض قومه، بوضع شعره تحت تصرفهم^(٦٤):

وَأَذْفَعُ عَنْ أَعْرَاضِكُمْ وَأَعِيرُكُمْ لِسَاناً كَمِقْرَاضِ الْخَفَاجِيِّ مِلْحَباً^(٦٥)

لقد كانت مكانة الشاعر مهمة بحيث عُدد نبوغ أحد أفراد القبيلة بالشعر سبباً للاحتفال وتقديم التهاني، وهذا ما يذكره ابن رشيقي قائلاً^(٦٦): «كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأته، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس. ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم، وذبح عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم.. وكانوا لا يهتفون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج».

ب — مكانة الشاعر الرسمية:

للساعر الجاهلي مهمة رسمية ليست أقل أهمية من مهمته الاجتماعية. فقد كان سفير قومه والمتحدث باسمهم لدى الملوك والسادة، ولا سيما إذا ما نشب خلاف بين القبيلة وأحد الملوك. وهذا ابن رشيقي يشير إلى شفاعة الشعراء ومكانتهم لدى الملوك فيقول^(٦٧): «وما زالت الشعراء قديماً تشفع عند الملوك والأمراء لأبنائها وذوي قرابتها، فيشفعون بشفاعاتهم، وينالون الرتب بهم». وهنا نذكر نموذجين يمثلان مهمة الشاعر الرسمية، ويقرران أن الشاعر كان لسان قومه، الأول يمثل عمرو بن كلثوم التغلبي في معلقته^(٦٨)، وفيها يفخر بقومه فخراً واسعاً بعد أن قتل الملك عمرو بن هند، وتبدأ بقوله^(٦٩):

٦٤ — ديوان الأعشى الكبير ٣١/١٤، شرح وتعليق محمد محمد حسين، بيروت ١٩٨٣.

٦٥ — خفاجه حي من بني عامر، والخفاجي نسبة له. وملحِب: قاطع.

٦٦ — العمدة ص ٣٧.

٦٧ — المصدر السابق ص ٣١.

٦٨ — المعلقة إحدى القصائد السبع التي جمعها حماد الراوية (ت ١٥٥ هـ). انظر: إرشاد الأريب إلى معرفة

الأديب: ياقوت الحموي ج ٤ ص ٣٤٠، تحقيق مرجليوث، لندن ٢٣ — ١٩٢٧.

٦٩ — شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات: ابن الانباري ١/٥، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة

١٩٨٠.

أَلَا هُبِّي بِصَحْنِكَ فَاصْبَحِينَا وَلَا تُبْقِي خَمُورَ الْأَنْدَرِينَا^(٧٠)

والثاني يمثله علقمة الفحل الذي مدح الحارث بن جبلة الغساني لتخليص أسرى قومه ، وكان فيهم أخوه شأس ، وتبدأ قصيدته بقوله^(٧١) :

طحا بك قلب في الحسانِ طروب بُعيد الشبابِ عصرَ حانٍ مَشِيْبٍ^(٧٢)

ج — مكانة الشاعر العامة :

فإن كان الشعراء على جانب كبير من هذه الأهمية في القبيلة فإنه من البدهي أن يكون لهم تأثير واسع في الحياة العامة . وهذا ما أكدته الشعراء الذين صوروا تأثير أشعارهم الكبير في الحياة العامة ، وبقاء هذا الأثر لمدة طويلة ، فهي تنتشر في الآفاق انتشار الرياح ، وتبقى غريبة بين الناس الذين يمثّلون بها ويسمعونها ، كقول المُسَيَّب بن علس^(٧٣) :

فَلَا تُهْدِيَنَّ مَعَ الرِّيحِ قَصِيدَةً مِنِّي مُعْلَعَةً إِلَى الْقَعْقَاعِ^(٧٤)
تَرِدُ الْمِاءَ فَلَا تَسْزَالُ غَرِيبَةً فِي الْقَوْمِ بَيْنَ تَمَثُّلٍ وَسَمَاعٍ^(٧٥)

لذا نجد الشاعر نادماً لتورطه في هجاء قومه ، لأنه لا يستطيع أن يعيد ما قاله بعد أن تناقله الرواة ، كما لا يرد اللبن إلى ضرع الناقة بعد حلبه ، كقول عَمِيرة بن جُعَيْل^(٧٦) :

نَدِمْتُ عَلَى شَتْمِ الْعَشِيرَةِ بَعْدَ مَا مَضَتْ وَاسْتَبَيْتُ لِلرَّوَاةِ مَذَاهِبُهُ
فَأَصْبَحْتُ لَا أَسْطِيعُ دَفْعاً لِمَا مَضَى كَمَا لَا يُرَدُّ الدَّرُّ فِي الضَّرْعِ حَالِبُهُ^(٧٧)

٧٠ — هبي : قومي من نومك . والصحن : القدح الواسع الضخم . والصبوح : شرب الغداة . والأندرين : قرية بالشام كثيرة الخمر .

٧١ — ديوان علقمة الفحل ١/١ ، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب ، حلب ١٩٦٩ .

٧٢ — طحا : اتسع وذهب كل مذهب . طروب : من الطرب وهو استخفاف القلب من فرح أو حزن . بعيد : تصغير بعد . العصر : الزمن والحين .

٧٣ — شعر المسيب بن علس ١/١ ، في : أشعار الأعشى الكبير ، طبعة Gedichte von Abū Basir : Geyer Maimūn ibn Qais al- A'sā, nebst Sammlungen von Stücken anderer Dichter des gleichen Beinamens und von al- Musayyab ibn Alas, ed. R. Geyer (Gibb Mem. Ns VI), London 1928.

٧٤ — مع الرياح : أي أنها تذهب كل مذهب . ومعْلَعَة : نافذة ، تنفذ في الناس وتسلك إليهم السبل البعيدة .

٧٥ — غريبة : أي لا تزال تأتي قوماً على مياههم .

٧٦ — الشعر والشعراء : ابن قتيبة ص ٦٥٤ ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٩٧٧ .

٧٧ — الدر : اللبن .

لقد كان خوف العرب كبيراً من قصائد الهجاء، بحيث إنهم لجؤوا إلى تصرفات نادرة مع الشعراء إذا ما وقعوا في أيديهم، فقد ذكر الجاحظ^(٧٨) أنه «يبلغ من خوفهم من الهجاء ومن شدة السب عليهم، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقاب ويُسب به الأحياء والأموات، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه الموائيق، وربما شدوا لسانه بنسعة كما صنعوا بعد يعقوب بن وقاص الحارثي حين أسرته بنو تميم يوم الكلاب»، وقد يلجأ بعض العرب إلى تصرف أكثر حنكة، عندما كانوا يقدمون الهدايا رشوة للشعراء الذين يخافون من هجائهم^(٧٩).

وكان تأثير الشاعر قوياً في سمعة الرجل ومكانته، وهنا يشار إلى قصة الأعشى الكبير مع المخلّق الذي كان يعيش في ظروف قاسية، ولديه أربع بنات. وتشير الرواية^(٨٠) إلى أن المخلّق أحسن استقبال الأعشى الذي نظم قصيدة مدحه فيها، وأشاد بيناته، وقد أنشد هذه القصيدة في سوق عكاظ حيث يلتقي العرب من قبائل شتى، وأنه ما إن انتهى من إنشادها حتى تقدمت القبائل النبيلة لخطبة البنات.

إن تأثير الشاعر في الحياة العامة لم يتغير تقريباً بعد ظهور الإسلام، من ذلك مثلاً أن قبيلة تُميمر أصبحت موضع سخيرة الناس وتندرهم، بعد أن كان أفرادها فخورين بانتماثلهم إليها، وما ذلك إلا لبيت جرير الساخر^(٨١):

ففضّ الطرف إنك من غير فلاكعباً بلغت ولا كلاباً

وعلى هذا النحو كانت قصة النجاشي الحارثي مع بني العجلان الذين كانوا يفتخرون بأعمالهم المجيدة، وأنهم كانوا يسرعون بتقديم الطعام لضيوفهم، ولكنهم بعد قول الشاعر النجاشي الحارثي فيهم^(٨٢):

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعادك ماعاد السليم المسهدا

انظر: الشعر والشعراء: ابن قتيبة ص ٣٦٣.

٧٨ — البيان والتبيين ج ٤ ص ٤٥.

٧٩ — مثلاً الرواية التي تذكر أن قريشاً قدمت مائة من الإبل رشوة للأعشى الكبير عندما علمت أنه يريد أن يذهب إلى النبي محمد ﷺ، وقد أعد قصيدة مدحية تبدأ بقوله:

٨٠ — ديوان جرير، الذيل ٧٩/٣، تحقيق نعمان أمين طه، القاهرة ٦٩ — ١٩٧١.

٨١ — الشعر والشعراء: ابن قتيبة ج ١ ص ٣٣٧ — ٣٣٨، والعمدة: ابن رشيق ص ٢٧. والشاعر هو

إذا الله عادى أهل لؤم ودقة فعادى بني العجلان رهط ابن مقبل^(٨٣)

أصبحوا غير راضين عن اسمهم الذي تلوث بهجاء الشاعر ، لهذا فقد رفعوا شكوى ضده إلى عمر بن الخطاب (ت ٢٣ هـ) .

وهكذا فإن يعقوب^(٨٤) لم يبعد عن الحقيقة ، عندما يقول : « إن تأثير الشعر في طبيعة البدو عظيم للغاية ، فبيت شعري يستطيع أن يشجع المقاتل في ظل ظروف ، بحيث إنه يهجم على العدو بلا تبصر ، وتسبب قصائد هجائية مراراً فعلاً عدوانية » . لقد لاحظ علماء القرن الثالث الهجري تأثير الشعر ، وعبروا عنه ، فالجاحظ^(٨٥) يذكر أنه « ربما قال الشاعر في هجائه قولاً يعيب به المهجو ، فيمتنع من فعله المهجو ، وإن كان لا يلحق فاعله ذم . وكذلك إذا مدحه بشيء أولع بفعله ، وإن كان لا يصير إليه بفعله مدح » . ويرى ابن رشيح القيرواني^(٨٦) أن الشعر « يرفع من قدر الوضع الجاهل مثل ما يضع من قدر الشريف الكامل » .

ولأننا أثبتنا أن الشعراء رعوا مصالح مجتمعهم ، وأنهم رسموا في قصائدهم الهجائية والمدحية الصورة المثالية للمجتمع^(٨٧) ، فإننا بالتالي نستطيع أن نستعين بقصائدهم أيضاً أساساً لأسئلة تاريخية اجتماعية ، وشهادة مميزة لمعرفة الأخلاق الاجتماعية في العصر الجاهلي .

* * *

← قيس بن عمرو بن مالك من الشعراء الخضرين . انظر الشعر والشعراء : ابن قتيبة ج ١ ص ٣٣٦ ، و :

Sezgin: Geschichte des arabischen Schrifttums, Bd. 2 S. 356-357.

٨٣ — دقة : يريد أن أحسابهم دقيقة خسيصة . والرهط : القوم والقبيلة .

٨٤ — Jacob, G.: Altarabisches Beduinenleben, S. 176.

٨٥ — البيان والتبيين ج ٤ ص ٨١ .

٨٦ — العمدة : ص ١٩ .

٨٧ — لهذا فإن فيليب حتي (تاريخ العرب ج ١ ص ١٣١) مصيب حيث يقول : « يكشف هذا الشعر الجاهلي عن المثل الأعلى لفضيلة العرب التي تعبر عنها لفظة المروءة ، وللمروءة عناصر تتكون منها هي الشجاعة والوفاء والكرم » .

٣ — مفهوم الكرم والجود

قبل أن نتكلم على الجود والبخل يجب أن نعرف معنى كلمة «الكرم»^(٨٨) تعريفاً دقيقاً، وأن نحددها لأن هذه الكلمة تحمل معاني عدة، ولم تستعمل فقط في معنى الجود^(٨٩).

(الكرم مفهوم شامل أطلقه المرء على الصفات النبيلة كلها. يقول المرزوقي^(٩٠): «الكرم اسم لخصال تضاد خصال اللؤم»، ولكي يتضح هذا التعريف، يسوق العناصر المفردة للخصال الوضيعة التي تُناقض الكرم قائلاً: «اللؤم اسم لخصال تجتمع، وهي البخل واختيار ما تنقيه المروءة والصبر على الدنية ودناءة النفس والإباء»^(٩١). وعلى هذا الأساس يرى الفيروزآبادي^(٩٢) أن «الكرم ... ضد اللؤم».)

ونجد صدى هذا التحديد المذكور لكلمة الكرم في الشعر الجاهلي. فليد بن ربيعة يقول مفتخراً^(٩٣):

٨٨ — يوجد الجذر «ك ر م» في لغات سامية أخرى، ويعني أمسك، قبض، مد، ناول. انظر:

Rössler, O: Der semitische Charakter des libyschen Sprache. in: ZA 50/1952. S. 134.

ويوجد في اللغة الأكادية الجذر «ك ر ب»، ويعني احترام، وهب. وهذا الجذر نشأ من الجذر «ك ر

م» لأن «م» تصبح «ب» بعد «ر». انظر: Breckelmann, C.: Grundriss der vergleichenden

Grammatik des semitischen Sprache. Bd. I S. 226

وهذا يعني أن الجذر «ك ر م» يطابق في الأكادية كلمة karābum وتعني أعطى، قدس، بارك، سلم. انظر:

Von Soden, W.: Akkadisches Handwörterbuch, Bd. I S. 445

٨٩ — خصصنا فصلاً مستقلاً بكلمات الجود والبخل. انظر ص ٢١١.

٩٠ — شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ص ١١١، تحقيق أحمد أمين وعبد السلام هارون، القاهرة ٥١ — ١٩٥٣.

٩١ — شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ص ١١٠.

٩٢ — القاموس المحيط: الفيروز آبادي ج ٤ ص ١٧١، القاهرة ١٩٥٢.

٩٣ — شرح ديوان لييد بن ربيعة، الملحق ١/٣٠، تحقيق إحسان عباس، الكويت ١٩٧٢. وينسب البيت إلى ربيعة بن مقروم: شعره ٢٠/١٩.

وإن تسألني بي فإني امرؤ أهين اللئيم وأحبو الكريما
وحاتم الطائي يفتخر قائلاً^(٩٤) :

وأغفر عوراء الكريم اصطناعه وأصفح عن شتم اللئيم تكراً^(٩٥)
والمتملمس الضبعي يؤكد هذا المعنى ، فيقول^(٩٦) :

ومن كان ذا عرض كريم فلم يصن له حسباً كان اللئيم المذمماً

وهكذا فإن كلمة الكرم لا تعني فقط التبرع بالمال أو الجود على الإطلاق ، على الرغم من أن الكرم يُسمى جواداً ، وإنما هي مفهوم شامل لكل المناقب التي تشكل نقيضاً للخصال الوضيعة ، والتي ينتظرها المرء من إنسان ذي أصل نبيل وخصال حميدة مثل : الجود والشجاعة والصبر ، والعناية بالجيران وحماية العرض ، ومنع الظلم والصفح . وهذه بعض الشواهد الشعرية التي تبرز المناقب التي يتضمنها مفهوم الكرم . يقول امرؤ القيس يمدح قوماً :^(٩٧)

كراماً إذا الضيف عند الشتاء إذا ما المشارع أضحت جليداً^(٩٨)
ويفتخر عمرو بن برة بقومه قائلاً^(٩٩) :

إذا جرّ مولانا علينا جريرة صبرنا لها إنا كرام دعائم^(١٠٠)
ويفتخر عدي بن زيد بخصاله ، فيقول^(١٠١) :

يأبى لي الله خون الأصفياء وإن خانوا ودادي لأني حاجزي كرمي
ويشير يزيد بن حسان السكوني إلى كرم قوم قائلاً^(١٠٢) :

ومن تكرمهم في المخل أنهم لا يعلم الجار فيهم أنه الجار

٩٤ — ديوان شعر حاتم الطائي ٢٩/٤٧ ، تحقيق عادل سليمان جمال ، القاهرة ١٩٧٥ .

٩٥ — العوراء : الكلمة القبيحة . واصطناعه : مكان ادخاره .

٩٦ — ديوان شعر المتملمس الضبعي ٢/١ ، تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ١٩٦٨ .

٩٧ — ديوان امرئ القيس ٢٠/٥٤ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٥٨ .

٩٨ — المشارع : الطرق التي تشرع فيها الإبل وغيرها إلى الماء .

٩٩ — قصائد جاهلية نادرة ص ١٠١ ، تحقيق يحيى الجبوري ، بيروت ١٩٨٢ .

١٠٠ — الجريرة : الجناية . ودعائم : سادة ، وأصل الدعامة : عماد البيت .

١٠١ — ديوان عدي بن زيد ٢/١٢١ ، تحقيق محمد جبار المعيد ، بغداد ١٩٥٥ .

١٠٢ — شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ٢/٩٣ .

ويبين أبو قيس صيفي بن الأسلت مكانة أحدهم في قومه بقوله (١٠٣) :

يحمي ذماركم ويعم — ضُ القوم لا يحمي ذماره (١٠٤)
يبنى لكم خيراً وبن — يأن الكريم له أثاره

ويرى زهير بن جَنَاب أنَّ الكريم الماجد هو الذي يمنع الضيم (١٠٥) :

لا يمنع الضيم إلا ماجدٌ بطل — إنَّ الكريم كريمٌ حيث ما كانا
أما عمرو بن قميئة فيسند حماية الحي إلى الكريم قائلاً (١٠٦) :

ولم يحرم قرَجَ الحي إلا محافظ — كريمٌ مُحِيًّا ماجدٌ غيرُ أخردا (١٠٧)

ويعدد أمية بن أبي الصلت صفات الكريم عبد الله بن جدعان قائلاً (١٠٨) :

ذِكْرَ ابنِ جُدْعَانِ بِحَيٍّ — رَ كَلِمَا ذِكْرَ الْكَرَامِ
مَنْ لَا يَخُونُ وَلَا يُعُ — تُ لَا تُغَيِّرُهُ اللَّئَامُ (١٠٩)
يَهَبُ النُّجِيبَةَ وَالنَّجِي — بَ لَهُ الرُّحَالَةُ وَالزُّمَامُ (١١٠)

ويرى رجل من قبيلة لحم أنَّ العفو من صفات الكريم (١١١) :

والعفوُ إلا عن الأعداءِ مكرمةً — من قال غيرَ الذي قد قلته كذباً

ومع أنَّ الشعراء أو العلماء القدامى لم يبينوا بشكل واضح عما إذا كان الغنى قد لعب دوراً في تحديد مفهوم الكرم، وعما إذا كانت صفات الكريم تشمل الفقير أيضاً. فإنه يبدو واضحاً أنَّ الكرم لم يرتبط بالطبقة المالكة فقط، وأنَّ الفقير قد يكون كريماً.

إنَّ الجود بلا شك عنصر أساسي من عناصر الكرم، ومع ذلك فإننا نجد تلازم الصفتين

١٠٣ — ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت ص ٧٤، تحقيق حسن محمد باجودة، القاهرة ١٩٧٣.

١٠٤ — الذمار : ذمار الرجل وهو كل ما يلزمك حفظه وحمايته والدفع عنه، وإن ضيعه لزمه اللوم.

١٠٥ — حماسه البحتري : البحتري ١/٦٥، تحقيق لويس شيخو، بيروت ١٩١٠.

١٠٦ — ديوان عمرو بن قميئة ١١/١، تحقيق حسن كامل الصيرفي، القاهرة ١٩٦٥.

١٠٧ — الأحرذ : الرجل إذا ثقلت عليه الدرع فلم يستطع الانبساط في المشي، والأحرذ : الجعد اليدين.

١٠٨ — ديوان أمية بن أبي الصلت ١/٧٦ — ٣، تحقيق عبد الحفيظ السطلي، ط ٣، دمشق بلا تاريخ.

١٠٩ — عق والديه : قطعهما ولم يصل رحمه منهما.

١١٠ — النجيب من الرجال الكريم الحسيب، وكذلك البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين، ويقال ناقة نجيب ونجيبة.

١١١ — الحماسة البصرية ج ١ ص ٨٨.

لدى بعض الشعراء، وهذا أمية بن أبي الصلت يمدح رجلاً فيشير إلى نداء وكرمه: (١١٢)

وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ خَيْرُهُمْ وفي بيتهم ذي الندى والكرم
ويؤكد مرة أخرى وجود الصفتين في بني عامر قائلاً: (١١٣)

إِنَّ التَّكْرُمَ وَالنَّدَى فِي عَامِرٍ جَدَاكَ مَا سَلِكْتَ لِحَجِّ عَزُورٍ (١١٤)
ويفتخر أيضاً بقومه الذين يتصفون بالسماح والعز والكرم قائلاً: (١١٥)
إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّا مَا بَقِيتْ لَنَا فِينَا السَّمَاحُ وَفِينَا الْعِزُّ وَالْكَرَمُ

الكرم إذن مفهوم أشمل من الجود الذي يشير إلى وجه واحد من وجوه الكرم. وإذا ما كان مفهوم الكرم يضاد مفهوم اللؤم، فإن مفهوم الجود يناقض مفهوم البخل أيضاً، وهذا ما أكدده الشعراء الجاهليون، يقول زهير بن أبي سلمى في مديح هرم بن سنان: (١١٦)

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَ كَنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمٌ (١١٧)
ويقول حاتم الطائي مفتخراً بجوده: (١١٨)

أَشَاوُرُ نَفْسَ الْجَوَدِ حَتَّى تُطِيعَنِي وَأَتْرُكُ نَفْسَ الْبُخْلِ مَا أَسْتَشِيرُهَا

ويتضح المعنى الشامل لمفهوم الكرم الذي يجمع المناقب كلها أيضاً في اسم «الكريم» على أنه اسم من أسماء الله تعالى (١١٩). يقول ابن الأثير حول ذلك (١٢٠): «الكريم الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، وهو الكريم المطلق». ويستنتج من هذا العرض أن كلمة «كرم» مفهوم شامل لأعمال الخير بحيث يجوز للمرء أن يعدّ تعريف ابن الأثير القائل (١٢١) بأن «الكريم: الجامع لأنواع

١١٢ — الديوان ٥/٨٨.

١١٣ — المصدر السابق ١/٢٥.

١١٤ — الجد هنا: الرزق والحظ. وعزور: موضع على الطريق بين المدينة ومكة.

١١٥ — الديوان: ٢/٧٢.

١١٦ — شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ثعلب ص ١٥٢، تحقيق أحمد زكي العدوي، القاهرة ١٩٦٤.

١١٧ — على علاته: أي على ما ينوبه من قلة ذات يد وعوز.

١١٨ — الديوان ١٣/٥٠. وانظر: المصدر نفسه ٢/٣٢، ٧/٤٥، ١٣/٥، وحطائط بن يعفر: شعر تميم ٤/٦٠، وعلقة الفحل: الديوان ٣٠/٢.

١١٩ — لاشك أن التعاليم الإسلامية أثرت في تعريف «الكريم» وأغنت هذا المفهوم.

١٢٠ — النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين المبارك بن الأثير، ج ٤ ص ١٦٦، تحقيق طاهر أحمد الزاوي وآخرين، القاهرة ١٩٦٣.

١٢١ — المصدر السابق ج ٤ ص ١٦٦.

الخير والشرف والفضائل»، وتحديد ابن منظور^(١٢٢) للكريم بأنه «اسم جامع لكل ما يحمد»
صحيحين وسديدين.

إن مشتقات مادة «ك ر م» من الأسماء والأفعال والصفات وردت في الشعر الجاهلي
كثيراً^(١٢٣)، والشواهد على ذلك غزيرة. ولعل الصيغ الأكثر وروداً التي تشير إلى أهم مشتقات
مادة ك ر م^(١٢٤)، هي: كَرَّمَ^(١٢٥)، كَرَّمَ^(١٢٦)، أكرم^(١٢٧)، نكَّرَم^(١٢٨)، وتكرَّم، كَرَّمَ^(١٢٩)،
كريم^(١٣٠)

- ١٢٢ — لسان العرب: ابن منظور الأفرقي ج ١٢ ص ٥٦.
- ١٢٣ — انظر:
- Wörterbuch des klassischen arabischen Sprache, hrsg. durch DMG, Wiesbaden, Bd. I S. 137 ff.
- ١٢٤ — حول تسميات أخرى للجدود والبخل انظر ص ٢١١ من هذا البحث.
- ١٢٥ — ديوان الأئمة الأودي ص ٧، في: الطرائف الأدبية ص ٢ — ٢٤، جمع وتحقيق عبد العزيز الميمني،
القاهرة ١٩٣٧.
- ١٢٦ — ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٢.
- ١٢٧ — انظر: ديوان حاتم الطائي ٧/٧، وديوان شعر المثقب العبدى ١٧/٦، تحقيق حسن كامل الصيرفي،
القاهرة ١٩٧٠، وذو الأصبع العدواني: الحماسة الشجرية: ابن الشجري ١/٢٩، تحقيق عبد المعين
الملوحي وأسماء الحمصي، دمشق ١٩٦٠، ومالك بن حريم الهمداني: الأصمعيات: الأصمعي
١٢/١٥، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧٦.
- ١٢٨ — الحارث بن ولة الشيباني: الحماسة البصرية ج ١ ص ٦٣، وديوان أمية بن أبي الصلت ١/٢٥،
وديوان عنترة بن شداد ٤٦/١، تحقيق محمد سعيد المولوي، دمشق ١٩٧٠، وديوان المتلمس الضبعي
١/١، ويزيد بن جهمان: شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ٤/٩٣.
- ١٢٩ — انظر: ديوان الأسود بن يَغْفَر ٢٦/٣٣، تحقيق توري حمودي القيسي، بغداد ١٩٦٨، وديوان عدي
ابن زيد ٢/١٢١، وديوان ليبد بن ربيعة ٨٠/٤٨، وديوان المتلمس الضبعي ١/١، وديوان المثقب
العبدى ١٧/٦، والمرقس الأكبر، المفضليات: المفضل الضبي ٣١/٥٤، تحقيق أحمد محمد شاكر،
وعبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧٦، وديوان النابتة الذبياني ٢/٦٤، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،
القاهرة ١٩٧٧.
- ١٣٠ — انظر: ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت ص ٧٤ — ٧٥، وديوان الأسود بن يَغْفَر ٣/٣٤،
١/٥٣، وديوان امرئ القيس ٤٦/٣، ١/٣٦، ٥/٥٩، ٩/٩٩، الملحق ١/٥٧، وديوان أوس بن
حجر ٥/١٢، تحقيق محمد يوسف نجم، بيروت ١٩٦١، وديوان حاتم الطائي ٤/٣٣، ٩/٤٢،
٤/١٧، ٢/٢٩، وديوان الحرنق بنت بدر ص ٣٩، تحقيق حسين نصار، القاهرة ١٩٦٩، وديوان
زهير بن أبي سلمى ص ٧٢، ١٤١، ٣٠٨، وديوان طرفة بن العبد ٤٧/١ — ٨١، تحقيق درية
الخطيب ولطفي الصقال، دمشق ١٩٧٥، وديوان عروة بن الورد ٢٦/٣، تحقيق محمد بن أبي شنب،
الجزائر ١٩٢٦، وديوان عمرو بن قميئة ١١/١، وديوان ليبد بن ربيعة ١٤/٢ — ١٦، ٤/١٧،
١/٢٠، ١٨/٢٤، ٣/٤٣، وديوان المتلمس الضبعي ٢/١، ٧/٢، وديوان المثقب العبدى ٧/٢،
وعبد قيس بن شُخاف: شعر تميم ٣/١٨٥، وعبد يَغُوث بن وقاص: المفضليات ١٦/٣٠.

، مُكْرِمٌ وَمُكْرَمٌ (١٣١) ، أَكْرَمٌ (١٣٢) ، أَكْرِمٌ ب (١٣٣) ، تَكْرِمَةٌ (١٣٤) ،
مَكْرُمَةٌ (١٣٥) وجمعها مَكَارِمٌ ومَكْرُمَاتٌ ، مِكْرَامٌ (١٣٦) .

-
- ١٣١ — انظر: ديوان حاتم الطائي ٧/٧ ، ٧/٣١ ، وديوان دريد بن الصمة ٣/٤٧ ، تحقيق محمد خير البقاعي ، دمشق ١٩٨١ .
- ١٣٢ — انظر: ديوان امرئ القيس ٤/٤٥ ، وديوان دريد بن الصمة ٣/٣٥ ، وديوان زهير بن أبي سلمى ص ٢٩٦ ، وديوان عبيد بن الأبرص ٧/٨ ، وديوان عنتر بن شداد ، الملحق ٢٨/١٨ ، وزينب بنت مالك: أشعار العامريين ١/١٣٥ ، وعمرو بن كلثوم ، شرح القصائد السبع: ابن الأثيري ٥٣/٥ .
- ١٣٣ — خالد بن جعفر: أشعار العامريين ٤/٩٠ .
- ١٣٤ — ديوان حاتم الطائي ٤/١ .
- ١٣٥ — انظر: ديوان أمية بن أبي الصلت ٤/١ ، ٢٤/٩٣ ، وديوان بشر بن أبي خازم ١٥/٤٦ ، تحقيق عزة حسن ، دمشق ١٩٦٠ ، وديوان المثقب العبدى ١٧/٧ ، وزهير بن مسعود: قصائد جاهلية نادرة ص ٩٦ ، وقيس بن عاصم: شعر تميم ٢/٢٠٠ .
- ١٣٦ — ديوان شعر الحادرة ١/٩ ، تحقيق ناصر الدين الأسد ، القاهرة ١٩٦٨ .

الفصل الأول

قيمة الضيافة والجود

١ — التقدير العالي للجود (الجود فضيلة عالية)

إن الضيافة والجود اللذين وجب أن ينظر إلى نشأتهما في سياق الدوافع العملية أصبحتا من الفضائل الأخلاقية التي تأصلت في طبع الإنسان العربي تأصلاً ثابتاً . وهي فضائل عدت واجباً ينبغي أن يحل مشاكل اجتماعية ، لذا كان الجود فضيلة عالية التقدير .

لقد صور الشعراء طرقاً مختلفة لما ينبغي أن تكون عليه سجايا الإنسان الجواد ، فمنهم من كان يذكر العادة الدائمة للأجواد بتقديم عطائهم الغزير . لذلك تنسب إليهم الآداب النبيلة والسجايا الكريمة المتأصلة . وهذا الأعشى الكبير يدعو ممدوحه للتمسك بعادته فيقول ^(١) :

عَوِّذْتُ كِنْدَةَ عَادَةً فَاصْبِرْ لَهَا اغْفِرْ لَجَاهِلِهَا وَرَوْ سِجَالَهَا ^(٢)

وأمية بن أبي الصلت يشير إلى رسوخ جود ممدوحه مهما تعاقبت الأيام والليالي ^(٣) :

كَرِيمٌ لَا يُغَيِّرُهُ صَبَاحٌ عَنِ الْخُلُقِ السَّيِّئِ وَلَا مَسَاءٌ ^(٤)

ويفخر عبد الله بن عبد المدان بقومه الذين يتصفون بالجود مهما امتد الزمن وتعاقبت السنين ^(٥) :

إِنْ تَهْجُنَا تَهْجُ آسَاداً شَرَامِحَةً بِيضَ الْوُجُوهِ مَرَايِدَا عَلَى الزَّمَنِ ^(٦)

ويبرز زهير بن أبي سلمى جود ممدوحه اليومي قائلاً ^(٧) :

-
- | | |
|-----|---|
| ١ — | الديوان ٢٩/٣ . |
| ٢ — | السجال : جمع سَجَل وهو الدلو العظيمة . |
| ٣ — | الديوان ٣/١ . |
| ٤ — | السنى : الرفيع . يريد أن كرمه لا يتغير بين حين وآخر . |
| ٥ — | الحمامة الشجرية ٦/٢٩ . |
| ٦ — | شراحة : الشرع والشرعي من الرجال : القوي الطويل . |
| ٧ — | الديوان ص ٢٠٩ . |

ولكنه عصمة في كل يوم يطيف به المَحُول والعَدِيم^(٨)

أما ممدوح بسطام بن قيس^(٩) فَإِنَّ يده « بذلها معتاد » .

وقد نظر بعض الشعراء إلى أَنَّ الجود سجية عائلية تورث من الآباء إلى الأبناء، بحيث أصبحت هذه السجية من تقاليد العائلة النبيلة . ومثل هذا التقليد عُذُّ عرفاً نبيلاً لأنه يعطي الجود قيمة رفيعة . يشير زهير بن أبي سلمى إلى وراثة جود هرم بن سنان ، فيقول^(١٠) :

وَعَوْدُ قَوْمِهِ هَرَمٌ عَلَيْهِ ومن عاداته الخُلُقُ الكريمُ
كما قَدْ كان عَوْدُهُمْ أَبَوْهُ إذا أْزَمْتُ بِهِ سَنَةَ أَرْوَمِ^(١١)

ويعرض يزيد بن حَذَّاق العبدي^(١٢) الخلال الكريمة التي ورثها من آبائه وأجداده ، وفي مقدمتها الجود ، ويعلن تمسكه بها ، ولا سيما في الشدائد لتستقيم سيرته ، ويصون عرضه ، وينال رضى أهل العقل والحكمة :

وجدت أبي قد أورثه أبوه خلاً قد تُعَدُّ من المعالي
فأكرم ما تكون علي نفسي إذا ما قل في الأزمات مالي
فتحسن سيرتي وأصون عِرْضِي ويَجْمُلُ عند أهل الرأي حالي
وإن نِلْتُ التَغْنَى لم أَغْلِ فيه ولم أخصُصْ بجفوتي الموالِي

إنَّ الجواد الحقيقي يقدم عطاءه بسرعة ، ولا يندم بعد ذلك . يضاف إلى ذلك أَنَّ الشعراء نظروا إلى تأخير العطاء على أنه تصرف غير حميد ، وهذا حاتم الطائي يرفض المماطلة والتأخير بتقديم عطائه قائلاً^(١٣) :

فلسْتُ بمؤنِّيه وأضيَّافُ أهليهِ غرَّاثٌ إلى وقت يُجَدُّ ويْتَمِرُ^(١٤)

٨ — الخول : ذو المال والخول . العديم : الفقير .

٩ — شعراء النصرانية قبل الإسلام : لويس شيخو ج ١/ص ٢٦٢ ، بيروت ١٩٧٦ .

١٠ — الديوان ص ٢١١ .

١١ — أزم : عض ، وسنة أزم : شديدة القحط والجذب .

١٢ — الأماي : أبو علي القالي ج ٢ ص ٢٠٣ ، القاهرة ١٩٢٦ . وانظر شواهد أخرى لدى الأعشى الكبير :

الديوان ٢٣/١١ — ٢٤ ، وحببية بنت عبد العزى ، شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ٢/٧١٥ — ٤ .

١٣ — الديوان ٣/٧٦ — ٥ .

١٤ — آنى فلان الشيء يؤنيه : إذا أخره وحبسه وأبطأه . وغرَّاث : جياع . وأوجد النخل : حان له أن يجذ أي يقطع ثمره . وأتمر الرطب : صار في حد التمر .

ولكنني ممّا أقول وإن زَرَى عَلَيَّ بذاك الكاشحُ المتقفر^(١٥)
كُلُوا ما به تُخَضَّرُ وَصُفْرًا وَيَانَعًا هَنِيئًا وَخَيْرُ النِّفْعِ ذُو لَا يُكَدَّرُ^(١٦)

وقد نظر الشعراء إلى أنّ العطاء الطبيعي الذي يقدم بدوافع نفسية حرة رمز إلى أن الجواد لا يتبرع كارهاً. فممدوحو زهير المازني^(١٧) «مباذيل عفواً جزيل العطاء»، وأبو كنداء^(١٨) يعطي «عفواً غير ممنون»، وعطايا ممدوح النابغة الذبياني^(١٩) «لا تعطى على نكد». وهذا الأعشى الكبير يشير إلى عفوية عطاء أحدهم دون قسر أو تهديد قائلاً^(٢٠)

فإنّ الذي يُرْتَجَى سَنِيْبُهُ إذا ما نُحِلَّ عليه اختياراً^(٢١)

ويذكر الشعراء أن الجواد يعطي بسرور، ويشيرون إلى أنّ المرء يحصل على العطاء دون سؤال. وهكذا فإنّ يدي ممدوح الأعشى الكبير^(٢٢) «تجودان بالإعطاء قبل سؤال الكا». أما جود ممدوح بسطام بن قيس^(٢٣) فقد أغنى المحتاجين «عن أن يسألوا». وقد يوضح الشعراء أن المحتاج يحصل على العطاء سواء سأل أم لم يسأل، يقول لييد بن ربيعة^(٢٤):

وغلّام أرسلته أمّه بألوكٍ فبذلنا ما سأل^(٢٥)
أو نهته فأتاه رزقه فاشتوى ليلة ربح واجتمل^(٢٦)

إنّ الأجواد يقدمون عطاءهم بسرور بالغ، وإذا ما التقوا بالمحتاجين فإنّ وجوههم سرعان ما يعلوها البشر والتهلل، بحيث إنّ السؤال لا يقلل من كرامتهم. وهذا ما يشير إليه أمية بن أبي الصلت قائلاً^(٢٧):

-
- ١٥ — المتقفر: أصله من تقفر الأثر إذا تبعه.
١٦ — ذو: بمعنى الذي في لغة طيء.
١٧ — الأعاني ج ٢٢ ص ٢٧١.
١٨ — شرح ديوان الحماسة: المزدوقي ٢/٧٦٠.
١٩ — الديوان ٢٧/١. والنكد: الضيق والعسر.
٢٠ — الديوان ٣٦/٥.
٢١ — السيب: العطاء.
٢٢ — الديوان ٢٥/١١.
٢٣ — شعراء النصرانية: لويس شيخو ص ٢٦٢.
٢٤ — الديوان: ١٦/٢٦ — ١٧.
٢٥ — الألوك: الرسالة.
٢٦ — ليلة ربح: أي ليلة برد من الشتاء. واجتمل: اتخذ الجميل، وهو الشحم المذاب، واجتمل اللحم: طبخه بالشحم.
٢٧ — الديوان: ٦/٤٨.

إلى ملك أدّر لنا العطايا بحسن بشاشة الوجه الطليق
وأوس بن حجر (٢٨) :

ويحبو الخليل بخير الحبا ء غير مُكَبِّ ولا قاطب (٢٩)
ولعل زهير بن أبي سلمى خير ما يصور حالة الإنسان الجواد، عندما رسم فرحته بالعطاء،
وكأنه هو الذي يحصل على ما سئل عنه (٣٠) :

تراه إذا ما جئته متهللاً كأنك تعطيه الذي أنت سائلة
ويقرر أمية بن أبي الصلت أن عطاء ممدوحه يحد ذاته يكسب السائل الكرامة، وإن كان
السؤال يقلل من مكانة المحتاج فإن سؤال ممدوحه لا يعيب كما هو الأمر في حالات أخرى، وهذا
يضيفي الشاعر على ممدوحه أعلى مكانة خلقية (٣١) :

عطاؤك زَيْنَ لأمريء إن حَبَوْتُهُ بخير وما كُلُّ العطاء يَزِينُ (٣٢)
وليسَ بشَيْنٍ لأمريء بَذَلُ وَجْهِهِ إليك كما بَعْضُ السَّوَالِ يَشِينُ (٣٣)

لقد أكد الشعراء أن الجواد لا ينتظر الشكر لقاء سخائه وجوده، أو أن يمنّ على المحتاج وإلا
أصبح عطاؤه موضوعاً لقصائد الهجاء، فالإنسان الجواد « وهوب غير مَنان » (٣٤)، ويشير زهير بن
أبي سلمى إلى أن عطاء ممدوحه لم يكدر بمنّ (٣٥). لأن المن يسيء إلى العطاء، ويقلل من فعل
الأسخياء، كقول امرئ القيس (٣٦) :

أفسدت بالمنّ ما أوتيت من نعم ليس الكريم إذا أسدى بمنان (٣٧)

-
- ٢٨ — الديوان : ٨/٤ .
٢٩ — مكب : الرجل كثير النظر إلى الأرض . وقاطب : من القطوب، وهو أن يزوي ما بين العينين عند
العبوس .
٣٠ — الديوان : ص ١٤٢ .
٣١ — الديوان ١/٨٩ — ٢ .
٣٢ — حبوته : أعطيته .
٣٣ — الشين : خلاف الزين ، العيب .
٣٤ — أبو المثلّم الهذلي ، ديوان الهذليين : ج ٢ ص ٢٤٠ .
٣٥ — الديوان ص ٣٥٧ .
٣٦ — الديوان : الذيل ١/٥٧ .
٣٧ — المن : أن تمن بما أعطيت وتعتد به .

وقول حاتم الطائي^(٣٨) :

وَلَا مَنٌ عَلَيْكَ بِهَا فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمَنَ يُزْرِي بِالْجَمِيلِ

لقد اقترن المَن في تصور الشعراء بالبخل . وقد ساوى الأعلام عمرو بن مالك بينهما في وصف قوم « يَمْتَنُونَ إِنْ أُعْطُوا وَيَبْخُلُ بَعْضُهُمْ »^(٣٩) وينفي الأسود بن يَغْفَرُ صفة المَن لدى قومه قائلاً : « هَنَأْنَا فَلَمْ نَمْنِ عَلَيْهِ بِطَعَامِنَا »^(٤٠) ، وعلى هذا النحو يفتخر الأعشى الكبير بقومه الذين لا يَمْتَنُونَ لرعايتهم الفقراء قائلاً^(٤١) :

هَنَأْنَا وَلَمْ نَمْنِ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ رَحِيَّةً بِالِ قَدْ أَرْحَنَا هُزَاهَا^(٤٢)

إن الإيثار يعني أن الجود كان راسخاً لدى العرب لأنهم كانوا يعيدون عن اللذات المفرطة ، وأنهم لا ينفقون أموالهم على أنفسهم ، وإنما على الآخرين . وهكذا فإن أموال ممدوح زهير بن أبي سلمى لا تصرف على الخمر وإنما على العطاء :^(٤٣)

أَخِي ثِقَةٍ لَا تُهْلِكُ الْخَمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ^(٤٤)

* * *

٣٨ — الديوان : ٤/٩٥ .

٣٩ — معجم الشعراء : المرزباني ص ٢٠ ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ١٩٦٠ .

٤٠ — الديوان ١٨/٤٩ . وانظر الشطر نفسه في أشعار طفيل الغنوي ٣٨/٦ ، تحقيق كرنكو : The poems of

Tufail ibn Auf al- Ghanawi, ed. F. Krenkow (GMS 25), London 1927.

وهنأنا : أطعمنا وأعطينا .

٤١ — الديوان ٩/٦٠ .

٤٢ — أرحنا : دفعنا وكشفنا . وهزأها : ضعفها ونحوها .

٤٣ — الديوان ص ١٤١ .

٤٤ — أخي ثقة : أي يوثق بما عنده من الخير . النائل : العطاء .

٢ — هدف الجود وغايته

إن الظروف الاجتماعية المتعلقة بالحياة القاسية في الصحراء جعلت ضرورياً من الإنسان الذي يملك ثروة أن يساعد الفقراء والمتجولين والضيوف، أو الذين يقعون في العوز والحاجة. لقد كان واجب زعيم القبيلة أن يساعد المعوزين والبائسين في محيطهم، وإلا فإنه يفقد الاحترام والمكانة الرفيعة في القبيلة إذا لم يضمن مثل هذه الإعانة.

ذكر الشعراء قبل كل شيء وجهين لهدف الجود، وقد وصفوها في طرق مختلفة.

١ — الوجه الأول كسب القوة والمكانة المرموقة^(٤٥):

يصف الشعراء الجود على أنه وسيلة للحصول على القوة والمكانة الرفيعة لدى الله والناس، ولكسب الحمد والشكر:

إن من يريد أن يكسب موقعاً قيادياً، ويحصل على السيادة فما عليه إلا أن يضع ماله ثمناً لذلك^(٤٦). وهذا حاتم الطائي يذكر أنه لولا إنفاق أمواله لما أصبح سيّداً بقوله^(٤٧):

يقولون لي: أهلك ممالك فاقْتَصِدْ وما كنت، لولا ما يقولون سيّداً

ويشير حبيب الأعمى الهذلي إلى دروب السيادة الشاقة، التي تلخص في بذل الأموال التي يضمن البخل بها^(٤٨):

٤٥ — كان الاغريق القدامى يتوقون بسبب الضيافة إلى اكتساب السمعة الطيبة والمكانة الرفيعة أيضاً، انظر:

Reallexikon für Antike und Christentum, Bd VIII S. 1086.

٤٦ — يستنتج يعقوب: (Jacob: Altarabisches Beduinenleben, S. 223) أيضاً أن نفوذ السيد ومكانته في

القبيلة يجب أن يحفظا من خلال الجود. هذا وقد أشار إلى البخل على أنه نقيض السيادة في رواية عن الرسول الكريم محمد ﷺ حيث قال: «من سيّدكم يا بني سلمة؟ قالوا جدّ بني قيس، على بخل فيه، قال وأيّ داء أشد من البخل؟ بل سيّدكم الجعد الأبيض بشر بن البراء». انظر: البخلاء: الخطيب البغدادي ص ٤٢، تحقيق أحمد مطلوب وآخرين، بغداد ١٩٦٤، مع روايات مختلفة.

٤٧ — الديوان ١٢/٤٥.

٤٨ — ديوان الهذليين ج ٢ ص ٨٧.

وإنَّ السَّيِّدَ المَعْلُومَ مِنَّا يجود بما يَضُنُّ به البَخِيلُ
وإنَّ سِيَادَةَ الأَقْصَومِ فاعْلَمُ لها صَعْدَاءُ مَطْلَعُهَا طَوِيلُ^(٤٩)

إن الحصول على الثناء العام من قبل الشعراء كان شرطاً من شروط المكانة القيادية في مجتمع ما قبل الإسلام، ومن أجل ذلك وجب أن يتبرع المرء بسخاء، لأنه يعلم أن الجود يجلب الثناء والإطراء، وأن البخل يثير السخرية والهجاء^(٥٠). وهكذا فقد علموا أن «من يجدد يحمد ومن يبخل يذم»^(٥١)، وهذا ما ذكره علقمة الفحل قائلاً^(٥٢):

والجودُ نافيةٌ للمال مُهْلِكَةٌ والبخلُ مُبْقِرٌ لأهْلِيهِ ومَذْمُومٌ^(٥٣)
والحمدُ لا يُشْتَرَى إِلَّا لَهُ ثَمَنٌ مِمَّا تُضُنُّ بِهِ النَفُوسُ معلومٌ

لقد كان بدهياً لدى الشعراء أن المرء يشتري الثناء والسمعة الطيبة بجوده وسخائه. يشير لقيط بن زُرارة إلى «فتى يشتري حسن الثناء بماله»^(٥٤)، ويذكر الأعشى الكبير ممدوحاً يريد كسب الثناء «وقد يشتريه بأغلى الثمن»^(٥٥)، وينوه عمرو بن كلثوم بالرجل «المشتري حسن الثناء بماله»^(٥٦)، أما حاتم الطائي فيؤكد ربح الجواد قائلاً^(٥٧):

ومن يشتري حُسْنَ الثناء بماله يقولون هذا خاسِرٌ وهو رابح
وهذا ما يؤكد الأعشى الكبير أيضاً بقوله^(٥٨):

تشتري الحمدَ بأغلى يَبْعِهِ واشترأ الحمدَ أدنى للرَّيْخِ

إن الجود يرمز مباشرة على أنه فعل الحمد أو فعل الرشد، وهذا حاتم الطائي يقول: «وأشتري الحمد بفعل الحمد»^(٥٩)، ويشير أبو قيس صيفي بن الأسلت إلى رجل وضع ماله

٤٩ — صعداء: يريد موضعاً شديداً التصعد.

٥٠ — انظر الفكرة في ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٠، وديوان عدي بن زيد ٤٠/٢٣ — ٤١.

٥١ — المثقب العبدى: الديوان ٦/٦.

٥٢ — الديوان ٣٠/٢ — ٣٢.

٥٣ — البخل مبق لأهليه: أي يوفر عليهم أموالهم ويبقيها لهم، ولكنه مذموم.

٥٤ — شعر تميم ١/٢٢١.

٥٥ — الديوان: ٧٣/٢.

٥٦ — ديوان شعر عمرو بن كلثوم ١٤/٣٦، تحقيق كرنكو، بيروت ١٩٢٢.

٥٧ — الديوان، الذيل ٢/٣.

٥٨ — الديوان ٢٢/٣٦.

٥٩ — الديوان: ٢/٦١.

لجلب الحمد والشكر وفعل الرشداً قائلاً^(٦٠) :

ولا يمنعه من حمدٍ وشكرٍ ولا يبخل به عن فعل رشداً
إنَّ الشعراء يشيرون صراحة إلى أشخاص يقدمون أموالهم للحصول على الحمد أو شرائه .
بشر بن أبي خازم يذكر رحلة « إلى ماجدٍ أعطى على الحمدِ ماله »^(٦١) ، وحاجب بن حبيب يحدد
هدف جود رجلين بقوله^(٦٢) :

والمُعْطِيَانِ ابتغاءَ الحمدِ مألَهما والحمدُ لا يُشْتَرَى إلا بأثْمَانٍ
والشعراء أنفسهم ينسبون هذا العمل النبيل إليهم عندما يحددون هدف جودهم . الهذلول
ابن كعب يتغنى الربح من جوده ، فيقول : « وإني لأشري الحمد أبغي رِياحَهُ »^(٦٣) ، وقيس بن
عاصم يقرر تجنيد ماله كله لجلب الحمد ، فيقول : « سأودع مالي الحمد والأجر كله »^(٦٤) ، أما
عمرو بن الإطنابة فيشير إلى جملة من خصاله الحميدة ، ومنها أخذه « الحمد بالثمن الربيع »^(٦٥) .
ويسمى بعض الشعراء أحياناً دافعاً دينياً عندما يذكرون أن العطاء ابتغاء الله ، كقول حاتم
الطائي^(٦٦) :

ولكنما يُتَغى به الله وَحْدَهُ فَأَعْطِ فَقَدْ أَرِنَحْتَ فِي الْبَيْعَةِ الْكَسْبَا
أما أُنَحْتَ التُّضْرُ بن الحارث فتذكر إلى جانب ابتغاء الإله فعل الخير عندما تشير إلى عطاء أخيها ،
قائلة :^(٦٧)

الواهبُ الألف لا يُتَغى به بَدَلًا إِلَّا إِلَالَةً وَمَعْرُوفًا بِمَا اصْطَنَعَا

٢ - الوجه الثاني الاحتفاظ بالذكر الحميد ووقاية العرض والنسب :

يفخر الشعراء غالباً أنهم يحمون ذكركم بجودهم ، ويطلبون من الآخرين أن يفعلوا مثيلهم ،
وهكذا فإنَّ الشاعر هو الذي يصوغ المعايير الأخلاقية للمجتمع ، ويقوم بمراقبتها :

-
- ٦٠ - الديوان ص ٧١ .
٦١ - الديوان ٥/٢٤ .
٦٢ - المفضليات : ١٣/١١ .
٦٣ - شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ٨/٢٣٩ .
٦٤ - شعر تميم ١/١٩٧ .
٦٥ - الحماسة البصرية ج ١ ص ٣ .
٦٦ - الديوان ٢/٤٩ .
٦٧ - شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ١/٨٠٤ . ويقال قتيلة بنت التضر بن الحارث .

أ — يعبر الشعراء عن دافع حماية الذكر الحميد بالإشارة إلى أنهم يجعلون أموالهم تقي عرضهم، وهذا حاتم الطائي يقول: «وأجعل مالي دون عرضي»^(٦٨)، «وأجعل مالي دون عرضي جنة لنفسي»^(٦٩)، ويخاطب عاذلته أن تدعه، ليجعل ماله وقاية لعرضه قبل أن يتفرق^(٧٠):

ذريني يكن مالي لعرضي جنة بقي المال عرضي قبل أن يتبددا

ويشير حاتم الطائي في موضع آخر إلى أن ماله الذي يتفقه يصون به عرضه الكريم: (٧١)

أصون به عرض الكرام وأتقي لئيماً إذا أكرمته رد عن عرضي

أما الشعراء الآخرون فلم يخرجوا عن الدائرة التي رسمها حاتم الطائي في هذا المجال، ونجد الألفاظ نفسها متداولة، فالمثقب العبدى يجعل المال لعرضه جنة^(٧٢)، وذو الإصبع العدواني يجعل ماله «دون الدنا عرضاً»^(٧٣)، وأوس بن حجر يضع ماله وقاية لعرضه^(٧٤)، وعروة بن الورد يرى أن ماله يحفظ عرضه^(٧٥)، والكحلبة اليربوعي يبذل ماله حماية لعرضه^(٧٦)، وزهير بن أبي سلمى يدلي برأيه في حكمة صائبة قائلاً^(٧٧):

ومن يلتمس حسن الثناء بماله يصن عرضه من كل شنعاء موبق^(٧٨)

ب — يبين بعض الشعراء أن أموالهم المعطاة تحمي أحسابهم أيضاً، فعبيد بن الأبرص يرى أن قومه يجعلون «المال جنة الأحساب»^(٧٩) وسوار بن المضرب يدافع عن حسبه بذبه الذم عن حسبه^(٨٠)، والحادرة يفتخر بقومه، فيقول^(٨١):

-
- ٦٨ — الديوان ١١/٤٢ .
 ٦٩ — الديوان ٤/٦ . والجنة: الوقاية والدرع، وكل ما وفاق جنة .
 ٧٠ — الديوان ٦/٤٥ .
 ٧١ — الديوان ٢/١١٥ .
 ٧٢ — الديوان ٢٤/٦ .
 ٧٣ — المفضليات ٦/٢٩ . والدنا: العيب والدنس . والغرض: هدف الرمي .
 ٧٤ — الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمختصرين: الخالديان ج ٢ ص ١٩٧، تحقيق السيد محمد يوسف، القاهرة ٥٨ — ١٩٦٥ .
 ٧٥ — الديوان ١٣/٢ .
 ٧٦ — شعر تميم ١/٢٠٦ .
 ٧٧ — الديوان ص ٢٥٢ .
 ٧٨ — الشنعاء: القبيحة الشنيعة . والموبق: المهلك .
 ٧٩ — الديوان ١٢/٦ .
 ٨٠ — الأغاني ج ٦ ص ٣٠١ .
 ٨١ — الديوان ١١/٣ . وانظر: يزيد بن فسح، معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٧٨ .

وَنَقِي بِأَمِنْ مَالِنَا أَحْسَابِنَا وَنُجِرُ فِي الْهَيْجَا الرُّمَاحَ وَنُدَّعِي (٨٢)

ج — وعلى العكس من ذلك فإن البخل يجلب العار، ويذم في الشعر علناً^(٨٣). وهكذا فإن المال يدرأ مثل هذا اللوم والعار، «وما خَيْرُ مالٍ لا يقي الدَّمَّ رَبَّهُ»^(٨٤)، لذا حرص الأجواد أن يحافظوا على أنفسهم من كل ذم يقترب منها، وهذا المُرْقَش الأكبر يقول^(٨٥):

أموالنا نُقي النُّفوسَ بها من كُلِّ ما يُذني إليه الدَّمُ
ويسلك طَرَفَةَ بن العبد سبيل النصح فيبين كيف أن البخل يكشف عيوب المرء والجود
يسترها قائلًا: (٨٦)

ويُظهرُ عيبَ المرءِ في الناس بُخلُهُ ويستُرُّ عنهم جميعاً سَخاؤُهُ
تُعْطُ بِأسبابِ السَّخاءِ فإنني أرى كُلَّ عيبٍ والسَّخاءُ غِطاؤُهُ
إن ما ذكرناه سابقاً يسري مفعوله أيضاً بعد الموت. فشهرة الجود أو عار البخل يعيشان طويلاً. لذا يحاول الشعراء أن يمنعوا تشنيع الناس بعد الموت، وأن يضمّنوا ثناء جميلاً. حاتم الطائي يقرر أن الأحاديث السيئة تتبع البخل بعد موته، بقوله: (٨٧)

إنَّ البَخِيلَ إذا مامات يَتَّبَعُهُ سُوءُ الثَّناءِ، ويَحْوي الوارث الإِبلَا
ويرى أنه لا يبقى من المال إلا الأحاديث الحسنة: (٨٨)

أماويّ إنَّ المالَ غادٍ ورائحٌ ويتَّقَى من المالِ الأحاديثُ والذِّكْرُ
وقيس بن عاصم يعبر عن خوفه من سوء الأحاديث بعده، قائلًا: «إنني أخاف مذمات
الأحاديث من بعدي»^(٨٩)، وعبيد بن الأبرص يتوقع انتقاد الناس بعد موته لأنه كان ينمي ثروته،

٨٢ — بآمن مالنا: بقوي مالنا وأوثقة في نفوسنا. والإجرار: أن يطعن الرجل الرجل ويدع الرمح فيه. وندعي: نتسبب في الحرب.

٨٣ — إن معاملة الضيف معاملة سيئة كانت تسبب الضرر بالجماعة كلها في العهود القديمة، وتعرض سمعتها للخطر في الخارج. انظر: Von Ihering, R.: Die Gastfreundschaft... S. 380.

٨٤ — موسى بن جابر، شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ٣/١٢٧.

٨٥ — الفضليات ٣٢/٥٤.

٨٦ — الديوان ٨/١٩ — ٩.

٨٧ — الديوان ٤/٣٢.

٨٨ — الديوان ٢/٣٦.

٨٩ — شعر تميم ٣/١٨٥.

لهذا فلا حاجة للبخل والتمسك بالمال (٩٠) :

إني وَجَدْتُ لَوْ أَصْلَحْتُ مَا بِيَدِي لم يَحْمَدِ النَّاسُ بَعْدَ الْمَوْتِ إِصْلَاحِي
ويوضح المثلّم بن رباح الهدف الديني من العطاء بأنه يجلب الأجر في الآخرة قائلاً (٩١) :

إني مَقْسَمٌ مَا مَلَكَتْ فِجَاعِلُ أَجْراً لآخِرَةٍ وَدُنْيَا تَنْفَعُ
إنّ المضيفين يخافون من تشنيع الضيف إذا لم يجد استقبالاً حسناً، لذلك كانوا يسعون إلى أن يحققوا رغباته تحقيقاً كاملاً، وهذا ما يصوره طُفَيْلُ الْعَنُويّ قائلاً (٩٢) :

وقد حاذَروا مَا الْجَارُ وَالضَّيْفُ مُخْبِرٌ إِذَا فَارَقَا كُلُّ بَذْلِكَ مُوَلِّعُ
(هذا ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن استنتاج عباس بيومي عجّلان فيما يتعلق بغاية الجود حيث يقول (٩٣) : « هذا الخلق إذن وسيلة اجتماعية لكفّ الألسنة عن قول السوء ... فهو منظور به إلى غاية يطمح نحوها العربي ، فهو خلق ذو نفع وجدوى ، فالعربي كما يسكت الناس بالبطش والقهر ، يسكتهم بالبذل والعطاء » استنتاج ناقص ، والشواهد السابقة تبين أن الباحث المذكور صوّر معايير المجتمع العربي القديم صورة أحادية الجانب ، فالجود والضيافة كانا وسيلة للوصول إلى المرتبة الرفيعة والقوة ، وأنّ الإنسان العربي في العصر الجاهلي اهتم أيضاً برضى الله ، وعمل من أجل الآخرة ، واعتنى بسمعته وذكره .

* * *

-
- ٩٠ — الديوان ١٥/١٢ .
٩١ — معجم الشعراء : المرزباني ص ٣٠٢ .
٩٢ — أشعاره ٦/٩ .
٩٣ — الهجاء الجاهلي ، صوره وأساليبه الفنية : عباس بيومي عجّلان ص ١٠٠ .

٣ - نصائح تدعو إلى الجود

كان المرء وما يزال يقدم خبرته الحياتية إلى أحفاده، أو الذين له علاقة معهم مستخدماً أسلوب النصيح. وكانت موضوعات نصائحهم مختلفة، ولكنها متعلقة بحياتهم اليومية. وما يخص موضوعنا فإن الشعراء استعملوا صيغة النصيح للإشارة إلى واجب الضيافة والجود، فحثوا أبناءهم وأقاربهم ونساءهم اللواتي يردن الانفصال عنهم، والأمراء على الجود. وهذا أبو قيس صيفي بن الأسلت يخاطب أبناءه قائلاً^(٩٤):

بني متى ما هلكت وأنت حيٌّ فلا تحرم فواضلك العديماً
وبلغت الأعشى الكبير نظر أبنائه كي يقوموا بواجب الضيافة: ^(٩٥)

الضيف أوصيكم بالضيف إنَّ له حقاً عليّ فأعطيهِ وأعترفُ
ويوضح عبد قيس بن خُفاف لابنائه حقَّ الضيف ومخاطر إهماله بقوله ^(٩٦):

والضيف أكرمهُ فإنَّ مبيتهُ حقٌّ ولاتك لعنةٌ للنُّزلِ ^(٩٧)
واعلمُ بأنَّ الضيف مُخبرُ أهله بميتِ ليلتهِ وإنَّ لم يُسألِ

أما لييد بن ربيعة فيوجه نصحه أن يقدم الإنسان مساعدته للآخرين ويخص الجارات قائلاً: ^(٩٨)

وافعل بمالك ما بدا لك، إنَّ مُعاناً أو مُعيناً
واغفُف عن الجارات وامنح هُنَّ ميسرك السميناً ^(٩٩)

٩٤ - الديوان ص ٨٨.

٩٥ - الديوان ٥/٦٢.

٩٦ - شعر تميم ٤/١٤٥ - ٥.

٩٧ - لعنة: أي يلعنه الناس كثيراً.

٩٨ - الديوان ١٠/٤٩ - ١٢.

٩٩ - الميسر: الجزور.

وَابْسِذْ سَنَامَ الْقَدْرِ إِنْ سِوَاهَا دُفْماً وَجُونَا^(١٠٠)

هناك صيغة غريبة في الإشارة إلى الجود استخدمها الشعراء، وذلك عندما كانوا يقدمون نصيحتهم إلى زوجاتهم اللواتي يردن الانفصال عنهم^(١٠١)، بأن يتحولن إلى رجل جواد، وكأن المرأة كان يشعر بالعار إذا ما تحولت المرأة إلى رجل آخر ذي سمعة أخلاقية سيئة. وهذا الأعشى الكبير يحدد لزوجته إنساناً معطاء كسوباً إذا ما أرادت فراقه واستبداله^(١٠٢) :

فَإِذَا فَارَقْتَنِي فَاسْتَبْدِلِينِي فَتَى يُعْطِي الْجَزِيلَ وَيَسْتَفِيدُ

أما حجر بن خالد فيحدد لزوجته إنساناً يتصف بالجود والشجاعة قائلاً^(١٠٣) :

وَاسْتَبْدِلِي نَحْتاً لِأَهْلِكَ مِثْلَهُ يُعْطِي الْجَزِيلَ وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ^(١٠٤)

ولم يكتف الشعراء بتقديم نصائحهم إلى أبنائهم أو أقربائهم، وإنما كانوا ينصحون الأمراء أن يهتموا بالضيافة، لأنها تخفي العيوب والأخطاء. جاء في كتاب الأمالي لأبي علي القالي^(١٠٥) أن أعرابياً قال للنعمان بن المنذر^(١٠٦) مبيناً فائدة الجود في خلق الألفة بين الحاكم والرعية، وفي تغطية العيوب :

١٠٠ — ان سواءهما دهماً وجوناً: أي أنك ستصيب سواءهما دهماً وجوناً من الإبل.

١٠١ — يحق للمرأة في العصر الجاهلي أن تنفصل عن الحياة الزوجية وتنفارق زوجها، وكان يكفي أن تحول باب خيمتها لتدل على ذلك. جاء في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ج ١٧ ص ١١ : « كان النساء أو بعضهن يطلقن الرجال في الجاهلية، وكان طلاقهن أنهن إن كنَّ في بيت شعر حولن الخباء، فإن كان بابهن قبل المشرق حولته قبل المغرب، وإن كان بابهن قبل اليمن حولته قبل الشام. فإذا رأى ذلك الرجل علم أنها قد طلقته فلم يأتمها ». وجاء في رواية الموقيات للزبير بن بكار ص ٤٣٠، تحقيق سامي مكِّي العاني، بغداد ١٩٧٢ أن النساء كن « هن اللواتي يطلقن الرجال في الجاهلية ». وقد صور الشعراء ضجر المرأة بزوجها ومطالبتها بالطلاق. انظر: عبيد بن الأبرص: الديوان ٨/٤١ — ١٥، ٥/٥١ — ١٠، والشنفرى: الديوان ص ٤٢، في: الطرائف الأدبية، جمع وتحقيق عبد العزيز الميمني ص ٢٦ — ٤٢، وأبو قردودة الطائي: قصائد جاهلية نادرة ص ١٦٩. حول الطلاق في العصر الجاهلي، انظر: المرأة في الشعر الجاهلي: أحمد محمد الحوفي ص ٢٥٨ — ٢٧٧، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي ج ٥ ص ٥٤٨ — ٥٥٤، و: Jacob, G.: Altarabisches Beduinenleben, S. 213.

١٠٢ — الديوان ٢١/٦٥.

١٠٣ — شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ٤/١١٨.

١٠٤ — الخن: زوج فتاة القوم ومن كان من قبيلة.

١٠٥ — ج ١ ص ٢٣٩.

١٠٦ — النعمان بن المنذر ملك الحيرة، توفي حوالي ٦٠٨ م. انظر: الأعلام لخير الدين الزركلي ج ٩

ص ١٠، القاهرة ٥٤ — ١٩٥٩.

إذا سست قوماً فاجعل الجود بينهم وبينك تأمن كل ما تنخوف
فإن كشفت عند الملمات عورة كفاك لباس الجود ما يكشف

كما أن الجود يأخذ حيزاً واسعاً عندما كان الشعراء يعلنون عن مثالياتهم الخلقية أو يتكلمون على مبادئهم الحياتية. مالك بن حريم الهمداني يحدد لنا أربع مناقب اتخذها مبدأً لحياته ودستوراً يستنير به، اثنتان منها تخصّبان الجود والضيافة، حيث يقول (١٠٧):

فإن يك شاب الرأس مني فإني أبيت على نفسي مناقب أربعا
فواحدة أن لا أبيت بغرة إذا ما سوام الحي حولي تضوعا (١٠٨)
وثانية: أن لا أصمت كلينا إذا نزل الأضياف جرساً لتودعا
وثالثة أن لا تقذع جارتني إذا كان جار القوم فيهم مقذعا (١٠٩)
ورابعة أن لا أحجل قدرنا على لحمها حين الشتاء لنشبع (١١٠)

إنه يعلن عن أخلاقه وقيمه التي التزمها في شبابه، وتتلخص في نجدة وعزته وحسن رعايته للجيران.

على أنه يوجد بعض الشعراء الذين كانوا يذمون تبذير المال، ويدعون إلى الاحتفاظ به، ويعتقدون أن المرء لا يحترم إلا إذا كان صاحب ثروة، وأن الإنسان لا يستطيع أن يعتمد في حياته إلا على ماله، كقول أحيحة بن الجلاح، وكانت العرب تصفه بالبخل (١١١):

استبق مالك لا يغررك ذو نسب من ابن عم ولا عم ولا خال (١١٢)
فلن أزال على الزوراء أعمرها إن الحبيب على الإخوان ذو المال (١١٣)
كل النداء إذا ناديت يخذلني إلا ندائي إذا ناديت يساملي

-
- ١٠٧ — الاصمعيات ١٤/١٥ — ١٨ .
١٠٨ — الغرة: الغفلة . السوام: الإبل السائمة . وتضوع: تفرق .
١٠٩ — تقذع: من القذع، وهو الرمي بالفحش وسوء القول .
١١٠ — لأحجل: لأسترها وأجعلها في حجلة، والحجلة في الأصل بيت للعروس يزين بالثياب والأسرة والستور .
١١١ — الحماسة البصرية ج ٢ ص ٤٢ .
١١٢ — النشب: المال والعقار .
١١٣ — الزوراء: اسم مال كان للشاعر .

ويدعو المتلمس الضبعي وهو بخيل آخر إلى البخل مبيناً أن الثروة العظيمة تزول مع الإنفاق ، وأن المال يزداد بالاحتفاظ بالقليل^(١١٤) :

لَحِظْ الْمَالَ أَيْسَرُ مِنْ بُعَاةٍ وَسَيَّرُ فِي الْبِلَادِ بَغِيرَ زَادٍ
وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ

ولاشك أن النبوة في الشاهدين السابقين اللذين دافع فيهما الشاعران عن مثالية البخل تشير إلى أنه ليس من السهل عليهما أن يتبنياها ، كما أن هذين الشاهدين يكادان يكونان نادرين في هذا المعنى ، وهكذا فقد روي أن « المتلمس أول من حث على البخل »^(١١٥) ، كما يروي أن حاتم الطائي لما سمع بيتي المتلمس قال^(١١٦) :

« ماله قطع الله لسانه يحمل الناس على البخل ؟ هلا قال :

وَمَا الْجُودُ يَفْنِي الْمَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ وَلَا الْبَخْلُ فِي مَالِ الْبَخِيلِ يَزِيدُ
فَلَا تَلْتَمِسْ فَقْرًا بَعِيشَ فَإِنَّهُ لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يَعُودُ جَدِيدُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْمَالَ غَادٍ وَرَائِح وَأَنَّ الَّذِي يَعْطِيكَ لَيْسَ يَبِيدُ »

* * *

١١٤ — الديوان ٧/٨ — ٨ .

١١٥ — الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء: المرزباني ص ١٠٩ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٥ .

١١٦ — ديوان حاتم الطائي ١/٦٤ — ٣ ، تحقيق شولتس ، ليبترج ١٨٩٧ .

٤ - العاذلة

إن المجتمع الجاهلي لم يعرف الاستقرار في حياته غالباً، لذا فإنه من الطبيعي أن تقع الحياة العائلية في صعوبات بالغة، وألاً يستطيع الزوجان دائماً متابعة الحياة المشتركة دون شجار أو خلاف، وهنا نجد أن الشعراء الجاهليين كانوا يسندون دور العاذلة إلى الزوجة، ويقدمون الأسباب التي دفعتها إلى لوم زوجها وعذله^(١١٧). وهذه الأسباب مختلفة ولكنها مرتبطة بعدم استقرار الحياة في مجتمع ما قبل الإسلام. ذلك أن حالة المجتمع التي لم تعرف استقراراً اقتصادياً معيناً، يضمن دخلاً ثابتاً للأسرة، للحفاظ على مستوى معيشي معين، كانت سبباً للقيام بالغزوات وارتكاب المخاطر التي تجلب الدمار على العائلة. لذلك تحاول المرأة منع الرجل من الاشتراك في المعارك والغزوات خشية فقده، ونرى مثل هذه المحاولة في قول عروة بن الورد، وهو يخاطب زوجته التي أخذت في لومه وتخيفه من الأعداء^(١١٨):

أرى أُمَّ حَسَّانَ الْغَدَاةَ تَلُوْمُنِي تَخَوُّفُنِي الْأَعْدَاءَ وَالنَفْسُ أَخَوْفُ
وفي قوله، وقد أخذت ترغبه في البقاء^(١١٩):

تَقُولُ: أَلَا أَقْصِرُ مِنَ الْغَزْوِ، وَاشْتَكَى لَهَا الْقَوْلُ، طَرَفُ أَحْوَرُ الْعَيْنِ دَامِعُ

وقد عبر عروة بن الورد عن موقفه الراض مشيراً إلى فائدة اشتراكه في الحروب والغزوات، إنه يريد الحصول على المال ليستطيع تقديمه للوسائل والمحتاج، وبهذا ينقذ نفسه وأهله من مواقف محرجة: ^(١٢٠)

ذَرِينِي أَطْوُفَ فِي الْبِلَادِ لَعَلَّنِي أَخْلِيكَ أَوْ أَغْنِيكَ عَنْ سُوءِ مَخْضَرِي^(١٢١)

١١٧ - حول ذلك انظر: المرأة في الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي ص ٢١٧ وما بعدها.

١١٨ - الديوان ١/٨٩.

١١٩ - الديوان ١/٢٦.

١٢٠ - الديوان ٥/٣.

١٢١ - أخليك: أقتل عنك، فأفارقك فتخلي للأزواج، والتخلية: الطلاق.

وهو يعلل سعيه للغنى بأنَّ شر الناس هو الإنسان الفقير، يضاف إلى ذلك ما يكسبه المرء من وجاهة بين أهله ومجتمعه، وذلك في قوله (١٢٢):

ذريني للغنى أسعى فيأني رأيتُ الناس شرُّهم الفقيرُ
يُباعُ إليه القريبُ وتزدريه حليتهُ ويَقهرُهُ الصَّغيرُ (١٢٣)

إضافة إلى الفقر فإن تقدم الرجل في السن يُصوّر تصويراً سلبياً، وهذا شيء بدهي لأن المجتمع لم يسمح غالباً باختيار الشريك اختياراً حراً، وكانت تحدث فيه زيجات في الغالب بين شريكين يوجد فرق كبير في عمرهما، علقمة الفحل بين هذين السبيين لعذل المرأة وجفائها قائلاً: (١٢٤):

إذا شابَ رأسُ المرءِ أو قلَّ ماله فليس له من وُدِّه نسيبُ
يُرَدَّنْ ثراءُ المالِ حيث علمتُسه وشرخُ الشبابِ عندهنَّ عجيبُ (١٢٥)

إن الشواهد التي تصور الفقر وتقدم العمر سبيين في ضجر الزوجة ولومها كثيرة (١٢٦)، نكتفي منها بشاهد نموذجي لعبيد بن الأبرص، حيث يقول (١٢٧):

تلك عِرسِي غضبي تُريدُ زِيالي ألبين ثريدُ أمِّ لدلال (١٢٨)
زَعَمْتُ أَنِّي كَبُرْتُ وَأَنِّي قلَّ مالي وضنَّ عني الموالي
وصحا باطلي وأصبحتُ شيخاً لا يُوَاتِي أمثالها أمثالي
إن رأيتني تُغيِّرُ اللونَ مني وعلا الشيبُ مفرقي وقذالي (١٢٩)

وواضح أنه يصور غضب زوجته ولومها ورغبتها في الانفصال، وما ذلك إلا لشيخوخته وقلة ماله، وابتعاد صحبه عنه، وشيبه الذي غزا رأسه.

وهذا الأعشى الكبير يحدد الشيب والصلع سبباً في نكران زوجته له قائلاً: (١٣٠):

-
- ١٢٢ — الديوان، الذيل ١/٧ — ٣.
١٢٣ — حليته: زوجته.
١٢٤ — الديوان ٩/١ — ١٠.
١٢٥ — ثراء المال: كثرته. وشرخ الشباب: أوله.
١٢٦ — انظر: الأسود بن يقفّر: الديوان ١/٦١ — ٢، والأعشى الكبير: الديوان ٢٠/٢، ٥/٢٩ — ٦، ٣/٣٤ — ٤، ٢/٧٩، وعبيد بن الأبرص: الديوان ٥/٥١ — ١٠.
١٢٧ — الديوان ٨/٤١ — ١٥.
١٢٨ — الزوال: المفارقة. والبين: الفراق. والدلال: التحاشي والتمانع على الحب.
١٢٩ — المفرق: موضع افتراق الشعر أي وسط الرأس. والقذال: ما بين الأذنين من مؤخر الرأس.
١٣٠ — الديوان: ٢/١٣.

وأنكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلع
وقد يصور الشاعر المرأة وهي تلوم دون أن يكون هناك سبب معين، كقول عامر بن الطفيل (١٣١):

وقد أصبحت عرسي الغداة تلومني على غير ذنب هجرها وصدودها
على أن المرأة غالباً ما كانت تعذر لأسباب تتصل بالجود والسخاء. فالبذل على الأصدقاء
ومجلس الشراب والذهاب مع نساء أخريات، والميسر وعقر الإبل لإطعام الأصحاب، كل هذه
المسرات واللذات كانت تدعو المرأة إلى العذر. وهذا طريف بن تميم العنبري يشير إلى اللذات دون
تحديد قائلاً (١٣٢):

تقول إذا استهلكْتُ شيئاً لِلذَّةِ فكَيْهه هَشْيءٌ بِكَفِّكَ لائق (١٣٣)
أما الحارث بن مُسهر فيشير إلى الندمان والخمرة قائلاً (١٣٤):

ألا يا أمَّ عمرو لا تلومي إذا اجتمع الندامي والمُدام
ويصور عمرو بن كلثوم عاذلته مبكرة لأنه كان ينفق إبله على الشراب قائلاً (١٣٥):

بَكَرْتُ تعذِّلني في أن رأْتُ إبلي نهباً لِشَرْبٍ وَفِضالٍ (١٣٦)

ويطلب أوس بن حجر من عاذلته التي تلومه بسبب الخمر أن تدعه لأنه سيصحو في يوم ما (١٣٧):

قاتلها الله تلحاني وقد علمتُ أني لنفسي إفسادي وإصلاحِي
إن أشرب الخمر أو أرزاً لها ثمناً فلاحالة يوماً أنني صاحي

ويضاف إلى الخمر الغزل بالنساء على أنه سبب للعذر، كما في قول أبي الذئال (١٣٨):

١٣١ — ديوان عامر بن الطفيل ٨/٦، تحقيق ليال Ch. Lyall، لندن — ١٩١٣.

١٣٢ — شعر تميم ١/١٣٨.

١٣٣ — هشيء: هل شيء. ولائق: أي ملتصق. وما يليق بكفه درهم أي ما يحتبس.

١٣٤ — الاختيارين: صنعة الأخفش الأصغر ٤/١٩، تحقيق فخر الدين قباوة، دمشق ١٩٧٤.

١٣٥ — الديوان ٢/١٤.

١٣٦ — الشرب: القوم يشربون ويجمعون على الشراب. الفضال: الخمر.

١٣٧ — الديوان ٧/٥ — ٨.

١٣٨ — طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجهمي ص ٣٩٣.

هَبْتُ بَلِيلَ تَلُومٍ فِي شَرْبِ الْخَمْرِ وَذَكَرَ الْكَوَاعِبِ الْخُرْدُ (١٣٩)
أما أُرْبُدُ بن قيس العامري فيذكر لوم زوجته بسبب الخمر والميسر وعقر الإبل للأصحاب
قائلاً (١٤٠) :

وقد أشعرتني جارتاي مَلَامَةً على اللهو يوماً في القداح وفي الخمر
وعقري لأصحابي الغداة مطيتي إذا أرملوا زاداً بأيض ذي أثر
عندما كان الشعراء الجاهليون يتحدثون عن الجود مدحاً أو فخرأ فإنهم غالباً يصورون
النساء عاذلات الرجال بسبب الجود والبذل والضيافة . وهذا عروة بن الورد يصور ضجر زوجته أم
وهب وشكواها لأنه وهب بعيراً لفقير محتاج (١٤١) :

أفني نابٍ منحناها فقيراً له بطنابنا طُنْبٌ مُصِيتُ (١٤٢)
تبيتُ على المرافقِ أمٌ وهبٍ وقد نأَمَ العيونُ لها كَتِيتُ (١٤٣)
ويوبخ ضَمْرَةُ بن ضمرة التَّهْشَلِي زوجته بسبب لومها، ويصور مطالبتها في أن يبخل
بالحليب على أبناء عمه قائلاً: (١٤٤)

بكرتُ تَلُومُكَ بعدَ وَهْنٍ في التُّدَى بَسَلْتُ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعَتَابِي (١٤٥)
أَصْرُهَا وَيُنِّي عَمِي سَاغِبٌ فكفالكِ من إِبَةِ عَلِيٍّ وَعَابِ
لقد أشار الشعراء إلى موقف الرجال الأسخياء الذين كانوا يدافعون عن تصرفهم، ويدعون
العاذلة للتوقف، لأنهم يعتقدون أن هبة المال ليست كارثة، فـ «لارزء فيما أهلك المرء عن
يد» (١٤٦)، وأن ما ينفقون فهو مال، و«إن ما أهلكك مال» (١٤٧)، وقد يذكرون أن ما ينفقون من
مالهم الخاص فلا علاقة لأحد في الاعتراض على سبيل إنفاقه، كقول حاتم الطائي :

- ١٣٩ — الخرد : جمع الخرود وهي من النساء البكر التي لم تُمسس قط .
١٤٠ — أشعار العامريين الجاهليين ٣/١٢٢ — ٤ .
١٤١ — الديوان ١/٢٣ — ٣ .
١٤٢ — الناب : الناقة المسنة في الأصل، وعندما ترد في المدح فالشاعر يريد أنها ناقة جيدة ثمينة . والطنب :
حبل الخباء والسُرَادِق ونحوها . ومصيت : أي يسمع صوته في القرب .
١٤٣ — كتيت : مثل كتيت البعير الذي لم يحكمه وإنما يكت من الغيظ .
١٤٤ — شعر نعيم ١/١٢٤ — ٣ .
١٤٥ — بسل : حرام .
١٤٦ — دريد بن الصمة : الديوان ١٥/١٠ .
١٤٧ — أوس بن غلفاء الهُجَيْمِي : شعر نعيم ٢/٢٩ .

لا تعذلي يا مَيِّ واستأهلي إن الذي أنفقت من مَالِيَةٍ (١٤٨)
وقد يحاول الشعراء تهذئة العاذلة بأن يناقشوها مشيرين إلى أن المال يأتي مرة أخرى، فـ «إن
على الله ما تنفق الخلفاء» (١٤٩)، أو إلى أن الغزوات ستعوضه: (١٥٠)

يُخْلِفُ الْمَالَ فَلَا تَسْتَيْسِي كَرِّيَّ الْمُهْرَ عَلَى الْحَيِّ الْحَلَالِ

هذا ولم يكتف الشعراء أن يدافعوا عن موقفهم بكلمات قليلة دون أن يعرضوا رأيهم، وإنما كانوا يسوقون البراهين المختلفة المؤيدة لتصرفهم، ومن خلال هذه البراهين يتبين المرء نظراتهم حول الجود والبخل. ويتلخص رأي العاذلات في أن الجود إسراف وغباء وإهدار للمال، وأن الثراء وحده يكسب الإنسان قيمة اجتماعية. أما موقف الأجواد فيوجز بأن الجواد لا يموت بسبب جوده، وأن البخيل لا يقوم أحد برثائه، وكما أن الجود لا يقلل الثروة، فإن البخل لا يحميها من الزوال. إن الشعراء يرفضون عبودية المال، ويؤكدون عاداتهم أن يبذلوه لأنه لا يخلد، وسيهلك في يوم من الأيام. إنهم يبرزون أن المال يحمي كرامة الإنسان في حياته، ولن يساعده بعد موته، لذلك كله يبين الشعراء أن رأي النساء العاذلات (أحق)، مستشهدين بقصص الغابرين ليظهروا أن المال لم ينفع الأسياء والأقوياء أن يبقوا خالدين:

بكر العواذل بالسُّودا يُلْمَنِّي جَهْلًا يَقْلَنَ: أَلَا تَرَى مَا تَصْنَعُ
أَفْنَيْتَ مَالَكِ فِي السَّفَاهِ وَإِنَّمَا أَمْرُ السَّفَاهَةِ مَا أَمْرُنَا أَجْمَعُ (١٥١)

و:

قَالَتْ سُمَيَّةٌ قَدْ غَوَيْتَ بِأَنْ رَأَتْ غَيَّ لِعَمْرُكَ لَا أَزَالُ أُغْوِدُهُ
حَقًّا تَنَاقَبَ مَالُنَا وَوَفُودُ مَا دَامَ مَالٌ عِنْدُنَا مَوْجُودُ (١٥٢)

و:

زَعَمْتُ لِي بِأَنْنِي أَفْسَدُ الْمَالَ وَأَزْوِيهِ عَنْ قَضَاءِ دِيُونِي

- ١٤٨ — حاتم الطائي: الديوان ١/١٠٤. واستأهلي: اتخذني الإهالة: وهي ما يؤتد به.
١٤٩ — المصدر السابق ١/٨٢. والمعنى هنا إسلامي تتضمنه الآية الكريمة: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ ٣/٣٤ — ٤. لذلك نعتقد أن البيت منتحل أو منسوب خطأ إلى الشاعر.
١٥٠ — عمرو بن كلثوم: الديوان ٥/١٤.
١٥١ — المثلث بن رباح المري، شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ١/٧٢٦ — ٢. والسفاهة والسفاه والسفه: الخفة والطيش.
١٥٢ — معاوية بن مالك: أشعار العامريين الجاهليين ١١/٦٦ — ١٢. والحق هنا: ما يعتريه من قرى ضيف.

أملت أن أكون عبداً لمالي ويَهْتَا بها مع المال دوني^(١٥٣)
و:

عَدْتُ سماحتني تبذيراً ولست أرى ما يَجْلُبُ الحمدَ تبذيراً ولا سرفاً^(١٥٤)
و:

وقائلة: أهلكت في الجود مالنا ونفسك حتى ضَرَّ نفسك جودها
فقلت: دعيني إنما تلك عادة لكل كريم عادةٌ يستعيدُها^(١٥٥)
و:

وعاذلة قامت عَلَيَّ تلومُنسي كأني إذا أعطيت مالي أضيّمها
أعاذِلْ إنَّ الجودَ ليس بمُهْلِكِي ولا مُخْلِدِ النَّفسِ الشَّحِيحَةِ لُومُهَا
وتَذَكَّرْ أخلاقَ الفتى وعِظَامُهَا مُعْيِيَةً فِي اللَّحْدِ بِالِ رَمِيْهَا^(١٥٦)
و:

أعاذِلْ إنَّ المالَ أعلم أنه وجامعُهُ للغائلات الغوائل
متى تجعليني فوق نعشك تعلمي أَيْغِي مَكَانِي أَبْكَرِي وَأَفَائِلِي^(١٥٧)
و:

وتقول عاذلتني ولَيْسَ لها بغير ولا ما بَعْدَهُ عِلْمُ
إنَّ الثَّرَاءَ هُوَ الخِلْودُ ولا نَّ الْمَرْءَ يُكْرِبُ يَوْمَهُ الْعُدْمُ^(١٥٨)
و:

فهل أحيَا — هُبِلَتْ — أبا قُبَيْسٍ عمود الملك والتَّعَمُّ الرُّكَّامِ^(١٥٩)

١٥٣ — شعر أبي دؤاد الإيادي ٢/٦١ — ٣، جمع وتحقيق فون غرونباوم:

Abū Du'ād al- Iyādī, Collection of fragments, ed. G.E. von Grunebaum, in: WZKM 51, 1948-52,

S.83-105,249-282.

١٥٤ — حاتم الطائي: الديوان ٣/٨٢.

١٥٥ — المصدر السابق ١/٢٩ — ٢.

١٥٦ — المصدر السابق ١/١٢٢ — ٣.

١٥٧ — خدّاش بن زهير: أشعار العامريين الجاهليين ١/٣٩ — ٢. والغائلات الغوائل: الدواهي المهلكات. والأبكر: البكر من الإبل، وهي الفتية. والأفائل: صغار الإبل.

١٥٨ — طرفة بن العبد: الديوان ٥/٨٠ — ٦. وينسب البيتان إلى الخبيل السعدي: المفضليات ٣٦/٢١ — ٣٧. ويكرّب: يدني، ويريد أن الفقر عليه مثل الموت.

١٥٩ — الحارث بن مُسَهر الغساني: الاختيارين ٧/١٩. قبّيس: تصغير قابوس، وأبو قابوس: هو النعمان بن المنذر. والركام: الكثير.

ويرسم الشعراء أحياناً صورة مفصلة للنقاش مع العاذلة في أسلوب قصصي^(١٦٠) مبرزين آراءهم الخلقية ونظراتهم الفلسفية التي اكتسبوها من تجربتهم في الحياة، كقول حطائط بن يعفر^(١٦١) :

تقول ابنة العباب رُهمٌ حَرَيْتَنِي	حطائطٌ لم تترك لنفسك مَقْعداً ^(١٦٢)
إذا ما جمعنا صِرْمَةً بعد هَجْمَةٍ	تكون علينا كابن أمك أسوداً ^(١٦٣)
فقلت ولم أعَيِ الجواب تأملني	أكان هُزْلاً حَتَفَ زَيْدٍ وأرْبداً
أرني جواداً مات هُزْلاً لَعْنَتَنِي	أرى ماترين أو بخيلاً مُحَلَّداً
ذريني أكن للمال رِبّاً ولا يَكُنْ	لي المال رِبّاً تُحْمَدِي غَبَّةً غداً ^(١٦٤)
ذريني فلا أعيا بما حَلَّ ساحتني	أُسودُ فأكفي أو أُطِيعُ المُسَوِّداً
ذريني يكن مالي لعرضي وقايةً	يقي المال عِرْضِي قبل أن يَتَبَدَّداً
أجَارَةَ أَهْلِي بالقَصِيمة لا يَكُنْ	عَلَيَّ - ولم أَظْلِم - لسانك مَبْرَداً ^(١٦٥)

لقد أصبحت العاذلة رمزاً لانتقاد أسلوب الرجل وتصرفه في الحياة، إن سلوكها وتصرفها بصوران ثقيلين على الشاعر، ومع ذلك فإن العاذلة تشكل القوة الضرورية للمبالغة في إبراز الفضائل الكريمة للجدود. إن الشاعر يصور احتقاره للعاذلة وغضبه عليها ويبرز في الوقت نفسه نبلة وجوده :

أ — نبه بعض الشعراء العاذلة أن تقلل من عدلها، وهذا ما عبر عنه عروة بن الورد^(١٦٦) :

أَقْلِي عَلَيَّ اللومَ يا بِنْتَ مَنْذِرٍ ونامي وإن لم تشتهي النومَ فاسْهري

ودريد بن الصمة^(١٦٧) :

١٦٠ — حول الأسلوب القصصي في الحديث عن العاذلة، انظر : تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام لنوري حمودي القيسي وآخرين ص ١٥٧ وما بعدها، بغداد ١٩٧٩ .

١٦١ — شعر تميم ١/٦٠ — ٨، وانظر شواهد أخرى في : ديوان حاتم الطائي ١/٣٢ — ٩، ١/٣٦ — ١٨، وديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣١٣ وما بعدها، وديوان عدي بن زيد ٤/٢٣ — ١٥ .

١٦٢ — رهم : أم الشاعر . لم تترك مقعداً : أي لم تبق لك ما يمكنك الإقامة والعقود له به .

١٦٣ — الصرمة : القطعة من الإبل، قيل هي ما بين العشرين إلى الثلاثين . والهجمة : القطعة الضخمة من الإبل، قيل : هي ما بين الثلاثين والمائة . أسودا : أراد الأسود بن يعفر .

١٦٤ — غبه : غب كل شيء، عاقبته .

١٦٥ — القصيمة : اسم مكان، وهو في الأصل : ما سهل من الأرض وكثر شجره .

١٦٦ — الديوان : ١/٣ .

١٦٧ — الديوان ٨/١٥ .

أَعَاذِلْ مَهْلًا بَعْضُ لَوْمِكَ وَاقْصِدِي وَإِنْ كَانَ عِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَكَ فَارْشِدِي
وعدي بن زيد (١٦٨) :

وَعَاذِلِي هَبَّتْ بَلِيلٌ تَلُومُنِي فَلَمَّا غَلَتْ فِي اللَّوْمِ قُلْتُ لَهَا : اقْصِدِي (١٦٩)
ب — افتخر الشعراء بأنهم لم يستمعوا إلى قول العاذلة، ولم يطيعوها في طلبها أن يكفوا عن
العطاء، كقول حاتم الطائي (١٧٠) :

فَقَدَّمَا عَصِيْتُ الْعَاذِلَاتِ وَسَلَّطْتُ عَلَى مُصْطَفَى مَالِي أَنَا مِلِّي الْعَشْرُ
وكقول السموءل مشيراً إلى عصيانه أمر عاذلته (١٧١) :

أَعَاذَلْتَنِي أَلَا لَا تَعْذِلِينِي فَكَمْ مِنْ أَمْرٍ عَاذَلْتُ عَصِيْتُ
وقول عمرو بن كلثوم طالباً ألا يلام ومصرأ على جوده (١٧٢) :

لَا تَلُومِينِي فَإِنِّي مَتْلَفٌ كُلُّ مَا تَحْوِي يَمِينِي وَشِمَالِي
وقول عدي بن زيد داعياً عاذلته أن تذرهُ وشأنهُ (١٧٣) :

ذَرِينِي إِنَّ أَمْرَكَ لَنْ يُطَاعَا وَمَا الْفَيْتَنِي حَلْمِي مُضَاعَا
ح — كان الشاعر يتمسك بحقه أن يستمر في متابعة طريقة حياته المختارة، وكان يؤكد أن
شكوى العاذلة لن تغير شيئاً (١٧٤) :

أَعَاذَلْ قَوْمِي فَاْعْذَلِي الْآنَ أَوْ ذَرِي فَلَسْتُ وَإِنْ أَقْصَرْتُ عَنِّي بِمَقْصَرِ
أو يعرض عليها فرصة فراقه، إذا بدا لها أنه أفضل (١٧٥) :

فَيَنِي إِنْ بَدَا لَكَ أَنَّ بَيْنَنَا إِذَا لَمْ تَقُلْ عَشْرَتَهُ جَمَالُ

١٦٨ — الديوان ٤/٢٣ .

١٦٩ — غلت : زادت . واقصدي : اقلي .

١٧٠ — الديوان ١٨/٣٦ .

١٧١ — ديوان السموءل : الذيل ١/٢ ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، بغداد ١٩٥٥ .

١٧٢ — الديوان ٣/١٤ .

١٧٣ — الديوان ١/٢ .

١٧٤ — ليبد بن ربيعة : الديوان ١/٨ .

١٧٥ — جابر بن قطن النهشلي : شعر تميم ١/٤٦ .

إنّ العاذلات كنّ، في الغالب زوجات الشعراء. وقصة ماوية التي انفصلت عن حاتم الطائي لأنه كان سخيّاً معروفة في كتب الأدب^(١٧٦). ويسمى بعض الشعراء أحياناً أسماء العاذلات من مثل ماوية والنوار وأم حنتر وأم كدراء^(١٧٧). يقول حاتم الطائي مسمياً زوجته: «أماويّ قد طال التَّجَنُّبُ والهجر»^(١٧٨) ويخاطبها بقوله: «لا تُعْذِلي يا مَنيّ واستأهلي»^(١٧٩)، ويسمى زوجة أخرى بقوله: «مهلاً نوار أقلي اللوم والعدلا»^(١٨٠). ويسمى أبو داود الإيادي زوجة له أم حنتر قائلاً^(١٨١):

في ثلاثين ذَعَدَعْتُهَا حَقْوَقُ أصبحت أم حنتر تشكوني^(١٨٢)
ويتحدث أبو كدراء مع زوجته قائلاً^(١٨٣):

يا أم كدراء مهلاً لا تلوميني إني كريم وإن اللوم يؤذيني
وهناك تسميات تشير إلى أنّ العاذلة هي الزوجة من مثل، الطلّة والجارة والعرس^(١٨٤). فالطلّة كما في قول الحارث بن مُسْهَر الغساني^(١٨٥):

أفي نايين نالهما سواف تأوه طلتي ما إن تنام؟^(١٨٦)
والجارة كما في قول المُرْقَش الأصغر^(١٨٧):

-
- ١٧٦ — انظر: الأخبار الموقفيات للزبير بن بكار ص ٤٣٠ — ٤٣١، والأغاني ج ١٧ ص ٣٨٧ — ٣٨٨.
١٧٧ — تنسب الروايات هذه الأسماء إلى زوجات بعض الشعراء. فماوية والنوار زوجتا حاتم الطائي، انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١ ص ٢٤٨ وما بعدها، والأغاني ج ١٧ ص ٣٨٠ وما بعدها، وأم حنتر زوجة أبي دواد الإيادي، انظر: الأغاني ج ١٦ ص ٣٧٤ — ٣٧٥، وأم كدراء زوجة أبي كدراء، انظر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٧١٨.
١٧٨ — الديوان ١/٣٦.
١٧٩ — الديوان ١/١٠٤.
١٨٠ — الديوان ١/٣٢.
١٨١ — شعره ١/٦٦.
١٨٢ — في الأصل زعزعتها، وهو تصحيف والصواب ذعذعتها، أي بددتها وفرقتها.
١٨٣ — شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ١/٧٦٠.
١٨٤ — جاء في لسان العرب ج ٦ ص ٣٥٦: «عرس الرجل امرأته، يقال عرسه وطلته وقعيدته». و«الجارة امرأة الرجل وهو جارها». انظر لسان العرب ج ٤ ص ١٥٤.
١٨٥ — الاختيارين: ٧/١٩.
١٨٦ — الناب: الناقة المسنة. والسواف: الفناء.
١٨٧ — المفضليات ١/٥٩ — ٢.

أَذْنْتُ جَارَتِي بَوْشَكَ رَحِيلَ بَاكِرًا جَاهَرَتَ بِحُطْبٍ جَلِيلِ
أَزْمَعْتُ بِالْفِرَاقِ لَمَّا رَأَتْنِي أَثْلَفُ الْمَالَ لَا يَذُمُّ دَخِيلِي^(١٨٨)
والعرس ، كما في قول عبيد بن الأبرص :^(١٨٩)

أَلَا عَتَبْتُ عَلَيَّ الْيَوْمَ عِرْسِي وَقَدْ هَبَّتْ بَلِيلِ تَشْتَكِينِي

إن وقت العذل يشير أيضاً إلى أن العاذلة غالباً ما كانت زوجة الشاعر ، وهذا الوقت هو آخر الليل عندما يعود الرجل إلى بيته ، ويصبح وحيداً مع زوجته ، تسنح الفرصة للحديث عن أمور الحياة اليومية .

إن عدد الشواهد التي تبين أن آخر الليل هو الوقت المحبب للعذل كبير^(١٩٠) ، نكتفي بذكر اثنين ، الأول لأوس بن حجر يتمنى فيه أن تؤجل العاذلة لومها إلى الصباح^(١٩١) :

هَبَّتْ تَلُومٌ وَلَيْسَتْ سَاعَةَ اللَّاحِي هَلَّا أَنْتَظَرْتُ بِهَذَا اللَّوْمِ إِصْبَاحِي^(١٩٢)

والثاني لحاتم الطائي يشير فيه إلى عاذلتين قامتا آخر الليل تلومانه بسبب جوده^(١٩٣) :

وَعَاذَلْتَيْنِ هَبَّتَا بَعْدَ هَجْعَةٍ تَلُومَانِ مِثْلَافاً مُفِيداً مُلُومًا^(١٩٤)

تَلُومَانِ لَمَّا غَوَّرَ النَّجْمُ ضَلَّةً فَتَنِي لَا يَرَى الْإِتْلَافَ فِي الْحَمْدِ مَعْرُومًا^(١٩٥)

وعلى الرغم من أن الباحث يستطيع أن يثبت ، بالاعتماد على هذه الشواهد ، أن العاذلة كانت زوجة الشاعر غالباً ، فإن صورة العاذلة التي تسمح للشاعر أن يعرض جوده وضيافته تعبير استعاري شعري^(١٩٦) . فالشعراء يؤكدون جودهم وعدم طاعتهم للعاذلة ، ويهددون أحياناً الزوجة بالفراق إذا لم تتوقف عن العذل ، ويثبتون خلقهم الكريم من خلال إيراد أقوال في الحكمة .

١٨٨ — أذنت : أعلمت . والبوشك : السرعة . وأزمت : عزمت . ودخيلي : من يدخل إلي .

١٨٩ — الديوان : ٥/٥١ .

١٩٠ — انظر : الحارث بن مُسهر ، الاختيارين ١/١٩ ، وأبا الذئبال ، طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٢٩٣ ، وحاتم الطائي : الديوان ص ٢٢٩ ، وعدي بن زيد : الديوان ٤/٢٣ ، وعروة بن الورد : الديوان ١/٣ ، ١/٢٣ — ٣ .

١٩١ — الديوان ٦/٥ .

١٩٢ — اللاحي : فاعل من لحي يلحي أي لام .

١٩٣ — الديوان ١٢/٤٧ — ١٣ .

١٩٤ — هبتا : انتهتا عند السحر وقامتا . وهجعة : نومة خفيفة من أول الليل .

١٩٥ — غور النجم وغار : غاب .

١٩٦ — لذلك لا تتفق مع الادعاء العام الذي يقول : « إن هذه المرأة لم تكن الزوجة على الإطلاق لأن الشعراء

وإلى جانب الزوجة كانت الأم والبنت تقومان أيضاً بدور العاذلة^(١٩٧) وهذا الأسود بن يَغْفَر يصور لنا عذل ابنته قائلاً^(١٩٨):

وقالت لا أراك تليق شيئاً أثهلك ما جمعت وتستفيد^(١٩٩)
فقلتُ بحسبها يسرّ وعار ومُرّ تحلّ إذا رحل الوفود^(٢٠٠)

أما عذل الأم بسبب الجود فقد مر بنا عذل أم الشاعر حُطّاط بن يَغْفَر له^(٢٠١).

إن دور التعبير الاستعاري للعاذلة يتجلى عند تأبّط شراً^(٢٠٢) بوضوح من خلال اختيار صيغة «فعالة» التي تستعمل عادة للدلالة على إحدى الوظائف، فصيغة «فعالة» تعني هنا نمط العذل دون أن يستطيع المرء أن يحدد ما المقصود وعمّا إذا كان عاذلاً أم عاذلة:

بل من لِعَذَالَةٍ خَذَالَةٍ أَشِبِ حَرَّقَ بِاللُّومِ جِلْدِي أَيَّ تَحْرَاقِ^(٢٠٣)
يقولُ أَهْلَكَتْ مَالاً لَوْ قَبِعْتُ بِهِ من ثوبٍ صِدْقٍ ومن بَزٍّ وَأَعْلَاقِ^(٢٠٤)
عاذلتني إن بعض اللوم معنفة وهل متاع وإن أبقيته باقِ^(٢٠٥)

ذكروا أكثر من اسم ولم يكونوا بحاجة إلى هذه الأسماء المتعددة فهي نوار وسلمى وأم عامر وماوي وابنة عبد الله وابنة مالك وابنة ذي البردين وعاذلة وسائلة وعاذلتين عند حاتم، وهي أسماء وليلى وسلمى وتماضر وأم وهب وبنت منذر وأم حسان وأم مالك وأم سرياح عند عروة، ومن غير المعقول أن تكون هذه الأسماء كنيات لزوجتيهما. وهذا يعني أن هذه الأسماء التي لجأ إليها الشعراء لم تكن أسماء حقيقية. انظر: تاريخ الأدب العربي لنوري حمودي القيسي ص ١٦٧.

١٩٧ — لذا لا يجوز للمرء أن يدعي إدعاءً عاماً بأن الشعراء يصورون العاذلة فقط على أنها الزوجة، كما يقول أحمد محمد الحوفي في كتابه «الحياة العربية من الشعر الجاهلي» ص ٣٣٠، بيروت ١٩٧٢ متسائلاً: «ولماذا خصصوا الزوجات بهذا العذل واللوم؟... والشاعر أدار هذا الخيال على زوجته ولم يدره على أمه أو أخته أو ابنته». والحق أن الباحث المذكور عدّل رأيه في كتابه «المرأة في الشعر الجاهلي» ص ٣٣٠ عندما أشار إلى قيام الأم والأخت بالعذل أيضاً.

١٩٨ — الديوان ١/١١ — ٢.

١٩٩ — تليق: أي تحبس وتمسك.

٢٠٠ — اليسر: المجتمعون على اليسر والجمع أيسار.

٢٠١ — انظر ص ٦٠ من البحث.

٢٠٢ — المفضليات ٢٠/١ — ٢٢.

٢٠٣ — العذالة: الكثير العذل. الخذالة: الذي يكثر خذلان صاحبه. أشب: المخلط المعترض.

٢٠٤ — ثوب صدق: أي الجيد من الثياب. والبز: الثياب أو السلاح. والأعلاق: كرائم المال.

٢٠٥ — معنفة: عنف.

وإذا كان الباحث لا يستطيع أن يقرر بشكل تام، عما إذا كان الأمر يتعلق بعادل أو عاذلة، فإنّ أوس بن حارثة يحدد العادل حيث يقول (٢٠٦): «فأعطى ولم يحفل ملامة لائم»، وكذلك عبيد بن الأبرص بقوله (٢٠٧):

لا يَحْرِمُ السَّائِلَ إِنْ جَاءَهُ وَلَا يُعْفِي سَيِّئَهُ الْعَادِلُ (٢٠٨)

إن دور العذل لم ينسب إذن بشكل معتاد تقليدي إلى الزوجة أو المرأة، فقد روي أيضاً أن المقصود في مطلع قصيدة لحاتم الطائي تبدأ بقوله (٢٠٩):

وإني لعِفُّ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى وَوَدُّكَ شَكْلٌ لَا يُوَافِقُهُ شَكْلِي

أبوه أو جده فقد وجه إليه اللوم من أحدهما لأنه كان قد أهدى كل الإبل التي يرعاها للشعراء المشهورين عبيد بن الأبرص وبشر بن أبي خازم والنابعة الذبياني (٢١٠).

ويستخلص من مصادرتنا أن الشعراء يذكرون العاذلة في قصائد الفخر الذاتي فقط، على أن شاعر المدح زهير بن أبي سلمى وظف هذا الرمز أيضاً في مديحه لهرم بن سنان قائلاً (٢١١):

وَأَبْيَضَ فَيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ عَلَى مُعْتَفِيهِ مَا تُغِبُّ فَوَاضِلُهُ (٢١٢)
بَكَرْتُ عَلَيْهِ غَذْوَةً فَوَجَدْتَهُ قُعُوداً، لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ (٢١٣)
يَفْدِينَهُ طَوْرًا وَطَوْرًا يَلْمَنُهُ وَأَعْيَا فَمَا يَذَرِينَ أَيْنَ مَخَاتِلُهُ (٢١٤)
فَأَعْرَضَنِي مِنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرَزَّأٍ جُمُوعَ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ فَاعِلُهُ (٢١٥)

إن الحقيقة التي تشير إلى أنّ المرأة هي التي كانت تقوم بدور العاذلة تضيء جانباً آخر هو مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي، فالمرأة تختلف عن الرجل الذي كان يهتم بمكانته العامة في المجتمع

-
- ٢٠٦ — الأخبار الموقيات: الزبير بن بكار ص ٤٢٣ .
٢٠٧ — الديوان: ٣٩ / ٢١ .
٢٠٨ — يعفي: يححو . وسيبه: عطاءه . والعادل: الذي يلومه على العطاء .
٢٠٩ — الديوان ١ / ٦ .
٢١٠ — حسب ابن بكار: الأخبار الموقيات ص ٤١٣ وما بعدها ينبغي أن يكون والده، أما أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني ج ١٧ ص ٣٦٨ فينسب هذه القصة إلى جده .
٢١١ — الديوان ص ١٣٩ — ١٤١ .
٢١٢ — أبيض: رجل نقي من العيوب . والمعترفون: الطالبون . وتغيب: تقطع . والفواضل: العطايا .
٢١٣ — الصريم: جمع صريمة وهي رملة تنقطع من معظم الرمل، وقيل الصبح .
٢١٤ — أعيا: أتعب وأعجز . مخاتله: الأمر الذي يختلنه فيه .
٢١٥ — المرزأ: المصاب بماله كثيراً .

غالباً. أما المرأة فعلى العكس من ذلك لأنها كانت تهتم بأحوال العائلة والأطفال أولاً، ولهذا كانت ترى في تصرف الرجل اللامبالاة والتهديد المادي للعائلة. إن ما قلناه عن المرأة العاذلة لا ينفي جود المرأة وحبها له، فقد نظرت النساء أيضاً إلى الجود على أنه فضيلة نبيلة، وذلك من خلال مواقف عدة:

١ — كانت المرأة تبرز الجود على أنه صفة حميدة في رثائها وفخرها، كقول فارعة بنت شداد (٢١٦):

نَحَارُ رَاغِيَةً قَتْلَ طَاغِيَةٍ حَلَّالٍ رَابِيَةٍ فَكَّاكَ أَقْيَادِ (٢١٧)
وقول آمنة بنت عتيبة (٢١٨):

وكان أبي عُتَيْبَةً شَمْرِيًّا ولا تَلْقَاهُ يَدَّخِرُ النَّصِيْبَا (٢١٩)
وقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب (٢٢٠):

أَطْعَمْتُ فِيهَا عَلَى جَوْعٍ وَمَسْقِيَةً شَحْمَ الْعِشَارِ إِذَا مَا قَامَ بَاغِيَهَا (٢٢١)
وقول امرأة من بني حنيفة (٢٢٢):

أَلَا هَلْكَ امْرُؤٌ حَبَّاسُ مَالٍ عَلَى الْعَلَاتِ مِتْلَافٌ مَفِيدُ

٢ — كان الشعراء يشيرون أحياناً إلى جود المرأة من جملة فضائلها المعنوية، كقول الشنفرى الأزدي (٢٢٣):

تَبِثُ بُعِيدَ النَّوْمِ تُهْدِي غَبُوبَهَا لِحَارَتِهَا إِمَّا الْهَدْيَةَ قَلَّتْ

٣ — كانت المرأة تتمنى أن يتحلّى زوجها بصفة الجود، فقد روي في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (٢٢٤) خبر بنات ذي الإصْبَعِ الْعَدَوَانِي اللَوَاتِي أَخَذْنَ يَتَحَدَّثْنَ عَنْ رَجُلٍ أَحْلَامَهُنَّ،

٢١٦ — الحماسة الشجرية ٣/٢٣٢.

٢١٧ — الراغبة: الناقة التي ترغبو رغاء.

٢١٨ — شعر تميم ٣/٢٦.

٢١٩ — الشمري: الماضي في الأمور والحوائج المجرب.

٢٢٠ — ديوان الهذليين ج ٣ ص ١٢٦.

٢٢١ — المسقية: الجوع، وباغيتها: أي الذي ينبغي قراها.

٢٢٢ — المفضليات ٣/٦٩.

٢٢٣ — الأغاني ج ٢١ ص ١٨٧.

٢٢٤ — ج ٣ ص ٩٤ — ٩٥.

وكانت إحداهن قد تمت أن يكون رجلها جواداً:

ألا ليتَه يملا الجفان لضيْفَه له جفنةٌ يشقى بها النيب والجُرُ (٢٢٥)

ويذكر أيضاً أن امرأة القيس عدد بعض الصفات الذميمة ومنها البخل لرجل أمام امرأته فما كان منها إلا أن عارضته (٢٢٦):

فتقول بل ملأ الجفان إلى أصبارهن وصبية غُبَس (٢٢٧)

٤ — في القصص والأخبار التي تحكي عن حاتم الطائي الذي أصبح مضرب المثل لجوده، امتد الحديث عن نساء عائلته أيضاً، فقد روي أن ماوية قبلت بحاتم زوجاً لجوده (٢٢٨)، كذلك أشير إلى جود والدته وابنته، فقد روي عن أمه أنها «كانت في الجود بمنزلة حاتم، لا تدخر شيئاً ولا يسألها أحد شيئاً فتمتنعه... وكانت من أسخى الناس، وأقراهم للضيف، وكانت لا تليق شيئاً تملكه. فلما رأى إختها إتلافها حجروا عليها، ومنعوها مالها، فمكثت دهرأ لا يدفع إليها منه حتى إذا ظنوا أنها وجدت ألم ذلك أعطوها صرمة من إبلها، فجاءت امرأة من هوازن كانت تأتيتها في كل سنة تسألها، فقالت لها: دونك هذه الصرمة فخذها، فوالله لقد عضني الجوع ما لا أمتع معه سائلاً أبداً ثم أنشأت تقول:

لعمري لَقَدْما عضني الجوع عَضَّة قَالِيْتُ ألا أمتع الدهر جائعاً
فقلوا لهذا اللامي اليوم: أعفني فإن أنت لم تفعل فعض الأصابع
فماذا عساكم أن تقولوا لأحتكم سوى عدلكم أو عدل من كان مانعاً
وماذا ترون اليوم إلا طيعة فكيف بتركي يابن أم الطبايعا (٢٢٩)

وكذلك قيل عن سفانة بنت حاتم الطائي إنها كانت «من أجود نساء العرب، وكان أبوها يعطيها الصرمة بعد الصرمة من إبله، فتبها وتعطيها الناس» (٢٣٠). ومن الطبيعي أنه يجب أن نختاط هنا في قبول هذه الأخبار، فالرواة يريدون القول إنه لا يوجد في عائلة حاتم الطائي إلا الجود والسخاء، وحتى النساء فانهن ينسين دورهن عاذلات.

٢٢٥ — النيب: جمع ناب وهي الناقة المسنة. والجر: ما يذبح من النوق.

٢٢٦ — الديوان ١٨/٥٢.

٢٢٧ — الأصبار: النواحي والخفافات والجوانب، والواحد الصبر. الغبس: السود.

٢٢٨ — الأخبار الموقفيات لابن بكار ص ٤٢٠ وما بعدها، والأغاني ج ١٧ ص ٣٨٠ وما بعدها.

٢٢٩ — الأغاني ج ١٧ ص ٣٦٥ — ٣٦٦. والخبر بروايات مختلفة في الأخبار الموقفيات لابن بكار ص ٤٣٨ — ٤٣٩، وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٣٦، القاهرة ١٩٦٣.

٢٣٠ — الأخبار الموقفيات لابن بكار ص ٤٣٥، والأغاني ج ١٧ ص ٣٦٦.

هذا ويجوز للمرء أن يفترض أن المرأة في المجتمع الجاهلي لم تملك المال الخاص بها غالباً، ولا إمكانية التصرف في مال زوجها، وهذا فإن الفرصة لم توجد لديها لتعبر عن جودها. إضافة إلى أنها لم تكن كالرجل الذي يسعى إلى كسب المجد والمكانة الرفيعة في المجتمع من خلال الجود، ذلك أن المرأة كانت تهتم بمستقبل العائلة أكثر من أي شيء، وهذا الاهتمام كان عاملاً يقود المرأة أحياناً إلى البخل وإلى موقف العاذل من الرجل. وهذا المُنْتَفَرى الأزدي يقدم لنا صورة لهذا الأمر عندما صور لنا خوف أحد المرافقين لرحلة كانوا يقومون بها (٢٣١).

وَأُمُّ عِيَالٍ قَدْ شَهِدْتُ تَقَوُّهُمْ إِذَا أَطْعَمْتُهُمْ أَوْ نَحْتُ وَأَقَلَّتْ (٢٣٢)
تَخَافُ عَلَيْنَا الْعِيْلَ إِنَّ هِيَ أَكْثَرَتْ وَنَحْنُ جِيَاعٌ أَيُّ آلٍ تَأَلَّتْ (٢٣٣)
وَمَا إِنْ بِهَا ضِئٌّ بِمَا فِي وَعَائِهَا وَلَكِنَّهَا مِنْ خِيفَةِ الْجُوعِ أَبْقَتْ

وواضح أنه سمي مرافقهم بأم عيال، هذه الأم التي كانت تخاف من نفاد الزاد إن هي أكثرت من تقديمه، إنها لا تتصف بالبخل، ولكنها كانت تخاف الجوع في أيامهم المقبلة، وهذا الخوف كان يدفعها إلى التقتير.

إذا ما استطعنا أن نثبت أن الرجال كانوا أجود من النساء فإننا نفهم لماذا أسند الشعراء العذل إلى النساء غالباً. ويمكن القول إن الزوجة كانت في حالة تمكنها من لوم زوجها أكثر من الأم أو الأخت لأنها تشعر أنها شريكة الرجل في الحياة وأن عواقب بذل المال من قبل الرجل يصيبها ويهدد أولادها. لذلك نعتقد أن الشعراء قدموا الحقيقة في هذا الموضوع عندما كانوا يصورون الزوجة عاذلة.

* * *

٢٣١ — المفضليات ١٩/٢٠ — ٢١.

٢٣٢ — أوتحت: أعطت قليلاً.

٢٣٣ — العيل: الفقر. وأي آل تألت: أي سياسة ساست.

٥ - آراء ونظرات فلسفية حول الجود والبخل

أثبتنا في حديثنا عن العاذلة، أن الشعراء استغلوا مناسبة الحوار مع المرأة العاذلة لكي يبينوا نظراتهم وتأملاتهم الحكيمة^(٢٣٤). مثل هذه النظرات والتأملات حول الجود والبخل نثرها الشعراء في قصائدهم، وربما خصصوا لها بعض القطع الشعرية القصيرة. لقد اتخذت آراؤهم المناحي الآتية:

أ - إن المال لا يبقى خالداً وإنما يزول، أما الحمد فإنه يدوم أبداً الدهر، لذا فمن الأجدر أن يُنْذَل المال لاقتطاف الحمد والثناء، يضاف إلى ذلك أنَّ الجود لا يفني المال، كما أن البخل لا يزيده، يقول طرفة بن العبد^(٢٣٥):

أَرَى كُلَّ مَالٍ لِمَحَالَةٍ ذَاهِباً وَأَفْضَلُهُ مَا وَرَثَ الْحَمْدَ كَاسِيَةً
ويقول عروة بن لقيط^(٢٣٦):

وَلَسْتُ تَرَى مَالاً عَلَى الدَّهْرِ خَالِداً وَحَمْدُ الْفَتَى يَبْقَى عَلَى الدَّهْرِ خَالِداً
ويقول طفيل الغنوي^(٢٣٧):

وَلَا أَكُونُ وَكَاءَ الزَّادِ أَحْبَسُهُ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الزَّادَ مَأْكُولٌ^(٢٣٨)
ويقول حاتم الطائي^(٢٣٩):

فَلَا الْجُودُ يُفْنِي الْمَالَ قَبْلَ فَنَائِهِ وَلَا الْبُخْلُ فِي مَالِ الشَّحِيحِ يَزِيدُ

٢٣٤ - انظر حديثنا عن العاذلة ص ٥٤.

٢٣٥ - الديوان ٢/٢٢.

٢٣٦ - الأشباه والنظائر: الخالديان ج ٢ ص ٢٩٥.

٢٣٧ - أشعاره ١٦/٥.

٢٣٨ - الوكاء: كل سِرٍّ أو خِيطٍ يشد به، أي لا أكون وثاقاً على الزاد أربطه.

٢٣٩ - الديوان ١/٦٥.

ويقول قيس بن الخطيم^(٢٤٠):

فما المَالُ والأَخْلَاقُ إِلَّا مُعَارَةٌ فما اسْتَطَعْتَ مِنْ مَعْرُوفِهَا فَتَزَوَّدْ

ويقول أيضاً^(٢٤١):

وَلَا يُعْطَى الْحَرِيصُ غِنًى لِحَرَصٍ وَقَدْ يَنْمَى إِلَى الْعَجْزِ الثَّرَاءُ

ب — ليس من الحكمة أن يعامل المحتاجون معاملة قاسية، فقد يصبح الفقير غنياً، والغني فقيراً، لأن تقلبات الحياة لا تضمن استمرارية المال ودوامه، وهذا ما نجده في قول عدي بن زيد^(٢٤٢):

عسى سائلٌ في حاجةٍ إنْ منَعته من اليوم سؤلاً أن يسوءَكَ في غدٍ
ويقول الأضبط بن قريع السعدي^(٢٤٣):

قَدْ يَجْمَعُ الْمَالُ غَيْرَ آكِلِهِ وَيَأْكُلُ الْمَالُ غَيْرُ مَنْ جَمَعَهُ
لَا تُهَيِّنُ الْفَقِيرَ عِلَّتُكَ أَنْ تَخْشَعَ يَوْماً وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ

ج — تساءل الشعراء تسأول العارفين عن نفع المال وفائدته بعد موت صاحبه للحث على البذل والعطاء، يقول حاتم الطائي^(٢٤٤):

وَمَاذَا يُعَدِّي الْمَالُ عَنْكَ وَجَمْعُهُ إِذَا كَانَ مِيراثاً وَوَارَاكَ لِاحِداً^(٢٤٥)

كما انتبه الشعراء إلى أن المال سيوزع على الورثة الذين قد يكونون عديمي الحكمة، لذا فإنهم يدعون الإنسان إلى الجود والبذل، وهذا أمية بن أبي الصلت يضع نصب عينيه فتى سخياً لا يدخر المال لخلف السوء قائلاً^(٢٤٦):

-
- ٢٤٠ — ديوان قيس بن الخطيم ١٧/٦، تحقيق ناصر الدين الأسد، القاهرة ١٩٦٢.
٢٤١ — الديوان ٥/١٢. وينسب البيت إلى الربيع بن أبي الحقيق أيضاً. انظر: الأشباه والنظائر للمخالدين ج ١ ص ٧٢. وهناك شواهد أخرى تؤيد هذه الفكرة لدى: طرفة بن العبد: الديوان ٦٥/١ — ٦٦، وعدي بن زيد: الديوان الذيل ١/١، ولبيد بن ربيعة: الديوان ٧/٢٤ — ٨.
٢٤٢ — الديوان ٣٩/٢٣.
٢٤٣ — الشعر والشعراء: ابن قتيبة ص ٣٩٠.
٢٤٤ — الديوان ٤/٤٤.
٢٤٥ — عدي: يصرف عنك الدم. ولاحد: من لحدت الرجل والحدته.
٢٤٦ — الديوان ٤/٤١.

فَذَاكَ الْفَتَى لَا جَامِعُ الْمَالِ ذَاخِرًا لِأَوْلَادٍ سُوءِ حَيْثُ حَلُّوا وَأَوْضَعُوا (٢٤٧)

د — يذكر الشعراء أن الثروة ليست من الأسباب الرئيسة للسيادة والقوة، لذا فلا حاجة للمرء أن يسعى لجمعها وتكديسها والبخل بها، كقول عروة بن الورد (٢٤٨):

مَا بِالْشِرَاءِ يَسُودُ كُلُّ مُسَوِّدٍ مُثَرٍّ وَلَكِنْ بِالْفِعَالِ يَسُودُ
ه — إن التفكير بمعيشة الغد والمستقبل ينبغي ألا يكون دافعاً للبخل، فلكل يوم رزقه، كقول حاتم الطائي (٢٤٩):

فَلَا تَلْتِمِسْ رِزْقاً بَعِيشَ مُقْتَرٍ لِكُلِّ غَدٍ رِزْقٌ يُعَوِّدُ جَدِيدُ
أَلَمْ تَرَ أَنَّ الرِّزْقَ غَادٍ وَرَائِحُ وَأَنَّ الَّذِي أَعْطَاكَ سَوْفَ يُعِيدُ
وينحو أوس بن حجر نحو هذا المعنى قائلاً (٢٥٠):

وَلَسْتُ بِخَافِيٍّ أَبْدَأُ طَعَاماً حَذَارَ غَدٍ لِكُلِّ غَدٍ طَعَامُ
و — حذر بعض الشعراء من الإسراف والتبذير لأن مصير الغنى إلى زوال، وشجعوا في الوقت نفسه على الجود، ولكن بتعقل، لأن الإنسان يجب أن يفكر في الأيام المقبلة، كما يقول قيس ابن الخطيم (٢٥١):

وَكَاثِنٌ رَأَيْنَا مِنْ أَنْاسٍ ذَوِي غِنَى وَجِدَّةٌ عِيشٍ أَصْبَحُوا قَدْ تَبَدَّلُوا
فَإِنْ تِلْكَ قَدْ أُوتِيَتْ مَالاً فَلَا تَكُنْ بِهِ بَطِراً وَالْحَالُ قَدْ تَحَوَّلُ
ويجمع أبو قيس صيفي بن الأسلت أيضاً بين الدعوة إلى تجميع المال وبذله لاكتساب الفضل (٢٥٢):

فَمَنْ وَرِثَ الْغِنَى فَلْيَصْطَنْعُهُ صَنِيعَتُهُ وَيَجْهَدْ كُلَّ جَهْدٍ
وَلَا يَمْتَنِعْهُ مِنْ حَمْدٍ وَشُكْرِ وَلَا يَخْلُ بِهٍ عَنْ فِعْلٍ رَشْدٍ

٢٤٧ — ذَاخِرًا: مَدْخَرًا. وَأَوْضَعُوا: سَارُوا مُسْرِعِينَ.

٢٤٨ — الدِّيَّان ١/٢٩.

٢٤٩ — الدِّيَّان ٢/٦٥ — ٣.

٢٥٠ — الدِّيَّان ٦/٤٦. وَيَنْسَبُ الْبَيْتُ إِلَى حَاتِمِ الطَّائِي: الدِّيَّان ١/١٢٠، وَالنَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي: الدِّيَّان ص ٢٣٢ أَيْضًا.

٢٥١ — الدِّيَّان ٤/٨ — ٨.

٢٥٢ — الدِّيَّان ص ٧١.

ويدعو أعشى طرود أيضاً إلى عقلانية الجود قائلاً^(٢٥٣):

لا تبخلنَّ بمالٍ عن مذهبِه في غير زَلَّةٍ إسرافٍ ولا تَعَبٍ^(٢٥٤)

هذا وقد يغالي بعض الشعراء في الحثّ على الاحتفاظ بالمال واستثماره^(٢٥٥)، فالمال في رأيهم لا ينمو مع البذل، والإنسان المحبوب هو الغني^(٢٥٦):

* * *

٢٥٣ — شعر أعشى طرود ١٠/١، في: أشعار الأعشى، طبعة غاير، ص ٢٨٤ — ٢٨٥.

٢٥٤ — التغب: الوسخ والدرن، وتغب تغباً: صار فيه غيب.

٢٥٥ — راجع حديثنا عن النصائح التي تدعو إلى الجود.

٢٥٦ — انظر: المتلمس الضبعي: الديوان ٧/٨ — ٨، وأخيتة بن الجلاح، الحماسة البصرية ج ٢

ص ٤٢.

الفصل الثاني

معاملة الضيوف والحديث عن المأدبة

١ — دلائل الضيافة

يذكر الشعراء بعض دلائل الضيافة ذكراً غير مباشر في حديثهم عن الجود، ولعل أهمها الجفنة والرماد.

١ — الجفنة:

يأتي ذكر الجفنة والقدر مرتبطاً بالكلام على الضيافة غالباً، لأن الجفنة ترمز عند الشعراء إلى الضيافة والجود، لذا فقد كثر ذكرها في أشعارهم وتشعب. يشير المصنّف بن عَلس إلى جفان ممدوحه التي كانت تقدم لطالبي المعروف ومسافري الليل قائلاً^(١):

وله جفانٌ يذُلُّجون بها للمعتفين وللَّذي يسُري^(٢)
ويذكر لبيد بن ربيعة مفتخراً أنَّ جفان الضيف تملأ لبناً خالصاً بقوله^(٣):

تُكْرُ أحوالِيبُ اللّديد عليهم وتوفى جفانُ الضيف مَحْضاً مُعَمِّماً^(٤)
ويقوم أعشى باهلة برثاء أخيه الذي لم تنقطع جفانه في القحط والشدة قائلاً^(٥):

نَعَيْتُ من لا تَغِبُ الحَيَّ جَفْنَتُهُ إذا الكواكبُ أخطأ نوءها المطرُ^(٦)

-
- | | |
|-----|--|
| ١ — | شعره ٣٨/٩. |
| ٢ — | الجفان: جمع جفنة وهي أعظم ما يكون من القصاع. |
| ٣ — | الديوان ٢٤/٤٢. |
| ٤ — | الأحواليب: جمع إحلاية، وهو ما يجمع من الخليب حين تكون الإبل في المرعى، ويحمل إلى الحى. واللدديد: اسم موضع. والحض: اللبن الخالص بلا رغو، والمعمم: الأبيض. |
| ٥ — | مختارات ابن الشجري ص ٩، تحقيق محمود حسن زنائي، بيروت ١٩٨٠. |
| ٦ — | تغيب: تنقطع. |

وقد عد الشعراء أن الذي يخفي قدره بخيل ، ولا يريد إطعام المحتاجين ، لهذا يفخر الأعشى الكبير بأن قدره « مُبَرَّرَةٌ لَا يُجْعَلُ السَّرُّ دُونَهَا »^(٧) ، ويطلب حاتم الطائي من خادمته ألا تستر قدره إذا ما نضج الطعام ، وإلا فسيحرمه على نفسه :

لَا تُسْتَرِي قَدْرِي إِذَا مَا طَبَخْتُهَا عَلَيَّ إِذَنْ مَا تُطْبِخِينَ حَرَامُ^(٨)

حتى إن ترك القدر مدة طويلة على النار بعد نضج الطعام يعد بخلاً ، لذا فإن حُجْر بن حَيَّة يسارع لينفي هذا الصنيع المذموم قائلاً:^(٩)

وَلَا أَدُومُ قَدْرِي بَعْدَ مَا نَضَجَتْ بُخْلًا لَتَمْنَعَ مَا فِيهَا أَثَافِيَا^(١٠)

لقد عُدَّت الجفنة علامة للضيافة ، وكان جود المرء يقاس بعدد ما يملكه من جفان وقدر ، لذا فقد اهتم الأجواد بها ، ولعلهم كانوا يطلقون عليها تسميات تميزها من بعضها بعضاً ، وللدلالة على كثرة ضيوفهم . الزبير بن بكار يذكر أسماء قدور حاتم الطائي وعظمها فيقول^(١١) : « وكانت قدوره التي يطبخ فيها الجزر من نحاس عظماً لا تزول عن الأثافي ، ولها أسماء ، فاسم احداهن ثفال ، والأخرى مشبعة ، والأخرى ربلة ، والأخرى هواذ » . كما نظر الشعراء إلى الجفنة على أنها رمز إلى الشرف والحمد ، وما ذلك إلا لأنها تجلب شكر الناس ، كقول لبيد بن ربيعة^(١٢) :

إِنْ الْقُرْدُورُ لَوَاقِحٌ يُحَلِّبُنَ أَمْثَلَ مَا رُعِينَا^(١٣)

إن الشعراء يصفون حجم الجفنة ولونها وامتلاءها ، ويقارنونها بصور أخرى ، ويقصّون ما تحوي من طعام ، ويشيرون إلى الظروف الصعبة التي تقدم فيها إلى المحتاجين . وهذه بعض الأوصاف التي أشار إليها الشعراء :

١ — يتحدث الشعراء عن الجواد الذي يوصف دائماً بأنه « ضخم الدسيسة »^(١٤) وهذه الجفنة

-
- | | |
|------|--|
| ٧ — | الديوان ١٠/٨٢ . |
| ٨ — | الديوان ١/١٨ . |
| ٩ — | شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ١/٧٢٩ . |
| ١٠ — | لا أدوم : يريد لا أطيل إدامة قدري بعد إدراكها على الأثافي ، بخلاً بما فيها وتمنعها عن طلابها أثافيا . |
| ١١ — | الأخبار الموقفيات : الزبير بن بكار ص ٤١٢ . |
| ١٢ — | الديوان ١٤/٤٩ . |
| ١٣ — | رعين : استحفظن وجعل فيهن . |
| ١٤ — | انظر : طرفة بن العبد : الديوان ٥/٨٣ ، وعامر بن مالك ، أشعار العامريين الجاهليين ٢/٢٩٦ ، وقيس ابن الخطيم : ذيل الديوان ١/١٨ . ويقصد بالدسيسة العطية أيضاً . |

الكبيرة دلالة على العدد الكبير للضيوف، وعلى الدرجة العالية للضيافة. السموءل ينوه بجفانه قائلًا^(١٥) :

وفي البيتِ ضخماءُ مملوءةٌ وَجَفْنٌ عَلَى هَمَعٍ مُدْهَقُ^(١٦)
والنابغة الذبياني يذكر جفنة ممدوحه قائلًا^(١٧) :

لَهُ بَفْنَاءِ الْبَيْتِ دَهْمَاءُ جَوْنَةٌ تَلْقُمُ أَوْصَالَ الْجَزُورِ الْعُرَاعِرُ^(١٨)
ولبيد بن ربيعة يفخر بقومه الذين يملكون الجفان والقذور قائلًا^(١٩) :

وَأَعْطَوْا حَقْقًا ضَمَنُوهَا وَرَاثَةً عِظَامُ الْجَفَانِ وَالصِّيَامُ الْحَوَامِلُ^(٢٠)
ولا شك أن الشعراء يريدون من ذكر الجفنة الكبيرة جوداً غزيراً، أو عطاءً مفرطاً. لذلك فإنه ليس من غير المعقول إذا ما أصبحت الجفنة الكبيرة موضوعاً للمبالغة. فقد جاء في عيون الأخبار^(٢١) أنه كان «لعبد الله بن جدعان جفنة يأكل منها القائم والراكب. وذكر غيره أنه وقع فيها صبي فغرق».

ولكي يصور الجود تصويراً مجسماً شبهت الجفان بأحواض المياه أو الدلاء، أو القنوات وقد تدفق منها سيل زاخر غير منقطع. فالأعشى الكبير يشير إلى جفنة كحوض نهر عراقي قائلًا^(٢٢) :

نَفَى الذَّمَّ عَنْ آلِ الْمُخَلَّقِ جَفْنَةٌ كَجَايِبَةِ السَّيْحِ الْعِرَاقِيِّ تَفْهَقُ^(٢٣)
وطرفة بن العبد يشبه الجفنة بحوض الأضي بقوله^(٢٤) :

-
- ١٥ — الديوان ص ٢٧ .
١٦ — ضخماء مملوءة : يعني قدراً أسود . والهمع : الزق الذي يرشح ويسيل . ومدفق : مملوء .
١٧ — الديوان ٤٠/٤ .
١٨ — دهماء : قدر سوداء لكثرة استعمالها . وأوصال الجزور : جمع وُصْلٍ ، أي تسع الجزور لعظمها .
والعراعر : الضخمة .
١٩ — الديوان ٣٥/٧٣ .
٢٠ — الصيام الحوامل : يريد القذور الممتلئة الراكدة الثابتة .
٢١ — عيون الأخبار : ابن قتيبة ج ٣ ص ٢٦٨ .
٢٢ — الديوان ٣٣/٥٧ .
٢٣ — الجايبة : الحوض يجبي فيه الماء للابل لتشرب منه . السيح : النهر . وتففق : تنصب .
٢٤ — الديوان ٦٧/٥ .

ترى الرُّحَّ من شيزي لدى كُلِّ مجلسٍ كحوضِ الأضي من بُعدِ شُبْعِ المُعَارِكِ^(٢٥)
والأسود بن يعفر يذكر جفنة كدلاء بئر قائلاً^(٢٦):

وجفنة كنضيج البئر مترعة ترى جوانبها باللحم مفتوقاً^(٢٧)
ولبيد بن ربيعة يشير إلى جفنة رجلين قائلاً^(٢٨):

غداة دعاه الحارثان ومُسَهَّرٌ فلاقى خليجاً واسعاً غيرَ أُخْرَمَا^(٢٩)

٢ — يذكر الشعراء دائماً امتلاء الجفان، ولكنهم لا يبينون ما تحويه من طعام، وإن كان المقصود لحم الإبل عادة. فالخرنق بنت بدر تتساءل بقولها: «ومن يملأ الجفان في الحجرات»^(٣٠)، ولبيد ابن ربيعة يفخر بقومه ويذكر أنهم «المطعمون الجفنة المدَّعْدعة»^(٣١)، ويذكر عطاء النعمان بن المنذر فإذا هي «سيوف حق وجفان مترعه»^(٣٢)، أما امرؤ القيس فيشير إلى «جفنة متحيرة»^(٣٣).

٣ — يصور الشعراء الظروف التي تحيط بتقديم الجفان، ويسمون الأشخاص المحتاجين الذين ينتظرون نضج الطعام، ويشيرون إلى صوت غليان الجفنة التي تحوي أجود قطع اللحم. يقول عنترة ابن شداد^(٣٤):

إذ لا تزال لكم مُعْرَغَرَةٌ تغلي وأعلى فوقها كثر^(٣٥)
وينوه الأسود بن يعفر بجفنة ممدوحه قائلاً^(٣٦):

-
- ٢٥ — الرح: أصلها الرحح، وهي الجفان الواسعة، ومفردتها رُحَّة. والشيزي: خشب أسود تصنع منه القصاع. والأضي: جمع أضاة، وهي المستقع من سيل أو غيره. والمعارك: المزاحم.
- ٢٦ — الديوان ٥/٤٦.
- ٢٧ — مفتوقاً: ممتلاً.
- ٢٨ — الديوان ١٧/٤٢.
- ٢٩ — الخليج: الجفنة وجمعها خُلُج. الأخرم: المشقوق.
- ٣٠ — الديوان ١/٧.
- ٣١ — الديوان ٩/٥٩، والمدَّعْدعة: المملوغة.
- ٣٢ — المصدر السابق ١٢/٥٩.
- ٣٣ — الديوان ٢/٩٤، وانظر الديوان نفسه ١٠/٣٢، ولبيد بن ربيعة: الديوان ١٤/٢٦. متحيره: يقال تحيرت الجفنة، إذا امتلأت طعاماً ودسماً.
- ٣٤ — المعاني الكبير: ابن قتيبة ج ١ ص ٣٦٨، تحقيق كرنكو، حيدر آباد ١٩٤٩.
- ٣٥ — مغرغة: أي قدر تغلي. والكتر: السنام.
- ٣٦ — الديوان ٦/٤٦.

ويستعرض الأفوه الأودي ما ذكرناه من الإشارة إلى الظروف وتسمية المحتاجين ولون الجفنة وصوت غليانها قائلاً: (٣٧)

فينا لشعلبة بن عوف جفنةً يأوي إليها في الشتاء الجُوع
ومذائب ماتستعار وجفنة سوداء عند نشيجها ماترفع (٣٨)
من كان يشتو والأزامل حوله يروي بآنية الصريف ويُشبع (٣٩)

ويفتخر الأعشى الكبير بجوده أمام امرأة أرادت فراقه، فيصف لنا الظروف القاسية التي يقدم فيها جفنته، ويعرض حالة البؤس التي يعيش فيها المحتاجون، ويشير إلى العلاقة الحميمة بين المحتاجين والجفنة التي أصبحت كأنها أهمهم (٤٠):

فلا تُصْرِمْنِي واسألني ما خَلِيقَتِي إذا رَدَّ عافي القَدْرُ مَنْ يَسْتَعِيرُهَا (٤١)
وكانوا قُعوداً حولها يَرْقُبُونَهَا وكانت فتاة الحَيِّ مِمَّنْ يُنِيرُهَا (٤٢)
إذا احْمَرَّ آفاقُ السَّمَاءِ وَأَعْصَفَتْ رياحُ الشِّتَاءِ واسْتَهَلَّتْ شهورها (٤٣)
نَرَى أَنَّ قَدْرِي لَأَزَالَ كَأَنَّهَا لذي القَرْوَةِ المَقْرورُ أمْ يَزورُهَا (٤٤)
مُبَرَّرَةٌ لَا يُجْعَلُ السُّتْرُ دونها إذا أُخِذَ النِّيرانُ لاحَ بِشِيرِهَا (٤٥)

إن معنى الجفنة على أنها رمز للجود والضيافة ذو أهمية بحيث إن الشعراء وصفوا وظيفتها وصفاً تفصيلياً كاملاً، فذكروا امتلاءها ولونها، وصوت غليانها ونوعية الطعام، والأشخاص المحتاجين الذين ينتظرون تقديم الطعام. وهذان شاهدان (٤٦) تضمننا الأوصاف المذكورة في الوقت نفسه، الأول لأمية بن أبي الصلت يشير فيه إلى ممدوحه قائلاً (٤٧):

-
- ٣٧ — الديوان ص ١٩، وانظر: الأعشى الكبير: الديوان ٥١/٣٣ — ٥٢.
٣٨ — المذائب: مقردها المذنبية وهي المغرفة لأن لها ذنباً أو شبه الذنب.
٣٩ — الصريف: الفضة.
٤٠ — الديوان ٦/٨٢ — ١٠.
٤١ — عافي القدر: ما يتبقى فيها من مرق.
٤٢ — ينيرها: يوقدها.
٤٣ — احمر: اغبر وذلك في القحط. واستهل الشهر: ظهر هلاله والليل في أول الشهر مظلم.
٤٤ — القروة: الكيس الذي يجمع فيه السائل ما يتصدق عليه الناس به، والمقرور: البردان.
٤٥ — بشيرها: ضوؤها.
٤٦ — انظر أيضاً: عروة بن الورد: الديوان ٣/٧ — ٧، والنايعة الديباني: الديوان ٤/٤٠ — ٦.
٤٧ — الديوان ٣/٣٨ — ٧.

فَقَدْرُهُ بِفَنَائِهِ —————
تبدو الكسور من انضرا
فكأنهنَّ بما حمي —————
وكانما يُدعى غريباً
زَيْدًا وَغَرْغَرَةً كَقَر —————
للضيفِ مُتَرَعَّةٌ زواجر^(٤٨)
جِ العَلِي فيها والكراكر^(٤٩)
نَ وما شُجِنَ به ضرائر^(٥٠)
نَهْ في طوائفها وهاجر^(٥١)
قَرَّة الفحول إذا تُخاطر^(٥٢)

والثاني لحاتم الطائي في قوله^(٥٣) :

شَامِيَّةٌ لَمْ تُتَّخَذْ لِالدَّخَامِسِ ال —————
يُقَمِّصُ دَهْدَاقَ البَضِيْعِ كَأَنَّهُ
كَأَنَّ ضُلُوعَ الْجَنْبِ مِنْ فَوْرَانِهَا
إِذَا اسْتَنْزِلَتْ كَانَتْ هَدَايَا وَطَعْمَةً
كَأَنَّ رِيَّاحَ اللَّحْمِ حِينَ تَعْظُمُطْ
طَبِيخٌ ، وَلَا ذَمُّ الْخَلِيْطِ الْمُجَاوِرِ^(٥٤)
رُؤُوسُ الْقَطَا الْكَثْرُ الدَّقَاقِ الْخَنَاجِرِ^(٥٥)
إِذَا اسْتَحْشَمَتْ أَيْدِي نِسَاءِ حَوَاسِرِ^(٥٦)
وَلَمْ تُحْتَزَنْ دُونَ الْعَيْنُونِ التَّوَاطِرِ
رِيَّاحٌ عَبِيرٌ بَيْنَ أَيْدِي الْعَوَاطِرِ^(٥٧)

٢ — الرماد :

يذكر الشعراء أيضاً أكوام رماد موقد النار على أنها رمز للمآدب الكثيرة والضيافة الحسنة ، وهذا ما يؤكدّه أبو علي القالي^(٥٨) بقوله : « إنما تصف العرب الرجلَ بعظم الرماد ، لأنه لا يعظم إلا رماد من كان مطعماً للضياف » . ويكتفي الشعراء أحياناً بإشارة قصيرة إلى هذا الرمز إذا ما تكلموا على الجود والأجود . وهذا ممدوح عمرو بن قميئة « عظيم رماد القدر لا متعبس »^(٥٩) ،

- ٤٨ — الضيف : للجمع والمفرد ، وأراد بها الجمع . زخرت القدرُ تزخر زخراً : جاشت .
٤٩ — الكسور : مفرداً كَسَرَ ، وهو العضو أو العظم بما عليه من لحم . وانفراج الغلي : اتساعه . والكراكر : مفرداً كِرْكِرَةً ، وهي زُور البعير الذي إذا برك أصاب الأرض .
٥٠ — شجن : ملئن . وقد شبه صوت القدر بصوت الضرائر أثناء خصامهن .
٥١ — عرينة : حي من اليمن . وهاجر : قبيلة .
٥٢ — الغرغرة : صوت القدر إذا غلت . وقرقر البعير قرقرة : هدر . وتخاطر : تلوح بأذنانها أثناء الهدير .
٥٣ — الديوان ٨/٣١ — ١٢ .
٥٤ — شامية : أي القدر . والدخامس من الشيء : الرديء منه . والخليط : القوم الذين أمرهم واحد .
٥٥ — الدهدقة : قطع اللحم وكسر العظم لطبخ به . والخناجر : موضع الذبح تحت الحلق .
٥٦ — استحشمت : من أحش القدر إذا شبع وقودها .
٥٧ — تنظمطت : أصل النظمطة صوت تلاطم الأمواج ، يعني غليان القدر .
٥٨ — الأماي ج ٢ ص ١٥٢ .
٥٩ — الديوان ٨/١ .

وممدوح الأسود بن يعفر « كثير رماذ القدر غير ملعن »^(٦٠)، ويحمل ممدوح أبي قيس صيفي بن الأسلت الصفة نفسها، فهو « عظيم رماذ النار يحمد أمره »^(٦١). أما الهدم بن امرئ القيس فيرثي إنساناً كان « عظيم رماذ النار مشترك القدر »^(٦٢).

٣ — علامات أخرى على الضيافة :

يستعين الشعراء ببعض العلامات للتعبير عن الضيافة بشكل غير مباشر، لأن دور الشاعر يختلف عن دور المؤرخ الذي يريد أن يصف الأحداث كاملة. من ذلك أن العرب يعدون إغلاق الباب بوجه الأشخاص المحتاجين عاراً ودليلاً على البخل، لذا فإنهم يؤكدون أن الأبواب أمام الضيوف والمحتاجين مفتوحة ترحب بهم :

إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ عَنْ الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونٍ^(٦٣)

و :

لَا جَارَهُمْ يَشْكُو وَلَا ضَيْفَهُمْ مِنْ دُونِهِ بَابٌ لَهُمْ يَصْرِفُ^(٦٤)

ويرى الشعراء أن الطعام خفية عار وفضيحة لا يليق بالإنسان الجواد أن يتصف بتلك العادة السيئة. لذلك تمدح مية بنت ضرار رجلاً بأنه « لا يذوق طعاماً وهو مستور »^(٦٥).

ولعل أبلغ دلالة على الجود تكمن في أن الأجواد لا يتفوهون بكلمة « لا »، وأن كلمة « نعم » تخرج سهلة من شفاهم، وهذا ما أشار إليه لبيد بن ربيعة قائلاً^(٦٦) :

وَيَنُورُ الرِّبَّانُ لَا يَأْتُونَ « لَا » وَعَلَى أَلْسِنِهِمْ تَخَفْتُ « نَعَمْ »

* * *

٦٠ — الديوان ١٩/٦٨، والتعبير نفسه لدى أوس بن حجر : الديوان ٢/٧.

٦١ — الديوان ص ٦٧.

٦٢ — زهر الآداب وثمر اللباب : الحصري القيرواني ص ١٠٥٨، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٥٣.

٦٣ — ذو الإصْبَعِ العَدَوَانِي : المفضليات ٦/٣١. والممنون : المقطوع.

٦٤ — الأعشى بن النُبَّاش : شعر تميم ٣/١٦.

٦٥ — الأشباه والنظائر : الخالديان ج ٢ ص ٣٣٨.

٦٦ — الديوان ١/٨١.

٢ — وسائل هداية الضيف

اهتدى الأجواد إلى سبل هداية الضيوف والمحتاجين ، ذكرها الشعراء ومدحوها ونظروا إليها على أنها دليل على حسن الضيافة ، وإشارة إلى الجود ، وهذه السبل هي : إيقاد النار ، ونباح الكلاب ، ومكان الإقامة ، والمنادي .

١ — النار^(٦٧) :

كان المسافرون يحبون الصحراء الواسعة ، وإذا ما حلّ الظلام فإنه كان يتوجب عليهم البحث عن المأوى والقرى . وهنا يأتي دور النار التي كانت تجذبهم ، وترشدهم إلى بيوت الأجواد الذين كانوا على استعداد دائم لاستقبال الغرباء . لقد أدرك الشعراء هذه الوسيلة الهامة من وسائل هداية الضيف ، وعبروا عنها صراحة ، وهذا عبد قيس بن خفاف يشير إلى دعوته المسافرين ليلاً من خلال ناره التي أوقدها في الليالي الباردة التي تعصف الرياح فيها :^(٦٨)

ونار دعوتُ بها الطّارقيـ من واللّيلُ مُلقٍ عليها سُـدُولا
إلى مَلِيقٍ بضيفٍ الشتاء إذا الرّيحُ هبّتْ بليلاً بليلاً^(٦٩)

٦٧ — أوقد العرب النار لأسباب مختلفة ، على أن النار التي كانت توقد لتدل الضيوف اكتسبت مكانة هامة بحيث إنها كانت إحدى أعظم الأعمال المجيدة وأشهرها . حول غايات إيقاد النار ، انظر : الحيوان : الجاحظ ج ٤ ص ٢٦١ — ٢٩٢ ، ج ٥ ص ١٠٧ — ١٣٦ ، وربيح الأبرار ونصوص الأعيان : محمود بن عمر الزمخشري ج ١ ص ١٨٣ وما بعدها ، تحقيق سالم النعيمي ، ١٩٧٦ ، وثمار القلوب في المضاف والمنسوب : أبو منصور الثعالبي ص ٤٥٤ وما بعدها ، القاهرة ١٩٠٨ ، ومحاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء : الراغب الأصفهاني ص ٦٢٣ وما بعدها ، بيروت ١٩٦١ ، ونهاية الأرب في فنون الأدب : النويري ج ١ ص ١٠٩ وما بعدها ، القاهرة ١٩٢٣ ، وبلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الألوسي ، ج ٢ ص ١٦١ وما بعدها ، تحقيق محمد بهجة الأثري ، مصر ١٩٢٣ .

٦٨ — شعر تميم ٩/١٤٦ — ١٠ .

٦٩ — الليل : ربح باردة مع ندى .

ويأمر حاتم الطائي غلامه أن يوقد النار ليضمن هداية الساري الفقير إليه ، بقوله (٧٠) :

فيا مُوقِدِي ناري اَرْفَعِهَا لَعْلَهَا تُضِيءُ لساري آخرَ الليل مُقْتَرِ
ويصرح الأعشى الكبير أن النار كانت وسيلة اهتدى بها إلى أحد الأجواد (٧١) :

تَضِيفْتُ يوماً على ناريه من الجود في ماله أحتكم

إن ما تحمله نيران الحبي من معنى دعوة الضيف والمحتاج يزداد مكانة ، ويكتسب أهمية في الأوقات الصعبة ، لأن إيقاد النار فيها دليل كبير على حسن ضيافة المضيف وسخائه ، ولا سيما إذا كان الناس في أماكن أخرى لا يستطيعون الحصول على القرى . لذا فإن الشعراء يؤكدون أن النار كانت توقد وقت الحاجة والأزمات إذا ما أرادوا تمجيد الممدوح ، كقول امرئ القيس بمدح طريف ابن مالك الذي كان يوقد ناره ليلة الجوع والبرد ، وعندما كانت الإبل لا تجد المأكل (٧٢) :

لَيَعْمَ الفتى تعشُو إلى ضوئِ ناره طريفُ بن مالٍ ليلةَ الجُوعِ والحَصْرِ (٧٣)
إذا البازلُ الكوماءُ راحت عشيَّة ثلاوِذُ من صوتِ المُبْسِئِ بالشَّجَرِ (٧٤)
وقول حاتم الطائي : (٧٥)

أوقد فإنَّ الليلَ ليلٌ قُرُ (٧٦)
والريحُ ياموقدُ ريحٌ صِرُ (٧٧)
عسى يرى نارك من يَمُرُ
إن جلبتُ ضيفاً فأنت حُرُ

وواضح أن الشاعر ينادي غلامه أن يوقد النار لأن الليلة باردة والريح عاتية ، فلعل أحد المتجولين يشاهدها فيأوي إليها . وما أحلاها من مكافأة لهذا الغلام إذا جذبت النار محتاجاً ، إنها نيله الحرية .

٧٠ — الديوان ١/١١٤ . وينسب البيت أيضاً إلى المزار الفقعسي ، شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ٢/٧٣٦ .

٧١ — الديوان ١٤/٤ .

٧٢ — الديوان ١/٢٥ — ٢ .

٧٣ — تعشو : تنظر . والخصر : شدة البرد .

٧٤ — البازل : المسنة من الإبل . والكوماء : العظيمة السنام . والمبس : الذي يدعو الناقة للحلب فيقول : بس بس .

٧٥ — الديوان ١/٧٠ — ٤ ، وانظر شاهداً آخر في ديوان الأسود بن يعفر ١/٥٥ .

٧٦ — القر : البرد .

٧٧ — الصر : شدة البرد .

لقد حرص الأجواد على إيقاد النار على المرتفعات لتكون واضحة فتشاهد من بعيد، ولكيلا يخطئها المسافر^(٧٨)، وهذا الأعشى الكبير يذكر نار المخلق التي أوقدها على المرتفعات^(٧٩):

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيُونٌ كَثِيرَةٌ إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تُحَرِّقُ^(٨٠)
تُشَبُّ لِمَقْرُورٍ يَصْطَلِيَانَهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ التَّدْيِ وَالْمُحَلَّقِ^(٨١)

ولعله من الطريف أن يذكر عدي بن زيد العبادي إيقاد النار على الربرة على أنه سبب كاف لحزن الناس عليه بعد موته^(٨٢):

وَلَرَفَعِي عَلَى الرِّبَاوَةِ نَارِي عِلْمًا لِلْمُضِلِّ وَاللَّيْلِ دَاجٍ^(٨٣)

لقد أصبح إيقاد النار رمزاً للضيافة والجلود عند العرب، وعدّ عملاً نبيلاً، أما إخمادها فقد عدّ رمزاً للبخل ودليلاً عليه، لذا رأينا الشعراء يفتخرون لأنهم يوقدون النار لجذب التائهين، كقول عدي بن خمرشة يفخر بناره المتقدة على المرتفعات بلا انقطاع^(٨٤):

وَتَوْقَدُ بِالْيَفَاعِ اللَّيْلُ نَارِي تُحَسُّ وَلَا يُحَسُّ لَهَا خَبُوتٌ

وقول عبد يعقوث بن وقاص الحارثي وهو يتذكر في سجنه أعماله المجيدة، فيشير إلى إيقاد النار من جملة ما يشير^(٨٥):

وَلَمْ أَسِئاً الزُّقَ الرُّوِّيَ وَلَمْ أَقْلُ لَأَيْسَارَ صَدَقَ أَعْظَمُوا ضَوْءَ نَارِيَا^(٨٦)

وقول الأفوه الأودي يفتخر بنيران قومه لأن الضيف يجد الرحب والسعة لديها^(٨٧):

ثُمَّ فِينَا لِلْقَرَى نَارٌ يَسْرَى عِنْدَهَا لِلضَيْفِ رُحْبٌ وَسَعَةٌ

٧٨ — لذلك فإن الجاحظ (الحيوان ج ٥ ص ١٣٤) أصاب الحقيقة بقوله: «وهي من أعظم مفاخر

العرب، وهي التي ترفع للسفر، ولن يلمس القرى، فكلما كان موضعها أرفع كان أفخر».

٧٩ — الديوان ٥١/٣٣ — ٥٢.

٨٠ — اليفاع: الأرض المرتفعة.

٨١ — المقرور: من أصابه البرد. واصطلي النار: استدفأ بها.

٨٢ — الديوان ٣/٩٣.

٨٣ — الرباوة: المكان المرتفع.

٨٤ — معجم الشعراء: المرزباني ص ٨٥.

٨٥ — المفضليات ٣٠/٢٠.

٨٦ — الأيسار: الذين يضربون القداح.

٨٧ — الديوان ص ٢٠.

أما حاتم الطائي فيطلب من غلامه أن يوقد النار، وخاصة إذا ما رأى البخيل يخمد ناره، ويزداد الشاعر عظمة عندما يضيء العفة على غلامه الذي يسرع بالقيام إلى هذا العمل الذي يعده واجباً مقدساً^(٨٨) :

إذا ما البخيل الخبُّ أحمَد ناره أقول لمن يصنّي بناري: أوقدوا^(٨٩)
توسّع قليلاً أو يكنّ ثمّ حسّنا وموقدها البادي أعفّ وأحمَد

وهكذا فإن إيقاد النار عند عملاً حميداً وفرصة كبيرة للفخر، لذلك فلا غرابة إذا ما نظر الشعراء إلى إخماد النار أو إخفائها على أنه عار وتصرف فاضح، لأنه يمنع الضيوف من معرفة الطريق إلى الناس وطلب الضيافة^(٩٠). ومن أجل ذلك استعمل الشعراء الجذر «خمد» ليرموا إلى البخل. يزيد بن حِمْيَان السُّكُونِي يفسر مدحه بني شيان بأن نيرانهم متقدة دائماً على حين إن نيران قومه خامدة^(٩١):

إنني حمدت بني شيان إذ حمدت نيران قومي وفيهم شبت النار
والسموئل يفخر بقومه لأن نيرانهم لا تخمد أمام الطارقين قائلًا^(٩٢):

وما أحمدت نار لنا دون طارق ولا ذمنا في النازلين نزيل
أما المرقش الأكبر فيهبو قبيلة لأن نارها ضئيلة، وهذا يعني أنها تريد إخفاء نارها وعدم إظهارها^(٩٣):

-
- ٨٨ — الديوان ١٦/٦٤ — ١٧.
- ٨٩ — الحب: المخادع الخبيث.
- ٩٠ — يخص هذا الموضوع الأمثال الآتية التي تشير إلى أن البخيل لم يوقد النار كيلا يأتي إليه أحد، ويطلب المساعدة، وإذا ما أوقد النار ولاحظها أحد، فإنه سرعان ما يطفئها:
- أبخل من حباب، انظر: المستقصى في أمثال العرب: الزمخشري ج ١ ص ٢٢ حيدر آباد ١٩٦٢.
- أنخلف من نار الحباب، انظر: مجمع الأمثال: أحمد بن محمد الميداني ج ١ ص ١٧٠، القاهرة ١٣١٠هـ.
- كانها نار الحباب، انظر: مجمع الأمثال: الميداني ج ٢ ص ٦٣.
- نار الحباب، انظر: البخلاء: الخطيب البغدادي ص ١٠٩.
- أبو حباب، انظر: جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري ج ١ ص ٤٣، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد المجيد قطاش، القاهرة ١٩٦٤.
- ٩١ — شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ١/٩٣.
- ٩٢ — الديوان ص ١٧.
- ٩٣ — المفضليات ٢٨/٥٤. وانظر: عمرو بن قميئة: الديوان ١٠/١.

وَيَخْرُجُ الدُّخَانُ مِنْ حَلَلٍ الْ سِتْرَ كَلُونِ الْكَوْدُنِ الْأَصْحَمِ^(٩٤)

هذا ومن شدة تقدير الشعراء لنار القرى ولعهم بها، فإنهم لم يكتفوا بالإشارة إلى عظمها أو وضوحها، وإنما ذكروا مادة الإيقاد ليظهروا الضيافة في شكل خاص محبب. لقد سموا بعض أنواع النباتات التي تصدر رائحة طيبة تدل على رفايتهم وراقيهم. عدي بن زيد يفخر بناره التي أوقدها بالغار قائلاً^(٩٥):

رُبَّ نَارٍ بَتْ أَرْمُقُهَا ————— تقضيمُ الهندي والغارا

والحارث بن حِزْرة يشير إلى ناره التي أوقدها بعود طيب قائلاً^(٩٦):

أوقدتها بين العقيق فشرخ ————— من بعود كما يلوح الضياء^(٩٧)

ويعلق ابن قتيبة على هذين البيتين السابقين بأن النار كانت «توقد بالغار، وهو شجر، وتلقى قطع العود على ذلك للطيب»^(٩٨).

وقد أشار بعض اللغويين إلى مسألة إيقاد النار بالمواد الطيبة الرائحة كالبطليوسي^(٩٩) الذي يرى «أن الشعراء إذا أرادوا مدح موقد النار وصفوه بأنه يوقدها بالقطر والمندل والغار ونحوها من النبات الطيب». ولعل في قول الألوسي^(١٠٠) من أنهم أوقدوا النار بالنبات الطيب، «ليهتدي إليها العميان» جانباً من الصواب. أما الحوفي^(١٠١) فلا يرضى بتفسير الألوسي، ويرى الأمر «أنه نوع من الترف، وإظهار المقدرة، والتباهي بالثراء ورغبة في أن يشموا هم رائحته الطيبة».

ولسنا هنا بصدد ترجيح أحد الآراء على الآخر، فلا ضير إذا ما أراد الأجواد من إيقاد النار بالنبات الطيب الإشارة إلى غناهم وشم الرائحة الذكية مادام أن هدفهم الأخير جذب المسافرين، ودعوتهم إلى ضيافتهم. على أنه مما لاشك فيه أيضاً أن الشاعر أراد من ذكر تلك المواد الثمينة لإيقاد النار أن جود الممدوح لا يعرف حداً، وأنه يقدم لضيافته الأئمن، ويضمن له الأفضل. ومما

-
- ٩٤ — الكودن: البرذون البطيء السير. والأصحم: الأسود، وأراد أنهم يسترون النار.
٩٥ — الديوان ٢/٢٢.
٩٦ — الشعر والشعراء: ابن قتيبة ص ٢٣٣.
٩٧ — العقيق: اسم مكان. وشرخان: أكمة لها شعبتان.
٩٨ — المصدر السابق: ص ٢٣٩.
٩٩ — شروح سقط الزند: أبو العلاء المعري ص ١١١٢، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، القاهرة ١٩٦٤.
١٠٠ — بلوغ الأرب ج ٢ ص ١٦١.
١٠١ — الحياة العربية من الشعر الجاهلي ص ٣١٨.

يجدر ذكره أن البخور يشعل حتى أيامنا هذه ، ولعل في استعماله رمزاً إلى سعادة المضيف بضيوفه ورابطة بعادتهم القديمة .

٢ - نبح الكلاب :

نبح الكلاب وسيلة أخرى لتدل الغرباء على الطريق إلى الأجواد المضيفين في الصحراء . فإذا لم يستطع الإنسان أن يرى نار الأجواد ، ولم يعرف الطريق إليهم فإنه كان يقلد نبح الكلاب ، بحيث إن كلاب الأجواد تبدأ بنباحها ، وعندئذ يستطيع الغريب أن يتبع النبح لإيجاد مأوى ليلته^(١٠٢) . فهذا الْمُتَلَمَّسُ الضبي يصف لنا هذه الحالة في طريقة تجسيمية قائلاً^(١٠٣) :

وَمُسْتَنَبِحٌ تَسْتَكْشِفُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ	لَيْسَقُطَ عَنْهُ وَهُوَ بِالشُّوْبِ مُعْصِمٌ
عَوَى فِي سَوَادِ اللَّيْلِ بَعْدَ اعْتِسَافِهِ	لَيَنْبَحُ كَلْبٌ أَوْ لِيَوْقُظَ نَائِمٌ
فَجَاوَبَهُ مُسْتَسْمَعُ الصَّوْتِ لِلشَّدَى	لَهُ عِنْدَ إِتْيَانِ الْمَهْيَيْنِ مَطْعَمٌ
يَكَاذُ إِذَا مَا أَبْصَرَ الضَّيْفَ مُقْبِلاً	يُكَلِّمُهُ مِنْ حَبِّهِ وَهُوَ أَعْجَمٌ

ويشرح أبو علي القالي^(١٠٤) معنى كلمة المستنبح ، فيقول : « ذلك أن الرجل إذا تحيّر في الليل فلم يدر أين البيوت نبح ، فتسمعه الكلاب فتنبح ، فيقصد أصواتها ، وهذا الذي تقول له العرب المستنبح » .

ويبدو للشاعر أن وظيفة الكلب أقرب ما يكون إلى هداية المحتاجين والضيوف وإرشادهم ، لذلك ينصح حاتم الطائي ابنه بأن يعامل تلك الكلبة معاملة جيدة ، فهي تدل الضيوف إذا ما نام موقد نيرانه^(١٠٥) :

أَقُولُ لِابْنِي وَقَدْ سَطَطْتُ يَدُهُ	بِكَلْبَةٍ لَا يَزَالُ يَجْلِدُهَا ^(١٠٦)
أَوْصِيكَ خَيْرًا بِهَا فَإِنَّ لَهَا	عِنْدِي يَدًا لَا أَزَالُ أَحْمَدُهَا
تَدُلُّ ضَيْفِي عَلَيَّ فِي غَلَسِ الْـ	.. لَيْلٍ إِذَا النَّارُ نَامَ مُوقْدُهَا

وقد كان الشعراء يفتخرون بأنهم يستقبلون المستنبح استقبالاً حسناً ، وأنهم يوقدون النار له

١٠٢ — يقول الجاحظ حول هذا الموضوع : « ذلك أن الرجل إذا كان باغياً أو زائراً أو ممن يلمس القرى ، ولم ير بالليل ناراً عوى ونبح لتجيبه الكلاب ، فيتهدي بذلك إلى موضع الناس » . انظر : الحيوان ج ١ ص ٣٧٩ .

١٠٣ — الديوان ١/٣٧ — ٤ .

١٠٤ — الأمالي ج ١ ص ٢١٠ .

١٠٥ — الديوان ١/٦٦ — ٣ .

١٠٦ — سطا به : يطش به .

ليرى الطريق إليهم في الظلام الحالك، كقول عوف بن الأحوص الذي افتخر باستعداده لإيواء المتجولين^(١٠٧) :

ومستنبح يخشى القواء ودوئه من الليل بابا ظلمة وستورها^(١٠٨)
رفعت له ناري فلما اهتدى بها زجرت كلابي أن يهر عقوقها
فبات وقد أسرى من الليل عتبة بليلة صدق غاب عنها شرورها

إن التصعيد المبالغ فيه لدى عاصم بن جويرية، بأن الضيف لا يحتاج إلى نبح كلاب إحدى القبائل، يستطيع الباحث أن يفسره، بأن الضيف لا يحتاج إلى ذلك لأن ديار القبيلة مشهورة ومعروفة، بحيث إن الناس يعرفون الطريق إليها جيداً^(١٠٩) :

أبيون لا يستنبح الضيف كلبهم طروقاً ولا يعطون شيئاً على قسر

ويصور الشعراء كلاب المضيف على أنها أليفة ولا تهاجم الضيوف، وربما قصد الشعراء من ذلك أن الكلاب في تصرفها تعكس ضيافة سيدها. ومن هنا افتخر حاتم الطائي بأن كلبه لا ينبع ضيفه ويكشر عن أنيابه بقوله: «بأني لا يهر الكلب ضيفي»^(١١٠)، ويصف أيضاً صورة مفصلة لتصرف الكلاب، ويبين أنها اعتادت رؤية الناس الغريباء الذين يبحثون عن الضيافة لديه، بقوله^(١١١):

إذا ما بخيل الناس هرت كلابه وشق على الضيف الضعيف عقوقها
فإني جبان الكلب يتي موطاً أجود إذا ما النفس شح ضميرها
وإن كلابي مذ أقرت وعودت قليل على من يعتري هريها^(١١٢)

٣ — اختيار مكان الإقامة :

يعد اختيار مكان الإقامة وسيلة أخرى كانت تلفت أنظار الضيوف وتجذبهم إلى الأجواد، وقد عدّه الشعراء دليلاً على جود الرجل أو بخله^(١١٣). إن مكان الإقامة وسط الناس وعلى مكان

١٠٧ — أشعار العامرين الجاهليين ١/٦٠ — ٣.

١٠٨ — القواء: أراد الفلاة الخيفة. وبابا ظلمة: ظلمة أول الليل وآخره.

١٠٩ — شعر نعيم ٥/١٤١.

١١٠ — الديوان ٤/١٢٠٢.

١١١ — الديوان ٧/٥٠ — ٩.

١١٢ — قليل هريها: أراد أنها لا تهر أصلاً. ويعتري: يغشائي.

١١٣ — كان مألوفاً لدى الاغريق القدماء أن يستقبل المرء المحتاجين على الطريق، وقد مدح ايليّاس أنخيلوس.

ظاهر يشير إلى أن الساكنين مضيفون لا يخافون قدوم الفقراء والمحتاجين إليهم. أما الإقامة في عزلة أو في مكان غير ظاهر فبرهان على البخل، لأن الإنسان الذي يعيش منعزلاً عن المجتمع أو في مكان خفي، نادراً ما يطلب منه أن يقدم شيئاً للمحتاجين أو الضيوف لأنهم لم يجدوا مكان إقامته، وهذا ما يشير إليه قول المسيب بن علس (١١٤) :

أحللت بيتك بالجميع وبعضهم متفرق ليحل بالأوزاع (١١٥)

وقول زهير بن أبي سلمى (١١٦) :

خلط ألوف للجميع بينته إذ لا يحل بحيز المتوحد (١١٧)

يسط البيوت لكي يكون مظنة من حيث توضع جفنة المسترفد (١١٨)

وهكذا فإن الإقامة على مكان مرتفع تلك التي نظر الشعراء إليها على أنها دليل على الاستعداد للعطاء والضيافة، أصبحت صفة مشرفة للإنسان. يفتخر أوس بن حجر بهذا قائلاً: (١١٩)

وأن مكاني للمريديسـن بارز وإن برزوني، ذو كؤود وذو حضن (١٢٠)

ويعبر طرفة بن العبد عن المعنى نفسه فيقول: (١٢١)

ولست بمحلال التلاع مخافة ولكن متى يسترفد القوم أرفد (١٢٢)

ويشير أمية بن أبي الصلت إشارة واضحة إلى أهمية الإقامة عندما يمدح رجلاً في بيت شعري يذكر فيه من صفاته الجيدة كلها الإقامة على مكان بارز (١٢٣) :

المقيم على الطريق لأنه كان ينفق ماله الغزير خاصة من أجل ذلك، بأن يطعم العابرين برفق وسرور. انظر :

Schmidt, L.: Die Ethik des alten Griechen, Bd. I S. 326

- ١١٤ — شعره ١٩/١١ .
- ١١٥ — الأوزاع هنا : بيوت متبذرة عن مجتمع الناس .
- ١١٦ — الديوان ص ٢٧٦ .
- ١١٧ — خلط : المختلط بالناس . الحيز : الناحية . المتوحد : المنفرد ينزل ناحية بعيدة .
- ١١٨ — يسط البيوت : يكون أوسطها . والمظنة : موضع الظن . والمسترفد : طالب المعونة والعطاء .
- ١١٩ — الديوان ٣/٥٤ .
- ١٢٠ — الكؤود : الثبات والقوة . والحضن : المنعة .
- ١٢١ — جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام : محمد بن أبي الخطاب القرشي ص ٣٩٧ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٧ .
- ١٢٢ — التلاع : جمع التلعة وهي ما ارتفع من مسيل الماء وانخفض عن الجبال أو قرار الأرض .
- ١٢٣ — الديوان ١/٥٢ .

لا الغيابات مُتسواك ولكن في ذرى مُشرفِ القصور ثواك^(١٢٤)
ولأن مكان الإقامة له هذه الأهمية الكبرى فإن ذا الإصبع العذواني ينصح ابنه قائلاً^(١٢٥):

واحلل على الأيفاع للـ عافين واجتنب المسيل
إذا كان مكان الإقامة في عزلة عن الناس الآخرين مستكراً، لذا يذكر الشعراء أنهم أو أن
ممدوحهم لم يتصرفوا مثل هذا التصرف. لبيد بن ربيعة يصور هذه الحالة التي تُشير إلى طبيعة
الاستعداد للضيافة، فينكر على ممدوحه أن يكون منعزلاً، إنه «ليس بجاني»^(١٢٦)، وأوس بن
حجر يذكر في قصيدة هجائية عزلة قوم، وإقامتهم في مكان غير ظاهر على أنهما صفتان سيئتان،
فهم «معاذيل حلالون بالغيب وحدهم»^(١٢٧) أما الخرنق بنت بدر فتندب رجلاً في قصيدة
رثائية قائلة: «ألا ذهب الحلال في القفرات»^(١٢٨)، فالمرثي يحل في أرض مقفرة، والباحث
لا يستطيع أن يفسر قولها إلا بأن الرجل حل بالصحراء الجرداء ليتمكن من مساعدة المحتاجين
المارين، وهذا دليل آخر على قوته وشجاعته.

٤ — المنادي:

ولعل أطرف وسيلة لجلب الضيوف، وإظهار المثل الأعلى في الضيافة، أن يرسل الإنسان
الكريم منادياً يدعو إلى المآدب والطعام^(١٢٩)، كما يشير أمية بن أبي الصلت في مديحه لأحد سادة

١٢٤ — الغيابات: مفردا غيابة، وهي ما انخفض من الأرض. والمتوى: الموضع يقصده القوم حين تحوّلهم من
مكان إلى مكان. والثواء: الإقامة.

١٢٥ — الأغاني ج ٣ ص ١٠٠.

١٢٦ — الديوان ٢١/١٣.

١٢٧ — الديوان ٤/٢٠. المعاذيل: جمع معزال وهو الذي ينفرد وينزل محلاً غير مطروق، والعرب تدمه وتقصمه
بالبخل.

١٢٨ — الديوان ١/٧.

١٢٩ — احتفظ العرب في شبه الجزيرة العربية بهذه الوسيلة حتى أيامنا هذه، فقد أطلق علي تركي بن مهيد
الفارس المشهور ورئيس عشيرة الفدعان من قبيلة عنزة الاسم المستعار «مصوت بالعشا»، لأنه في
أوقات الجذب كان يرسل خادمه ليتسلق تلة في المساء، ويدعو أي شخص جائع لتناول العشاء.
انظر:

قريش قائلًا^(١٣٠) :

لَهُ دَاعٌ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌ وَأَخَّرُ فَوْقَ دَارِهِ يُنَادِي^(١٣١)
إِلَى رُدْحٍ مِنَ الشُّيْزَى مِلَاءٍ لِبَابِ الْبُرِّ يُلَبِّكُ بِالشَّهَادِ^(١٣٢)

١٣٠ — الديوان ٦/١٧ — ٧ .

١٣١ — المشمعل : النشيط السريع . والدارة : كالدار بما فيها البناء والفناء .

١٣٢ — الردح : مفردا رداح ، وهي الجفنة العظيمة . والشيزى : خشب أسود تتخذ منه الجفان . واللباب من كل شيء : خالصة وخياره . والبر : القمح ، وليابه ما يعرف بالنشا . ويلبك : يخلط . والشهاد : العسل ، الواحد شهْد أو شهْد .

٣ — ظروف العطاء

يذكر الشعراء الظروف المرافقة للجود، ويؤكدون الأوقات الصعبة التي يجنح المرء فيها إلى التقدير والبخل، لأن الجود يكتسب عندئذ قيمة أرفع. لهذا يبين الشعراء غالباً أن الأجواد يقدمون أعطياتهم إذا ما قدم الشتاء، وهبت الرياح، أو كان العام مجدياً لانحباس الأمطار، وقد يظهرون الجود في حالة السكر والصحو معاً، أو الحالات كلها.

١ — الشتاء ومظاهره:

يرمز الشتاء عند العرب إلى أصعب أوقات الحاجة، لذلك فإن الضيافة تعد في هذا الوقت من أعظم الصفات وأفضل الأعمال، لأنه يتوجب على الناس في الشتاء أن يهتموا بأمورهم الخاصة أكثر من اهتمامهم بالآخرين^(١٣٣).

يكفي الشعراء في أحيان كثيرة بإشارة قصيرة إلى العطاء والضيافة الحسنة في فصل الشتاء، كقول زهير بن أبي سلمى: «إذا ما شتا تأوي إليه الأرامل»^(١٣٤)، وقول أبي دؤاد الإيادي: «فاسألوا عنا إذا الحي شتوا»^(١٣٥)، وقول الأعشى الكبير: «المطعمو اللحم إذا ما شتوا»^(١٣٦)، وقول بشر بن أبي خازم: «الحافظ الحيّ الجميع إذا شتوا»^(١٣٧)، وقول مُعَيَّة بن الحُمام المُرِّي: «نعيث حيا الأضياف في كل شتوة»^(١٣٨)، وقول طرفة بن العبد: «نحن في

١٣٣ — للضيافة في الشتاء عند الشعوب القديمة قيمة خاصة، فقد كان الشتاء تجربة لإظهار العطف والضيافة، لأن الفقراء يجدون في الصيف المأوى في كل مكان ولكن إذا قدم الشتاء فإن حالهم يصبح كالصراصير، وهنا يهدأ روعهم في البيوت الغنية حيث يرجون ضيافة الشتاء. انظر: Weinhold, k.: Altnordisches Leben, S.309.

١٣٤ — الديوان ص ٢٩٦.

١٣٥ — التذكرة السعدية في الأشعار العربية: محمد بن عبد الرحمن العبيدي ص ١٦٧، تحقيق عبد الله الجبوري، التجف ١٩٧٢.

١٣٦ — الديوان ٤٩/١٨.

١٣٧ — الديوان ٢٠/٧.

١٣٨ — معجم الشعراء: المرزباني ص ٤٤٣.

المَشْتَاة ندعو الجَفْلَى (١٣٩) ، وقول الموج بن زَمان (١٤٠) :

والمطعمينَ لدى الشُّتَا ء سَدَائِفًا مِلْنَيْبٍ غُرًّا (١٤١)

وقول امرئ القيس (١٣٢) :

كرامٌ إذا الضَّيْفُ عِنْدَ الشَّاءِ إذا ما المِشَارِعُ أَضْحَتْ جَلِيدًا (١٤٣)

وقول لبید بن ربیعة (١٤٤) :

وأبى السَّذي كان الأرا ملٌ في الشَّاءِ له قَطِينَا (١٤٥)

لقد كان الجود في الشتاء مهماً وذا قيمة كبرى بحيث إن تسمية مثل «ضيوف الشتاء» كانت ترد دائماً لدى الشعراء ، كقول عبد قيس بن خُفاف (١٤٦) :

إلى مَلِيقٍ بضيوف الشتاء إذا الرِّيحُ هَبَّتْ بَلِيلٍ بَلِيلًا (١٤٧)

وقول يزيد بن خُذَّاق العبدي (١٤٨) :

فَلَّتْ عَيْنَهَا عني سفاهاً وراقها فتى دون أضيافِ الشتاء شروبٌ

ويفصف الشعراء ظواهر منفردة للشتاء على أنها رمز إلى الحاجة والصعوبات ، عندما لا يجد المرء فيها ما يسد رمقه :

أ — يُنظر إلى هبوب الرياح عند العرب على أنه ظاهرة نموذجية في أوقات الشتاء الصعبة ،

-
- ١٣٩ — الديوان ٤٦/٢ ، الجفلى : أن تدعو الناس عامة إلى طعامك .
١٤٠ — ديوان عمرو بن كلثوم ١٢/٣٥ .
١٤١ — السدائف : مفردا السديف ، وهو السنام المقطع . وملنيب : أي من النيب .
١٤٢ — الديوان ٢٠/٥٤ .
١٤٣ — المِشَارِع : الطرق التي تشرع فيها الإبل وغيرها إلى الماء ، والواحدة مشرعة .
١٤٤ — الديوان ٣/٤٩ . وانظر : الأسود بن يعفر : ذيل الديوان ٤/٣ ، وبشر بن خازم : الديوان ٥/٣٧ ، والسموئل : الديوان ١٢/٣ .
١٤٥ — القطين : القوم المقيمون القاطنون .
١٤٦ — شعر تميم ١٠/١٤٦ .
١٤٧ — البليل : الريح الباردة مع ندى .
١٤٨ — الأشباه والنظائر : الخالديان ج ١ ص ٩ .

لذا فإن الشعراء يذكرون حسن الضيافة في مثل تلك الظروف . زهير بن أبي سلمى يكشف هذه الظاهرة قائلاً^(١٤٩) :

تالله قد علمت قيسٌ إذا قَدَفَتْ رِيحُ الشتاءِ بيوتَ الحَيِّ بالعُتْنِ^(١٥٠)
أَنْ نِعَمَ مُعْتَرِكُ الحَيِّ الجِيعَ إِذَا نَحَبَ السَّفِيرُ وَمَأْوَى البَائِسِ البَطْنِ^(١٥١)

والمسيب بن علس يشير إلى وقت جود ممدوحه قائلاً^(١٥٢) :

وَإِذَا تَهَيَّجَ الرِّيحُ مِنْ صُرَادِهَا ثُلُجاً يُنِيخُ النَّيْبَ بِالْجُعْجَاعِ^(١٥٣)

ويبرز الشعراء خاصة الرياح الشمالية الباردة للإشارة إلى أصعب أوقات الحاجة ، كقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب : « إِذَا اغْبَرَّ أَفَقٌ وَهَبَتْ شَمَالاً »^(١٥٤) ، وقول المرقش الأصغر : « الْمُطْعَمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّةٌ »^(١٥٥) ، وقول سلمة بن مالك : « إِذَا انْبَرَتْ شَمَالٌ »^(١٥٦) ، وقول ليبد ابن ربيعة « حِينَ تَهَبُ شَمَالُ الرِّيحِ »^(١٥٧) ، وقوله^(١٥٨) :

وَعِدَاةٌ رِيحٍ قَدْ وَزَعَتْ وَقَرَّةٌ إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زَمَامَهَا^(١٥٩)

أما الرياح الشرقية فقد ذكرت مرة واحدة حسب مصادرنا ، وذلك في قول عبيد بن عبد العزى^(١٦٠) :

وَمِنْ مُطْعَمٍ يَوْمَ الصَّبَا غَيْرَ جَامِدٍ إِذَا شَصَّ عَنْ أَبْنَائِهِنَّ الْمَرَاضِعُ^(١٦١)

١٤٩ — الديوان ص ١٢١ — ١٢٢ .

١٥٠ — قيس : يعني قيس عيلان . والعنن : جمع عنة وهي حظيرة من شجر ترد الريح عن البيوت .

١٥١ — المعترك : موضع الزحام . ونحب : جرى ومُرَّ على وجه الأرض . والسفير : ما انحط من ورق الشجر وتناثر . والبطن : النهم .

١٥٢ — شعره ١٨/١١ .

١٥٣ — الصراد : ريح بارد برش مطر . والنيب : واحدتها ناب وهي الناقة المسنة . والجعجعا : موضع البروك .

١٥٤ — ديوان الهذليين ج ٣ ص ١٢٢ . والأفق : ناحية السماء . وأراد هبت الريح شمالاً .

١٥٥ — المفضليات : ٤/١٢٨ .

١٥٦ — الأشباه والنظائر : الخالديان ج ٢ ص ٣٤٤ .

١٥٧ — الديوان ١٧/٥٣ .

١٥٨ — المصدر السابق ٦٢/٤٨ .

١٥٩ — وزعت : كفت . وأصبحت : أي الغداة . وزمامها : أمرها .

١٦٠ — قصائد جاهلية نادرة ص ١٢٤ .

١٦١ — شَصَّ : منع .

ب — ويبرز الشعراء برودة الشتاء إلى جانب ريحه القارس لكي يظهروا الضيافة في صورة نبيلة خاصة، كقول كَرْدَم (١٦٢) :

هَمْ الْمُطْعَمُونَ سَدِيفَ الْعِشَاءِ ر وَالشَّحْمَ فِي اللَّيْلَةِ الْبَارِدَةِ (١٦٣)
وقول أوس بن حجر (١٦٤) :

مَطَاعِينُ فِي الْهَيْجَا مَطَاعِيمُ لِلْقُرَى إِذَا اصْفَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْقَرَسِ (١٦٥)
وقول أبي دؤاد الإيادي (١٦٦) :

لَفَقْدِ الْأَرْحَى أَبِي بَجَادٍ أَبِي الْأُضْيَافِ فِي السَّنَةِ الْجَمَادِ
وقول أمية بن أبي الصلت (١٦٧) :

وَأَبُو الْيَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَوْسَهُمْ وَيُحَوِّطُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَامِدٍ (١٦٨)
وقد يرمز الشعراء إلى برودة الشتاء بـرجوع الإبل إلى حظائرها كقول عامر بن الطفيل (١٦٩) :

هَلَا سَأَلْتُ إِذَا اللَّقَاحُ تَرَوَّحَتْ هَذَجَ الرِّثَالِ وَلَمْ تُبْدُ صَوَارًا (١٧٠)
وقول الحارث بن حلزة (١٧١) :

وَإِذَا اللَّقَاحُ تَرَوَّحَتْ بَعْشِيَّةً رَتَّكَ النَّعَامُ إِلَى كَنِيفِ الْعَرْجِ (١٧٢)

١٦٢ — التذكرة السعدية : العبيدي ص ١١٦ .

١٦٣ — السديف : السنام المقطع . والعشار : الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر .

١٦٤ — الديوان ٨/٢٥ .

١٦٥ — القرس : أبرد الصقيع وأكثر ، وأشد البرد .

١٦٦ — شعره ٤/٢٥ .

١٦٧ — الديوان ١/٢٠ .

١٦٨ — الأوس : الإعطاء والتعويض . وحاطه يحوطه : حفظه وتعهده . والعام الجامد : عام الجذب والقحط .

١٦٩ — الديوان : الذيل ١/١٠ .

١٧٠ — في الأصل هَرَج ، وهو تصحيف والصواب هَدَج وهو عدو في سرعة ، مع اضطراب أو ارتعاش .
واللقاح : جمع لقحة ، وهي الناقة ذات اللبن . والرثال : جمع الرثال ، وهو ولد النعام .

١٧١ — المفضليات ٩/٦٢ .

١٧٢ — تروحت بعشية : بادرت الإياب والشمس حية ، ولم تبطئ في المرعى للجذب والبرد . والرتك : مشي

ج — على أن هناك شعراء كانوا يطيلون في تصوير مظاهر الشتاء وتأثيرها السلبي في حياة الناس ، مشيرين إلى ازدياد الحاجة والفاقة ، وما ينتج عن ذلك من ازدياد الحاجة للوجود والضيافة ، كقول أوس بن حجر (١٧٣) :

والحافظُ الناسَ في تحوط إذا لِمَ يُرسلوا تحت عائدٍ رُبْعاً (١٧٤)
وازدحمتْ حَلَقَتَا البِطَانِ بأقـ ومارِ وطارتْ نفوسُهُم جَزَعاً (١٧٥)
وعَزَتِ الشَّمَالُ البَليْلُ وقد أمسى كَمِيعُ الفتاةِ مُلتَفِعاً (١٧٦)
وشَبَّهَ الهَيْدَبُ العِباءَ من الـ أقوامِ سَقَباً مُلبِساً فَرَعاً (١٧٧)
وكانتِ الكاعِبُ المنعمَةُ الـ حسناءً في زاد أهلها سَبْعاً (١٧٨)

وقول بشر بن أبي خازم (١٧٩) :

يا سُمَيْرُ من للنساء إذا ما قَحَطَ القَطَرُ أمّهات العِيالِ (١٨٠)
كنت غيثاً لهنَّ في السَّنةِ الشَّهـ باء ذاتِ الغُبارِ والإمحالِ (١٨١)
المهينُ الكومَ الجَلادَ إذا ما هَبَّتِ الرِّيحُ كُلَّ يَوْمٍ شَمالِ (١٨٢)

مسرّع مع مقارنة الخطو . والكنيف : حظيرة تعمل من شجر تأوي إليها الإبل . والعرفج : شجر خوار سريع الالتهاب .

- ١٧٣ — الديوان ٥/٢٦ — ٩ . وتنسب الأبيات إلى بشر بن أبي خازم : الديوان ص ١٢٥ .
١٧٤ — تحوط : وقحوط اسمان للسنة المجدية . والعائد : الحديثة التاج ، والريع : الذي ينتج في الربيع .
١٧٥ — ازدحمت حلقتا البطان : مثل يقال إذا بلغ الأمر في المكروه حده .
١٧٦ — عزت : غلبت . والكميع : الضجيع . وملتفعا : أي يلتفع بكسائه دون ضجيعه من شدة البرد .
١٧٧ — الهيدب : العبي الجافي الخلفة الكثير الشعر من الرجال . والعباء : القدم الثقيل . السقب : ولد الناقة . والفرع : أول نتاج الإبل والغنم . ملبساً فرعا : أراد ملبساً جلد فرع .
١٧٨ — الكاعب : الجارية التي كعب ثديها . أي تصير كالسبع في زاد أهلها بعد أن كانت تعاف طيب الطعام .
١٧٩ — الديوان ١٣/٣٦ — ٥ . وانظر أعشى باهلة : الأصمعيات ٦/٢٤ — ١١ ، والأعشى الكبير : الديوان ٢٩/١٦ — ٣١ ، وحاتم الطائي : الديوان ١/١٧ — ٤ ، والحادرة : الديوان ١٠/٥ — ١٢ ، وعمرو ابن قميث : الديوان ١١/٢ — ١٧ ، ولبيد بن ربيعة : الديوان ١/٢١ — ٤ ، والمرقش الأكبر : المفضليات ١١/٥٠ — ١٥ .
١٨٠ — قحط : انحبس وانقطع . والقطر : المطر . وأمّهات العيال : يريد الأرامل أمّهات الأيتام .
١٨١ — الشهباء : البيضاء . والسنة الشهباء : المجدية . وذات غبار : كناية عن الجذب .
١٨٢ — الكوم : جمع كوما ، وهي الناقة العظيمة السنام . والجلاد : من الإبل الغزيرات اللبن . ويوم شمال : اليوم الذي تهب فيه ريح الشمال .

والمفيد المال التلاد لمن يع — فقهه، والواهب الجسان الغوالي (١٨٣)

٢ — قحط السنين وجديها :

إن ازدياد الحاجة يتطلب زيادة في الضيافة والجود للذين يعبر الشعراء عنهما من خلال وصفهما عندما ينحبس المطر ويسود القحط والجذب . لقد وصف الشعراء هذه الحالة عندما صوروا الجود وقت انحباس المطر ، كقول الأعشى الكبير (١٨٤) :

وَهُمْ يُطْعَمُونَ إِذَا قَحَطَ الْقَطُ رُ وَهَبْتُ بِشَمَالٍ وَضَرِبَ (١٨٥)
وقول أمية بن أبي الصلت (١٨٦) :

وَيْلٌ أُمَّ قَوْمِي قَوْمًا إِذَا قَحِطَ الْ — قَطُرٌ وَأَضَتْ كَأَنَّهَا أَدُمُ (١٨٧)
وقول عامر بن الطفيل (١٨٨) :

إِذَا سَنَةٌ عَزَّتْ وَطَالَ طَوَالُهَا وَأَقْحَطَ عَنْهَا الْقَطَرُ وَاصْفَرَّ عُودُهَا (١٨٩)
وَجِدْنَا كَرَامًا لَا يُحَوِّلُ ضَيْفَنَا إِذَا جَفَّ فَوْقَ الْمَنَزِلَاتِ جَلِيدُهَا (١٩٠)

وكذلك عندما صور الشعراء الجود وقت المحل والجذب ، كقول عمرو الكناني : « مطاعيم في المحل » (١٩١) ، وقول مسافر العجلي : « ويهوي ذراه الضيف في السنة المحل » (١٩٢) ، وقول زهير بن أبي سلمى (١٩٣) :

-
- ١٨٣ — المال التلاد : كل مال قديم . ويعفوه : يأتيه ليسأله العطاء .
١٨٤ — الديوان ١٠/٦٨ .
١٨٥ — الشمال : ريح الشمال وهي ريح باردة . والضريب : الثلج والصقيع .
١٨٦ — الديوان ٤/٧١ .
١٨٧ — ويل : كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب . وأضت : صارت ، وضمير الفاعل للسماء المفهومة ضمناً . والأديم : الجلد وقيل الجلد الأحمر أو المدبوغ . وهو المراد هنا .
١٨٨ — الديوان ٦/٦ — ٧ . وانظر : الأسود بن يعفر : الديوان ١/٢٣ ، وأميه بن أبي الصلت : الديوان ٧/٤٥ ، وعدي بن زيد : الديوان ٣٠/٢٠ ، وعنترة بن شداد : ذيل الديوان ٤٣/١٨ .
١٨٩ — عزت : غلبت . وسنة : يعني سنة جذب وقحط .
١٩٠ — الجليد : الصقيع .
١٩١ — معجم الشعراء : المرزباني ص ٢٦ .
١٩٢ — الأشباه والنظائر : الخالديان ج ٢ ص ٢٩٣ .
١٩٣ — الديوان ص ١١٠ — ١١١ .

إذا السَّنةُ الشَّهَاءُ بالناس أْجَحَفْتُ ونال كرام المال في السَّنةِ الأَكْلُ (١٩٤)
رَأَيْتُ ذَوِي الْحَاجَاتِ حَوْلَ بِيوتِهِمْ قَطِيناً لَهُمْ حَتَّى إِذَا نَبَتِ الْبَقْلُ
وقول سلامة بن جندل (١٩٥) :

قَوْمٌ إِذَا صَرَّحَتْ كَحَلٍّ، بِيوتُهُمْ عِزُّ الدَّلِيلِ، وَمَأْوَى كُلِّ قَرْضُوبٍ (١٩٦)

هذا ويسبب الظروف الصعبة المذكورة آنفاً فإن الزاد كان يقل لشدة احتياج الناس إليه . لذا فإن الناس الذين لم تنغرس فيهم صفة الجود سرعان ما يقلعون عنها منصرفين إلى الاهتمام بأمورهم الخاصة ، ومن هنا اكتسب الجود قيمة كبرى . يقول أبو هلال العسكري (١٩٧) :

وما مدحت العرب ولا تمدحت بمثل الإعطاء على العسر والمواساة على القلة ، وهو يعلل انتشار ذكر أجواد العرب ، أي حاتم الطائي وكعب بن مامة وهرم بن سنان بأنه « ذهب صيتهم في السماح ، ويعدّ ذكرهم في الجود لأنهم كانوا يعطون وهم محتاجون ، وينيلون وهم مختلفون » (١٩٨) .

وقد عكس الشعراء الجود في حالة العسر والضييق والبخل ، فكان ممدوح امرئ القيس « أجودهم أوان بخل » (١٩٩) ، وممدوح الأعشى بن النباش « متى ما ينقصوا يزد » (٢٠٠) ، وممدوح خالد بن مالك « إذا ما قلت الأفراد زادا » (٢٠١) ، ويرثي دريد بن الصمة خاله فيظهر جوده في الحي « لما ضنّ بالزاد » (٢٠٢) ، ويزر الأعشى الكبير هذه الظاهرة قائلاً (٢٠٣) :

يوماً بأجود منه حين تسألـه إذ ضنّ ذو المال بالإعطاء أو خدعا

وفتخر معاوية بن مالك بجود قومه عندما تغلق الأبواب بوجه جيرانه قائلاً (٢٠٤) :

-
- ١٩٤ — السنة الشَّهَاءُ : المجدة . وأجحف : أضرت .
١٩٥ — ديوان سلامة بن جندل ٢٤/١ ، تحقيق فخر الدين قباوة ، حلب ١٩٦٨ ، وانظر ديوان عمرو بن قميئة ٩/١ .
١٩٦ — صرحت : بينت ، لم يكن فيها غيم ولا مطر . والكحل : السنة الشديدة المجدة . القرضوب : الفقير .
١٩٧ — الكرماء : أبو هلال العسكري ص ١٠ ، تحقيق محمود الجبلاوي ، القاهرة ١٣٢٦ هـ .
١٩٨ — المصدر السابق ص ٣٠ .
١٩٩ — الديوان ٣/٣٦ .
٢٠٠ — شعر تميم ٣/١٣ .
٢٠١ — شعر تميم ١/٦٢ .
٢٠٢ — الديوان ٣/١٨ .
٢٠٣ — الديوان ٦١/١٣ .
٢٠٤ — أشعار العامريين الجاهليين ١٠/٦٦ .

إِذْ بَعْضُهُمْ يَحْمِي مَرَايِدَ بَيْتِهِ عَنْ جَارِهِ وَسَيِّلَنَا مَوْرُودُ
ويشير الشعراء أحياناً إلى الأوقات القاسية الصعبة، ولا شك أنها أوقات الجذب والقحط
التي تخلف الحاجة والمصائب والجوع، ليبرهنوا على أن الأجواد فاعلو خير وصاحبو فضل، فهم
«مطاعم في اللأوا»^(٢٠٥)، وهم:

المَطْعَمُونَ الطَّعَامَ فِي السَّنَةِ الْأَزْمَةِ وَالْفَاعِلُونَ لِلزُّكُوتِ^(٢٠٦)
وهذا الأعشى الكبير يشير إلى قوم يهينون «مألهم لزمان السوء»^(٢٠٧)، أما عنترة بن شداد فيفخر
بقومه الذين يبذلون أموالهم في مثل هذه الأوقات قائلاً^(٢٠٨):

مِنَّا الْمَعِينُ عَلَى التَّدْيِ بِفَعَالِهِ وَالبَذْلُ فِي اللَّزِيَّاتِ بِالْأَمْوَالِ^(٢٠٩)
ويجنىح عبد الله الأزدي إلى الفخر الذاتي لأنه يجود في اللزبات والأعوام المجدبة، حيث يقول^(٢١٠):
أَلَا لَمْ يَرْتُ فِي اللَّزِيَّاتِ ذَرْعِي سُوفَ الْمَالِ وَالْعَامِ الْجَدِيبِ^(٢١١)
٣ - الجود وقت لنشوة السكر:

يذكر الشعراء أحياناً الجود في حالة السكر، وأن هذا الجود غير محدود، فقوم الخرنق بنت
بدر «إن يشربوا يهبوا»^(٢١٢)، أما قوم طرفة بن العبد^(٢١٣):

فَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَاتَّشَّوْا وَهَبُوا كُلُّ أُمُونٍ وَطِمِرٍ^(٢١٤)
ويعبر قيس بن الخطيم عن جوده وقت سكره قائلاً^(٢١٥):

إِذَا مَا اصْطَبَحْتُ أَرْعَا خَطَّ مِثْرِي وَأَتَبَعْتُ دِلْوِي فِي السَّخَاءِ رِشَاءَهَا

٢٠٥ — عامر بن الطفيل، عيون الأخبار: ابن قتيبة ج ١ ص ٣٤٣. واللأواء: المشقة والشدة.

٢٠٦ — ديوان أمية بن أبي الصلت ١/٧.

٢٠٧ — الديوان ٢٩/٣٢.

٢٠٨ — الديوان: الذيل ٣٠/١٨.

٢٠٩ — اللزبات: الشدائد والأزمات.

٢١٠ — قصائد جاهلية نادرة ص ٢٠٥.

٢١١ — لم يرت: لم يضعف. والذرع: الطاقة والبسطة. وسواف المال: موته.

٢١٢ — الديوان ٥/٤.

٢١٣ — الديوان ٤٣/٢.

٢١٤ — أمون: ناقة أو فرس موثقة الخلق يؤمن عثاها. والطمير: الفرس السريع الوثب.

٢١٥ — الديوان ٣/١.

ولكن يبدو أن هذا النوع من الجود لا يعد مفخرة كبرى على وجه الخصوص، فقد انتقد طرفة بن العبد لأنه ذكر الجود في حالة السكر فقط^(٢١٦)، وكان من الأجدر لو أنه نوه بالجود سواء أكان في وقت السكر أم الصحو، كقول امرئ القيس: «ونائل ذا إذا صحا وإذا سكر»^(٢١٧)، وقول عنترة بن شداد^(٢١٨):

فإذا شربتُ فإننسي مُستهلِكٌ مالي، وعرضي وافرٌ لم يُكَلِّمِ^(٢١٩)
وإذا صحوْتُ فما أقصُرُ عن نَدَى وكما علمتُ شمائلِي وتكرُمي

٤ — الجود في الحالات كلها:

يعبر الشعراء عن أقصى حالات الجود لإبراز مثله الأعلى وتحقيقه عندما يؤكدون حسن الضيافة والجود والسماحة في الحالات كلها، وتحت الظروف جميعها دون وصف تفصيلي، كقول حاتم الطائي^(٢٢٠):

سأمنحه على العلات حتّى أرى ماويّ ألا يشتكيني^(٢٢١)
وقول زهير بن أبي سلمى^(٢٢٢):

مَنْ يَلْقَ يوماً على عِلّاته هرمًا يلقَ السماحة منه والندى خُلُقًا
وقول جابر بن حَبّاب^(٢٢٣):

وما وجد الأضياف فيما ينوبهم لهم عندَ علاتِ الزمانِ أياً مثلي
وقول عبد الله الأزدي^(٢٢٤):

فَسَلِّي بنا إن كنتِ سائلةً في العُسْرِ والميسورِ والنُّكْرِ^(٢٢٥)
لعرَفَتِنا من خيرِ أهلِ نَدَى بعدَ الهدوءِ لطارقِ يسري^(٢٢٦)

٢١٦ — انظر: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٠٠ — ٢٠١، والمرشح للمرزباني ص ٧٨.

٢١٧ — الديوان ١٩/١٤.

٢١٨ — الديوان ١/٤٥ — ٤٦.

٢١٩ — لم يكلم: لم يجرح.

٢٢٠ — الديوان ٢/٧.

٢٢١ — ماوي: ماوية زوجة الشاعر.

٢٢٢ — الديوان ص ٥٣.

٢٢٣ — شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ١/٧٥٥.

٢٢٤ — قصائد جاهلية نادرة ص ٢٠٢.

٢٢٥ — النكر: هنا الشدة.

٢٢٦ — بعد الهدوء: بعد مزيع من الليل. والطارق: الذي يأتي ليلاً.

٤ — آداب الضيافة والمآدب

الجود والضيافة كانا من المناقب الرئيسة في الحياة الاجتماعية في العصر الجاهلي ، سواء بالنظر إلى واجب مساعدة الأشخاص المحتاجين من خلال الطبقة الغنية ، أو بالنظر إلى حفل السمر ومجالس الأنس في بيئة لم تكن كثيفة السكان ، وكان يتوجب عليهم أن يتعاونوا ويتسامروا مجتمعين . هذا ومن خلال المآدب التي كانت تقام تظهر فرحة الحياة لدى المجتمع البدوي العربي ، لأن الفرص المتاحة للاحتفال والابتهاج ولقاءات السمر والأنس لم تكن كثيرة . كما أن الباحث يستنتج من وصف الشعراء الجاهليين لهذه المآدب صورة جميلة لآداب الضيافة والمآدب ، لدى المجتمع العربي القديم .

إن استقبال الأشخاص المحتاجين الذين تشملهم رعاية الأجواد وإقامة المآدب يخصص موضوعاً واحداً يتكاملان فيه ، هو موضوع الضيافة . وهكذا فقد صورت آداب الضيافة بطرق مختلفة .

كان للتحية أثر هام لدى لقاء الضيف^(٢٢٧) ، ولعل المرء كان يريد لدى تحيته أن يظهر استعداداه لتقديم عونه وضيافته ، لذا يذكر الشعراء كلمة التحية التي عدت رمزاً لجود غير محدود^(٢٢٨) ، كقول طفيل الغنوي^(٢٢٩) :

وبالسَّهْبِ ميمونُ الخليفة قولُهُ ملتمسُ المعروف أهلٌ ومرحبُ^(٢٣٠)

٢٢٧ — تأتي التحية لدى البدوين اليوم في شبه الجزيرة العربية أولاً . يقول Sawayan في كتابه Nabati...P.42 :

« عندما يلتقي الفارس بضيوفه يندفع لاستقبالهم والترحيب بهم أولاً » .

٢٢٨ — تجلت قيمة التحية عند العرب أيضاً في أمثالهم ، فقالوا : « مرحباً وأهلاً وسهلاً » . انظر : الأمثال لأبي عكرمة الضبي ص ٦٢ ، تحقيق رمضان عبد التواب ، دمشق ١٩٧٤ . ولاشك أن الأمثال تقدم صورة واضحة عن عادات الشعوب وتقاليدها واهتماماتها .

٢٢٩ — أشعاره ٥/٢ .

٢٣٠ — السهيب : موضع هلك فيه رجل منهم حسن الذكر كريم الطبيعة .

وقول العُريان (٢٣١) :

فقال ألا أهلاً وسَهْلاً ومَرْحَباً جَعَلْتُكَ مِنِّي حَيْثُ أَجْعَلُ أَشْجَانِي

وقول ضمرة بن ضمرة النهشلي (٢٣٢) :

وَقُلْتُ لَهُ أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً وَأَكْرَمْتُهُ حَتَّى غَدَا وَهُوَ حَامِدٌ

ويؤكد الشعراء أن على المرء أن يستقبل المحتاجين والضيوف بغبطة وبهجة ، ويرون أن انبساط الوجه وانشراح الصدر لدى اللقاء بالضيوف شيان مهمان « لأن ذلك من علامات الكرم والسرور بالضيف ، والقصد إلى إيناسه وبسطه » كما يقول الشريف المرتضى (٢٣٣) في أماليه تعليقاً على بيتي المتنخل الهذلي (٢٣٤) :

فلا والله نادى الحيُّ ضيفي هدوءاً بالمساءة والعِلاط (٢٣٥)

سأبدؤهم بمَشْمَعَةٍ وأثني بجُهدي من طعامٍ أو يساط (٢٣٦)

وواضح أن الشاعر يقسم بأنه سيرعى ضيوفه ، ولن يتركهم يصابون بالأذى ، وأنه سيستقبلهم بوجه فرح باش قبل أن يقدم إليهم الطعام ، ويوفر لهم المسامرة . وهكذا فإن انبساط الوجه وطلاقة وإشراقه لدى مقابلة المحتاجين والضيوف من آداب الضيافة البارزة ، وهذا ما بينه الشعراء كقول زهير بن أبي سلمى (٢٣٧) :

تراه إذا ما جئته متَهْلاً كأنك تعطيه الذي أنت سائلة

وقول أبي اللحام التغلبي (٢٣٨) :

طلسق يَرَاخَ إلى الندى مُتَبَلِّجٍ كالبدر لافّة ولا مُتَعَبِّسٍ

وقول طرفة بن العبد (٢٣٩) :

٢٣١ — شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ٧/٧١١ .

٢٣٢ — شعر نعيم ١١/١٢٦ .

٢٣٣ — أمالي المرتضى ، علي بن الحسين ج ٢ ص ١٣ ، تحقيق محمد النعساني ، القاهرة ١٩٠٧ .

٢٣٤ — ديوان المهذليين ج ٢ ص ٢١ — ٢٢ .

٢٣٥ — العِلاط : يقال غلظه بشر أي ترك عليه غلاط البعير ، أي الوسم فيه .

٢٣٦ — المشمعة : المزاح واللعب والمضاحكة .

٢٣٧ — الديوان ص ١٤٢ .

٢٣٨ — ديوان عمرو بن كلثوم ١٢/٣٦ .

٢٣٩ — الديوان ١/٤٩ .

ولقد تعلم بكر أننا واضحو الأوجه في الأزبة غر* (٢٤٠)

لهذا فلا عجب إذا ما بؤ الشراء طلاقة الوجه مع الضيوف المكانة الأولى ، وقدموها على القرى . فالمضيف قبل أن يقدم طعامه لضيفه يجب أن يجلس إليه ، ويزيل عنه الوحشة ، ويدخل إلى قلبه البشر والاطمئنان ، كقول غريال الحنفي (٢٤١) :

ألا رب ضيف طارق قد قرئته وأنته قبل الضيافة بالبشر
وقول حاتم الطائي (٢٤٢) :

سلي الطارق المعتز يا أم مالك إذا ما أتاني بين قدري ومجزري
أيسفر وجهي إنه أول القرى وأبذل معروفني له دون منكري

ولذلك فإن قيمة الجود والضيافة كانت لا تقاس بكمية الطعام التي تقدم إلى الضيف ، وإنما بمقدار ما يكون وجه المضيف مشرقاً طلقاً ، كقول حاتم الطائي (٢٤٣) :

أضاحك ضيفي قبل إنزال رجليه ويخصب عندي والمحل جديب
وما الخصب للأضياف أن يكثر القرى ولكنما وجه الكريم خصيب

وانطلاقاً من هذه الأحكام الواردة في الأبيات السابقة ، جاء في الأشباه والنظائر (٢٤٤) :
« وتام الكرم عندهم مضاحكة الضيف ومحادثته وطلاقة الوجه » . لقد كان العربي يعلم أنه ليس من اللباقة في شيء أن يكثر الحديث مع ضيفه الذي لا شك أنه يحتاج إلى الراحة والهدوء بعد سفر طويل (٢٤٥) :

٢٤٠ — الأزبة : الشدة والقحط . وعر : جمع أعر ، وهو الأبيض من كل شيء .

٢٤١ — الأشباه والنظائر : الخالديان ج ٢ ص ٢٥٨ .

٢٤٢ — الديوان ١/٧٦ — ٢ ، ط . شولتيس . وينسب البيتان مع اختلاف في الرواية إلى شعراء عدة ، منهم : العجير السلولي ، الأغاني ج ١٣ ص ٦٦ ، وعروة بن الورد : شرح ديوان الحماسة للتبيزي ج ٤ ص ٦٥ ، القاهرة ١٢٩٦ هـ . ط . بولاق .

٢٤٣ — الديوان : الذيل ٢/٢ . وينسب البيتان أيضاً إلى الحرثمي : الوحشيات لأبي تمام ١/٤٥٩ — ٢ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ٢٣٩ .

٢٤٤ — الأشباه والنظائر : الخالديان ج ١ ص ٦٥ . وجاء في المستطرف في كل فن مستظرف لشهاب الدين أحمد الإشبيلي ج ١ ص ١٨٢ ، القاهرة ١٣٦٨ أيضاً وقالت العرب : « تمام الضيافة الطلاقة عند أول وهلة وإطالة الحديث عند المؤكلة » .

٢٤٥ — عروة بن الورد : الديوان ١/١٧ — ٢ ، وينسب البيتان أيضاً مع اختلاف في الرواية إلى طفيل الغنوي : أشعاره ٣/٢٣ — ٤ ، وعتبة بن بجير : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٧٦١ — ٢ وآخرين .

فراشي فراش الضيف والبيت بيته
أحدثه إن الحديث من القرى
ولم يلهني عنه غزال مُقَنع (٢٤٦)
وتعلم نفسي أنه سوف يهجع (٢٤٧)
و (٢٤٨):

ولا أزرِف ضيفي إن تأوئني
له المواساة عندي إن تأوئني
ولا أداني له مالميس بالداني (٢٤٩)
وكل زاد، وإن أبقيته فإن

وهناك شعراء لا يكتفون أن يسيروا إلى آداب الضيافة في أبيات مفردة، وإنما يصورون استقبال الضيوف والمسافرين المحتاجين في أسلوب قصصي، مشيرين إلى الظروف التي يأتي منها الضيف، وكيفية استقباله، ومعاملته، وما يقدمون إليه، وقد رسم المثقب العبدى لنا صورة استقبال أحد المسافرين التائهين ليلاً فقال (٢٥٠):

وسار تَعْنَاهُ المبيتُ فلم يَدْعُ
رأى ضوءَ نارٍ من بعيدٍ فخالها
لَمَّا استبانَ أنها آنسيَّةٌ
رفعَتْ له بالكفرِ ناراً تُشبهُها
وقلْتُ أرفعها بالصَّعيدِ كفى بها
فلما أتاني والسماءُ تَبْلُغُ
وقمتُ إلى البركِ الهواجد فأتقتُ
له طامسُ الظُّلُماءِ والليلُ مذهباً (٢٥١)
لقد أكذبته النفسُ بل راء كوكبا
وصدق ظناً بعد ما كان كذباً (٢٥٢)
شاميةً نكباءً أو عاصفٌ صبا (٢٥٣)
منادٍ لسارٍ ليلةً إن تأوبا (٢٥٤)
فلقيته: أهلاً وسهلاً ومرحباً
بكوماء لم يذهب بها النُّي مذهباً (٢٥٥)

- ٢٤٦ — الغزال المقنع: أراد المرأة الجميلة.
٢٤٧ — يجد الباحث في أمثال العرب ما يؤكد هذا التصرف الحميد مع الضيوف والمحتاجين، من ذلك قولهم: «إن الحديث من القرى جانب». انظر: الأشباه والنظائر للخالدين ج ١ ص ٦٥.
٢٤٨ — حاتم الطائي: الديوان ١/١١ — ٢.
٢٤٩ — أزرِف: أي أدفع. وتأوبه: نزل به ليلاً أو أول الليل خاصة.
٢٥٠ — الديوان ١/٤ — ٩.
٢٥١ — الساري: السائر عامة في الليل. وتعنأه: جشمه وأنصبه.
٢٥٢ — آنسية: من أنس الشيء أي أحسه وأبصره.
٢٥٣ — شامية: الريح تهب من قبل الشام. والنكباء: لا تأتي مستقيمة، أي تأتي من كل ناحية. والصبأ: ريح تهب من مشرق الاستواء.
٢٥٤ — الصعيد: المرتفع من الأرض. وتأوب: رجع.
٢٥٥ — البرك: إبل الحمي كلهم. والهواجد: النيام. واتقت: أي جعلتها بيني وبينها. والكوماء: الناقة عظيمة المنام طويْلته. والنُّي: الشحم.

فَرَحَّبْتُ أَعْلَى الْجَنْبِ مِنْهَا بِطَعْنَةٍ دَعَتْ مُسْتَكِنَ الْجُوفِ حَتَّى تُصَيِّبَا (٢٥٦)
تَسَامِي بِنَاتِ الْغَلِي فِي حَجَرَاتِهَا تَسَامِي عِتَاقِ الْخَيْلِ وَرَدًّا وَأَشْهَبَا (٢٥٧)
وواضح أن الشاعر يشير إلى تائه في ظلمة الليل يبحث عن مأوى، ويصور لنا حالته النفسية وقلقه عندما رأى ضوء النار خوفاً من أن يكون قد رأى ضوء كوكب. ثم يصف لنا ناره التي أوقدها وقد أخذت العواصف تلعب بها، وترحابه بضيقة ونحره الإبل وطهي لحمها. وينحو حاتم الطائي منحى المثقب العبدى عندما وصف لنا أيضاً أحد هؤلاء التائهين في الصحراء المترامية، وقد كاد أن يصاب بالجنون من يأسه من الحصول على القرى (٢٥٨):

وداعٍ دَعَا بَعْدَ الْهُدُوِّ كَأَنَّمَا دَعَا آتِساً شَبَةَ الْجُنُونِ، وَمَا بِهِ
فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتِ نَادَيْتُ نَحْوَهُ فَلَمَّا رَأَيْتُ نَارِي كَيْ لِيُبْصِرَ ضَوْءَهَا
فَلَمَّا رَأَيْتُ كَبُرَ اللَّهُ وَحْدَهُ فَقُلْتُ لَهُ: أَهْلاً وَسَهْلاً وَمَرْحَباً
وَقَمْتُ إِلَى بَرْكِ هِجَانٍ أَعْدُهُ بِأَبْيَضٍ نَخَطْتُ نَعْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكْتُ
فَأَطَعَمْتُهُ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا يُقَاتِلُ أَهْوَالَ السُّرَى وَتُقَاتِلُهُ (٢٥٩)
جُنُونٌ، وَلَكِنْ كَيْدُ أَمْرٍ يُحَاوِلُهُ بَصُوتِ كَرِيمِ الْجَدِّ حُلُومِ شَمَائِلُهُ
وَأَخْرَجْتُ كَلْبِي وَهُوَ فِي الْبَيْتِ دَاخِلُهُ وَبَشَّرَ قَلْباً كَانَ جَمًّا بِلَابِلُهُ (٢٦٠)
رَشِدْتُ، وَلَمْ أَقْعُدْ إِلَيْهِ أَسَائِلُهُ لَوْجِبَةِ حَقِّ نَازِلِ أَنَا فَاعِلُهُ (٢٦١)
مِنَ الْأَرْضِ، لَمْ تَخْطُلْ عَلَيَّ حَمَائِلُهُ (٢٦٢) شِوَاءً، وَخَيْرُ الْخَيْرِ مَا كَانَ عَاجِلُهُ

وهناك صنف آخر من الضيوف، وهم المدعوون، فالشعراء يصورون المآدب التي يدعون إليها أصحابهم، ويبدون اهتمامهم بهم، ويحاولون تقديم كل شيء يجعلهم سعداء مسرورين. ويلاحظ أن الشعراء يذكرون الخمر واللحم لدى وصف هذه المآدب بكثرة على أنها رمز للمأدبة فاخرة. وقد يذكرون المغنية، وبهذا تستكمل العناصر الرئيسة التي تكون مأدبة فاخرة، وهي الطعام والخمر والموسيقا. إضافة إلى ذلك فإن الشعراء يؤكدون الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها المدعوون، والتي

٢٥٦ — رحبت: وسعت. ومستكن الجوف: يريد الدم.

٢٥٧ — بنات الغلي: يريد قطع اللحم. وحجراتها: نواصيها، يريد القدور. وورداً وأشهباً: شبه قطع اللحم والسنام بالورد والأشهب من الخيل.

٢٥٨ — الديوان ١/١١٩ — ٩.

٢٥٩ — بعد الهدو: بعد هزيع من الليل.

٢٦٠ — البلايل: شدة الهم والوسواس في الصدور.

٢٦١ — البرك: جماعة الإبل المباركة، واحدها برك. والهجان: الإبل البيض الكرام.

٢٦٢ — النعل: الحديدة التي يغشى بها أسفل الجفن. تخطل: تضطرب.

تناسب مع مستواهم الطبقي الاجتماعي ، إنهم فتية أو فتيان^(٢٦٣) ، وهم يشكلون مجموعة من الشباب تتسم بقيم النبيل والجود والشجاعة والنسب العريق . ولاشك أن هذه القيم تناسب المعايير الأخلاقية للصفوة الممتازة في المجتمع العربي . فهذا ثعلبة بن صُعير المازني يفخر أمام صاحبه سمية بأنه يدعو فتية على مائدته يتصفون بالسخاء والشجاعة والأفعال الحميدة ، ويذكر أنه قدم إليهم الخمرة والطعام والغناء ، وذلك في قوله^(٢٦٤) .

أَسْمِي مَا يُدْرِيكَ أَنْ رَبِّ فِتْيَةٍ بِيضِ الْوُجُوهِ ذَوِي نَدَى وَمَأْثَرِ
حَسَنِي الْفُكَاهَةِ لَا تُذَمُّ لِحَامُهُمْ سَبْطِي الْأَكُفِّ فِي الْخُرُوبِ مَسَاعِيرِ^(٢٦٥)
بَاكَرْتُهُمْ بِسِبَاءِ جَوْنٍ ذِرَاعِ قَبْلَ الصَّبَاحِ وَقَبْلَ لَعْوِ الطَّائِرِ^(٢٦٦)
فَقَصَرْتُ يَوْمَهُمْ بِرُئْيَا شَارِفِ وَسِمَاعِ مُدْجِنَةٍ وَجَدَوَى جَازِرِ^(٢٦٧)
حَتَّى تَوَلَّى يَوْمَهُمْ وَتَرَوُّحُوا لَا يَتَنَشْنُونَ إِلَى مَقَالِ الزَّاجِرِ

ويصور لبيد بن ربيعة العامري مآدبة دعا إليها طائفة من الفتيان ، وقد استمر مجلسهم منذ أن أعلن ديك الصباح انبلاج فجر جديد حتى رجوع القطا إلى فراخه ليلاً ، بعد أن ورد الماء غدوة ، بقوله :^(٢٦٨)

وَفَتَيَانِ صِدْقٍ قَدْ غَدَوْتُ عَلَيْهِمْ بِلَا دَخْنٍ وَلَا رَجِيعٍ مُجَنَّبِ^(٢٦٩)
بِمُجْتَزَفٍ جَوْنٍ كَأَنَّ خَفَاءَهُ قَرَأَ حَبْشِيٌّ فِي السَّرُومِطِ مُحَقَّبِ^(٢٧٠)

-
- ٢٦٣ — هذا التعبير أصبح رمزاً للمناقب كلها التي يتصف بها الشاب . حول ذلك انظر : الفتوة عند العرب : عمر الدسوقي ص ١١ وما بعدها ، القاهرة ١٩٥١ . وحول تطور مدلول الكلمة انظر : الفتوة : ابن المعمار البغدادي ، المقدمة ص ٥ وما بعدها ، تحقيق محمد جواد وآخرين ، بغداد ١٩٥٨ .
- ٢٦٤ — شعر تميم ١٥/٤٢ — ١٩ .
- ٢٦٥ — اللحم : جمع لحم . ولا تدم : لسخائهم وأن قراهم حاضر طيب . والسبط : المسترسل . والمساعر : الذين يوقدون الحرب .
- ٢٦٦ — السباء : اشتراء الخمر . والجون : الأسود وأراد به الزق . والذراع : الكثير الأخذ من الماء . وأراد عظم الزق ونحوه .
- ٢٦٧ — الشارف : الناقة المسنة ، ورنثها : صوتها عند النحر . مدجنة : قينة تغني يوم الدجن ، وهو تكاثف الغيم . والجدوى : العطية ، وأراد ما يتحفهم به من طيب الطعام .
- ٢٦٨ — الديوان ١٠/٢ — ١١ — ١٣ .
- ٢٦٩ — الدخن : الذي أصابه الدخان وأراد بشواء غير دخن . والرجيع : الشراب الذي فسد ورجع عن حدته . ومجنب : الذي قد جنب ، نُحي .
- ٢٧٠ — المجترَف : أي المشتري جزافاً . والخفاء : مسح أو جلد شاة يجعل فيه الزق . وقرا حبشي : ظهر حبشي . والسرومط : الحبل . ومحقب : مشدود خلف عجز دابته .

لَدُنْ أَنْ دَعَا دِيكَ الصَّبَاحَ بِسُحْرَةٍ إِلَى قَدْرِ وَرْدِ الْخَامِسِ الْمُتَأَوَّبِ (٢٧١)

ويصف حاتم الطائي مجموعة من الفتيان الذين استضافوه فلم يخلق لهم الأعذار الكاذبة للهروب من تقديم الطعام ، وإنما قام بسيفه نحو ناقة عظيمة السنام كاليهضاب ، وقدم لعفاته أطيب الطعام وألذه (٢٧٢) :

وفتيان صِدْقٍ ضَمَّهم دَلَجُ السُّرَى	على مُسَهَّمَاتٍ كَالْقِدَاحِ ضَوَامِرِ (٢٧٣)
فلما أَتَوْنِي قَلْتُ: خَيْرُ مُعَرَّسٍ	ولم أَطْرَحْ حَاجَاتِهِمْ بِالْمَعَاذِرِ (٢٧٤)
وَقَمْتُ بِمَوْشِيِّ الْمَتُونِ كَأَنَّهُ	شِهَابٌ غَضًا فِي كَفِّ سَاعٍ مُبَادِرِ (٢٧٥)
لَيْشَقِي بِهِ عُقُوبُ كَوْمَاءَ جَلْبَةٍ	عَقِيلَةٍ أَذْمِ كَالِيَهْضَابِ بِهَازِرِ (٢٧٦)
فَظَلَّ عِفَاتِي مَكْرَمِينَ وَطَائِحِي	فَرِيقَانِ: مِنْهُمْ بَيْنَ شَاوِرٍ وَقَادِرِ (٢٧٧)

* * *

-
- ٢٧١ — قدر ورد الخامس المتأوب : يريد القطا الذي بينه وبين الماء مسيرة خمسة أيام للإبل . والقطا يرد غدوة ثم يؤوب إلى فراخه ليلاً .
- ٢٧٢ — الديوان ٣/٣١ — ٧ .
- ٢٧٣ — الدلج : سير الليل . مسهمة : من السهام وهو الضمور والتغير . والقداح : واحدھا القدح وهو السهم .
- ٢٧٤ — معرس : موضع التعريس ، أي النزول في آخر الليل .
- ٢٧٥ — الشهاب : شعلة نار ساطعة . والغضا : شجر ، وهو من أجود الوقود .
- ٢٧٦ — الكوماء : ناقة عظيمة السنام طويلته . والأدم : جمع أدماء ، والأدمة في الإبل لون مشرب سواداً أو بياضاً ، وقيل هو البياض الواضح .
- ٢٧٧ — العفاة : جمع عاف وهو كل من جاء يسأل معروفاً أو رزقاً . والقادر من قدر القدر ، أي : طبخها .

٥ — الشغف بالضيافة والمغالة في إكرام الضيف

ينظر العرب إلى الضيافة على أنها قيمة عظيمة سديدة يجب على الرجال الكرام أن يتصفوا بها ، لذلك يبرز الشعراء الاهتمام بالضيوف خاصة ، وينسبونه إليهم غالباً . ويبدو لنا هذا الاهتمام في أنهم يقدرّون جود أعدائهم ويعترفون به (٢٧٨) :

أولئك إنْ يَكُنْ في الناس خيرٌ فإنّ لديهم حسباً وجوداً
ويقدمون عطاءهم حتى لأعدائهم أو لمن لا يحبونه ، لكي يلفتوا النظر إلى جودهم الذي يرقى فوق كل شك (٢٧٩) :

وإنّي لأعطي المال من لا أوْدُهُ وألبس أقواماً على الشنّان (٢٨٠)
كما يبدو لنا الشغف بالضيافة وحبهم الضيف في أنّ الشعراء ذكروا ضيافتهم حتى للحيوانات الوحشية والجن لإظهار أنّ اهتمامهم ينصبّ على الضيافة فقط ، وأنهم لا يفرقون بين الإنس والجن والحيوان إذا ما سئلوا أن يقدموا شيئاً ، كقول المرقش الأكبر (٢٨١) :

ولما أضأنا النار عند شِوائنا عرّانا عليها أطلّس اللّونِ بئس (٢٨٢)
تبذّث إليه حُرّة من شِوائنا حياءً ، وما فُحشي على من أجالس (٢٨٣)
ويدعو سهم بن الحارث الجنّ إلى طعامه قائلاً (٢٨٤) :

أتوا ناري فقلّت منون أنتم فقالوا الجنّ ، قلّت عموا ظلاما

٢٧٨ — خدّاش بن زهير : أشعار العامريين الجاهليين ٤/٦ .

٢٧٩ — ديوان ليبد بن ربيعة ٣/٥٠ .

٢٨٠ — ألبس أقواماً : احتملهم وأقبلهم . والشنّان : البغيضة .

٢٨١ — المفضليات ١٤/٤٧ — ١٥ .

٢٨٢ — عرّانا : أتانا طالباً معروفاً . وأطلّس اللون : عني به الذئب ، وأراد أنه أغبر إلى سواد .

٢٨٣ — حُرّة : قطعة .

٢٨٤ — الحيوان : الجاحظ ج ٤ ص ١٥٢ .

فقلتُ إلى الطعام فقال منهم زعيمٌ نحسدُ الأنسَ الطعاما

ويشير جذع بن سنان إلى جن نحر لهم ناقة بقوله: (٢٨٥)

أتوني سافرينَ فقلتُ: أهلاً رأيت وجوههم وُسماً صباحا

نحرتُ لهم وقلتُ: ألا هَلُمُّوا كُلوا مما طَهَّيْتُ لكم سِماحا

وتجدد الضيافة الخاصة لدى الشعراء في طريقة واقعية، ولكن أيضاً ليست خالية من المبالغة حين يبينون أنهم يعطون أفضل ما لديهم، حتى يصبح الضيف راضياً مسروراً، كقول المتنخل الهذلي (٢٨٦):

لادرّ درّي إن أطعمتُ نازلكم قرّف الحتيّ وعندي البرّ مكنوز (٢٨٧)

وقول مالك بن حريم الهمداني: (٢٨٨)

ولا يسأل الضيفُ الغريبُ إذا شتا بما أوغلتُ قدري إذا هو ودّعا (٢٨٩)

فإن يك غثاً أو سميناً فأئنني سأجعل عينيه نفسي مقنعا

وأنهم يفضلون ضيوفهم على أفراد عائلتهم وأنفسهم لتكبر قيمة الضيافة، كقول خدّاش بن زهير (٢٩٠):

وأقفيته دون العيال لحافنا وبات أنيسيه بُجَيْرٍ ودرهم (٢٩١)

وقول عامر بن الطفيل: (٢٩٢)

٢٨٥ — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي ج ٦ ص ١٧٧، تحقيق عبد السلام

هارون. القاهرة ١٩٧٦ — ١٩٨١. والبيتان في مقطوعة تضم البيت الأول من البيتين المذكورين سابقاً مع اختلاف في الرواية. انظر المصدر نفسه ج ٧ ص ١٧٧.

٢٨٦ — ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٥. وينسب البيت أيضاً إلى المتلمّس الضبعي: الديوان ١٧/١.

٢٨٧ — لادر دري: أي لارزقت الدر. وقرّف كل شيء: ما قرّف يعني قشرو، والذي يفلع عنه يؤكل. والحتي: المقل وهو الدّوم.

٢٨٨ — الوحشيات: أبو تمام ١/٤٢٩ — ٢.

٢٨٩ — شتا: أجذب في الشتاء. وزخرت: جاشت.

٢٩٠ — أشعار العامريين الجاهليين ١/٥٣.

٢٩١ — بجير: ابنه. درهم: فرسه.

٢٩٢ — الديوان، الذيل ٢/١٠.

إِنَّا لَتَعَجَّلَ بِالْعَيْطِ لَضَيْفِنَا قَبْلَ الْعِيَالِ وَنَطْلُبُ الْأَوْثَارَ (٢٩٣)
وقول حاتم الطائي (٢٩٤) :

إِذَا كَانَ لِي شَيْعَانِ يَا أُمَّ مَالِكٍ فَإِنِّ لِحَارِي مِنْهُمَا مَا تُحَيِّرَا
وَفِي وَاحِدٍ إِنِّ لَمْ يَكُنْ غَيْرُ وَاحِدٍ أَرَاهُ لَهُ أَهْلًا، إِذَا كَانَ مُقْتَرَا
كما أن الشغف بالضيافة يظهر لنا من خلال تصوير الشعراء أنهم يبقون في حاجة يعانون
الجوع، وما ذلك إلا بسبب عنايتهم بالآخرين، كقول ذي الإصبع العدواني (٢٩٥) :

أَكْرَمُ الضَيْفِ وَالتَزِيلِ وَإِنِّ بـ تٌ خَمِيصاً يَضُمُّ بَعْضِي عَلَى بَعْضِي
وقول المتنخل الهذلي (٢٩٦) :

أَبُو مَالِكٍ قَاصِرٌ فَقَرَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَشَيْعَ غِنَاهُ
وقول حاتم الطائي (٢٩٧) :

وَإِنِّ لَمْ أَجِدْ لِنَزِيلِي قَرِي قَطَعْتَ لَهُ بَعْضَ أَطْرَافِيهِ
وقول السُّلَيْكِ بْنِ السُّلَكَةِ (٢٩٨) :

هَزَيْتُ أُمَامَةً أَنْ رَأَتْ بِي رِقَّةً وَفَمَا بِهِ فَقَمٌ وَجِلْدٌ أَسْوَدُ (٢٩٩)
أَعْطِي، إِذَا النَّفْسُ الشَّعَاعَ تَطَلَّعَتْ مَالِي، وَأَطْعَنْ الْفَرَائِصُ تَرَعَدُ
وقول عروة بن الورد (٣٠٠) :

إِنِّي أَمْرُو عَافِي إِنْ أَيْسَى شِرْكَةً وَأَنْتَ أَمْرُو عَافِي إِنْ أَيْسَى وَاحِدُ (٣٠١)

٢٩٣ — العيطة: اللحم الطري غير النضيج، من عبط الذبيحة يعبطها إذا نحرها من غير داء ولا كسر وهي سمينة فتية.

٢٩٤ — الديوان ١/٦٩ — ٢.

٢٩٥ — الحماسة الشجرية ١/٦٩.

٢٩٦ — ديوان الهذليين ج ٢ ص ٣٠.

٢٩٧ — الديوان ٢/٥٣.

٢٩٨ — شعر تميم ١/٩٤ — ٢.

٢٩٩ — المقم في القم: أن تتقدم الثنايا السفلى فلا تقع عليها العليا إذا ضم الرجل فاه.

٣٠٠ — الديوان ١/١١ — ٣.

٣٠١ — عافى إنائك واحد: أراد أنه يأكل وحده.

أتهزأ مني أن سَمِنْتَ وقد ترى بجسمي مسَّ الحقُّ والحقُّ جاهدُ
أقسَّمُ جسمي في جُسومٍ كثيرة وأحسو قَرَّاحَ الماء والماءُ باردُ (٣٠٢)

كما أنَّ حبَّ الضيافة والجود كان سبباً يدفع الشعراء إلى القيام بالغزو وسلوك المخاطر، لتأمين ما يقدمونه لضيوفهم، لأنهم يخشون أن يصبحوا فقراء في يوم من الأيام لا يستطيعون مساعدة الأشخاص المحتاجين :

ذريني أطوف في البلاد لعلني أفيدُ غنى فيه لذي الحقِّ محمَلُ
فإن نحن لم نملك دفاعاً لحادث ثلِمُ به الأيامُ فالملوثُ أجملُ
أليس كبيراً أن ثلِمَ مُلَمَّةٌ وليس علينا في الحقوق مُعولُ (٣٠٣)

و :

أنى الخفضُ من يغشاك من ذي قرابة ومن كلِّ سوداءِ المعاصمِ تعترى
ومستهنىءٌ زبدٌ أبوه، فلا أرى له مدفعاً فاقني حياءك واصبري (٣٠٤)

ومن مظاهر الشغف بالضيافة أنهم كانوا يقومون بخدمة ضيوفهم، ولا يجدون ضيراً من تسمية أنفسهم بعبيد الضيف، وأنهم لا يتناولون الطعام وحدهم إلا إذا وجد ضيف يأكل معهم، كقول قيس بن عاصم يوصي امرأته (٣٠٥) :

إذا ما عملت الزادَ فالتمسي له أكلاً فإني غيرُ آكلِهِ وحدي
وإني لعبدُ الضيفِ مادام ثاوياً وما فيَّ إلا تلك من شيمة العبدِ
وقول الحارث بن بدر (٣٠٦) :

لعمرك أملك الخير إني لخادمٌ ضيوفي وإني إن ركبْتُ لفارسُ

٣٠٢ — القراح : الخالص الذي لا يخالطه لبن ولا غيره .

٣٠٣ — يزيد بن خنْدَق العَبْدِي : معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٨١ . والأبيات في ذيل ديوان عروة بن الورد ١/١٢ — ٣ مع اختلاف في الترتيب والرواية .

٣٠٤ — عروة بن الورد : الديوان ١١/٣ — ١٢ .

والخفض : الدعة ولبن العيش . وسوداء المعاصم : التي أجهدتها الجوع والهزال . وتعترى : تغشى . ومستهنىء : طالب للهنء وهو العطاء . وزيد : من أجداد عروة يريد أنه قريبه .

٣٠٥ — شعر تميم ٢/١٨٥ — ٦ .

٣٠٦ — الأشباه والنظائر : الجالديان ج ٢ ص ٢٦٤ .

وقد بلغت ذروة مبالغتهم في الجود حين كانوا يمنحون إلى المعاقرة، فقد « كان الرجلان يتباريان في الجود والسخاء فيعقر هذا وهذا حتى يُعَجَّزَ أحدهما الآخر، وكانوا يفعلونه رياء وسمعة وتفخيراً »^(٣٠٧). وكانت المعاقرة حتى بدايات ظهور الإسلام مألوفة، فقد روي عن غالب بن صعصعة وسحيم الرياحي اللذين عاشا في عهد الخليفة عثمان بن عفان أن غالب بن صعصعة عقر مائة ناقة، وأن سحيماً لم يستطع مجاراته، وأن غالب بن صعصعة عقر مائتي ناقة أيضاً في عهد الخليفة علي بن أبي طالب^(٣٠٨). ومن الجدير بالذكر أن الإسلام حرم المعاقرة لأن المتنافسين يريدون المباهاة والمفاخرة فقط، حتى إن الخليفة علي بن أبي طالب أشار إلى تحريم تناول لحم المعاقرة، بقوله: « أيها الناس لا يحل لكم ما أهل بها لغير وجه الله »^(٣٠٩).

* * *

٣٠٧ — لسان العرب ج ٤ ص ٥٩٣ أ.

٣٠٨ — الأغاني ج ٢١ ص ٢٨٢ — ٢٨٣.

٣٠٩ — الأغاني ج ٢١ ص ٢٨٣.

الفصل الثالث

فضائل الجود

١ — أهمية الجود في السلوك الاجتماعي والأشخاص الذين شملتهم رعاية الأجواد

لا ينتظر الباحث من مجتمع كالمجتمع البدوي العربي نظاماً يحقق العدالة الاجتماعية من خلال مؤسسات، لذلك ينبغي على المرء أن يقدر جود الطبقة الغنية في المجتمع الجاهلي تقديراً عالياً^(١). ويسمى الشعراء في شواهد غزيرة الذين يستحقون المساعدة والمعونة، وبهذا يقدمون لنا نظرة في الخلق الاجتماعي لمجتمع ما قبل الإسلام.

عاش أغلب العرب في الصحراء الجافة التي قلما استطاعت أن تقدم الغذاء الكافي للناس، وكانت التجارة حكراً بيد الأغنياء، يضاف إلى هذا عدم وجود مؤسسات اجتماعية تعني بالناس الفقراء والمحتاجين، لذلك وجد فقراء كثير استطاعوا البقاء في قيد الحياة فقط، من خلال مساعدة الطبقة العليا للمجتمع البدوي. وهذا زهير بن أبي سلمى يقرر هذا السلوك عندما أشار إلى أنه «قد جعل المبتغون الخير في هرم»^(٢). ويصور الشعراء سلوك أفراد الطبقة العليا الأجواد وكأنهم لا يميزون الفقير منهم، إنهم يواسونه ويجعلونه واحداً منهم، كقول عمرو بن الإطناية^(٣):

والخالطينَ فقيرَهم بغنيهم والباذلينَ عطاءهم للسائل
وقول حاتم الطائي^(٤):

والخالطينَ نحيتم بنضارهم وذوي الغنى منهم بذى الفقر^(٥)
وقول زهير بن أبي سلمى^(٦):

١ — تعد الضيافة لدى الطبقة الغنية عند الاغريق والرومان من الواجبات الاجتماعية أيضاً. انظر:

Reallexikon für Antike und christentun, Bd. VIII, S. 1083-1084.

٢ — الديوان ص ٤٩.

٣ — معجم الشعراء: المرزباني ص ٩.

٤ — الديوان ٦/٣٧.

٥ — النحيث: الذون منهم، والنضار: الأشراف.

٦ — الديوان ص ١١٤.

على مُكثَرهم حَقٌّ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ وعند المُقْلِينَ السَّاحَةُ والبَذْلُ
 إنَّ الشعراء يلفتون النظر أَلَّا يُعَامَلَ الفقير معاملة سيئة، وإنما أن تعقد معه الاتصالات
 الحميمة، «فلا تعدم مواصلة الفقير»^(٧)، «ولا تعاد الفقير»^(٨). إن السائلين كانوا، كغيرهم من
 المحتاجين، متعلقين بعطاء الطبقة العليا الغنية ليستطيعوا تحمل أعباء الحياة، لذا يحاول الإنسان
 الجواد أن يرضيهم، وإلا فإن المرء يسبب لنفسه العار والفضيحة. وهذا رجل «إذا أتاه سائلٌ
 لا يَحْمَدُهُ»^(٩)، من هنا أكد الشعراء الجود عند قدوم السائلين، فممدوح عبيد بن الأبرص
 «لا يحرمُ السائلُ إن جاءهُ»^(١٠)، ويفخر طرفة بن العبد بقومه قائلاً: «ولا يبخلُ فينا من
 يُسَلِّ»^(١١)

إن الإنسان لم يستطع أن يعيش في مجتمع كالمجتمع البدوي العربي وحيداً دون التضامن مع
 جماعة تكفل له الحماية، لأن الغزوات كانت مألوفة والأخذ بالثأر يلاحق المرء أينما حل. لهذا وجد
 عرف يسمى الجوار^(١٢)، ويسمى الذي يبحث عن حماية لدى الآخرين جاراً، وهذه تسمية تعني
 في الوقت نفسه الإنسان الذي يسكن بجوار الآخرين.

لقد اعتنى الحماة بجيرانهم وعائلاتهم، وقد عُدَّ هذا سبباً للفخر والمباهاة في المجتمع البدوي
 العربي لأنه دليل على القوة والمكانة الاجتماعية والضيافة. إن على الإنسان أن يجعل خاصة إذا
 ماترك جاراته جائعات، واهتم برعاية أهله، لذلك يطالب الشعراء أن يعامل الجميع معاملة
 واحدة:

وَيَسْلُ أَنْ أَرَى جَسَارَاتٍ بَيْتِي يَجُفْنَ وَأَنْ أَرَى أَهْلِي شِبَاعاً^(١٣)

و:

وَإِنِّي لِأُخْزَى أَنْ تُرَى لِي بِطَنَةٌ وَجَارَاتُ بَيْتِي طَاوِيَاتٌ وَتُحَفُ^(١٤)

٧ — الأضبط بن قُرَيْع: شعر نعيم ٩/٩.

٨ — أبو قيس صيفي بن الأسلت: الديوان ص ٩.

٩ — بشر بن أبي خازم: الديوان ٤/١٣.

١٠ — الديوان ٢١/٣٩.

١١ — الديوان ٢/٧٩.

١٢ — انظر: Reinert, W.: Das Recht in der altarabischen Poesie, Diss. Köln 1963, S. 16 ff.

١٣ — عدي بن زيد: الديوان ١/٨٤. ويسل: حرام.

١٤ — حاتم الطائي: الديوان ٥/٤٢. وطاويات: محاصر البطون.

تيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثى يثن خمائصاً^(١٥)

لقد كان ينظر إلى إهمال الجار على أنه عار كبير، بحيث إن الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت ٧٠٥ م) علّق على بيت الأعشى السابق بقوله: «والله ما سرّني أنني هجيت بيت الأعشى، وإن لي طلاع الأرض ذهباً». ^(١٦)

إن الاهتمام بالأقرباء كان ضرورياً وذا أهمية كبرى في مجتمع كمجتمع ما قبل الإسلام الذي لم يعرف الاستقرار في الحياة بسبب الحروب القبلية الكثيرة والغزوات، والبحث عن الملكية، ولأن التضامن الذي يجب أن يشمل الأقرباء كان أساس المجتمع القبلي. الهذيل بن مشجعة البولاني يفخر بمساعدته ابن عمه قائلاً: ^(١٧)

ومتى أجنّه في الشديدة مزملاً ألق الذي في مزودي لوعائه
والأسفع بن الغدير يشير إلى إنفاقه المال على عشيرته بقوله: ^(١٨)

سأبذل للعشيرة جُلّ مالي إذا ضنّ البخیل المُستميث

وعمر بن الإطنابة يساعد قومه قائلاً: «أهين المال فيما بين قومي» ^(١٩)، أما الأعشى الكبير فيحدد جملة من صفات ممدوحه، فيشير إلى صلة الرحم: «وصلات الأرحام قد علم الناس» ^(٢٠)

هذا وعلى الرغم من أن الشعراء يؤكدون أن رعاية الأقرباء كانت سلوكاً طبيعياً، فإنه وجد أناس لم يساعدوا أقرباءهم وقت الحاجة وهذا ذو الإصبع العدواني يعير ابن عمه قائلاً: «ولا تقوت عيالي يوم مسغبة» ^(٢١)، والأعشى الكبير يبرز هذا السلوك المكروه نحو الأقرباء على لسان ابنته قائلاً ^(٢٢):

١٥ — الأعشى الكبير: الديوان ١١/١٩. المشتى: زمن الشتاء. وغرثى: جائعات. وخمائص: ضمائر البطون.

١٦ — زهر الآداب: الحصري القيرواني ص ١٠٨٨.

١٧ — شرح ديوان الحماسة: المزدوقي ٣/٧٣٨.

١٨ — الوحشيات: أبو تمام ٢/٢٧٤.

١٩ — الاختيارين: ٩/١٦.

٢٠ — الديوان ٤٠/١.

٢١ — الأُمالي: القاضي ج ١ ص ٢٥٥. والمسغبة: المجاعة.

٢٢ — الديوان ٥٤/٤.

أَرَانَا إِذَا أَضْمَرْتُكَ الْبَلَا د تُجَفِّي وَتُقَطِّعُ مِنَّا الرَّحِمَ
ويستنتج أنه لم يكن من الطبيعي دائماً أن يُعَتَّنَى بالأقرباء البعيدين أو بالغرباء، وإلا لما أكد
الشعراء المعاملة بين الأقرباء والغرباء معاملة حسنة متساوية، كقول عوف بن عطية (٢٣):

أَجُودُ عَلَى الْأَبَاعِدِ بِاجْتِدَاءٍ وَلَمْ أُخْرِمْ ذَوِي قُرْبَى وَإِصْرَ (٢٤)
وقول زهير بن أبي سلمى (٢٥):

وَلَيْسَ مَانِعَ ذِي قُرْبَى وَلَا نَسَبٍ يَوْمًا وَلَا مُعْدِمًا مِنْ خَابِطٍ وَرَقَا (٢٦)
وقول قَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الْهُجَيْمِيِّ: (٢٧)

وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلَّتُهُ وَذِي رَحِمٍ بَلَلْتُهَا بِلَالِهَا (٢٨)
وقول عبيد بن الأبرص (٢٩):

وَلَا تَرْهَدَنَّ فِي وَصَلٍ أَهْلَ قَرَابَةٍ لَذُخْرٍ، وَفِي صُرْمٍ الْأَبَاعِدِ فَازْهَدِ

إن العناية بالمحتاجين عُذَّتْ سلوكاً اجتماعياً جيداً، وكانت سبباً للمجد والكرامة في المجتمع
البدوي العربي في وقت واحد، فممدوح زهير بن أبي سلمى «إذا ما شتتا تأوي إليه الأرامل» (٣٠)،
وأبو لبيد بن ربيعة العامري «كان الأرامل في الشتاء له قطينا» (٣١). لذلك كانت هناك مكانة
مرموقة للذين يعتنون بالمحتاجين، وهذا بشر بن أبي خازم يكشف هذا الجانب على طريقته، عندما
يفتخر بأن قومه قتلوا ذلك الذي يتبوأ تلك المكانة (٣٢):

قَتَلْنَا الَّذِي يَسْمُو إِلَى الْمَجْدِ مِنْهُمْ وَتَأْوِي إِلَيْهِ فِي الشِّتَاءِ الْأَرَامِلُ

إن اليتامى الذين لم يكن باستطاعتهم أن يعتمدوا على أنفسهم في حياتهم لأن مجتمع ما قبل

٢٣ — المفضليات ٢/٩٥.

٢٤ — الاجتداء: السؤال، والمعنى أنه يجود حين يسأل. والإصر: العهد، ولعله أراد به مواليه.

٢٥ — الديوان ص ٥٣.

٢٦ — الخابط: طالب المعروف. والورق: ههنا المعروف. والمعدم: المانع.

٢٧ — شعر تميم ١/٢٠٣.

٢٨ — بللتها بيلالها: وصلتها وتلدتها. ومنه انضحوا الرحم بيلالها أي صلوها بصلتها وتلدوها.

٢٩ — الديوان ٢٦/١٩.

٣٠ — الديوان ص ٢٩٦.

٣١ — لبيد بن ربيعة: الديوان ٣/٤٩.

٣٢ — الديوان ٥/٣٧.

الإسلام كان يقوم غالباً على علاقات القوة التي تحايي الأغنياء وتهمل الضعفاء. ولكي يقرر الشعراء عناية الأجيال الكبرى باليتامى فإنهم كانوا يستندون إليهم دور «أبي اليتامى»، وهذه التسمية التي تذكرنا بتسمية «أبي الأضياف» تشكل لقباً استخدمه الشعراء عندما كانوا يريدون أن يشرفوا أحد الممدوحين، كقول امرئ القيس (٣٣):

ثوى عند الودية جوف بُصرى أبو الأيتام والكَلِّ العجاف (٣٤)
وقول أمية بن أبي الصلت (٣٥):

وأبو اليتامى كان يحسن أوسهم ويحوطهم في كل عام جامد (٣٦)
وهكذا فإن المجتمع البدوي العربي الذي لم توجد فيه مؤسسات ترعى الأيتام، وتقوم على تربيتهم، عرف أجيالاً قاموا بهذا العمل الحميد، فربوا اليتامى وتبنوهم:

ورئيت أيتاماً والحق صبيّةً وأدركت جهد السغي قبل عنائكا (٣٧)
و:

وجدت أبي ربيعاً لليتامى وللأضياف إذ حبّ الفقيد (٣٨)
و:

ليك ابن كلثوم فقد حان يؤمّ يتامى وأضياف وكلّ مضبّع (٣٩)

لقد أتم الأجيال مهمة كبرى في البنية الاجتماعية، إنهم يقومون بإعادة الأسرى الذين كانوا يقعون في الأسر نتيجة للحروب والغزوات. لقد كان من واجبهم اقتداء الأسرى الذي عد عملاً مجيداً ودليلاً على الأريحية والجود، لذا حاول الشعراء أن ينسبوا هذه الصفة إليهم أو إلى ممدوحهم. وقد استعمل الشعراء لتحرير الأسرى واقتنائهم الجذر «فلّ»، كقول امرئ القيس: «وعان

٣٣ — الديوان ١/٩٠.

٣٤ — الودية: واحدة الودى، وهو صغار الغسيل من النخل. والكَلّ: العيال.

٣٥ — الديوان ١١/٢٠.

٣٦ — الأوس: الإعطاء والتعويض. وحاطه يحوطه: حفظه وتمهده. والعام الجامد: عام الجذب والقحط.

٣٧ — الأعشى الكبير: الديوان ٢٨/١١.

٣٨ — ليبد بن ربيعة: الديوان ٧/٦. والفقيد: النار، والمعنى أن الوقت شتاء وأن الضيوف يقبلون على النار لأنها ترمز إلى الكرم والدفء معاً.

٣٩ — الأسود بن عمرو: ديوان عمرو بن كلثوم ١/٢٥.

فَكَكَّتِ الْعُلَّ عَنْهُ فَقَدَانِي^(٤٠) ، وقول بشر بن أبي خازم : « فَكَكَّتْ أُسِيرًا »^(٤١) ، وقول يزيد بن مُخَرَّم : « كَمْ مِنْ أُسِيرٍ فَكَكَّتْ »^(٤٢) ، وقول زهير بن أبي سلمى : « يَفْكَكُكَ عَنْ أَيْدِي الْعِنَاةِ »^(٤٣) ، وقول أوس بن حجر « فَكَأَكَ أُسِيرٌ »^(٤٤) ، وقول الأعشى الكبير : « وَفَكَ الْأُسْرَى مِنَ الْأَغْلَالِ »^(٤٥) .

ويتحدث الشعراء عن الأخلاق الاجتماعية عندما يبرزون الوظيفة الاجتماعية للمال . فالثروة يجب أن توضع في خدمة المهام الاجتماعية ، وليس لغرض شخصي ، كقول دريد بن الصمة^(٤٦) :

وَمَا إِنْ كَسَبْتُ الْمَالَ إِلَّا لِبَذْلِهِ لَطَارِقٍ لَيْلٍ أَوْ لِعَانٍ مُكَبَّلٍ

ومن هنا يرى حاتم الطائي أن صنع الجميل وافتداء الأسرى يشكلان الغرض المقصود من ماله ، بحيث إنه يتنازل عن لذتي العرب ، الخمر والميسر^(٤٧) :

وإِنِّي لَا آلُو بِمَالٍ صَنِيعَةً فَأَوَّلُهُ زَادٌ وَآخِرُهُ ذُخْرُ^(٤٨)
يُفَكُّ بِهِ الْعَانِي ، وَيُؤْكَلُ طَيِّبًا وَمَا إِنْ تُعْرِيهِ الْقِدَاحُ وَلَا الْخُمُرُ^(٤٩)

على العكس من ذلك ، نُظِرَ إِلَى التَّرِيثِ فِي تَحْرِيرِ الْأُسْرَى عَلَى أَنَّهُ عَارٍ يَعْبُرُ عَنِ الْبَخْلِ بِالْمَالِ . وهذا شريح بن الأحرص يعبر أحدهم قائلاً^(٥٠) :

وَأَسْلَمْتُهُ عِنْدَ جِدِّ الْقِتَالِ وَتَبَخَّلُ بِالْمَالِ أَنْ تَفْتَدِيَ

وهذا يتطابق مع الشواهد السابقة التي أبرزت أن تحرير الأسرى وافتدائهم دلالة محبة على الجود .

إن تحرير العبيد يخص أيضاً أوجه التصرف الاجتماعي ، وهو في الوقت نفسه سبب للمجد في

٤٠ — الديوان ٧/٩ . والعاني : الأسير . وفَكَكَّتِ الْفُلَّ عَنْهُ : فديته بمالي فحَلَّ وثاقه وسرح .

٤١ — الديوان ٧/٢٢ .

٤٢ — معجم الشعراء : المرزباني ص ٤٨٠ .

٤٣ — الديوان ص ٥٢ . والعناة : جمع عان وهو الأسير .

٤٤ — الديوان ٢/٤٩ .

٤٥ — الديوان ٤٠/١ .

٤٦ — الديوان ٤/٤٧ .

٤٧ — الديوان ١٢/٣٦ — ١٤ .

٤٨ — آلو : لا أدع جهداً .

٤٩ — تعريه : تفنيه وتذهب به . القداح : قذاح الميسر .

٥٠ — أشعار العامريين الجاهليين ٤/١٠٣ .

مجتمع لا يتمتع العبيد به بالحقوق ، وهذا معاوية بن مالك يمدح قوماً « يَفْكُونُ الغنائم والرِّقابا »^(٥١) ،
وتشير دختوس بنت لقيط إلى « فكُّها لرقابها »^(٥٢) .

وهناك وجه آخر من أوجه السلوك الاجتماعي للأجواد ، يبدو عندما يحتاج المجتمع إلى الصلح
بعد قتال ضارٍ بين القبائل ، أو بعد الغزوات ليستطيع العيش في سلام . لذا كان يتوجب على
النبلاء الأغنياء أن يدعوا إلى التصالح ، وذلك من خلال دفع الدية التي استطاع الناس الأغنياء أن
يدفعوها فقط . ومن أجل هذا قدرت هذه المهمة تقديراً عالياً ، وعُدَّت جانباً جيداً من جوانب
الجود :^(٥٣)

وقد قاتلنا إن نُدرك السُّلم واسعاً بمالٍ ومعروفٍ من الأمر نُسلم .

وهذا الجانب من السلوك الاجتماعي كان دافعاً للمباهاة والفخر في الوقت نفسه ، فمدوح
الققعقاع بن ذرماء « حَمَّال المئين »^(٥٤) ، ومدوح طفيل الغنوي « نهوضٌ بأشناق الديات
وحملها »^(٥٥) ، ويعلو امرؤ القيس معداً « بحمل الديات وفك العناة »^(٥٦) . أما الأعشى الكبير
فيفخر بقومه قائلاً : « فنحن عقلنا الألف عنكم لأهله »^(٥٧) ، كذلك يفتخر عمرو بن كلثوم بقومه
الذين خصصوا ثلث أموالهم للديات قائلاً^(٥٨) :

ثلاثة أثلاثٍ فائمان خيلنا وأقواتنا وما نسوقُ إلى العقل^(٥٩)

بعد النظرة السابقة في الخلق الاجتماعي لمجتمع ما قبل الإسلام سنذكر بالتفصيل الأشخاص
الذين شملتهم رعاية الأجواد : إن الأشخاص الذين ظفروا بالضيافة والجود يوصفون وصفاً عاماً في
الشعر ، والشاعر يتحدث عن مجموعات معينة تميز تمييزاً عاماً ، وهي :

١ — الضيوف .

٢ — الفقراء والسائلون .

٥١ — المصدر السابق ٢٢/٦٥ .

٥٢ — شعر تميم ٣/٦٨ .

٥٣ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ١٦ .

٥٤ — معجم الشعراء : المرزباني ص ٢٠٧ .

٥٥ — أشعاره ١/١٢ . وأشناق الديات : أي يحتمل الديات وافية كاملة زائدة .

٥٦ — الديوان ٥/٧٧ .

٥٧ — الديوان ٢٩/٧٧ . وعقلنا الألف : أدبنا ألفاً من الإبل دية .

٥٨ — شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ٤/١٦٠ .

٥٩ — العقل : الدية .

٣ — الأزامل واليتامى .

٤ — الجيران والموالي .

٥ — الأقرباء والأصدقاء .

١ — الضيوف :

بسبب علاقات الحياة في الصحراء القاسية الموحشة كان المسافرون والمتجولون يجدون المأوى والغذاء فقط ، لدى الأجواد الذين كانوا يعتنون بهم مفتخرين بهذا الصنيع . وهكذا فإذا ما كان الكلام على الضيف فإنّ هذا يخص موضوع الضيافة .

إن المرء يسمي الزائر الذي يأتي إلى المضيف « ضيفاً » في أغلب الأحيان دون بيانات محددة للظروف التي قدم فيها ، وعمّا إذا كان فقيراً أم غنياً ، أو حول أي شخص يتعلق الأمر .

وقد يذكر الشعراء التسميات الأقرب للضيوف مثل الطارق والساري والنزيل . ويستطيع الباحث أن يزعم أنّ هذه التسميات تستخدم مرادفة لكلمة الضيف ، وسنشير إلى شواهد استعملت فيها هذه التسميات بمعنى كلمة الضيف ، ولكن بالاستناد إلى قدمه ، كقول عمرو بن كلثوم : « نزلتم منزل الأضياف منا »^(٦٠) ، وقول عامر بن الطفيل « من ينزل به مثل ضيفنا »^(٦١) ، وقول الأعشى الكبير : « ولا نلعن الأضياف إن نزلوا بنا »^(٦٢) ، وقول غرّبال الحنفي : « ألا ربّ ضيف طارق قد قرّيته »^(٦٣) ، وقول الأشعر الرقبان هاجياً^(٦٤) :

وقد علم الضيف الطارقون بأنك للضيف جوعٌ وقُرٌّ^(٦٥)

هذا ويرتبط ذكر الطارق والساري كثيراً بالوسائل التي تدل الضيوف على طريق الأجواد . يشير عُتبة بن بُجير الحارثي إلى « سارٍ أضافته الكلابُ النوايح »^(٦٦) ، ويذكر حاتم الطائي ناره التي « تضيء لسارٍ آخر الليل مقتر »^(٦٧) ، ويعتز السموئل بنيران قومه قائلاً : « وما أخدمت نار لنا دون

٦٠ — أمالي المرتضى ج ٣ ص ١٣٧ .

٦١ — الديوان ٤/١٠ .

٦٢ — الديوان ١٤/٨٢ .

٦٣ — الأشباه والنظائر : الخالديان ج ٢ ص ٥٨ .

٦٤ — عيون الأخبار : ابن قتيبة ج ٣ ص ٢٦٩ .

٦٥ — القر : البرد عامة .

٦٦ — شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ٢/٦٧٤ .

٦٧ — الديوان ١/١١٤ .

طارق»^(٦٨)، وعبد قيس بن حُفاف البرجمي يذكر وسيلة دعوته الضيوف، فيقول: «ونار دعوت بها الطارقين»^(٦٩)، والمثقب العبدى يفتخر باستقباله المسافرين ليلاً، فيقول^(٧٠):

وسارِ تَعْنَاهُ المَيْتُ فَلَمْ يَدْعُ لَهُ طامِسُ الظلماء والليلُ مذهبا

ولأن الشعراء نادراً ما يصفون من يُنظر إليه على أنه ضيف، وأنهم يسمونه أحياناً الطارق أو الساري أو النزيل، وأنهم يطلقون على بعض المحتاجين اسم الفقراء أو السائلين، فإنه ينبغي على المرء أن يفترض أن كل غريب كان يأتي إليهم يعدّ ضيفاً.

ولا يعلم المرء من خلال الشعر اسم قبيلة الضيف ومكان قدومه وهدف سفره، ومدة بقاءه^(٧١)، ومن هو الضيف الذي يكون محبوباً أو مكروهاً، لأن آداب الضيافة تقتضي عدم مضايقته بالأسئلة، ولأن المضيف الجواد لم يكن فضولياً^(٧٢)، فقد كان يهتم فقط بتلبية احتياجات ضيفه، يقول حاتم الطائي: «لم أقعد إليه أسأله»^(٧٣)، وإن كان لا بد من الأسئلة فإنما توجه إليه بعد تقديم الطعام، وهذا ما يؤكد حاتم الطائي أيضاً بقوله: «وإني لأقري الضيف قبل سؤاله»^(٧٤).

ويستنتج من وصف الظروف المرافقة لجميء الضيوف في أغلب الأحيان أنهم يأتون في الأوقات القاسية، ولا سيما في الشتاء. فهذا امرؤ القيس يمدح قوماً لأنهم «كرامٌ إذا الضيف عند الشتاء»^(٧٥)، ومُعَيَّة بن الحُمام يعنى «حيا الأضياف في كل شتوة»^(٧٦)، ويبدو أن هؤلاء

٦٨ — الديوان ص ١٧.

٦٩ — شعر تميم ٩/١٤٦.

٧٠ — الديوان ١/٤.

٧١ — لا يستنتج من الشعر عما إذا كان هناك عدد معين من الأيام للضيافة. وتشير الروايات والأخبار إلى أن مدة الإقامة الحبية ثلاثة أيام فقط. انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي ج ٥ ص ٦٨. كذلك فإن العرف لدى الأغريق القدامى والرومانيين والجرمانيين يحدد حق الضيافة بثلاثة أيام غالباً. انظر: Weinhold, K. Altnordisches Leben, S.307. Schmidt, L.: Die Ethik des alten

Griechen, S.336. Mommsen, Th: Römische Forschungen, Bd. 1S. 330.

٧٢ — إن سؤال الضيوف لدى الجرمانيين كان مألوفاً، وكان المرء في ضيافة العهود القديمة كلها يسأل أولاً عن اسم القادم والعلاقات الأخرى. انظر:

Weinhold, K.: Altnordisches Leben S.311.

٧٣ — الديوان ٦/١١٩.

٧٤ — الديوان ٢/٤٢.

٧٥ — الديوان ٢٠/٥٤.

٧٦ — معجم الشعراء: المرزباني ص ٤٤٣.

الضيوف مميّزون بحيث إنهم سُموا بضيوف الشتاء، كقول عبد قيس بن خُفاف: «إلى ملق بضيوف الشتاء»^(٧٧)، وقول يزيد بن خُذّاق: «فتى دون أضياف الشتاء شروب»^(٧٨)، وقول أخت مقياس بن صبابة الكناني: «وفجع أضياف الشتاء بمقياس»^(٧٩).

ويدو أن كان لا يرحب بكل ضيف، فحاتم الطائي يخبرنا عن ضيف غير مرغوب فيه، اعتنى به أحد الأجواد، حيث يقول: «ليك على ملحان ضيف مُدْفَع»^(٨٠)، وإلا لما احتاج الشعراء أن يحثوا ألا يشتم الضيف من حين لآخر، أو يؤكدوا بأنهم لا يعاملون ضيوفهم معاملة سيئة، كقول السموءل^(٨١):

فلا أدفعُ الضيفَ عن رزقه لديّ إذا قيلَ لم يُرزقِ
وقول الأعشى الكبير^(٨٢):

ولا نلعنُ الأضيافَ إنْ نزلوا بنا ولا يمتنعُ الكوماءُ منا نصيرُها^(٨٣)
وقول النابغة الذبياني: (٨٤)

متى تلقَهُم لا تلقَ للبيتِ عورةً ولا الضيفَ ممنوعاً ولا الجارَ ضائعاً

وإذا ما ذكر بعض الشعراء أنه حتى الضيوف الغرباء ظفروا بالضيافة فإن الشواهد نفسها تدل في الوقت نفسه أن الضيف الغريب غير مرغوب فيه أحياناً، وأن الضيف القريب منهم أحب إليهم:

قد يسعدُ الجارُ والضيفُ الغريبُ بنا والسائلون، ونغلي ميسرَ النيب^(٨٥)

-
- ٧٧ — شعر تميم ١٠/١٤٦ .
٧٨ — الوحشيات: أبو تمام ١/٣٦٦ .
٧٩ — الحماسة الشجرية ص ١٥٢ .
٨٠ — الديوان ٧١/٥٦، طبعه شولتس .
٨١ — الديوان ص ٢٦ .
٨٢ — الديوان ١٤/٨٢ .
٨٣ — الكوماء: الناقة الضخمة .
٨٤ — الديوان ٤/٣١ .
٨٥ — ديوان سلامة بن جندل: الذيل ٩/٥، ونغلي: نشري بضمن غال. الميسر: اللعب بالقдах. النيب: التوق المسنة .

و:

يَا تَضَلُّ لِلضَيْفِ الْغَرِيبِ وَلِلـ جَارِ الْمُضِيمِ وَحَامِلِ الْغَرَمِ^(٨٦)

و:

لَنَا نَعْمٌ لَا يَعْتَرِي الذَّمُّ أَهْلَهُ تُعَقِّرُ لِلضَيْفِ الْغَرِيبِ وَتُحَلِّبُ^(٨٧)

و:

وَلَا يَسْأَلُ الضَّيْفَ الْغَرِيبَ إِذَا شَتَا بِمَا 'أَوْغَلْتَ قَدْرِي إِذَا هُوَ وَدَعَا'^(٨٨)

إن ما يتوقعه الضيوف من مضيفهم ليس أكثر من احتياجات انسان مسافر بعد رحلة طويلة في الصحراء، أي احتياجات الحياة الرئيسة كالطعام والمأوى والحماية^(٨٩). ويذكر في الدرجة الأولى أن الضيف ينتظر طعاماً وشراباً، لذا كان تزويد الضيف بهما ينبوع المجد في المجتمع البدوي العربي، وكان الناس يحمون أنفسهم من الجوع من خلال الضيافة، لأنه لم تكن هناك مطاعم أو استراحات^(٩٠).

إن الشواهد التي ارتبط فيها ذكر الضيف بالشراب والطعام غريزة، كقول الحارث بن حلزة: «فاصبب لأضيافك ألبانها»^(٩١)، وقول حاتم الطائي: «فلوميني إذا لم أقر ضيفي»^(٩٢)، وقوله^(٩٣):

٨٦ — الجميع الأسدي: المفضليات ١٢/١٠٩. والمضيم: المظلوم، وحامل الغرم: من تحمل حمالة من دية وغرها.

٨٧ — الأعشى الكبير: الديوان ٢٢/٣٠. والنعم: الإبل. وعقر الناقة: ذبحها أو قطع قوائمها بالسيف.

٨٨ — مالك بن الحارث: الوحشيات لأبي تمام ١/٤٢٩.

٨٩ — هذه الحاجات الثلاث قدمت لضيوف الرومانيين القدماء، وهي طعام الضيف والمبيت ولوازم الحمام.

انظر Mommsen, Th.: Römische Forschungen Bd. I: S. 343 وشييه بهذا حسب الأنظمة الأساسية

للمطاعم المحلية الاغريقية فإن الضيف لا يمنح أكثر من مأوى وفرش وطاولة وسجادة ومصباح وخشب ونخل وزيت. انظر: المصدر نفسه ص ٣٤٥.

٩٠ — كانت المطاعم سبباً في الإقلاص عن الضيافة نحو الغرباء، وهذه الضيافة لم تبق بعد نشوء المطاعم في

العهود القديمة واجباً وفضيلة. انظر: Von Ihering, R.: Die Gastfreundschaft... S.397

٩١ — الديوان ١٠/٧.

٩٢ — الديوان ٧/٧.

٩٣ — المصدر نفسه ٩/٤٥.

ألم تعلمي أنني إذا الضيفُ نابني وعزَّ القرى أقرى السديفُ المُسرَّهَدا (٩٤)
وقول لبيد بن ربيعة (٩٥) :

إذا ماذرها لم يقر ضيفاً ضمنَّ له قرأه من الشحوم (٩٦)
لقد كان الإنسان الذي لا ينهض بتحقيق ما ينتظره الضيوف من تقديم الطعام والشراب
مدعاة لهجاء الشعراء وسخرتهم (٩٧) . كقول الأسود بن يعفر (٩٨) :

بييت الضيفُ عند بني نجيح خميص البطن ليس له طعام
يهونُ عليهم أن يحرموه إذا جلبوا لقاخهم وناموا (٩٩)
وقول بشر بن أبي خازم (١٠٠) :

ألا أتبلغ بني لأم رُسولاً فيئسَ محل راحلة الغريب (١٠١)
لضيفٍ قد أَلَمَ بها عشاءٌ على الحسَفِ المُبينِ والجُدوبِ (١٠٢)
وقول أكتم بن صيفي الرياحي (١٠٣) :

إنَّ الطَّعامَ كان عيشَ الإنسان
أَهْلَكْتَنِي بِالْحَبْسِ بَعْدَ الْحِرْمَانِ
مِنْ بَيْنِ عَارِ جَائِعٍ وَعَطَشَانِ
وَذَاكَ مَنْ شَرَّ جِئَاءِ الضَّيْفَانِ

وقول يزيد بن تحداق (١٠٤) :

- ٩٤ — ناب : نزل . والسديف : لحم السنام . والمسرَّه : السمين الممتلئ .
٩٥ — الديوان ١٧/١٣ .
٩٦ — درها : لبنها .
٩٧ — كان يوجه أقسى اللوم أيضاً لدى الشعوب الجرمانية إذا كان المرء مع ضيوفه بخيلاً . انظر

Weinhold, k.: Altnordisches Leben. S.303

- ٩٨ — الديوان ٢/٥٧ .
٩٩ — اللقاح : ذوات الألبان من النوق .
١٠٠ — الديوان ٧/٤ — ٨ .
١٠١ — بنو لأم : هم رهط أوس بن حارثة بن لأم الطائي الذي يهجوهم بشر .
١٠٢ — الحسَف : الجوع .
١٠٣ — شعر نميم ٣/٢٥ — ٦ .
١٠٤ — الوحشيات : أبو تمام ١/٣٦٦ .

تَبَتْ عَيْنُهَا عَنِّي سَفَاهاً وَرَاقَهَا فَتَى دُونَ أَضْيَافِ الشِّتَاءِ شَرِبْتُ
ومن هذا المنطلق يسارع عمرو بن كلثوم إلى إعلان أنَّ قومه يسارعون في تقديم الطعام
قائلاً (١٠٥):

نزلتم منزل الأضيافِ منا فعجلنا القرى أن تشتمونا
ويتمنى عامر بن مالك أن يلعن الله الذين لا يسرون طعام الضيف قائلاً (١٠٦):

لحاً الله أنا أننا عن الضيف بالقرى وألأمننا عن عرض والده ذباً (١٠٧)
ولا يعدُّ رفض الطعام فضيحة فقط، وإنما التأخر بتقديمه، لأنَّ حقَّ الضيف أن يحصل على
الطعام مباشرة (١٠٨):

أى لكم أن النفوس أذلَّة وأن القرى عن واجب الضيف عاتمة (١٠٩)

أما الحاجة الثانية فهي المبيت، ذلك أن الزوار يأتون غالباً في الليل، وهذا يعني أنهم
ينتظرون إلى جانب تقديم الطعام مكاناً للنوم أيضاً (١١٠). عتي بن مالك يشير إلى «أضياف ليل
يَبْتُوا لِنَزُولِ» (١١١)، وعروة بن الورد ينوّه بضيوفه الذين يأتون ليلاً بقوله: «يريح علي الليل أضياف
ماجد» (١١٢)، وضمرة بن ضمرة النهشلي يذكر مسافراً قصده للمبيت بقوله: «وطارق ليل كنت
حمم مبيته» (١١٣)، وحاتم الطائي يشير إلى سروره لتقديم المبيت لضيف هدته الكلاب،
بقوله: (١١٤):

نعم محل الضيف لو تعلمينه بليل إذا ما استشرفته النوايح (١١٥)

-
- ١٠٥ — أمالي المرتضى ج ٢ ص ١٣٧.
١٠٦ — أشعار العامرين الجاهليين ١/٩٢.
١٠٧ — الذب: الدفاع.
١٠٨ — خدّاش بن زهير: أشعار العامرين الجاهليين ٤/٥٤.
١٠٩ — عاتم: متأخر.
١١٠ — وجد السائلون مأوى لهم لدى ساحات البيوت الكبرى للشعوب الشمالية الجرمانية التي وضعت بيوت
ضيافة تحت تصرفهم. انظر: Weinhold, k.: Altnordisches Leben, S.307.
١١١ — شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ١/٢٩٢.
١١٢ — الديوان ٢٧/٣.
١١٣ — شعر تميم ١٠/١٢٦. وحم مبيته: قصد مبيته.
١١٤ — الديوان ٨/٥١.
١١٥ — استشرفته: رآته.

أما حاجة الضيف الثالثة فهي الحماية، وقد ظفر الضيوف أيضاً بحماية مضيفهم الذي كان يرى أن من واجبه حماية ضيفه وماله^(١١٦). طقيل الغنوي يشير إلى «منع الضيف»^(١١٧)، وحاجز بن عوف الأسدي يتساءل «ألسنا عصمة الأضياف»^(١١٨)، وزهير بن جَنَاب يرى أنه «لا يمنع الضيف إلا ما جد بطل»^(١١٩)، أما مسافر العجلى فيمدح رجلاً يؤمن بحماية ضيوفه قائلاً: «ويهو ذراه الضيف في السنة المحل»^(١٢٠).

ويصف الشعراء أحياناً معاملة الأجواد لضيوفهم، إنهم يكرمون ضيوفهم ويحترمونهم ويرحبون بهم، كقول ذي الإصْبَع العدواني: «أكرم الضيف والنزيل»^(١٢١)، وقول الأعشى الكبير: «ألسنا المقتفين بمن أتاننا»^(١٢٢)، كما أن تقديم الهدايا كان مألوفاً^(١٢٣)، وعُدَّ سبباً لنيل المجد والشرف، وهذا عنترة بن شداد يشير إلى «رفد الضيف»^(١٢٤)، وليبد بن ربيعة يمدح رجلاً جواداً «تري رفده للضيف ملآن مترعا»^(١٢٥)، وأكثم بن صيفي الرياحي ينوه بـ «حباء الضيفان»^(١٢٦)، والأعشى

١١٦ — ضمن اليونانيون القدماء والرومانيون حماية الضيف أيضاً. يقول Schmidt، يظهر الإخلال بحق الضيف بصفة عامة على أنه أقصى تجنحة يمكن أن تحدث على الإطلاق. انظر: Schmidt, Die Ethik des alten Griechen, S. 327 ولدى الرومانيين لم يكن الاهتمام بواجب الضيف والصدقة وحقه بالحماية والمساعدة أقل من ذلك، فقد كان المضيف ملزماً أن يساعد الضيف للوصول إلى أهدافه المسموحة، دون أن يلحق الضرر به. انظر: Mommsen, Th: Römische Forschungen, Bd. 15.348 كما ينتظر الضيف اليوم في شبه الجزيرة العربية الطعام والحماية، يقول: Sowayan في كتابه: Nabati, Poetry the orel Poetry of Arabia, P. 41 «إنه من حق الضيف أن يطعم ويحمى من قبل المضيف».

- ١١٧ — أشعاره ٣١/٧.
 ١١٨ — قصائد جاهلية نادرة ص ٨٣.
 ١١٩ — الأغاني ج ١٩ ص ٢٦.
 ١٢٠ — الأشباه والنظائر: الخالديان ج ٢ ص ٢٩٣.
 ١٢١ — الحماسة الشجرية ١/٦٩.
 ١٢٢ — الديوان ١١/٧٣.
 ١٢٣ — لم يكن تقديم الهدايا للضيوف لدى الشعوب القديمة مألوفاً فقط، وإنما كان الضيف والمضيف يتبادلان الهدايا. انظر:

— Lexikon des alten Welt. S. 1027.

— Paulys Real-Encyclopädie des klassischen Altertumswissenschaft, "Hospitium". Bd. VIII, S. 2495, Stuttgart 1913.

— Von Ihering, R. Die Gastfreundschaft... S. 370.

— Weinhold, K.: Altnordisches Leben. s.308.

١٢٤ — الديوان ١/١٦.

١٢٥ — الديوان ٩/٢٥.

١٢٦ — شعر نعيم ٦/٢٥.

الكبير يوصي الضيف بقوله: «إِنَّ لَهُ حَقًّا عَلَيَّ فَأَعْطِيهِ» (١٢٧)، كما يوصي ذو الإصْبَع العَدَوَانِي أولاده بعطاء الضيف قائلاً (١٢٨):

وَابْذُلْ لِضَيْفِكَ ذَاتَ رَحْمَةٍ — لَكَ مَكْرَمًا حَتَّى يَسْزُولَا

ولكي يظهر الشعراء الاهتمام بالضيوف فإنهم يطلقون على الأجواد الذين يطعمون ضيوفهم، ويعاملونهم معاملة كريمة اسم «أبي الأضياف». أبو دواد الإيادي يشير إلى «أبي الأضياف» في السنة الجماد (١٢٩)، ودريد بن الصمة يذكر «أبا ضيف» (١٣٠)، أما جابر بن حَبَاب فينسب هذا الاسم إليه قائلاً (١٣١):

وما وَجَدَ الْأَضْيَافُ فِيمَا يَنْوِيهِمْ — لَهُمْ عِنْدَ عِلَّاتِ الزَّمَانِ أَبًا مِثْلِي

ويلاحظ أَنَّ الشعراء لم يذكروا صراحة أنهم كانوا ضيوفاً على مائدة أحد الأجواد، إلا الأعشى الكبير في قوله يمدح أحدهم: (١٣٢)

وَأَبْيَضَ كَالسَّيْفِ يُعْطِي الْجَزِيلَ — بِجُودٍ وَيَغْزُو إِذَا مَا عَدِمَ
تَضَيَّفْتُ يَوْمًا عَلَى نَارِهِ — مِنْ الْجُودِ فِي مَالِهِ أُخْتُكِمَ
وقوله أيضاً يمدح حسن ضيافة أحد الأجواد، ويذكر عطاءه (١٣٣):

تَضَيَّفْتُهِ يَوْمًا فَقَرَّبَ مَقْعَدِي — وَأَصْفَدَنِي عَلَى الزَّمانَةِ قَائِداً (١٣٤)

٢ — الفقراء والسائلون:

بحث الفقراء والمحتاجون عن مأوى وطعام لدى الأجواد، وكانت مساعدتهم واجباً أخلاقياً مجده الشعراء وافتخروا به. إنَّ الباحث يميز بين مجموعتين من الفقراء، الأولى تشكل طائفة من الفقراء الذين تقدم لهم المعونة دون أن يسألوا، أما الطائفة الثانية فتتكون من الناس المحتاجين الذين يسألون المساعدة، ولذا سنطلق عليهم اسم السائلين.

١٢٧ — الديوان ٥/٦٢.

١٢٨ — الأغاني ج ٣ ص ١٠٠.

١٢٩ — شعره ٤/٢٥.

١٣٠ — الديوان ٤/٣٥.

١٣١ — شرح ديوان الحماسة: المروزي ٥/٧٥٥.

١٣٢ — الديوان ١٣/٤ — ١٤.

١٣٣ — الديوان ٨/٧.

١٣٤ — أصفدني: أعطاني. والزمانة: الضعف والمعاة.

أ — الفقراء :

١ — الفقير : لا يذكر في الشعر ما يعانيه الفقير أو ما ينقصه . وحسب تعريف أبي هلال العسكري أن الفقير هو « الذي لا يسأل »^(١٣٥) ، لذا يجوز للباحث أن يزعم أن الفقير هو الذي يعيش في عوز وعُسْر ، وأنه بسبب تواضعه وكرامته لا يسأل الآخرين . الأعشى الكبير يمدح رجلاً « يعطي الفقير »^(١٣٦) ، ويمجد آخر لأنه « أهان صالح ماله لفقيرها »^(١٣٧) ، ومن هنا فإن إهمال الفقراء يعد صفة سيئة شُهر بها الشعراء في قصائدهم الهجائية ، كقول بشر بن أبي خازم :^(١٣٨)

ذُنَابِي لَا يَفُونُ بَعْدَ جَارٍ وَلَيْسُوا يَنْعَشُونَ لَهُمْ فَقِيرًا^(١٣٩)

٢ — المرملة : يسمى الشعراء النقص الذي يفتقده المرملة على أنه نفاذ الزاد . سنان بن أبي حارثة يقدم زاده لقوم « أرملاوا الزاد »^(١٤٠) ، ويعقر السُّلَيْك بن السُّلَيْك مطيته « إذا أرملاوا زاداً »^(١٤١) .

ولا يذكر عادة من هو المرملة أو ما يحتاجه من مساعدة ، فالشعراء يشيرون إلى عناية الأجواد العامة بالمرملين ، وهكذا فقد كان والد لبيد بن ربيعة « غياث المرملة المحتاح »^(١٤٢) ، « وقد علم الضيف والمُرمِلون » حسن ضيافة ممدوح جنوب أخت عمرو ذي الكلب^(١٤٣) ، وممدوح بشر ابن أبي خازم كان « غياث المرملين »^(١٤٤) ، ويتساءل أوس بن حجر عمن « يوصي بأرملة »^(١٤٥) بعد موت أبي دليجة ، وحاتم الطائي يشير إلى المحتاجين الذين حظوا بضيافته ومن بينهم ، « أرملة تُرجي مع الليل أرملاً »^(١٤٦) .

ويذكر الشعراء أحياناً الظروف المرافقة للعناية بالمرملين والمرملات كالشتاء وسيطرة الجذب والعسر ، لينبهوا إلى جودهم الذي لا يعرف حداً . الأفوه الأودي يمدح أحد الأجواد الذي « كان

١٣٥ — الفروق اللغوية : أبو هلال العسكري ص ١٤٥ ، القاهرة ١٣٥٣ .

١٣٦ — الديوان ٣٥/١٢ .

١٣٧ — الديوان ٣٥/٣ .

١٣٨ — الديوان ٤/١٧ .

١٣٩ — الذناني : الأتباع . النعش : الرضع ، ونعشت فلاناً إذا تداركته رجبرته بعد فقر .

١٤٠ — المفضليات : ٦/١٠١ .

١٤١ — شعر تميم ١/١١٢ .

١٤٢ — لبيد بن ربيعة : الديوان ١٥/٥٣ .

١٤٣ — ديوان المهذلين ج ٣ ص ١٢٢ .

١٤٤ — الديوان ٢٠/٤٦ .

١٤٥ — الديوان ٧/٤٠ . والأرملة : المرأة التي فقدت زوجها أو المرأة المحتاجة الفقيرة .

١٤٦ — الديوان ١/٨٧ .

يشتو والأرامل حوله» (١٤٧)، وليد بن ربيعة يرى أن قومه ربيع للمجاور «المرملات إذا تطاول عامها» (١٤٨).

٣ — سمي بعض الفقراء والمحتاجين بسبب حالتهم الظاهرية، وأشار إلى عناية عامة بهم من قبل الأجواد، ومنهم الأشعث، كقول طرفة بن العبد: «وياوي إلينا الأشعث المتجرف» (١٤٩)، وقول أوس بن حجر: «أم مَنْ لأشعث ذي طمرين طملال» (١٥٠). وبنو غبراء الذين بسبب فقرهم يتخذون الأرض بساطاً لهم، كقول طرفة بن العبد: «رأيت بني غبراء لا يتكروني» (١٥١)، والبائس، وهو الفقير الذي سمي بالبائس «لظهور أثر البؤس عليه بمد يده للمسألة، وهو على جهة المبالغة في الوصف له بالفقر» (١٥٢). طرفة بن العبد يمدح قوماً «يفشاهم البائس المدقع» (١٥٣) وزهير بن أبي سلمى يمدح رجلاً كان «مأوى البائس البطن» (١٥٤).

٤ — وترد تسميات أخرى في الشعر تدل على الفقراء، وهي:

أ — الضريك: كقول زهير بن أبي سلمى يشيد بمدوحه بأنه «حذب على المولى الضريك» (١٥٥)، وقول المهلهل بن ربيعة متسائلاً: «أم من يرد على الضريك» (١٥٦) بعد موت أخيه.

ب — العائل: كقول يزيد بن مخرم: «كم ... عائل جبرت» (١٥٧).

ج — العديم: كقول أبي قيس صيفي بن الأسلت يوصي ابنه: «فلا تحرم فواضلك العديما» (١٥٨).

-
- ١٤٧ — الديوان ص ١٩.
١٤٨ — الديوان ٨٧/٤٨. والمرملات: اللواتي لا أزواج لهن.
١٤٩ — الديوان ٥/١٧. والأشعث: المتغير اللون والهيفة المائل إلى الشعثة من الجوع والهزال. والطملال: الفقير. والطمر: الثوب البالي.
١٥٠ — الديوان ٧/٤٠.
١٥١ — الديوان ٥٣/١.
١٥٢ — الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري ص ١٤٧.
١٥٣ — الديوان ١/٢١.
١٥٤ — الديوان ص ١٢٢.
١٥٥ — الديوان ص ٩٠.
١٥٦ — سمط اللآلي: أبو عبيد البكري، ص ٢٩٩، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة ٣٦ — ١٩٣٩.
١٥٧ — معجم الشعراء: المرزباني ص ٤٨٠.
١٥٨ — الديوان ص ٨٨.

- د — القرضوب : كقول سلامة بن جندل يمدح رجلاً بأنه « مأوى كل قرضوب »^(١٥٩) .
- هـ — المقتر : كقول لبيد بن ربيعة يشيد بجود ممدوحه بأنه « مأوى مقتر »^(١٦٠) وقوله مفتخراً بأبيه بأنه « ربيع المقترين »^(١٦١) . أما ممدوح عمرو بن كلثوم فكان « غياث المقترين »^(١٦٢) .
- و — وينظر إلى الفقراء الذين يعانون الجوع على أنهم محتاجون وقد أطلقت عليهم تسميات خاصة ، من مثل :
- الجائع : كقول خالد بن جعفر : « ومن يأتيه من جائع البطن يشبع »^(١٦٣) ، وقول أوس بن حجر : « ليطعم جائع »^(١٦٤) .
- المُعصَّب : كقول قيس بن الخطيم : « مأوى لكل مُعصَّب مسواف »^(١٦٥) ، وقول بشر بن أبي خازم « وثمال كل معصب »^(١٦٦) ، وقول عبيد بن الأبرص : « لمُعصَّبٍ ولبائسٍ ولعاني »^(١٦٧) .
- ب — السائلون :

أطلق على الذين يسألون المساعدة والمعونة في الشعر الجاهلي التسميات الآتية :

- ١ — السائل : لم يذكر مطلقاً ماذا يرجو السائل ، ويبدو أنه يأمل معونة عامة . حاتم الطائي يفخر بجوده ، فيقول : « وإني لأعطي سائلي »^(١٦٨) ، وعسرو بن الإطنابة يفخر بقومه « الباذلين عطاءهم للسائل »^(١٦٩) ، وزهير بن أبي سلمى يشير إلى السائلين الذين سلكوا الطرق إلى أبواب ممدوحه قائلاً :^(١٧٠)

-
- ١٥٩ — الديوان ٢٤/١ .
- ١٦٠ — الديوان ١/٢١ .
- ١٦١ — الديوان ٩/٨ .
- ١٦٢ — الديوان ٣/٢٨ .
- ١٦٣ — أشعار العامرين الجاهليين ٣/٩٠ .
- ١٦٤ — أشعاره ١٣/١٨ ط . غير : Gedichte und Fragmente des Aus ibn Haġar, ed. R. Geyer, SBWA, Bd. 126/13, Wien 1892.

- ١٦٥ — الديوان ٣/١٦ .
- ١٦٦ — الديوان ١٨/٧ .
- ١٦٧ — الديوان ٤/٥٠ .
- ١٦٨ — الديوان ٨/٤٢ .
- ١٦٩ — معجم الشعراء ص ٩ .
- ١٧٠ — الديوان ص ٤٩ .

قد جعل المبتغون الخير في هرم والسائلون إلى أبوابه طرقاً

ومن المؤلف أن يذكر الشعراء اسم الفاعل «سائل»، أما الفعل سأل فكان استخدامه قليلاً، وقد ارتبط بكلمتي «الخير» و «المعروف» كقول عبيد بن العرنس، وهو يمدح قوماً: «إن يسألوا الخير يعطوه»^(١٧١) وقول الأعشى الكبير يمدح رجلاً: «سئل المعروف»^(١٧٢). وقد أطلق على العطاء المرجو اسم المال في قول الأعشى الكبير: «وإن يسألوا ماله لا يضمن»^(١٧٣).

٢ — العافي أو المعتفي: يبدو أن هناك فرقاً بين العافي والسائل، لأن ذكر الهدايا النفيسة يرتبط بالعافي كالإبل الثمينة والطعام الفاخر، لذلك يستطيع الباحث القول: إن السائل هو الذي يرضى بأي عطاء قليل، أما العافي فعلى العكس من ذلك، إنه ينتمي إلى محد نبيل، وهذا عدي بن وداع ينادي «لعافيم بناحزة الحقاق»^(١٧٤)، وعبد الله بن سليم الأزدي يفخر بقومه، ويذكر أنهم «الباذلون رقاب ما لهم لعفاتهم»^(١٧٥)، وبشر بن أبي خازم يبرز جود ممدوحه فهو «المفيد المال التلاذ لمن يعفوه»^(١٧٦).

وقد يرد ذكر العافي بالارتباط مع الطعام والشراب، فممدوحو زهير بن مسعود «يحمد العافي قراهم»^(١٧٧)، وممدوحو الأسعر الجعفي «يشبع من عفاهم»^(١٧٨)، وممدوح الأعشى الكبير «يروي العفاة»^(١٧٩). أما عروة بن الورد فيفخر بإشراكه العافي في إنائه قائلاً^(١٨٠):

إنسي امرؤ عافي إنائي شركة وأنت امرؤ عافي إنائك واحد

٣ — الخابط والمختبط: الخابط يمكن ألا يكون سائلاً عادياً، وإنما سائلاً غريباً يلتمس المساعدة على غير قصد من رجل كريم. إن سائلاً عادياً لا ينتظر أن يحصل على هدايا ثمينة كالإبل والجياد.

١٧١ — الحماسة البصرية ج ١ ص ١٥١.

١٧٢ — الديوان ٣٦/٥٥.

١٧٣ — الديوان ٣٦/٢.

١٧٤ — قصائد جاهلية نادرة ص ٦١. والناحزة: هنا الناقة النشيطة المندفعة. والحقاق: الإبل ذات الثلاث سنوات ودخلت في الرابعة.

١٧٥ — المصدر السابق ص ٢٠٣. ورقاب المال: خياره. والعفاة: طالبو المعروف.

١٧٦ — الديوان ١٦/٣٦.

١٧٧ — قصائد جاهلية نادرة ص ٩٤.

١٧٨ — سمط اللآلي: البكري ص ٩٦٠.

١٧٩ — الديوان ١٤/٥.

١٨٠ — الديوان ١/١١.

والظاهر أنَّ الاستعداد لمساعدة الخابط أكبر من مساعدة السائل العادي أيضاً. متصور بن مسجاح لم يقدم اعتذاره لمخطب جاءه بقوله: «فما اعتذرت لبلي عليه ولا نفسي»^(١٨١)، وعمرو بن قميئة يفتخر بهديته الثمينة له بقوله: «وأجرد مَيَّاح وَهَبْتُ بِسَرِّجِهِ لِمَخْطَبٍ»^(١٨٢).

وإذا ذكر ليبد بن ربيعة «المختبطات» على أنها مجموعة التمسست المساعدة من النعمان بن المنذر، فإن الأمر لا يتعلق بأي مجموعة كانت، وإنما بمجموعة نبيلة يمكن أن تكون في مستوى رفيع واحد مع الندمان^(١٨٣):

لَيْسَ عَلَى النُّعْمَانِ شَرْبٌ وَقَيْنَةٌ وَمُخْتَطَبَاتٌ كَالسَّعَالِي أَرَامِلُ

٤ — وقد استعمل الشعراء بعض تسميات تشير إلى السائلين الذين يحصلون على معروف عام أو نعمة، ولكن ورودها كان قليلاً بالقياس إلى التسميات السابقة، ومن هذه التسميات:

أ — الباغي: كقول عبد الله بن سليم الغامدي يصف سائلاً بأنه «باغي نعمة»^(١٨٤)، وقول زهير ابن أبي سلمى مسمى المحتاجين بأنهم «المبتغون الخير»^(١٨٥).

ب — الجادي والمجتدي: وهاتان تسميتان تأتيان بالارتباط مع الطعام. المرقش الأكبر يذكر قومه بأنهم «جديرون أن لا يحبسوا مجتديهم للحم»^(١٨٦)، وسنان بن أبي حارثة يفخر بأنه أطعم زاده «أهل المحلة من جار ومن جاد»^(١٨٧).

٣ — الأرامل واليتامى:

اهتم الإنسان بالأرامل واليتامى الذين كونوا مجموعة نموذجية، يرد ذكرها لدى أغلب الحضارات والديانات على أنها مجموعة خاصة تحتاج إلى المعونة^(١٨٨). وسمي نوع المساعدة على أنها رعاية عامة أو طعام. الأسود بن يعفر يمدح رجلاً، ويذكر جفنته التي يسرها «ليتامى أو

١٨١ — شرح ديوان الحماسة: المروزي ١/٧٣٥.

١٨٢ — الديوان ٣/٨. والأجرد: الفرس القصير الشعر الرقيقة، والميَّاح: المتبخر المتمايل.

١٨٣ — الديوان ١٢/٣٦.

١٨٤ — قصائد جاهلية نادرة ص ٢٠٧.

١٨٥ — الديوان ص ٤٩.

١٨٦ — المفضليات ١٣/٥٠.

١٨٧ — المفضليات ٤/١٠١. والجادي: المجتدي الذي يطلب الجدا، وهو العطية.

١٨٨ — جمع العبرانيين مراراً بين الأرامل واليتامى بجانب الضيف. انظر: Reallexikon für Antike und

Christentum, Bd. VIII, S. 1068. ويحث القرآن الكريم في أماكن مختلفة أن يعامل المرء الأرامل معاملة

حسنة. انظر القرآن الكريم ١٧٧/٢، ٨/٤، ١٠، ٣٦، ١٢٧.

لأرملة» (١٨٩)، والأعشى الكبير يشير إلى ممدوحه بأنه «غيث الأرامل والأيتام كلهم» (١٩٠)، والمهلhel بن ربيعة يتساءل «من للأرامل واليتامى» (١٩١) بعد موت أخيه.

ويذكر الشعراء بعبارات محددة مكررة العناية باليتامى الذين يحتاجون إلى الأمن والحماية والسماحة والمعروف. النابغة الذبياني يذكر فضل النعمان بن المنذر بقوله: «وكنيت ربيعاً لليتامى وعصمة» (١٩٢)، وليبد بن ربيعة يفخر بسماحة أبيه بقوله: «وجدت أبي ربيعاً لليتامى» (١٩٣)، وزهير بن أبي سلمى يشير إلى ممدوح «ثمال اليتامى في السنين محمد» (١٩٤)، وسلمة بن مالك ينوه بفضله ممدوحه بأنه «ماوى اليتامى» (١٩٥).

ويصور الشعراء الأرملة التي تقع في الفقر والعسر كالأعشى الكبير الذي يفتخر بقومه الذين يعتنون بالأرامل قائلاً (١٩٦):

وَأَرْمَلَةٌ تَسْعَى بِشُعْثِ كَأَنهَا وَإِيَّاهُمْ رِبْدَاءُ حَثَّتْ رِثَالُهَا (١٩٧)
هَنَأْنَا وَلَمْ نَمُنْ عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ رَحِيَّةً بِالِ قَدْ أَزْحَنَّا هَزَالُهَا (١٩٨)
أما طرفة بن العبد فيشيد برعاية أحد الأجواد للأرامل قائلاً (١٩٩):

أَنِّي حَمَدْتُكَ لِلْعَشِيرَةِ إِذْ جَاءَتْ إِلَيْكَ مُرْقَةُ الْعَظْمِ (٢٠٠)
أَلْقُوا إِلَيْكَ بُكْلَ أَرْمَلَةٍ شَعْنَاءَ تَحْمِلُ مُنْقَعَ الْبُرْمِ (٢٠١)

-
- ١٨٩ — الديوان ٦/٤٦.
١٩٠ — الديوان ٤٦/١٣.
١٩١ — شعراء النصرانية قبل الإسلام: لويس شيخو ج ١ ص ١٧١.
١٩٢ — الديوان ٢/٥٧.
١٩٣ — الديوان ٧/٦.
١٩٤ — الديوان ص ٢٣٣.
١٩٥ — الأشباه والنظائر: الخالديان ج ٢ ص ٣٤٤.
١٩٦ — الديوان ٨/٦٠ — ٩.
١٩٧ — ربداء: أي نعامة ذات لون رمادي. وحثت: ساقط. ورثال: جمع رأل وهو فرخ النعامة.
١٩٨ — هئأنا: أطعمنا وأعطينا. وأزحنا: دفعنا وكشفنا. وهزأنا: ضعفها ونحوها.
١٩٩ — الديوان ٨/٧ — ٩.
٢٠٠ — مرقعة العظم: أي مهزلة، وإذا هزلت الدابة رق عظمها.
٢٠١ — شعناء: مغبرة الرأس متغيرة بسبب الهزال. البرم: جمع برمة، وهي قدر من حجارة وكانت المرأة تحملها معها ترتفق بها، وتنفع فيها الأخبية وتبليها لتلا يتطاير.

لا يكاد يميز في الشعر عما إذا كان التعبير « الجار » يعني المجاور الغريب الذي جاء باحثاً عن حماية أحد السادة، وأخذ عهداً بالألا يتعرض إلى سوء، أو الجار الذي يسكن بجوار الآخرين، وينتمي إلى القبيلة نفسها، على الرغم من أن الباحث يستطيع أن يكون على يقين في بعض المواقع بأن الشعراء يعنون بكلمة الجار الإنسان الغريب الذي جاور السادة طلباً للحماية، ونال قسطاً من الرعاية والضيافة. طرفة بن العبد يشير إلى المحتاجين الذين يأتون إلى قومه طلباً لمساعدتهم، ومنهم « جار مجاور جنب »^(٢٠٢)، وليبد بن ربيعة يفتخر بقومه، فهم « ربيع للمجاور فيهم »^(٢٠٣) ويشير إلى الخصب الذي يرتع فيه الضيف قائلا^(٢٠٤) :

فَالضَّيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَنَّمَا هَبَطَا تِبَالَةَ مُخَصَّباً أَهْضَامَهَا^(٢٠٥)

وهكذا فإن الشعراء عندما يسوقون كلمة الجار فإنها تعني لنا المجاور الغريب لأن هذا هو المعنى الأصلي، وقد اكتسبت فيما بعد المعنى الحالي أي الذي يجاور الآخرين في المسكن. وعلى أية حال اعتنى الأجواد بالمجاورين والجيران الذين نعموا بحمايتهم وضيافتهم ووفائهم. وهذا حاجب ابن زُرارة الدارمي يشير إلى وفاء قومه وعطائهم قائلا^(٢٠٦) :

وَأَنَا إِذَا مَا خَافَ جَارٌ ظِلَامَةً لَيْسَنَا لَهُ ثَوْبِي وَفَاءٍ وَنَائِلِ

وطفيل الغنوي يعرب عن حسن استقباله لجيرانه وعدم اعتذاره بقوله^(٢٠٧) :

وَلَا أَقُولُ لْجَارِ الْبَيْتِ يَتَّبِعُنِي نَفْسٌ مَحَلُّكَ إِنَّ الْجَوَّ مَحْلُولٌ

وليبد بن ربيعة يبرز عناية أبيه بالجار قائلا^(٢٠٨) :

وَنَعَمْ مُنَاخُ الْجَارِ حَلَّ بَيْتِهِ إِذَا مَا الْكَعَابُ أَصْبَحَتْ لَمْ تُسْتَرَّ^(٢٠٩)

٢٠٢ — الديوان ١/٢١، والجنب : الغريب .

٢٠٣ — الديوان ٨٧/٤٨ .

٢٠٤ — الديوان ٧٥/٤٨ .

٢٠٥ — الجنيب : الغريب . وتبالة : واد مخصب . والأهضام : جمع هضم، وهي بطون الأودية ذات النخيل والفواكه .

٢٠٦ — شعر تميم ٣/٥٣ .

٢٠٧ — الديوان ١٢/٥ .

٢٠٨ — الديوان ١٤/٨ .

٢٠٩ — الكعاب : المرأة حين يبدو ثديها للنهود . ولم تستر : يريد أصبحت الحسناء لم تستر من الجوع والجهد لأنها تترك التعزل والخفر .

وحاتم الطائي يفتخر بعناية قومه بجاراتهم، فيقول: (٢١٠)

ولا تَطْرُقُ الجارات من بعد هَجْعَةٍ من الليل إلا بالهدية تُحْمَلُ (٢١١)

٥ — الأقرباء والأصدقاء:

أطلق على الأقرباء في الشعر الجاهلي التسميات الآتية:

ابن العم: كقول ضمرة بن ضمرة النهشلي يستنكر أن يبخل على أبناء عمه: «أأصرها وبني عمي
ساغب» (٢١٢).

العشيرة: الأعشى الكبير يمدح رجلاً بأنه «ينول العشيرة ما عنده» (٢١٣)، وحاتم الطائي يجعل نفسه
«للعشيرة جنة» (٢١٤).

الحي: أبو دواد الإيادي يفخر بقومه، ويطلب أن نسأل عن جودهم قائلاً: «فاسألوا عنا إذا الحي
شتوا» (٢١٥).

أهل قرابة، ذو رحم، ذو قرى، ذو نسب: هذه تسميات وردت في بيت شعري لأحيحة بن
الجلاح على أنهم الذين يجب أن يحترس الإنسان منهم: (٢١٦)

فلا يغترُّ بك ذو قرى وذو نسب من ابن عم ومن عم ومن خال

إن الأصدقاء الذين يعتني المرء بهم في الأزمات يأتي ذكرهم في الشعر الجاهلي قليلاً، وأطلق
عليهم التسميات الآتية:

الخل: زهير بن أبي سلمى ينوه بآثره فيذكر بذله المال «للخل المداني». (٢١٧)

الخليل: إنه لم يقرر عما إذا كانت كلمة الخليل مشتقة من الخلّة بمعنى الفقر، لأن هذه الكلمة
تعني الفقير كما تعني الصديق. عدي بن الرعلاء يفتخر بنفسه، ويذكر ثناء الآخرين عليه قائلاً:

٢١٠ — الديوان ١/٤٦.

٢١١ — هجعة: نومة خفيفة من أول الليل.

٢١٢ — شعر تميم ١/١٢٤.

٢١٣ — الديوان ٤٦/٢١.

٢١٤ — الديوان ٦/٦.

٢١٥ — التذكرة السعدية: العبيدي ص ١٦٧.

٢١٦ — العقد الفريد ج ٣ ص ٣١.

٢١٧ — الديوان ص ٣٤٧.

ولمّا ليحمدني الخليل إذا اجتدى مالي» (٢١٨) ، وزهير بن أبي سلمى يمدح هرم بن سنان ، مشيراً إلى استعداده الدائم للعطاء قائلاً (٢١٩) :

وإن أتاه خليلٌ يومَ مسألةٍ يقول لا غائبٌ مالي ولا حرمٌ (٢٢٠)

الصاحب : الأعشى الكبير يمدح أحدهم بأنه خير قومه «للضيف والصاحب والزائر» (٢٢١) ، وأربد بن قيس يفتخر بأنه ينحر الابل ، فيقول : «وعقري لأصحابي الغداة مطيتي» (٢٢٢) .

الصدّيق : أبو دؤاد الإيادي يفتخر بجوده قائلاً : وأبيح الصدّيق جاهي ومالي» (٢٢٣) وخزّاز ابن عمرو يشير إلى الهدايا الثمينة التي تقدم إلى الصدّيق ، بقوله : «تكافأ فيها الصدّيق» . (٢٢٤)

* * *

٢١٨ — معجم الشعراء : المرزباني ص ٨٦ .

٢١٩ — الديوان ص ١٥٣ .

٢٢٠ — الخليل : الفقير ذو الخلّة أو الصدّيق . والحرم : الممنوع .

٢٢١ — خزّانة الأدب : البغدادي ج ٣ ص ٤٠٢ .

٢٢٢ — أشعار العامريين الجاهليين ٤/١٢٢ .

٢٢٣ — الحماسة البصرية : ج ٢ ص ٤٣ .

٢٢٤ — شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ٢/٧٣٤ .

٢ — نوعية العطاء

يعبر عن العطاء في الشعر الجاهلي غالباً باستخدام الفعلين «أعطى» و «وهب» أو مشتقات جذريهما^(٢٢٥). وهذا الاستخدام مألوف حتى يومنا هذا. ويذكر الشعراء غالباً أن الممدوح أو المرثي يعطي الجزيل، وأن عطاءه جزل، ولكن دون تسمية نوع العطاء. حاتم الطائي يفتخر بنفسه بقوله: «أعطي الجزيل»^(٢٢٦) وممدوح الأعشى الكبير «يعطي الجزيل»^(٢٢٧) وممدوحو المتلمس الضبعي «يعطون ماسئلوا»^(٢٢٨)، وأهل الخرنق بنت بدر «إن يشربوا يهبوا»^(٢٢٩)، وممدوح أوس بن حجر «أليس بوهاب مفيد متلف»^(٢٣٠)، وينعت امرؤ القيس ممدوحه بأنه «وهاب أو هبة ... وهاب مثقلة»^(٢٣١).

وقد يذكر الشعراء نوع العطاء ليوضحوا درجة الجود قبل كل شيء. إن الصيغة الأكثر شيوعاً تتألف من القول: يعطي الجواد ماله. عمرو بن الإطنابة يفتخر بجوده فيقول: «أهين المال فيما بين قومي»^(٢٣٢)، وجابر بن حُباب يؤكد بذله قائلاً: «أهينُ لهم مالي»^(٢٣٣)، وعوف بن عطية ينوه بجوده، فيقول: «أبذل مالي»^(٢٣٤)، والأعشى الكبير يذكر أن قوماً «أهانوا ماله»^(٢٣٥)، والمرقش الأصغر ينسب الجود إليه، بقوله: «أتلف المال»^(٢٣٦)، أما أوس بن غلفاء

٢٢٥ — انظر الفصل المخصص لتعابير الجود ص ٢١١، حيث جمعنا هناك تعابير أخرى.

٢٢٦ — الديوان ١/٦١.

٢٢٧ — الديوان ١٣/٤. وانظر ديوان زهير بن أبي سلمى ص ٣٠٩.

٢٢٨ — الديوان ٣/١٢.

٢٢٩ — الديوان ٥/٤.

٢٣٠ — الديوان ٤/٤٨.

٢٣١ — الديوان ٦/٧٤.

٢٣٢ — الاختيارين ٩/١٦.

٢٣٣ — شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٧٥٥.

٢٣٤ — معجم الشعراء: المرزباني ص ١٢٥.

٢٣٥ — الديوان ١٩/٧٨.

٢٣٦ — المفضليات ٢/٥٩.

مستخرج من عاذلته، وبين عدم قيمة ما يبذله من مال قائلاً: « وإن ما أهلكت مال » (٢٣٧). ونادراً ما ترد كلمة « التلاد »، كقول حاتم الطائي: « أهن التلاد » (٢٣٨) وقول طرفة بن العبد: (٢٣٩)

وأهنت، إذ قدموا، التلادَ لهمُ وكذلك يفعلُ مُبتغي النعمِ.

أما أنواع العطاء التي قدمها الأجواد فهي تشمل الأشياء الآتية:

- ١ — الإبل والحياد.
- ٢ — القيان والإماء.
- ٣ — هدايا متنوعة.
- ٤ — الغذاء والطعام.
- ٥ — نحر الإبل.

١ — الإبل والحياد:

تعني كلمة المال في أوسع معناها « ما يملكه المرء ». ولكنها تعني في المجتمع البدوي العربي القديم عادة تملك الإبل، وقبل كل شيء كانت الإبل الثروة الحقيقية (٢٤٠)، لأنها كانت أساس حياة القبائل العربية. إنهم يشربون حليبها، ويأكلون لحمها، يضاف إلى ذلك أنها كانت أداة للركوب في الحرب والسلام (٢٤١). وهذا الأعشى الكبير يثبت أن المال يعني الإبل في الدرجة الأولى، عندما أشار إلى ناقة عنتريس أدماء، قدمها له أحد الممدوحين حين رآه: « رث الشوار قليل المال منشابا » (٢٤٢)، وليد بن ربيعة يقرر أيضاً أن المال يعني الإبل بقوله (٢٤٣):

٢٣٧ — شعرتيم ٢/٢٩.

٢٣٨ — الديوان ١٨/٤٧.

٢٣٩ — الديوان ١/٨٤.

٢٤٠ — وهذا ما أثبتته جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٥ ص ٣٣٧، قائلاً: « الإبل هي المال عند العرب، وبها كانوا يقدرون أثمان الأشياء. ويتعاملون في تجارتهم وفي أسواقهم. فالجمل عندهم هو وحدة قياسية في البيع والشراء وفي تقدير الحقوق كالديات والفدية والأرشاة ». وانظر أيضاً:

Jacob, G.: Altarabisches Beduinenleben, S.213.

٢٤١ — لذلك كانت الإبل عنصراً مهماً في حياة العرب الذين يعيشون في الصحراء. وقد أصاب بروكلمان إلى حد بعيد، حيث يقول: « يجب على المرء أن يتخيل معنى البعير للعرب، على أنه المصدر الأول والأهم لمعيشتهم، والمرافق الذي لا يتعب في رحلات البراري التي لا نهاية لها ». انظر:

Brockelmann, C.: Geschichte des arabischen Literatur. Bd. I-II, Leiden 1943-49. Bd. IS. 25-26.

٢٤٢ — الديوان ٢٤/٧٩. ورث: بال. والشوار: الهيئة الحسنة واللباس. ومنشاب: مختلط الأمر.

٢٤٣ — لبيد ٣/٢٠ — ٤.

يُحْذِي وَيُعْطِي مَالَهُ لِيُحْمَدَا أَذْمًا يُشَبِّهْنَ صُورًا أَبَدًا^(٢٤٤)

لقد كانت الإبل والخيول من أتمن الهدايا في المجتمع البدوي العربي القديم، لذلك كان تقديمها سبباً للشرف والمجد. إن الذين كانوا يهبون هذه الهدايا النفيسة كانوا في الدرجة الأولى من الملوك والسادة والنبلاء والأغنياء.

ومن الجدير بالذكر أن الشعراء ذكروا عدد الإبل المهداة، وبشكل العدد مائة العدد الأكثر شيوعاً^(٢٤٥)، وقد لا يتطابق مع الحقيقة أو لنقل: إن الشعراء ذكروا هذا العدد على أنه رمز لعدد كبير من الإبل المقدمة^(٢٤٦)، كقول الأعشى الكبير: (٢٤٧).

هو الواهبُ المائة المُصْطَفَاة كَالنَّخْلِ طَافَ بِهَا الْمُجْتَرِمُ^(٢٤٨)

على أن الشعراء يبينون أعداداً أخرى، كقول عدي بن زيد يذكر أن النعمان بن المنذر «الواهب الألف»^(٢٤٩)، وقول الأعشى الكبير مشيراً إلى أن ممدوحه «يعطي المئين»^(٢٥٠)، وقول حاتم الطائي مفتخراً بهديته التي تزيد عن مائتي بعير^(٢٥١):

فَحُذِّهَا إِنَّهَا مَائَتَا بَعِيرٍ سِوَى النَّابِ الرَّذِيَّةِ وَالْفَصِيلِ^(٢٥٢)

-
- ٢٤٤ — يحذي: يعطي. والأدم: الإبل البيض. والصور: جماعة بقر الوحش. وأبد: مستوحشة.
- ٢٤٥ — إن الشواهد التي يذكر فيها العدد مائة غزيرة. وتأتي غالباً لدى الأعشى الكبير: الديوان ٤٠/٢، ٥٠/٣، ٤٠/٤، ٥٩/٥، ٤٠/٧٦، ولدى الشعراء الآخرين يأتي هذا العدد ست مرات حسب مصادري على النحو الآتي: النابغة الذبياني: الديوان ٢٨/١، ٣/٤٦، وأوس بن حجر: الديوان ٤/١١، وبشر بن أبي خازم: الديوان ٢١/٧، والمهلهل بن ربيعة: شعراء النصرانية للويس شيخوخ ١ ص ١٦٦، وعشرة ابن شداد: ذيل الديوان ٣٩/١٨.
- ٢٤٦ — يقول الجاحظ في كتابه البخل ص ١٥٧، تحقيق محمد طه الحاجري، القاهرة ١٩٨١: «وكان أكثر ما يهب الملك من العرب مائة بعير فيقال وهب هنيئة، وإنما يقال ذلك إذا أريد بالقول غاية المدح»
- ٢٤٧ — الديوان ٤٠/٤.
- ٢٤٨ — المجترم: من جرم النخل أي جمع ثمارها.
- ٢٤٩ — الديوان ٤٠/٦. وانظر: أبحت النضر بن الحارث: شرح ديوان الحماسة: المرقوق ١/٨٠٤.
- ٢٥٠ — الديوان ٥٧/١٢.
- ٢٥١ — الديوان ٣/٩٥، وانظر زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٢٩٠، وقطن بن نهشل: شعر نهم ٥/١٨١، ومن الطريف أن العدد «ثمانين» ذكر مرة واحدة لدى الأعشى الكبير: الديوان ٢٦/٧٨.
- ٢٥٢ — الناب: الناقة المستنة. والرذية: الناقة المهزولة من السير. والفصيل: ولد الناقة إذا فصل عن أمه.

وعندما يسمّى الشعراء الهدايا على أنها إبل، فإن التعبيرين «الناقة» (٢٥٣) و «البعير» (٢٥٤) نادراً ما يذكران وحدهما. ولدى وصف الإبل المهداة فإنه يحلو للشعراء أن يبرزوها من خلال تشبيهها بشجرة النخيل، وهم يريدون الضخامة والسمنة، فالكوم الصفايا التي يهبها ممدوح الأعشى الكبير «يُشَبِّهَنَ دَوْماً أو نخيلاً مُكَمَّماً» (٢٥٥)، وهي «كالنخل زَيْنُهَا بِالرَّجَنِ» (٢٥٦) أو «كالنخل طاف بها المجترم» (٢٥٧) أو «كالجبار» (٢٥٨)، أو «كالبستان» (٢٥٩). وهذا التشبيه يأتي قليلاً لدى الشعراء الآخرين كبشر بن أبي خازم، فالإبل عنده «تُسَاقُ جميعاً مثلَ جَنَّةٍ مَلْهُمٍ» (٢٦٠)، أو «كجَنَّةٍ يَثْرِبُ» (٢٦١). وقد تشبه الناقة بالقصر كقول الأعشى الكبير مشيراً إلى ذلول «مثل القَدْنِ» (٢٦٢).

ويذكر الشعراء أنّ الرجال والأمهار والرعيان تقدم إضافة إلى الإبل، ليصوروا أن الهدية كاملة. أوس بن حجر يشير إلى «الأدم تحدى عليها الرجال» (٢٦٣)، وممدوح بشر بن أبي خازم «يُعْطِي النَّجَائِبَ بِالرَّحَالِ» (٢٦٤)، وهو: (٢٦٥)

والمَانِحُ المائَةَ الهِجَانَ بِأَسْرِهَا تَرْجِي مطافلها كَجَنَّةٍ يَشْرِبُ (٢٦٦)
والأعشى الكبير ينوه بعطاء ممدوحه، فهو (٢٦٧):

-
- ٢٥٣ — الحارث بن ظالم: المفضليات ١٧/٨٩.
٢٥٤ — حاتم الطائي: الديوان ٣/٩٥.
٢٥٥ — الديوان ٣٧/٥٥. والدوم: ضخام الشجر. ومكّم: أخرج ثماره من كملت النخلة إذا أخرجت أكمامها.
٢٥٦ — المصدر نفسه ٤٠/٢. والرجن: الإقامة بالمكان، ويقال رجن الناقة إذا حبسها لعلفها.
٢٥٧ — المصدر نفسه ٤٠/٤. والمجترم: من جرم النخل أي جمع ثمارها.
٢٥٨ — المصدر نفسه ٣٤/٢٨. والجبار: النخلة الطويلة.
٢٥٩ — المصدر نفسه ٤٦/١. والبستان: النخل.
٢٦٠ — الديوان ٣٣/٤٠. والجنة: بستان النخيل ههنا. وملهم: قرية باليمامة كثيرة النخل.
٢٦١ — المصدر نفسه ٢١/٧.
٢٦٢ — الديوان ٢٧/٧٨.
٢٦٣ — الديوان ١٠/٤.
٢٦٤ — الديوان ١٦/٣١.
٢٦٥ — المصدر نفسه ٢١/٧.
٢٦٦ — الهجان من الإبل: البيض الكرام العتاق. والمطافل: جمع مطفل، وهي الناقة معها ولدها. وجنة يثرب: يريد بساتين النخيل في يثرب.
٢٦٧ — الديوان ٢٥/٣.

الواهبُ المائَةَ الهجانَ وعبدَها عُوْذاً تُرْجِي حَلْفَها أَطْفالُها^(٢٦٨)

ويبدو أن الرجال التي كانت تجلب من الحيرة، أو اليمن تتصف بنوعية جيدة. النابغة الذبياني يذكر الأدم «مشدودة برحال الحيرة الجدد»^(٢٦٩)، و «العنس تخطر باليماني الكامل»^(٢٧٠).

ويبرز الشعراء لدى ذكر الإبل في هذا السياق المميزات الآتية:

أ — اللون ب — التوق الحبلى ج — الجسم الممتلئ
د — قوة الجسم هـ — النسب الكريم ز — صفات أخرى.

أ — اللون: إن لون الإبل رمز إلى نوعيتها، لذلك يبرز الشعراء هذا الرمز مؤكدين اللون الأبيض بذكرهم الأدم والهجان والعيس^(٢٧١) «لأن إشراق الوجه رمز وتعبير عن الطبيعة الكريمة والأصل النبيل، كما لدى الناس، وهكذا تعد الإبل ذات الألوان الفاتحة أيضاً على أنها جنس كريم خاصة»^(٢٧٢).

تأتي التسمية «الأدم» في الدرجة الأولى. النابغة الذبياني يذكر أن ممدوحه يهدي «الأدم قد خيست فتلاً مراققها»^(٢٧٣). وبخلاف الشعراء الآخرين يظهر شغف الأعشى الكبير بالأدم عندما يستخدم عبارات معتادة تقليدية، وبذلك يقدم نفسه على أنه شاعر مديح محترف، إنه يذكر «الأدم كالجبّار»^(٢٧٤)، «والأدم بين لواقح وعِشار»^(٢٧٥)، وأن النهر ليس أجود من ممدوحه

٢٦٨ — العوذ: حديثات التناج. وزجى الشيء: دفعه برفق.

٢٦٩ — الديوان ٢٩/١. والحيرة: عاصمة المناذرة وإليها تنسب الرجال.

٢٧٠ — المصدر نفسه: الديوان ٣/٥٨.

ويلاحظ أن الرجال والأمهار تذكر غالباً لدى الشعراء المداحين كالنابغة الذبياني الذي ذكر الرجال أربع مرات، الديوان ٢٩/١، ١٥/٥، ٢٠/٢٢، ٢٠/٢٧. والأعشى الكبير الذي أكثر من ذكر الأمهار في شعره: الديوان ٤٦/١، ٣/٢٥، ٤/٧٦.

٢٧١ — حول هذه التسميات انظر:

Fischer, W.: Farb-und Formenbezeichnungen in der Sprache des altarabischen Dichtung,

Wiesbaden 1965. S. 340, 343. 242-248.

٢٧٢ — المصدر السابق ص ٣٤١.

٢٧٣ — الديوان ٢٩/١. وخيست: ذلت بالركوب. والقتل: التي بانّت مراققها عن آباطلها فلا يصيبها ضاغط ولا حاز. وانظر: لبيد بن ربيعة: الديوان ٤/٢٠، وأوس بن حجر: الديوان ١٠/٤.

٢٧٤ — الديوان ٣٤/٢٨، والجبار: النخلة الطويلة.

٢٧٥ — الديوان ٢/٢٧. واللواقح: جمع اللاقحة وهي الحامل. والعشار: التي أتى على حملها عشرة أشهر.

«يَأْدَمُ الْعِشَارُ»^(٢٧٦)، وَأَنْ أَحَدَ مَمْدُوحِيهِ حَبَاهُ^(٢٧٧) :

بَعْتَرِيْسَ كَأَنَّ الْحُصَّ لِيَطَّ بِهَا أَذْمَاءَ لَا بُكْرَةَ تُدْعَى وَلَا نَابًا^(٢٧٨)

وترد التسمية «الهجان»، وتعني أساساً الإبل التي تنحدر من صنف كريم، وتستخدم على أنها الإبل ذات اللون الفاتح. الأعشى الكبير يشيد بممدوحه بأنه «الواهب المائة الهجان وعبدها»^(٢٧٩)، وبشر بن أبي خازم يشير إلى عطاء ممدوحه «للكوم الهجان بأسرها»^(٢٨٠).

ويأتي الشعراء على ذكر «العيس»، وهي الإبل ذات اللون الأشقر المائل إلى البياض، وهذا النابغة الذبياني يصف عطاياا النعمان بن الحارث الغساني، ومنها «العيس العتاق كأنها هجان المها»^(٢٨١)

هذا وقلما يأتي ذكر لون آخر للإبل في هذا السياق، لأن الإبل ذات اللون الفاتح تعد جنساً كريماً خاصة. إن اللون الأصفر والأحمر يردان ولكن بقلّة، بحيث إنني لم أعثر حسب مصادري إلا على قول الأعشى الكبير يذكر فيه أن ركابه التي قدمها ممدوحه «هُنَّ صَفَرٌ أَوْلَادُهَا كَالزَّيْبِ»^(٢٨٢)، وَأَنَّ أَحَدَ مَمْدُوحِيهِ مَتَّعَهُ «بَعْتَرِيْسَ كَأَنَّ الْحُصَّ لِيَطَّ بِهَا»^(٢٨٣)، وقول المهلهل ابن ربيعة يرثي أخاه^(٢٨٤)، فهو :

النَّاحِرُ الْكُومَ مَا يَنْفَكُ يُطْعِمُهَا وَالْوَاهِبُ الْمَسَّةَ الْحَمْرَا بِرَاعِيهَا

ب — النوق الحبلي: يحلو للشعراء أن يذكروا النوق الحبلي على أنها هدايا ثمينة، مستخدمين تسميات كاللواقح والمخاض والعشار والشول. فممدوح الأعشى الكبير يهب «الأدم بين لواقح وعشار»^(٢٨٥)، وممدوح عمرو بن قميئة «يهب المخاض... وعشارها بعد المخاض»^(٢٨٦)، وفضالة

٢٧٦ — الديوان ٥٨/٥.

٢٧٧ — الديوان ٢٦/٧٩.

٢٧٨ — العتريس: الناقة الصلبة الضخمة الوثيقة. الحص: الورس أو الزعفران وهو أصفر. ليط: الصق.

البكرة: الناقة الصغيرة. الناب: الناقة المسنة.

٢٧٩ — الديوان ٢٥/٣.

٢٨٠ — الديوان ٣٣/٤٠. والكوم: جمع كوماء، وهي الناقة العظيمة السنام.

٢٨١ — الديوان ٢٠/٢٢. والمها: بقر الوحش.

٢٨٢ — الديوان ١٨/٦٨.

٢٨٣ — الديوان ٢٦/٧٩.

٢٨٤ — شعراء النصرانية قبل الإسلام: لويس شيخو ج ١ ص ١٦٦.

٢٨٥ — الديوان ٢/٣٧. والعشار: من الإبل هي التي أتى على حملها عشرة أشهر.

٢٨٦ — الديوان ١٦/١٠ — ١٧. والمخاض: الحوامل التي قد عظمت بطونها ودنت من الولادة.

ابن كلدة كان يحب الخليل « بالشَّوْل في الفلق العاشب » (٢٨٧) ، ومدوحو أمية بن أبي الصلت : (٢٨٨)

وَهَبُ المِثْنِ مِنَ المِثْنِ — من إلى المِثْنِ مِنَ اللواقح
وممدوحو زهير بن أبي سلمى : (٢٨٩)

إذا انهبوا نهياً يكون عطاءه صفايا المخاض والعِشارُ المطافلُ (٢٩٠)
ج — الجسم الممتلئ : ترد التسميات الآتية ليلفت الشعراء النظر إلى الإبل النفيسة السمينه :

١ — المعكاء : وهي الإبل الغلاظ السمان ، كما في قول أوس بن حجر (٢٩١) :
والواهبُ المائة المعكاء يشفعُها يومَ النضالِ بأخرى غيرَ مجهودِ (٢٩٢)

وقول النابغة الذبياني (٢٩٣) :

الواهبُ المائة المعكاء زينها سعدانُ توضحُ في أوبارها اللبدُ (٢٩٤)
٢ — الكوماء : وهي ناقة ضخمة السنام . ممدوح بشر بن أبي خازم « المهينُ الكومَ الجلاذ » (٢٩٥) ، وممدوح الأعشى الكبير « الواهب الكومَ الصفايا لجاره » (٢٩٦) .
٣ — الجِلَّة : وهي العظام الكبار من الإبل ، وقيل المسان منها . ممدوح النابغة الذبياني متعه « بجلة

-
- ٢٨٧ — أوس بن حجر : الديوان ١٠/٤ . والشَّوْل : مفردا الشائلة ، وهي التي أقي عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها . والفلق : المطمئن من الأرض ، وهو موضع الكلاء .
٢٨٨ — الديوان ١٩/٨ .
٢٨٩ — الديوان ص ٢٩٨ .
٢٩٠ — النهب : الغنيمة . والصفايا : جمع صفي وهي الناقة الكثيرة اللبن . والمطافل : جمع مطلق ، وهي الناقة معها ولدها .
٢٩١ — الديوان ٤/١١ .
٢٩٢ — النضال : المحاربة بالسهام .
٢٩٣ — الديوان ٢٨/١ .
٢٩٤ — السعدان : نبت من أنجح ما ترعاه الإبل . وتوضح : موضع . وفي أوبارها اللبد : يريد أنها إبل سائمة مهملة في المرمى ، لا تستعمل ظهورها ، فأوبارها مطلوبة لذلك .
٢٩٥ — الديوان ١٥/٣٦ . والجلاذ من الإبل : الغزيرات اللبن .
٢٩٦ — الديوان ٣٧/٥٥ .

مائة ليست بأبكار» (٢٩٧) ، ومدوح الأعشى الكبير (٢٩٨) :

يهب الجِلَّةَ الجراجِرَ كالسُّبُحِ ثَنان تحنو لدرِّقِ أطفال (٢٩٩)

د — قوة الجسم: ترد تسميات وصفات يريد الشعراء منها وصف الإبل بالقوة والجلد، كالعتريس والعنس. ومدوح الأعشى الكبير حباه «يعتريس كأنَّ الحَصَّ ليطبها» (٣٠٠) ، ومدوح النابغة الذبياني يعطي «العَنَسَ تُخطر باليماني الكامل» (٣٠١) ، ولبيد بن ربيعة ينادي «أوهب الناس لعنس صلبه» (٣٠٢) .

ه — الأصل الكريم: يحتفظ العرب بأنساب خيلهم وإبلهم. وهذا ما أكَّده الشعراء عندما أشاروا إلى الأصل الكريم للإبل والخيول تلك التي يهبها الأجواد، فمدوح الأعشى الكبير «يهب النجبية» (٣٠٣) ، ومدوح بشر بن أبي خازم «يعطي النجائب» (٣٠٤) .

و — صفات أخرى: ذكر الشعراء صفات أخرى للإبل التي كان الأجواد يقدمونها هدايا، وهذه الصفات أصبحت تسميات تتعلق بنوع الإبل وتدور حول صفاتها وأخلاقها وعمرها وسرعتها. إنهم يشيرون إلى الأمون (٣٠٥) والبكر (٣٠٦) والناب (٣٠٧) والذلول (٣٠٨) والذمول (٣٠٩) وناحزة الحقاق (٣١٠) والفارهة (٣١١) والغيسة والنواجي (٣١٢) والضامرات (٣١٣) والضامرات (٣١٤) .

-
- ٢٩٧ — الديوان ٣/٤٦ .
٢٩٨ — الديوان ٤٦/١ .
٢٩٩ — الجراجر: الضخام. والبستان: النخل. والدرِّق: الصغار.
٣٠٠ — الديوان ٢٦/٧٩ .
٣٠١ — الديوان ٣/٥٨. واليماني: هاهنا الرجل يعمل باليمن. والكامل: التام.
٣٠٢ — الديوان: الذيل ١/٢ .
٣٠٣ — الديوان ٢/٣٧. وانظر ديوان أمية بن أبي الصلت ٣/٧٦ .
٣٠٤ — الديوان ١٦/٣١ .
٣٠٥ — طرفة بن العبد: الديوان ٤٣/٢ .
٣٠٦ — حاتم الطائي: الديوان ١/٦٣ .
٣٠٧ — عروة بن الورد: الديوان ١/٢٣ .
٣٠٨ — الأعشى الكبير: الديوان ٢٧/٧٨ .
٣٠٩ — المصدر نفسه ٤٠/٥٥ .
٣١٠ — عدي بن وداع: قصائد جاهلية نادرة ص ٦١ .
٣١١ — النابغة الذبياني: الديوان ٢٧/١ .
٣١٢ — المصدر نفسه ٢٠/٢٧ .
٣١٣ — الأعشى الكبير: الديوان ٤٩/١ .
٣١٤ — المسيب بن علس: شعره ١٠/١٦ .

وتذكر الصفايا، وهي النوق التي تعطي حليباً غزيراً، على أنها هدايا ثمينة. الأعشى الكبير يذكر أن ممدوحه يهب «الكوم الصفايا لجاره»^(٣١٥)، ويعطي «المائة الصفايا بين تالية وحائل»^(٣١٦). ومن عطايا ممدوح زهير بن أبي سلمى «صفايا المخاض»^(٣١٧).

وإذا ما سميت الخيل على أنها هدايا فإن تعابير الخيل والجواد والمهر تأتي مفردة أحياناً. وهذا ما يشير إلى قيمة خاصة للخيل^(٣١٨). ولدى وصف الجواد المقدم هدية تبرز سرعته أولاً كقول النابغة الذبياني: (٣١٩)

والخَيْلُ تَمَزَعُ غَرَباً فِي أَعْتَهَا كالطير تنجو من الشؤبوب ذي البرد^(٣٢٠)
ويحلو للشعراء أن يصفوا الخيول من خلال طريقة سيرها. بشر بن أبي خازم يذكر «الجياذ تودّف»^(٣٢١)، والأعشى الكبير يشير إلى فرس: (٣٢٢)

مُسْتَخِفٌّ إِذَا تَوَجَّهَ فِي الْحَيِّ — لَ لَشَدِّ التَّفْنِينِ وَالتَّقْرِيبِ^(٣٢٣)
كما أن الخيول تهدي مع سروجها وعدة لجامها أيضاً. وهذا ممدوح النابغة الذبياني «يهب الجوادَ بسرجه ولجامه»^(٣٢٤)، وممدوح زهير بن أبي سلمى «يعطي جياذه بأرسانهن»^(٣٢٥)، والأعشى الكبير يمدح رجلاً «يهب النجبية والنجيب بسرجه»^(٣٢٦)، وعلى هذا النحو أشار أمية بن أبي الصلت إلى أن ممدوحه (٣٢٧):

-
- ٣١٥ — الديوان ٣٧/٥٥.
٣١٦ — المصدر نفسه ٤/٧٦.
٣١٧ — الديوان ص ٢٩٨.
٣١٨ — سميت الخيول على أنها من جملة الهدايا التي كانت تقدم لدى الشعوب الجرمانية الشمالية القديمة. انظر:

Weinhold, K.: Altnordisches Leben, S. 311.

- ٣١٩ — الديوان ٣١/١.
٣٢٠ — تمزع: تسرع في سيرها. والغرب: الجدة والنشاط. والشؤبوب: دفعة المطر وشدته.
٣٢١ — الديوان ١٦/٣١.
٣٢٢ — الديوان ١٧/٦٨.
٣٢٣ — مستخف: من الاستخفاف وهو الاستهانة بالشيء. والشد: العدو. والتفنن أو التفنن: هو التنوع في ضروب العدو. والتقريب: من ضروب العدو.
٣٢٤ — الديوان ٣/٥٨.
٣٢٥ — الديوان ص ٢٩٠.
٣٢٦ — الديوان ٢/٣٧.
٣٢٧ — الديوان ٣/٧٦.

يَهْبُ النَجِيَّةَ والنَجِيَّةُ — ب له الرَّحَالَةُ والزَّمَامُ (٣٢٨)

ويستخدم الشعراء لدى ذكر الخيول في هذا السياق الأوصاف الآتية :

أ — اللون ب — ضمور البنية ج — الشعر القصير

أ — اللون : يأتي اللونان الكميت والأدهم (٣٢٩) على أنهما لونان نموذجيان للخيول . ويأتي الكميت في هذا الموضوع حسب مصادرنا لدى الأعشى الكبير بشكل مألوف ، كقوله (٣٣٠) :

وَكُلُّ كُمَيْتٍ كَجِدْعِ الْخِصَا ب يَزِينُ الْفِنَاءَ إِذَا مَا صَفَنَ (٣٣١)
وقوله (٣٣٢) :

وَكُلُّ كُمَيْتٍ كَجِدْعِ الْخِصَا ب يَرْدِي عَلَى سِلَطَاتٍ لُثْمَ (٣٣٣)
وقوله (٣٣٤) :

وَكُلُّ كُمَيْتٍ كَأَنَّ السَّلِيَّ طَ فِي حَيْثُ وَارَى الْأَدِيمُ الشُّعَارَا (٣٣٥)

هذا ولم أجد حسب مصادرني ذكراً للكميت في موضوع الجود لدى الشعراء الجاهليين الآخرين سوى لدى حاتم الطائي الذي افتخر بأنه يهب « الكميت المصدرا » (٣٣٦) .

أما الأدهم ، والجمع الدهم ، فهو من نوعية جيدة من الخيل ، فقد جاء في لسان العرب : « ملوك الخيل دهمها » (٣٣٧) ، وقد ذكر الأدهم لدى شعراء عدة . فالمسيب بن علس يشير إلى

٣٢٨ — النجيب من الرجال : الكريم الحسيب ، وكذلك البعير والفرس إذا كانا كريمين عتيقين . والرحالة : الرجل للإبل والخيول .

٣٢٩ — حول الكميت والأدهم ، انظر : فيشر : Fischer, W. : Farb- und Formenbezeichnungen... S.288 ff, 346 ff.

٣٣٠ — الديوان ٤١/٢ .

٣٣١ — الكميت : الفرس الأحمر الذي يضرب للسواد . والخصاب : جمع خصبة وهي النخلة الكثيرة الحمل . وصفن : الصافن من الخيل القائم على ثلاث قوائم وقد أقام الرابعة على طرف الحافر .

٣٣٢ — الديوان ٤١/٤ .

٣٣٣ — يردي : يعدو . وسنابك سلطات : أي طوال . ولثم : تلتصق الحجارة .

٣٣٤ — المصدر نفسه ٦٠/٥ .

٣٣٥ — السليط : دهن السمسم . والشعار : جمع شعر ، والمقصود حيث وارى الشعر الأديم ، وهو الجلد .

٣٣٦ — الديوان ١٨/٦٨ . والمصدر : العظيم الصدر .

٣٣٧ — لسان العرب ج ١٢ ص ٢٠٩ ب .

عطاء ممدوحه، فيذكر «الدهم كالعيدان» (٣٣٨)، والحارث بن حلزة ينوه بحباء ممدوحه من «الدهم كالغرس» (٣٣٩)، وعدي بن زيد يعدد عطايا ممدوحه، ومنها «الدهم شعث الذرى سوداء» (٣٤٠). والأعشى الكبير يجمع بين الكميت والأدهم قائلاً: (٣٤١)

وَكُلُّ كَمَيْتٍ كَالْقَنَاءِ مَحَالُهُ وَكُلُّ طِمْرٍ كَالِهَرَاوَةِ أَذْهَمَا (٣٤٢)

ب — ضمور البنية: إن ضمور بنية الفرس المقدمة هدية يذكر غالباً لدى الأعشى الكبير فقد مدّه ممدوحه بفرس «قافل جرّشع تراه كتيّس الربل» (٣٤٣). ولكي يجسم ضمور بنية الفرس يشبّها بالقناة (٣٤٤)، أو القنا (٣٤٥)، أو جذع الخصاب (٣٤٦)، أو قضب الشوحط (٣٤٧). ويأتي مثل هذا التشبيه قليلاً لدى الشعراء الآخرين، بحيث إنني لا أعلم على الأقل سوى تشبيه الفرس بالفرس (٣٤٨) وبالعُشب (٣٤٩).

ج — الشعر القصير: يستخدم الشعراء لذلك اصطلاح الأجرد، وهو من الخيل والدواب كلها القصير الشعر، وذلك من علامات العتق والكرم. وهذا ممدوح الأعشى الكبير قدم له «أجرد جياش الأجارى مرجما» (٣٥٠)، والنعمان بن المنذر يقدم له أيضاً «الجرد كالقنا موهبة» (٣٥١)، ويذكر المسيب بن علس أيضاً «جرداً أطار نسيلها البقل» (٣٥٢).

-
- ٣٣٨ — شعره: ١١/١٦.
- ٣٣٩ — الديوان ١١/٣.
- ٣٤٠ — الديوان ٤١/٦.
- ٣٤١ — الديوان ٣٨/٥٥.
- ٣٤٢ — عماله: الخال جمع عمالة، وهي الفقرة من فقار الظهر. وطمر: أي جواد طمر، وهو الخفيف الوثاب.
- ٣٤٣ — الديوان ١٥/٦٨. وقافل: ضامر. والجرجشع: العظيم الصدر أو الجنين. والتيس: ذكر الطباء والمعز والوعول. والربل: جمع ريلة، وهي ضرب من الشجر.
- ٣٤٤ — المصدر نفسه ٣٩/٥٥. والقناة: الرمح، والجمع القنا.
- ٣٤٥ — المصدر نفسه: ٣٤/٢٨.
- ٣٤٦ — المصدر نفسه ٤١/٢، ٤١/٤.
- ٣٤٧ — المصدر نفسه ٤٨/١. والشوحط: شجر تتخذ منه القسي.
- ٣٤٨ — الحارث بن حلزة: الديوان ١١/٣. والغرس: الشجر الذي يغرس، والجمع أغراس.
- ٣٤٩ — المسيب بن علس: شعره ٩/١٦. العُشب: مفردا العسيب، وهو جريد النخل.
- ٣٥٠ — الديوان ٣٩/٥٥. وجياش: من جاش القدر إذا غلت وجاش البحر إذا هاج. والأجارى: جمع إجرى، الوجه الذي فيه حين يجري. ومرجما: يرمج الأرض بخوافه حين يعدو.
- ٣٥١ — المصدر نفسه ٣٤/٢٨. والقنا: طويلة الظهور كالرماح.
- ٣٥٢ — شعره ٩/١٦.

د - صفات أخرى: هناك صفات أخرى تتعلق بالأصل الكريم والسرعة والحيوية والخفة وطريقة السير . وإذا كان بعض الشعراء يكتفي بإبراز صفة من هذه الصفات كقول طرفة بن العبد مفتخراً بقومه لأنهم « وهبوا كلُّ أُمُونٍ وَطِمْرٌ » (٣٥٣) ، فإن ميل الأعشى الكبير إلى وصف الخيول وصفاً تفصيلياً يجمع فيه الصفات المذكورة كلها ، يشير إلى أنه شاعر مدح محترف يتحدث غالباً بطريقة غير مألوفة عن الخيول التي يحصل عليها ، إنه يقول في إحدى قصائده متحدثاً عن عطاء ممدوحه قيس بن معد يكرب للخيول : (٣٥٤)

كُلُّ عامٍ يَمُدُّني بِجُمُومٍ	عِنْدَ وَضْعِ العِنانِ أو بَنَجِيبٍ (٣٥٥)
قافِلٍ جُرَّ شُعٍ تراهُ كَتِيسِ الـ	رَبَلٍ لا مُقْرِفٍ ولا مَخْشُوبٍ (٣٥٦)
صداً القَيْدِ في يَدَيْهِ فلا يُغـ	فَلْ عنه في مَرَبَطٍ مَكْرُوبٍ (٣٥٧)
مُسْتَخِفٍّ إذا تَوَجَّهَ في الحَيْبِ	لِـ لِشَدِّ التَّنْفِينِ والتَّقْرِيبِ (٣٥٨)

وواضح أن الشاعر يشير إلى هدية ممدوحه السنوية من الإبل والخيول ، فهذا الفرس كريم موفور النشاط ، ضامر البطن ، عريض الصدر ، أبواه كريمان ، وقد ترك القيد في يديه أثراً لأنه حبس في مربطه يأكل العلف ، وهو خفيف الحركة يسبق الخيول في حلبة السباق ، ويستخف بها في عدوه الذي يتفنن فيه .

هذا ويحلو للأعشى الكبير أحياناً أن يستطرد في وصف الفرس المقدمة إليه هدية ، فهو لا يكتفي بالإشارة إلى أن ممدوحه يقدم له الجواد القارح العداء والفرس الخفيفة الوثابة الطويلة ، وإنما يشبه هذه الفرس حين مطاردة قطعان بقر الوحش بعقاب يسعى إلى رزق صغاره ، وقد خلفهم وراءه في وادي السُّلَيّ ، هذه الفرس التي تساعد الوليد على إدراك طريدته وقذفها برمحها : (٣٥٩)

والقارحَ العدَا وكُلَّ طَمْرَةٍ ما إنْ تنالَ يدُ الطَّويلِ قَدَّالها (٣٦٠)

-
- ٣٥٣ — الديوان ٤٣/٢ .
 ٣٥٤ — الديوان ١٤/٦٨ — ١٨ . وانظر المصدر نفسه ٣٧/٥٥ — ٤٠ .
 ٣٥٥ — جموم : فرس موفور النشاط . والنجيب : العتيق الكريم .
 ٣٥٦ — المقرف من كان أبوه دون أمه . والمخشوب : من كانت أمه دون أبيه ، والمقصود المختلط النسب .
 ٣٥٧ — المربط : موضع ربط الدواب . ومكروب : قد كرب قيده أي ضيق .
 ٣٥٨ — انظر معاني المفردات ص ١٤٧ .
 ٣٥٩ — الديوان : ٢٦/٣ — ٢٨ .
 ٣٦٠ — القارح : من قرح ذو الحافر انتهت أسنانه ، وذلك بعد خمس سنين . وطمرة : خفيفة وثابة . والقذال : جماع مؤخر الرأس .

وكانما تبع الصوار بشخصها فتخاء تَرزُق بالسُّلِّي عيالها (٣٦١)
 طلباً حثيثاً بالوليد تُبْزُهُ حتى تَوَسَّطَ رُمْحُهُ أكفأها (٣٦٢)

وهكذا فقد أبرزنا أن الشعراء وصفوا العطايا القيمة من الإبل والخيول فالإبل المهداة ليست فقط سمينة وضخمة وقوية وبكراً وكرمة عتيقة ومطبعة وغزيرة الحليب، وتحمل جنيناً في بطنها، وإنما كانت تهدي أيضاً مع رعاتها أو أطفالها. أما الخيول فهي نشيطة وكثيرة الحيوية والحركة، وثابة وسريعة وكرمة وضامرة وجرد، وكانت تهدي مع السرج واللجام. أما ما يخص لون الجواد فهو كميت أو أدهم. ولا شك أن الشعراء يريدون من خلال ذكر هذه الصفات للإبل والخيول أن يقولوا: إن العطاء كامل رائع لا مثيل له، وإن المدحوحين لا يهدون في الأوقات القاسية أية هدية، وإنما، يقدمون الهدايا الغالية النفيسة.

٢ — القيان (٣٦٣) والإماء:

إلى جانب الإبل والحياد يذكر الشعراء غالباً الإماء والعبيد الذين كان لهم أثر بارز في المجتمع الجاهلي، بحيث أنهم شكلوا طبقة اجتماعية، وكانوا أداة عمل مهمة في المجتمع البدوي العربي (٣٦٤). وكان الناس يتاجرون بهم، ويجلبونهم من البلاد المجاورة.

كان العبيد يقومون بأهم الأعمال المنزلية من طبخ وخدمة أفراد العائلة والضيوف، وحلب النوق والعناية بها، وإيقاد النيران. طرفة بن العبد يشير إلى الإماء، وهن يقدمن الطعام قائلاً: (٣٦٥).

فظل الإماء يمتلئن حوارها ويُسعى علينا بالسديف المُسرَّهَد (٣٦٦)

ويذكر سُحيم عبد بني الحسحاس أن أمه كانت تقوم برعاية الإبل بقوله (٣٦٧):

٣٦١ — الصوار: قطع البقر. فتخاء: عقاب فتخاء أي لينة الجناح. والسُّلِّي: واد دون حجر.

٣٦٢ — حثيثاً: سريعاً. وتبزه: تغليه.

٣٦٣ — لناصر الدين الأسد كتاب بعنوان: «القيان والغناء في العصر الجاهلي»، القاهرة ١٩٦٨، يتحدث فيه عن العبيد ودورهم في العصر الجاهلي.

٣٦٤ — حول عمل العبيد بالتفصيل، انظر: القيان والغناء لناصر الدين الأسد ص ٣٦.

٣٦٥ — الديوان ٩٢/١.

٣٦٦ — الإماء: جمع أمة، وهي المملوكة والمقصود هنا الخدم. ويمتلئن: يشتبون: وحوارها: ولدها الذي أخرج من بطنها. والسديف: قطع السنام. والمسرَّهَد: المتناهي في السمن.

٣٦٧ — ديوان سحيم عبد بني الحسحاس ص ٢٦، تحقيق عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٥٠.

فما ضُرَّني أن كنت امي وليدةً تُصُرُّ وتبري باللقاح التواديا (٣٦٨)
ويطلب حاتم الطائي أن يوقد خادمه النار قائلاً (٣٦٩) :

أوقد فإنَّ الليل ليل قَرُّ
إن جَلَبْتُ ضيفاً فأنت حُرُّ

إن الإماء كن يقمن بأعمال أخرى، فقد روي في السيرة النبوية لابن هشام عن أمة أنها « كانت تمشط النساء وتجهز العرائس » (٣٧٠). يضاف إلى ذلك أنهم استخدمن لكسب الأموال، فقد روي ابن حبيب: « أنهم كانوا يكسبون بفروج إماءهم، وكان لبعضهن راية منصوبة في أسواق العرب فيأتيها الناس فيفجرون بها » (٣٧١). أما القيان فقد قمن أيضاً بجانب مهم في حياة العرب الجاهليين، إذ توجب عليهن بث الفرحة لدى الناس وتسليتهم، لذا كانت بيوت السادة والنبلاء لا تخلو منهن (٣٧٢). لقد كنَّ يعزفن ويغنين ويقدمن الخمر للسادة. يضاف إلى ذلك عمل القيان في الحانات ودور اللهو، فقد كنَّ يقمن بالغناء وتقديم الشراب أيضاً (٣٧٣).

ولأن القيان والعبيد يقومون بهذا الدور الكبير في المجتمع البدوي العربي نستطيع أن نتصور كيف أنهم يمثلون هدية نفيسة كما توصف في الشعر دائماً. لذلك لم يستطع القيام بهذه الهدية سوى الملوك والسادة والنبلاء.

ويستخدم الشعراء لدى ذكر الإماء أو القيان أو العبيد التعابير الآتية وحدها دون ذكر صفات أخرى: القينة أو القيان (٣٧٤)، والعبد والوليدة (٣٧٥)، والقائد (٣٧٦) والغلام (٣٧٧).

٣٦٨ — الصرار: خرقه تشد على أطباء الناقة لئلا يرضعها فصيلها. والتوادي: عيدان تبرى وتشد على أحلاف الناقة لئلا ترضع. واللقاح: من الأبل ذوات الألبان.

٣٦٩ — الديوان ١/٧٤ — ٤.

٣٧٠ — السيرة النبوية: ابن هشام ج ٢ ص ٩ — ١٠.

٣٧١ — المحبر: ابن حبيب البغدادي ص ٣٤٠، تحقيق ايلزه ليشتين شتير، حيدر آباد ١٩٤٢.

٣٧٢ — إن السادة الأغنياء الذين كانوا يملكون القيان كثيرون، ومنهم الجواد المشهور عبد الله بن جدعان. انظر ص ١٨٦ من هذا البحث، وكانت لديه قيتان. انظر الأغاني ج ٨ ص ٢ وما بعدها.

٣٧٣ — يأتي ذكر القيان في الحانات كثيراً، بحيث إننا لا نحتاج لإيراد شواهد على ذلك.

٣٧٤ — الأعشى الكبير: الديوان ٤٠/٥٥، ١٠/٧٠، وأوس بن حجر: الديوان ٥/٤٠، والناطقة الذبياني: الديوان ١/٣٧.

٣٧٥ — أوس بن حجر: الديوان ٩/٤، والأعشى الكبير: الديوان ٩/٧.

٣٧٦ — الأعشى الكبير: الديوان ٨/٧ والقائد: خاص بمن يقود الأعمى.

٣٧٧ — المصدر نفسه ٢٧/٧٨.

ولدى وصف القيان أو الإمام في هذا المقام يبرز الجمال غالباً من خلال تشبيههن بالطباء، وتذكر الملابس الجميلة أيضاً فبشر بن أبي خازم يشير إلى أن ممدوحه هو «الواهبُ الحسان الغوالي» (٣٧٨)، وهو «الواهب القينات شبه الرب» (٣٧٩). ويفصل أبو العريان الطائي في عطاء ممدوحه فيشير إلى الخيل والقيان وحسنهن ومشيهن قائلاً (٣٨٠):

والواهبُ الخيلَ والولائدَ والـ رَّبَّ فيها الأوانس الخُردُ (٣٨١)
يَرْفُلْنَ في الرِّيطِ والمُروطِ كما تَمْشِي نعاج الخَمِيلَةِ المَيْدِ (٣٨٢)

والأعشى الكبير يمدح رجلاً مشيراً إلى أنه: (٣٨٣)

هو الواهبُ المسمعاتِ الشُّرو بَ بين الحريسِ وبين الكَثْنِ
ويذكر هدايا الأسود بن المنذر من الجواري والإماء قائلاً (٣٨٤):

والبغايا يَرْكُضْنَ أَمْشِيَةَ الإض رِيحِ والشَّرْعِيَّ ذَا الأذْيَالِ (٣٨٥)

والنابغة الذبياني يذكر أن النعمان بن المنذر يهب نساء كَالغِزْلَانِ قائلاً (٣٨٦):

والراكضاتِ ذِيوَلِ الرُّيْطِ فأنقَها بَرْدُ الهَواجِرِ كَالغِزْلَانِ بِالْجَرْدِ (٣٨٧)

ويذكر أن الإمام تهدي مع حلين وأن القيان تقدم مع آلائهن الموسيقية. فممدوح زهير بن

٣٧٨ — الديوان ١٦/٣٦ .

٣٧٩ — المصدر نفسه ٢٠/٧ . والرب: القطيع من البقر أو الطباء، لا واحد لها .

٣٨٠ — ديوان حاتم الطائي ٣/١٥ — ٤ .

٣٨١ — الولائد: جمع وليدة، وهي الجارية . والخرد: جمع خريدة، وهي من النساء البكر التي لم تمس قط، أو الحمية الطويلة السكوت الخافضة الصوت .

٣٨٢ — الریط: جمع رطة، وهي ثوب لين رقيق . والمروط: جمع مرط، وهي كساء من خنز . والميد: جمع مائد، وهو الذي يتبختر . ويرفلن: يتبخترن .

٣٨٣ — الديوان ٥٢/٢ .

٣٨٤ — المصدر نفسه ٤٧/١ .

٣٨٥ — البغايا: الجواري الاماء . والاضريح: الحرير الأصفر . والشرعبي: الحرير الأحمر . وذو الأذيال: الطويل الذي تجره وراءها حين تمشي .

٣٨٦ — الديوان ٣٠/١ .

٣٨٧ — الریط: الملاحف البيض . وفانقها: نَعَم عيشها برد الهواجر: أي هي في الهواجر في موضع بارد . والجرد: فضاء لا نبت فيه .

أبي سلمى يهدي «الحسان الحواليا»^(٣٨٨)، وممدوح بشر بن أبي خازم يعطي القيان «بأيديها المَزَاهِرُ تَغْرِفُ»^(٣٨٩).

ويصف الشعراء الإمام في هذا السياق، فهن بيض وحوور ولعس، فممدوح بشر بن أبي خازم هو «الواهب البيض الكواعب كالدمى خورا»^(٣٩٠) وممدوح الحارث بن حلزة يحبوك «بالآنساتِ البيضِ واللُّعسِ»^(٣٩١). ولا يصور الشاعر النساء الجميلات الكريمات بأنهن بيض للفت النظر إلى جمال النساء فقط، وإنما إلى المكانة الاجتماعية العالية لهن أيضاً، كما يقول فيشر: «ينتظر المرء من المرأة النبيلة ذات الجسم النقي التي لم تمس بأنها تقيم دائماً في الخدر، فلا تتعرض بشرتها لتأثير الشمس. لذلك فهي «بيضاء»، وهي كلمة تستخدم على أنها كلمة بديلة للمرأة الكريمة ذات الجسم الذي لم يمس، والتعبير الكامل الجسم من أجل الأنثى النقية الكريمة، بحيث إن المظهر الخارجي والجوهر يقصدان معاً»^(٣٩٢)

٣ — هدايا متنوعة:

ما عدا الهدايا التي ذكرناها يسمي الشعراء مجموعة من الأشياء التي يستطيع المرء أن ينظر إليها على أنها أشياء للاستعمال الشخصي، كالألبيسة والأواني والصحون والمعادن الكريمة، والأسلحة. وقد تسمى قطع الذهب والفضة. وهذا طفيل الغنوي يجمل هذه الأشياء عندما يذكر أن أحد الأجواد كان يقدم المتاع، قائلاً: ^(٣٩٣)

لَقَدْ أودى الفوارسَ يَوْمَ حِسْبِي غِلامٌ غَيْرُ مَناعِ المَتاعِ

وهذه إشارة مفصلة إلى الهدايا المتنوعة:

أ — الألبسة: كقول المتلمس الضبعي مشيراً إلى عطاء النعمان بن المنذر^(٣٩٤):

إنسي كساني أبو قابوس مُرْفَلَةً كأنها سَلَخُ أبكارِ المخاريط^(٣٩٥)

٣٨٨ — الديوان ص ٢٩٠.

٣٨٩ — الديوان ١٥/٣١.

٣٩٠ — الديوان ١٥/٣١.

٣٩١ — الديوان ١٢/٣.

٣٩٢ — انظر:

Fischer, W: Farb und Formenbezeichnungen... S. 248.

٣٩٣ — أشعاره ١/٢٧.

٣٩٤ — الديوان ١/٢٤.

٣٩٥ — أبو قابوس: كنية عمرو بن هند. وخطت: سلخت، ومن عادة الحية أن تسلخ جلدها كل سنة.

وقول المتنحِّل الهذلي مشيراً إلى عطائه: (٣٩٦)

وأكسو الحُلَّةَ الشَّوكَاءَ حِذْنِي وبعضُ الخيرِ في حُزْنٍ وراطٍ (٣٩٧)

وقول الأسود بن يَغْفَر مفتخراً بقومه: (٣٩٨)

لا يعتري شربنا اللحاء وقد توهب فينا القيآن والحُلُّ

ب — الأسلحة: لبيد بن ربيعة يشير إلى عطاء النعمان بن المنذر، ومنها «سيوف حق» (٣٩٩)، وأوس بن حجر يرثي فضالة بن كلدة الذي لم يكن أحد «أوهب منه لذي أثر وسابغة» (٤٠٠)، والحارث بن حلزة يمدح ممدوحه الذي «يحبوك بالزُّغف الفيوض على هُمَيَّانها» (٤٠١). ولعل الملوك كانوا مشهورين بعطاء الأسلحة، فالنابغة الذبياني يذكر أيضاً أن النعمان بن الحارث الغساني حباه بشكة (٤٠٢).

ج — القطع الفضية والذهبية: توجد أبيات قليلة أشارت إلى عطاء القطع الفضية والذهبية، لأن النقود المطبوعة كانت نادرة في شبه الجزيرة العربية، كما يقول يعقوب (٤٠٣). فممدوح الأعشى الكبير «يعطي البدورا» (٤٠٤)، وممدوح الحارث بن حلزة يحبوك «بالسبيك الصفر» (٤٠٥)، ويفتخر حاتم الطائي بتوزيع الدراهم التي تجتمع لديه قائلاً (٤٠٦):

إنَّا إذا اجتمعنا يوماً دراھمنا ظلَّتْ إلى سبل المعروف تُسْتَبَقُ

د — الأواني: كقول الأعشى الكبير مشيراً إلى أن ممدوحه يهب الجلة والبغايا والجياد (٤٠٧):

-
- ٣٩٦ — ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٢.
- ٣٩٧ — الشوكاء: الجديدة. وحزن: الجبال الغلاظ، الواحد حُزْنَة. والورطة: الموضع الذي يقع فيه الرجل فلا يقدر أن يخرج منه.
- ٣٩٨ — الديوان: الذيل ١/٤.
- ٣٩٩ — الديوان ١٢/٥٩.
- ٤٠٠ — الديوان ٥٠/٤٠. والأثر: فرند السيف. والسابغة: الدرع.
- ٤٠١ — الديوان ١١/٣. والزغف: الدرع المحكمة اللينة. والفيوض: السابغة الفائضة. والهميان: المنطقة أوشية يشد به الدرع.
- ٤٠٢ — الديوان ١٩/٢٢.
- ٤٠٣ — Jacob, G.: Altarabisches Beduinenleben, S. 146.
- ٤٠٤ — الديوان ٥٧/١٢. والبدور: جمع بَدْرَة، وهي الكيس المملوءة نقوداً.
- ٤٠٥ — الديوان ١٢/٣. والسبيك: من السبيكة، وهي القطعة من الذهب أو الفضة.
- ٤٠٦ — الديوان ٤/١١٧.
- ٤٠٧ — الديوان ٤٩/١.

والمكاكيسك والصَّخَافُ مِنَ الْفِضِّ ۖ وَالضَّامِرَاتِ تَحْتَ الرُّجَالِ (٤٠٨)

٤ — الغذاء والطعام:

نتيجة للحياة الصعبة في الصحراء الجافة الضئيلة كان قري الضيوف بالطعام والشراب العمل الخيري الأهم، وخاصة في الشتاء حيث يشتد الجفاف والجوع. ويكتفي بعض الشعراء بذكر أن الأجواد يطعمون الضيوف والمحتاجين. ويذكر آخرون خلافاً لذلك الظروف المرافقة التي سببت الحاجة كي يكتسب جميل الأجواد قيمة أكبر، ويبرز متعدد الألوان.

إن الشواهد التي أبرز الشعراء فيها نوع الطعام دون وصف تفصيلي كثيرة، سنكتفي بالإشارة إلى بعضها. فسعدى بنت الشمردل تنادي «مطعم الركب الجياع» (٤٠٩)، وعبيد بن عبد العزى السلامي يفتخر بأجواد قومه فكم «من مطعم يوم الصبا غير جامد» (٤١٠)، والمرقس الأكبر يفخر بقومه لأنهم «المطعمون إذا هبت شامية» (٤١١)، وعلقمة الفحل ينوه بفضل قومه، فهم «المطعمون ابن جارههم إذا جاعا» (٤١٢)، أما قوم عمرو بن كلثوم الكناني فهم «مطاعم في المحل» (٤١٣)، وكذلك قوم الأعشى بن النباش «إن يكسبوا يطعموا من فضل كسبهم» (٤١٤)، وممدوحو الأعشى الكبير «يطعمون إذ قحط القطر» (٤١٥)، وقوم حاجب بن ذبيان «قراءة في الشتاء» (٤١٦)، ويشير حاتم الطائي إلى حسن جوار قوم قائلاً: (٤١٧)

وجارُتهم حصانٌ مائِزٌ نَوى وطاعِمةُ الشَّتاءِ فماتجِوعُ (٤١٨)

لقد أصبح الأجواد مشهورين من خلال إطعامهم في الأوقات القاسية، بحيث إنهم اكتسبوا

٤٠٨ — المكاكيسك: جمع المكوك، وهو المكيال، ويستخدمه الفرس إناء للشرب. والضامرات: الابل التي لا ترغو ولا تجتر.

٤٠٩ — الأصمعيات ٢٧/٢٠.

٤١٠ — قصائد جاهلية نادرة ص ١٢٤. والصبأ: الريح الشرقية.

٤١١ — المفضليات ٤/١٢٨.

٤١٢ — الديوان ١/١٧.

٤١٣ — معجم الشعراء: المرزباني ص ٢٦.

٤١٤ — شعر تميم ٣/١٤.

٤١٥ — الديوان ١٠/٦٨. وقحط القطر: احتبس المطر.

٤١٦ — العقد الفريد ج ٥ ص ٢٠٢.

٤١٧ — الديوان ٣/١.

٤١٨ — الجارة: يعني أمهم. وحصان: عفيفة ماتقذف بالزنا.

لقباً خاصاً، كالجواد هرم بن سنان، إنه «نعم معترك الجياع إذا خَبَّ السفير»، كما يقول زهير بن أبي سلمى (٤١٩). وهناك بيت شعري يدلنا على أهمية تقديم الطعام للمحتاجين والضيوف، وفيه يُرثى أحد بني ظفر قومه، ويذكر تقديم الطعام فقط من بين كل الصفات الحميدة، فهم «مطاعيم إذا قحطت جمادى» (٤٢٠).

وعلى العكس من ذلك كان البخل بالطعام والطمع فيه سببين كافيين للهجاء والسخرية، كقول عدي بن زيد يهجو قبيلة تميم (٤٢١):

تَزَوَّدَ مِنَ الشَّبَعَانِ خَلْفَكَ نَظْرَةً فَإِنَّ بِلَادَ الْجُوعِ حَيْثُ تَمِيمٌ (٤٢٢)

إن إفراط الشهوة في الطعام والتهافت عليه كانا أيضاً عاراً، ومن الجدير بالملاحظة أن هذه الصفة المكروهة كانت معروفة وظاهرة لدى أفراد قبيلة بني تميم، كما يشير البيت السابق، وقول يزيد ابن الصِّعق مستهزئاً بهم (٤٢٣):

أَلَا أَبْلَغُ لَدَيْكَ بَنِي تَمِيمٍ بَأَيَّةِ مَا يُحْبُونَ الطَّعَامَا

و:

إِذَا مَامَاتِ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجئِي بَزَادٍ (٤٢٤)

وقد يسمي الشعراء أحياناً أنواع الطعام والمشروبات، من مثل اللحم والحليب والخمرة. ولدى ذكر المشروبات يبرز الحليب والخمر عادة، كقول لبيد بن ربيعة مفتخراً بتقديم قومه للحليب الخالص: (٤٢٥)

وإِنَّا أَنْاسٌ لَا تَزَالُ جِيَادُنَا تُحِبُّ بِأَعْضَادِ الْمَطِيِّ مُخَدَّمَا (٤٢٦)

-
- ٤١٩ — الديوان ص ٨٨. ومعترك الجياع: موضع اجتماعهم ومزوحهم، وخب السفير: أي اشتد البرد، والسفير: الورق تطويه الريح وتقر به.
- ٤٢٠ — ديوان الهذليين ج ٣ ص ١١٣.
- ٤٢١ — الديوان ١/١١٥.
- ٤٢٢ — الشبعان: جبل بالبحرين يتبرد بكهافه.
- ٤٢٣ — أشعار العامريين الجاهليين ٧/٧٦.
- ٤٢٤ — ينسب البيت إلى يزيد بن عمرو الصِّعق، وإلى أبي المهوش الأسدي. انظر: تعليق محمد الدالي على هذا البيت في: أدب الكاتب لابن قتيبة ص ١٥ — ١٦، بيروت ١٩٨٢.
- ٤٢٥ — الديوان ٢٣/٤١ — ٢٤.
- ٤٢٦ — أعضاء المطي: جوانب المطي. والخدم: الذي وضعت الخدمة في رسغه، وهي سير غليظ محكم مثل الحلقة.

تُكْرُ أَحَالِيْبُ اللَّدِيْدِ عَلَيْهِمْ وَتُؤَفَى جَفَانُ الضَّيْفِ مَحْضاً مُعَمِّماً (٤٢٧)
 وقول الحارث بن حلزة موصياً ابنه ألا يمسح ضرع الناقة بالماء لتحتفظ بالحليب، وأن يقدمه
 للضيوف: (٤٢٨)

لَا تَكْسَعِ الشُّوْلُ بِأَغْبَارِهَا « إِنَّكَ لَا تُؤْذِرِي مَنْ النَّاتِجُ (٤٢٩)
 فَاصْبُبْ لِأُضْيَافِكَ أَلْبَانَهَا فَإِنَّ شَرَّ اللَّبَنِ الْوَالِجُ (٤٣٠)

إن طلب عطاء الحليب يظهر قيمة كبرى، ويُنظر إليه على أنه دليل على الضيافة في الأوقات
 الصعبة التي تسود الحاجة فيها، لأنه « كان من شأنهم، إذا أجذبت السنة أو خافوا الجذب، أن
 تنضح الضروع بالماء البارد ليبقى اللبن فيها ادخاراً، واستعداداً وبخلاً من بعضهم » (٤٣١)، وهذا
 الأعشى الكبير يثبت هذا اللون من البخل، ويعلن فرحه لأنه يرافق أصحاباً لا يربطون ضروع الإبل
 ببخلاً: (٤٣٢)

لَا يَشِيْخُونُ عَلَى الْمَالِ وَمَا عُوْدُوا فِي الْحَيِّ تَصَرُّارَ اللَّقْحِ (٤٣٣)

وهكذا فقد عُذَّ الاحتفاظ بالحليب سلوكاً سيئاً، بحيث إن الشعراء وظفوا هذا الموضوع في
 قصائدهم المهجائية، كقول عامر بن الطفيل (٤٣٤):

سَوْدٌ صَبَّاعِيْسَةٌ إِذَا مَا أُوْرِدُوا صَدَرَتْ عَتَمَتُهُمْ وَلَمَّا تُحْلَبُ

وقد يذكر الشعراء الحليب والخمر معاً، كقول قيس بن الخطيم يمدح أحد الأجواد الذين
 يقدمون الحليب والخمر في وقت واحد (٤٣٥):

٤٢٧ — الأحاليب: جمع إحلابة، وهو ما يجمع من الحليب حين تكون الإبل في المرعى ويحمل إلى الحي.
 واللديد: اسم موضع. والمعمم: الأبيض.

٤٢٨ — الديوان ٤/٧ — ١٠.

٤٢٩ — الكسع: أن يضع على ضرع الناقة الماء البارد ليرفع اللبن. والشول: الإبل التي شولت ألبانها، أي:
 ارتفعت. والغبر: بقية اللبن في الضرع. والناتج: الذي يلي نتاج الإبل وغيرها.

٤٣٠ — الواج: الذي يلج في ظهورها من اللبن المكسوع.

٤٣١ — التعازي والمراثي: المبرد ص ١٠٤، تحقيق محمد الدياجي، دمشق ١٩٧٤.

٤٣٢ — الديوان ٤٨/٣٦.

٤٣٣ — صر الناقة: شد ضرعها بالصرار حتى لا يرضعها ولدها. واللقح: جمع لقحة وهي الناقة الحلوب الغزيرة
 اللبن.

٤٣٤ — الديوان: الذيل ٧/١.

٤٣٥ — الديوان ١٦/١٥ — ١٧.

وإن نزل يذّي التّجّدات كُرْزُ نلاق لديه شرباً غير نُزْرُ (٤٣٦)
له سَجْلان سَجْلٌ من صريحٍ وسجلُ تريكةٍ بعتيقٍ خمر (٤٣٧)

إن تقديم الخمر للضيف ذكر سواء أكان ذلك مرتبطاً بمباهاة القبيلة، أم بالزهو الشخصي للشاعر. فالأعشى الكبير يفتخر بصنيع قومه الذين كانوا يدفعون الدية، ويقدمون الخمر مساءً: (٤٣٨)

فنحنُ عقلنا الألفَ عنكم لأهلِهِ ونحنُ وردنا بالعَبوقِ المُعَجِّلِ (٤٣٩)
والحادرة يفتخر بأنه يقدم الخمر صباحاً إلى فتية، بقوله: (٤٤٠)

فسمي ما يُذْرِكُ أنْ رُبَ فتيةٍ باكرتْ لذّثُهُمْ بأذْكَنِ مُثْرَعِ (٤٤١)
مُخَمَّرَةٌ عَقَبَ الصُّبُوحِ عُيُونُهُمْ بمرى هناك من الحياة ومَسْمَعِ (٤٤٢)
بَكَرُوا عَلَيَّ بِسُخْرَةٍ فَصَبَحَتْهُمْ من عاتقِ كدمِ الذَّبِيحِ مُشْعَشَعِ (٤٤٣)

ويسمى الشعراء لدى ذكر إطعام الضيوف والمحتاجين أفضل أجزاء الناقة، كشحم السنام، أو شحم العشار، كدليل على حسن الضيافة، كقول كردم بن شعبة الفزاري (٤٤٤):

هم المطعمون سديفَ العشا ر والشَّحْمَ في الليلة الباردة (٤٤٥)
وقول جنوب أخت عمرو ذي الكلب: (٤٤٦)

أطعمتَ فيها على جُوعٍ ومَسْغَبَةٍ شَحْمَ العِشارِ إذا ما قامَ باغيها (٤٤٧)

-
- ٤٣٦ — كرز هو كرز بن عامر بن عبد الله من بجيلة.
٤٣٧ — السَجْل: الدلو الضخمة المملوءة. والصريح: الخالص من كل شيء، وهنا اللبن. وتريكة: الماء الذي غادره السبيل.
٤٣٨ — الديوان ٢٩/٧٧.
٤٣٩ — عقل القتيل: أدى دية لأهله. ووردنا بالعَبوقِ المُعَجِّلِ: عجلنا لضيفنا بالخمر في المساء.
٤٤٠ — الديوان ١٥/٣ — ١٧.
٤٤١ — أذكن مترع: زق مملوء.
٤٤٢ — عقب الصبوح: بعد الصبوح. وبرى من الحياة ومسمع: أي بمنظر من الحياة ومسمع حسن.
٤٤٣ — عاتق: خمر عتيقة. وكدم الذبيح: كأنها دم دابة ذبيح، فدمه طري. والمشعشع: المرقق بالماء.
٤٤٤ — التذكرة السعدية: العبيدي ص ١١٦.
٤٤٥ — السديف لحم السنام المقطع. والعشار: من الإبل التي على حملها عشرة أشهر. والشحم: سنام البعير.
٤٤٦ — ديوان الهذليين ١٢٦/٣.
٤٤٧ — المسغبة: المجاعة. وباغيها: الذي يغني فراها.

وقول لبيد بن ربيعة (٤٤٨) :

فلقد أغوصُ بالخضمِ وقَدْ أَمَلَا الجَفَنَةَ من شَحْمِ القُلُلِ (٤٤٩)

ويصف الشعراء أيضاً الناقة المذبوحة التي يقدم لحمها لإطعام الضيوف والناس الفقراء كدليل على ضيافة نادرة، وهنا يشيرون إلى أن هذه الناقة سمينة وضخمة وقوية، وهذا يعني أنهم يقدمون أفضل ما يملكون من الإبل، وفي مقدمتها الكوماء، كقول الأعشى الكبير مشيراً إلى قومه إنهم (٤٥٠) :

المطعمو اللّحمِ إذا مَاشَتُوا والجاعلو القوتِ على الياسرِ (٤٥١)

من كلِّ كَوَمَاءٍ سَحُوفٍ إذا جَفَّتْ من اللّحمِ مَدَى الجازرِ (٤٥٢)

وقول حاتم الطائي مفتخراً بقومه (٤٥٣) :

وإِنَّا لَنَطْعُمُ أَضْيَافَنَا من الكُومِ بالصَّيْفِ نَعْتَامُهَا (٤٥٤)

لذا كان من العار أن تذبح الإبل المريضة، وهذا أوس بن حجر يعالج هذا التصرف الفاضح خاصة، عندما هجا أفراد قبيلة (٤٥٥) :

مَبَاشِيْمُ عن لحمِ العوارضِ بالضُّحَى وبالصَّيْفِ كَسَّاحُونَ تُرِبَ المناهلِ (٤٥٦)

لقد كان الأجواد يطعمون أيضاً خبزاً (٤٥٧) وعسلاً وإداماً غير محدد، وهذه الأنواع قليلة

٤٤٨ — الديوان ١٤/٢٦ . وانظر الديوان نفسه ١٧/٩ ، ٩/٤٤ ، وأوس بن حجر : الديوان ٣/١١ .

٤٤٩ — أغوص به : أي آتبه بالعوم، أو أحمله على العوماء، وهي الشدة . والقُلُل : أراد الأستمة، جمع سنام والواحد قلة .

٤٥٠ — الديوان ٤٩/١٨ — ٥٠ .

٤٥١ — القوت : النفقة . والياسر : لاعب الميسر .

٤٥٢ — الكوماء : الناقة الضخمة . وسحوف : أي ناقة كثيرة السحائف مفردتها صحيفة، وهي طبقة الشحم . والمدى : جمع مدية وهي السكين . والجازر : الجزار الذي يذبح .

٤٥٣ — الديوان ٤/١٩ .

٤٥٤ — نعتامها : نختارها للذبح .

٤٥٥ — الديوان ٢/٤٢ .

٤٥٦ — العوارض : الإبل تنحر عن علة . أي لا يذبحون إلا ما كان عليلاً لا ينتفع به من لؤمهم، ويضعفون عن السقي أول الناس لضعفهم .

٤٥٧ — تعظ التعاليم المسيحية أن يقسم المرء خبزه مع الجائعين، انظر :

Reallexikon für Antike und Christentum, Bd. VIII S. 1068

الذكر في الشعر، على أنها عدت علامة لجود فياض، كقول أمية بن أبي الصلت (٤٥٨) :

الْبُرُّ يُلَبِّكُ بِالشَّهَادِ طَعَامُهُمْ لَا مَا يُعَلِّلُنَا بَنُو جُدْعَانَ (٤٥٩)

وقول طرفة بن العبد: (٤٦٠)

يُطْعِمُ النَّاسَ إِذَا أُمَحَّلُوا مِنْ تَقْيٍّ فَوْقَهُ أَدْمَةٌ (٤٦١)

لقد كان العرب دائمي الارتحال والتجوال للتجارة أو الصيد، أو البحث عن أماكن الرعي الخصبة، ولذلك كانوا يحملون الزاد، ولكنه في الغالب كان لا يكفي إذا طالت الرحلة. وهنا يبرز دور الأجواد الذين يظهرون وكأنهم منقذون. لقد استخدم الشعراء كلمة «الزاد»، وافتخروا بأنهم، أو أنّ ممدوحهم كانوا يوزعون الزاد. فأعشى باهلة يمدح رجلاً كان «عليه أول زاد القوم إن نزلوا» (٤٦٢)، والأعشى الكبير يمدح جواداً بقوله (٤٦٣) :

يَدَاكَ يَدَا صِدْقٍ، فَكَفَّ مَفِيدَةً وَأُخْرَى إِذَا مَا ضُنَّ بِالزَّادِ تُنْفِقُ

وسنان بن أبي حارثة يفتخر بتقديمه الزاد قائلاً (٤٦٤) :

ثُمَّتْ أَطْعَمْتُ زَادِي غَيْرَ مُذْخِرٍ أَهْلَ الْمَحَلَّةِ مِنْ جَارٍ وَمِنْ جَادٍ (٤٦٥)
قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ إِذَا طَالَتْ غَزَائُهُمْ وَأَرْمَلُوا الزَّادَ أَنِّي مَنفَعٌ زَادِي (٤٦٦)

ويشير بعض الشعراء إلى سلوك مبالغ فيه، عندما يعقرون مطيتهم، إذا ما أصبح الناس محتاجين للطعام، كقول السليك بن السلوك: (٤٦٧)

إِذَا أَرْمَلُوا زَاداً عَقَرْتُ مَطِيَّةً تَجُرُّ بِرِجْلَيْهَا السَّرِيحَ الْمُخَدَّمَا (٤٦٨)

٤٥٨ — الديوان ٣/٩٢.

٤٥٩ — البر: القمح. ولبك: يخلط. والشهاد: العسل.

٤٦٠ — الديوان ١/٨٢.

٤٦١ — النقي: الخبز الحواري.

٤٦٢ — المختارات الشجرية ٩/١.

٤٦٣ — الديوان ٥٤/٣٣.

٤٦٤ — المفضليات ٤/١٠١ — ٦.

٤٦٥ — الجادي: المجتدي الذي يطلب الجدا وهو العطية.

٤٦٦ — الغزاة: الغزوة. وأرملوا الزاد: فني زادهم. ومنفد: أراد أنه يفني زاده كرمًا.

٤٦٧ — شعر تميم ١/١١٢.

٤٦٨ — السريح المخدما: السير الذي تُشدُّ به الخدمة فوق الرأس.

إضافة إلى إطعام الضيوف بصور نحر الإبل غير مرة، ويستخدم الشعراء في وصفهم للإبل التي يخصص لحمها للضيوف والمحتاجين وسيلة طريفة، لكي يلفتوا النظر إلى ضيافة سخية لا تعرف حداً.

ويفتخر الشعراء فخراً ذاتياً أو قبلياً بأنهم يخصصون الإبل للنحر. إنهم يصفون كيف أن الجواد يحبس الإبل ليستطيع دائماً النحر إذا ما أتى الضيف. أوس بن حجر يشير إلى أن قومه يحبسون الإبل «ليطعم جائع»^(٤٦٩)، والمُهلهل بن ربيعة يشير إلى أخيه بأنه «يحبس»^(٤٧٠)، وطرفة بن العبد يفخر بقومه بأنهم «حُبِسَ في المحل حتى يفسحوا»^(٤٧١)، أما قوم الأعشى الكبير فقد «حجروا على أضيافهم، وشووا لهم»^(٤٧٢).

وقد يبين الشعراء أحياناً أسباب نحر الإبل، ويأتي نقص الحليب على أنه من أكثر الأسباب ذكراً، ولكن فقط كتعبير عن حالة العسر السائدة، كقول ليلى بن ربيعة^(٤٧٣) :

يَكْبُونُ الْعِشَارَ لِمَنْ أَتَاهُمْ إِذَا لَمْ تَسْكُتِ الْمَاءَةُ الْوَلِيدَا^(٤٧٤)
وقول المُخَضَّعِ الْقَيْسِي^(٤٧٥) :

إِذَا هِيَ لَمْ تَمْنَحْ بِرِسْلٍ لِحَوْمَهَا مِنْ السِّيفِ لَأَقْتُ حَدَّهُ وَهُوَ قَاطِعُ^(٤٧٦)
وقول السموعل^(٤٧٧) :

رَأَيْتُ الْيَنَامِي لَا يَسُدُّ فَقُورَهُمْ قَرَانَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُشَعَّبِ^(٤٧٨)
فَقُلْتُ لِعَبْدِينَا أَرْحَا عَلَيْهِمْ سَأَجْعَلُ بَيْتِي مِثْلَ آخِرِ مُعْزَبِ^(٤٧٩)

٤٦٩ — الديوان ١٨/١٣ . طبعة غاير .

٤٧٠ — سمط اللآلي : البكري ص ٢٩٩ .

٤٧١ — الديوان ٨/١٨ .

٤٧٢ — الديوان ٣١/١٦ . وحجر عليه : حبسه .

٤٧٣ — الديوان ١/٦٨ .

٤٧٤ — يكبون العشائر : ينحرون الإبل . ومائة : أراد مائة من الإبل . والوليد : الصبي .

٤٧٥ — معجم الشعراء : المرزباني ص ٤٤٧ .

٤٧٦ — الرسل : اللين .

٤٧٧ — الديوان ص ٤٣ .

٤٧٨ — القعب : القدح الصغير . ومشعب : مصلح .

٤٧٩ — أرحا : ردا الإبل من المرعى إلى مرايحها لينحرها لهم . وسأجعل بيتي مثل آخر معزب : أي : أخليه من الإبل وأنحر للضيوف حتى أكون مثل الرجل المعزب وهو الذي تباعدت عنه إبله .

وإلى جانب الشواهد القصيرة المذكورة أعلاه فإنه يوجد أيضاً وصف مفصل للأشخاص المحتاجين ، وللظروف المرافقة لمجيئهم ، ولنوعية الإبل التي تحدد للنحر . وهذا ليبد بن ربيعة يتحدث في أبيات عن ثروة قومه ، ويظهر كيف أنهم يعاملون الجيران والضيوف والمحتاجين معاملة حسنة في الأوقات القاسية التي يسود فيها الجفاف ، إنهم ينحرون الإبل إن لم تفر الضيوف من حليها ، ولن تستطيع الإبل تقديمه لعدم وجود المراعي الخصبة ، حيث يقول : (٤٨٠)

فلا وأبيك ماحي كحي	لجار خلّ فيهم أو عديم
ولا للضيف إن طرقت بليّل	بأفنان العضاء وبالهشيم (٤٨١)
وروّحت اللقاح بغير درّ	إلى الحجرات تعجل بالرسيم (٤٨٢)
وخود فحلها من غير شل	بدار الريح تخويد الظليم (٤٨٣)
إذا ماذرها لم يقر ضيفاً	ضمن له قرأه من الشحوم
فلا نتجاوز العطلات منها	إلى البكر المقارب والكزوم (٤٨٤)
ولكنّا نعض السيف منها	بأسوق عافيات اللحم كوم (٤٨٥)

وبينا ليبد بن ربيعة ، في الأبيات السابقة ، يعقد العزم على نحر الإبل ، إذا لم تستطع إنعاش الضيوف والمحتاجين من حليها ، فإن الشعراء الآخرين لم يحددوا مثل هذا الشرط لنحر الإبل ما عدا أن يطعموا الضيف على خير وجه ، وأن يقدموا دليلاً على ثرائهم العريض . يقول طرفة بن العبد مفتخراً بقومه (٤٨٦) :

إنّا إذا ما السّعم كائنُه سماحيقُ ثربٍ وهي حمراءُ خرّجف (٤٨٧)

-
- ٤٨٠ — الديوان ١٣/١٣ — ١٩ .
 ٤٨١ — البليل : ربح باردة فيها بلل . وأفنان : أغصان ، الواحد فتن . والعضاء : الشجر العظام ذات الشوك . والهشيم : ما يس من الشجر .
 ٤٨٢ — الدر : اللبن . والحجرات : كل ما ينبت للإبل من خشب يرد عنها الريح . وتعجل بالرسيم : أي للهرب من البرد قبل أن تغيب الشمس . والرسم : فوق العنق .
 ٤٨٣ — خود : عدا . وشل : طراد . ودار : مبادرة ومساوقة الريح الباردة . والظليم : ذكر النعام .
 ٤٨٤ — العطلات : الطوال الأعناق . والمقارب : الدئى . والكزوم : الناقة المسنة الهرمة .
 ٤٨٥ — العافيات : كثيرات اللحم . ونعض السيف : نضرب به . وكوم : عظام الأسنة .
 ٤٨٦ — الديوان ١/١٧ — ٥ .
 ٤٨٧ — السماحيق : شحم رقيق يكون على ثرب الشاة . والثرب : الشحم الذي يغطي الكرش والأمعاء . وحمراء : أي الريح بسبب ما يطير من القتام . وخرجف : شديدة باردة .

وجاءت بصُرَادٍ كَأَن صَقِيعَهُ خَلَالَ الْبُيُوتِ وَالْمُبَارِكِ كُرْسَفُ (٤٨٨)
 وجاء قَرِيعُ الشُّوْلِ يَرْقُصُ قَبْلَهَا إِلَى الدَّفْعِ وَالرَّاعِي لَهَا مُتَحَرِّفُ (٤٨٩)
 تُرْدُ الْعِشَارَ الْمُتَّقِيَاتِ شَطِئُهَا إِلَى الْحَيِّ حَتَّى يُمْرِغَ الْمُتَصَيِّفُ (٤٩٠)
 تَبِيْتُ إِمَاءُ الْحَيِّ تَطْهِي قَدُورَنَا وَيَأْوِي إِلَيْنَا الْأَشْعَثُ الْمُتَجَرِّفُ (٤٩١)

لقد عدَّ نحر الإبل للضيوف والأشخاص المحتاجين فضيلة، لذا يحاول الشعراء غالباً أن ينسبوا هذا العمل الحميد إليهم، أو إلى قبائلهم وأقربائهم كقول عبد يَعُوثِ بْنِ وَقَّاصِ الْحَارِثِيِّ (٤٩٢) :

وَقَدْ كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمَعْمَلِ الدِّ مَظِيٍّ وَأَمْضِي حَيْثُ لَاحِيٍّ مَاضِيَا
 وَأَنْحَرُ لِلشُّرْبِ الْكَرَامِ مَظِيَّتِي وَأُصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْتَيْنِ رِدَائِيَا (٤٩٣)
 وقول عمرو بن قميئة (٤٩٤) :

إِن أَكُ مِسْكِيْرًا فَلَا أَشْرَبُ وَغَلًّا، وَلَا يَسْلَمُ مِنِّي الْبَعِيرُ (٤٩٥)

وينظر إلى الإبل المعدة للنحر في الدرجة الأولى على أنها ضخمة، وسمينة، ونفيسة، كقول قيس بن الخطيم مادحاً: (٤٩٦)

مَنْ لَا يَزَالُ يَكْبُ كُلُّ نَقِيلَةٍ وَزَمَاءَ غَيْرِ مُحَاوِلِ الْإِنْزَافِ (٤٩٧)
 وقول الخرنق بنت بدر تنوه بفضل رجل من قومها: (٤٩٨)

-
- ٤٨٨ — بصراد: بسحاب لاء فيه، بارد. والصقيع: الجليد الساقط من الماء بالليل كأنه ثلج. والكرسف: القطن.
- ٤٨٩ — القرع: الفعل يختار للفحلة. والشول جمع شائلة وهي التي خف بطنها وضرعها. والرقص: ضرب من السرعة. والراعي لها متحرف: أي يمشي في شق من البرد.
- ٤٩٠ — المتقيات: ذوات النقي، وهو الشحم والمخ. والشطي: العظام. ويمرغ: يتصفى: يخلص المكان الذي كانوا يتصفون فيه.
- ٤٩١ — المتجرف: الذي قد أذهبت السنون ماله.
- ٤٩٢ — المفضليات ١٥/٣٠ — ١٦.
- ٤٩٣ — الشرب جمع شارب. وأصدع: أشق. ويريد أنه يعطي كلاً منهما شطر رداءه.
- ٤٩٤ — الديوان ٢/١٢.
- ٤٩٥ — الواغل: الداخِل على القوم وهم يشربون من غير أن يدعى.
- ٤٩٦ — الديوان ٢/١٦.
- ٤٩٧ — نقيلة: ناقه عظيمة. وزماء: كثرة اللحم. الإنزاف: أن يفني ما عنده.
- ٤٩٨ — الديوان ٤/٨.

ذاك وقدما يُعجل البازل — كوماً بالموت كشه الحصير^(٤٩٩)

كما أن الشعراء يصفون ذهاب الأجواد بسيوفهم الحادة إلى مجموعة الإبل المحبوسة المخصصة للنحر، ويصورون خشية الإبل وفرعها إذا ما اقتربوا منها، لأنها تعرف أنهم علامة لنحر وشيك الوقوع. يقول حاتم الطائي مصوراً ذلك^(٥٠٠):

متى ترني أمشي بسيفي وسطها — تحفني وتضمير بينها أن تجزرا
وليد بن ربيعة يصور صنع أخيه قائلاً^(٥٠١):

يدعرك البرك فقد أفرغته — ناهض ينهض نهض المختزل^(٥٠٢)
مدمن يجلو بأطراف الذرى — دئس الأسوق بالعضب الأفل^(٥٠٣)

ويسمى النحر «العقر» أحياناً، وهو ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف، وهو قائم كي لا يستطيع البعير أن يفر راكضاً. إن حركة البعير الذي يسعى دون جدوى أن ينتصب، عدّ ظاهرة مميزة لدى النحر^(٥٠٤). وقد كان للعقر مكانة كبرى، فالجاحظ يذكر أنه «ليس يكون فوق عقر الإبل وإطعام السنام شيء»^(٥٠٥). كما أن الشعراء أشاروا إلى هذا الصنيع وافتخروا به، فالأعشى الكبير يشير إلى نعم «تعقر للضيف الغريب وتحلب»^(٥٠٦)، ولييد بن ربيعة يذكر أن «ما أتلفوا لابتهاء الحمد أو عقروا»^(٥٠٧)، وزهير بن أبي سلمى يفتخر بقومه الذين يعقرون «أمات الرباع»^(٥٠٨)، كما يفتخر طرفة بن العبد بقومه مشيراً إلى أنهم «عقر للنيب»^(٥٠٩).

* * *

-
- ٤٩٩ — البازل: المسنة من الإبل. والكوما: العظيمة السنام.
٥٠٠ — الديوان ١٥/٦٨.
٥٠١ — الديوان ٨٤/٢٦ — ٨٥.
٥٠٢ — نهض المختزل: أي غير مستو لأنه قد شرب وسكر. والمختزل: المقطوع السنام.
٥٠٣ — العضب: القاطع. وجعله أفل لكثرة ما يقارع به الحروب.
٥٠٤ — جاء في لسان العرب ج ٤ ص ٥٩٣: «أصل العقر ضرب قوائم البعير أو الشاة بالسيف وهو قائم».
٥٠٥ — البخلاء: الجاحظ ص ٢٣٠.
٥٠٦ — الديوان ٢٢/٣٠.
٥٠٧ — الديوان ٢٣/٩.
٥٠٨ — الديوان ص ١٨.
٥٠٩ — الديوان ٧/١٢. والنيب: جمع ناب، وهي المسنة من الإبل، ويريد النفيسة.

٣ — تشبيهات الجود والمحتاجين

لوصف غزارة العطايا ووفرتها وديمومتها يشبه الشعراء هذه العطايا بمظاهر الطبيعة كالنهر والسييل والبحر والمطر والربيع وجري الجياد .

١ — صورة النهر والسييل :

أراد الشعراء أن يلفتوا النظر إلى غزارة العطايا وجزالتها ، وإلى أنها لا تنفذ ، فشبهوها بصورة النهر المتدفق^(٥١٠) . وهنا يحلو للشعراء أن يسموا نهر الفرات في الدرجة الأولى ، كقول لبيد بن ربيعة :^(٥١١)

تجري خزائنه على مَنْ نابَه — مجرى الفرات على فِراضِ الجدول^(٥١٢)
وقول عبيد بن الأبرص :^(٥١٣)

مَنْ سَيَّه سَحَّ الفراتِ وَحَمَلَه — مُزْنُ الجبالِ ونيلُه لا يَنْفَدُ^(٥١٤)
ولم يكنف الشعراء بالإشارة إلى غزارة العطايا وديمومتها ، وإنما كانوا يزينون أوصافهم وصورهم لإظهار أن العطايا أعظم وأغزر مما يقذفه النهر على الأرض إذا ما فاض . إن صورة النهر على أنها تعبير عن الجود عرضت في صيغتين ، الصورة الأولى يقدمها لنا قول المُسَيَّب بن عَلس^(٥١٥) :

ولأنت أجودُ من خليجٍ مُفعمٍ — متراكمٍ الآذِيّ ذي دُفَاعٍ^(٥١٦)

٥١٠ — انظر : أمية بن أبي الصلت : الديوان ٢/٥٢ ، وبشر بن أبي خازم : الديوان ٧/٢٤ ، والمسيب بن علس : شعره ١٥/١٦ .

٥١١ — الديوان ٢١/٣٩ .

٥١٢ — نابه : اعتفاه . والفراض : فوهة النهر .

٥١٣ — الديوان ١٧/١٣ .

٥١٤ — السيب : العطاء . المزن : المطر .

٥١٥ — شعره ٢/١١ .

٥١٦ — الخليج : النهر . والآذي : الموج أو السيل . وذو دفع : يدفع الماء بعضه بعضاً لكثرة .

وقول أبي اللّحام التغلبي (٥١٧) :

ولأنت أجود من خليجٍ مُرسلٍ متابعٍ التيار غير مُسجّسٍ (٥١٨)
وتلَوْن الصورة الثانية في أبيات عدة (٥١٩) ، وهنا نجد أسماء الأنهر كالفرات والنيل . وهذا
النابة الذي ياتي بصور غزارة جود النعمان بن المنذر ويشبهه بنهر الفرات : (٥٢٠)

فما الفرات إذا هبّ الرياحُ له تُرمي غواربه العبرين بالزبد (٥٢١)
يُمْدُهُ كُلُّ وادٍ مُترعٍ لَجِبٍ فيه ركّامٌ من الينبوتِ والحُضد (٥٢٢)
يَظُلُّ من خوفه الملاحُ مُعْتَصِماً بالخيزرانة بعد الأينِ والنجد (٥٢٣)
يوماً بأجودٍ منه سَيَبُ نافلةً ولا يحولُ عطاءُ اليوم دون غدٍ (٥٢٤)

ويأتي الأعشى الكبير بمثل هذه الصورة في أماكن عدة ، (٥٢٥) وبذلك يحتل المرتبة الأولى بين
الشعراء في تعلقه بهذا التشبيه ، ولعله تأثر بالمسيب بن علس ، فقد كان راوية له . وهذه صورة لنهر
الفرات يسمعها الأعشى الكبير بقوله (٥٢٦) :

وما مجاورٌ هيتٍ إن عَرَضَتْ له قد كاذَ يَسْمُو إلى الجُرْفين وأطلعا (٥٢٧)
يَجِيشُ طُوفانُهُ إذ عَبَّ مُحتَفِلاً يكاذُ يَغْلُو رُسَى الجُرْفين مُطلعا (٥٢٨)
طابَتْ لَهُ الرِيحُ فامتَدَتْ غواربُهُ تُرى حوالبُهُ مِنْ مَوْجِهِ تَرَعَا (٥٢٩)

-
- ٥١٧ — ديوان عمرو بن كلثوم ١٥/٣٦ .
٥١٨ — غير مسجس : غير فاسد .
٥١٩ — انظر : أوس بن حجر : الديوان ١٧/٤٠ — ١٨ ، وبشر بن أبي خازم : الديوان ١٢/٣٥ — ١٤ .
٥٢٠ — الديوان ٤٤/١ — ٤٧ .
٥٢١ — الغوارب : الأمواج . والعبرين : الشاطئين . والزبد : ما يطرحه إذا جاش ماءه .
٥٢٢ — مترع : مملوء . ولجب : ذو صوت شديد . والينبوت : ضرب من الشجر . والحضد : المحطم من
الأشجار .
٥٢٣ — الخيزرانة : سكّان السفينة وقيل هي اليردي . والأين : التعب . والنجد : الكرب .
٥٢٤ — السيب : العطاء . وناقلة : زائدة .
٥٢٥ — الديوان ٣٦/٤ — ٣٩ ، ٣١/٢٨ — ٣٣ ، ٣٥/٥٥ — ٣٦ ، ٦/٧٠ — ٩ ، وقارن المسيب بن
علس : شعره ٢٠/١١ .
٥٢٦ — الديوان ٥٨/١٣ — ٦١ .
٥٢٧ — هيت : بلدة بالعراق على الفرات ، ومجاور هيت : نهر الفرات . والجرف : طرف النهر .
٥٢٨ — يجيش : يضطرب . والطوفان : الماء الغالب يغشى كل شيء . وعب البحر : ارتفع وكثر موجه . وحفل :
اجتمع وامتلأ . ورى : جمع روبة .
٥٢٩ — الغوارب : أعالي الأمواج . وحوالب النهر : الفروع التي تمتد . وترعا : مترعة مملوءة إلى نهايتها .

يوماً بأجودَ منه حينَ تسألُهُ إِذْ ضَنَّ ذُو المَالِ بالإِعْطَاءِ أَوْ خَدَعَا (٥٣٠)

ومن الملاحظ أنَّ الشواهد السابقة كلها التي ضمت تشبيه العطايا الغزيرة بالأنهر وفيضاناتها، احتفظت بها القصائد المدحية .

ويخص صورة النهر أيضاً صورة السيول الجارفة التي تصب في الوديان، والتي تشبه بالعطاء، والتي توضح الجود السمع الذي لا ينفد، كقول الأعشى الكبير (٥٣١) :

وجوَادٌ فَأَنْتَ أَجودُ مِنْ سَيِّ — لِي تَدَاعَى مِنْ مُسْبِلٍ هَطَّالٍ (٥٣٢)

٢ — صورة البحر :

كان البحر عند العرب رمزاً للكثرة، وقد نظروا إليه على أنه جواد بسبب عدم نفاذه، وتجلى ذلك في أمثالهم أيضاً فقالوا: «أسمع من البحر» (٥٣٣) . لذلك يشبه الشعراء العطايا الجزيلة والنفيسة به :

النابعة الذياني وجد ممدوحه « بحر عطاء يستخف المعابر » (٥٣٤)، والأعشى الكبير يجد بحر ممدوحه يعلو بحور الناس عطاءً، بقوله (٥٣٥) :

أهوْدَ وَأَنْتَ امرؤُ ماجِد — وبحرك في الناس يعلو البحورا
وزهير بن أبي سلمى يشير إلى اضطراب بحر ممدوحه حيث تتقاذف السفن (٥٣٦) :

مَتَى تَأْتِه تَأْتِ لُجٌّ بَخِر — تَقَاذِفُ فِي غَوَارِيهِ السَّفِنِ (٥٣٧)
ويذكر الشعراء أنَّ عطاء الممدوح أعظم وأجزل من أمواج البحر المتلاطمة المترددة، كقول

٥٣٠ — خدع : تواري .

٥٣١ — جمهرة أشعار العرب ٢٦٤/١ . والبيت يوجد في مقطوعة تنسب إلى كبشة الكندية : الحماسة الشجرية ٣/٢٣٣ .

٥٣٢ — المسبل : أي المطر المُسْبِل وهو المطر بين السحاب والأرض حين يخرج من السحاب ولم يصل إلى الأرض .

٥٣٣ — العقد الفريد ج ٣ ص ٧٤ .

٥٣٤ — الديوان ٢١/٧ . يستخف : يرمي بقوته واضطراب موجه . والمعابر : السفن التي يعبر فيها . وانظر الديوان نفسه ١٨/٢٧ ، والمسيب بن علس : شعره ١٤/١٤ .

٥٣٥ — الديوان ٣٦/١٢ . وانظر الديوان نفسه ٥٦/١٣ .

٥٣٦ — الديوان ص ١٩٢ .

٥٣٧ — الغوارب : أعالي الأمواج .

أبي قردودة الطائي: (٥٣٨)

وما البحرُ تظمو قواميسُه بأنفقَ منه مالٍ زفاقاً (٥٣٩)

ويغالي الشعراء عندما يطلقون على بعض الأجواد اسم «أبي البحر»، كما في قول عبد الله بن جعدة راثياً أحدهم (٥٤٠):

فانعوا أبا بحرٍ بكل مجرب حرّانٍ يحسب في القناة هلالاً

٣ — صورة المطر:

كان المطر رمزاً لانتعاش الحياة في الصحراء الجافة لدى العرب لأن حياتهم متعلقة بالمطر تعلقاً كاملاً. لذلك يسوق الشعراء صورة المطر ليقارنوها مع العطايا الغزيرة التي تعيد الحياة للناس، وتنعشهم بعد طول انتظار. ويأتي التشبيه بالمطر في مصادرنا ثلاث عشرة مرة، وهنا تستخدم صور متنوعة. فالشعراء يصورون أيدي الأجواد وكأنها تمطر العطايا، فممدوح الأسود بن يعفر «تمطر الخير كفه» (٥٤١)، وممدوحو أمية بن أبي الصلت «جادت أكفهم الماطر» (٥٤٢)، ويشرب عبيد بن الأبرص الخمر صباحاً «في بيت منهمر الكفين مفضال» (٥٤٣).

كما ينظر الشعراء إلى الغمامة على أنها رمز للعطايا الجزلة، ويصورون الأيدي وكأنها غمامة تمطر خيراً، كقول زهير بن أبي سلمى (٥٤٤):

أليسَ بفياضٍ يسداه غمامةٌ على مُعتفيه مائِغِبٌ فواضِلُهُ (٥٤٥)

وهذان شاهدان أسندا إلى أيدي الرجل الكريم مهمتين مزدوجتين، الأولى على أنها أداة للقتل، والثانية على أنهما نبع للخيرات، وهذا يعني أن القوة والجد هما الفضيلتان، والقيمتان

٥٣٨ — قصائد جاهلية نادرة ص ١٧٠. وانظر: طرفة بن العبد: الديوان ٢/٥٧.

٥٣٩ — تظمو قواميسه: ترتفع وتفيض أساطه. وقاموس البحر: وسطه ومعظمه.

٥٤٠ — أشعار العامرين الجاهليين ٤/١١٢.

٥٤١ — الديوان ١٩/٦٨.

٥٤٢ — الديوان ٣/٣٨.

٥٤٣ — الديوان ١٣/٤٠. والمنهمر الكفين: السخي السائل الكفين بالعطاء. والمفضال: العظيم السمح على قومه. وانظر: امرؤ القيس: الديوان: الذيل ٤/٧، وعلباء بن أرقم: الأصمعيات ١٩/٥٥.

٥٤٤ — الديوان ص ٢٣٣.

٥٤٥ — المعتفون: السائلون. والفواضل: العطاء. وتغيب: تنقطع.

المهمتان لرجل ذي مكانة واحترام . يقول النابغة الذبياني (٥٤٦) :

تَحِينُ بِكَفِّهِ المَنَايا وتَارَةً تَسْحَانُ سَحاً من عطاءٍ ونائلٍ (٥٤٧)
وتقول أمامة بنت الجلاح (٥٤٨) :

كَأَنَّ العَطَاياَ والمَنَاياَ بِكَفِّهِ سَحَابَانِ مَقْرُونَانِ مُؤْتَلِفَانِ
وكيف ينهمر المطر الغزير الجارف ، ويجلب الخيرات للأرض ، فإن الأجواد يبدلون أموالهم ،
ويؤثرون في حياة الناس كما يؤثر المطر في الأرض الجافة . وهذا بمدوح الأعشى الكبير « كالغيث
ما استمطروه جاد وابله » (٥٤٩) ، ومدوح النابغة الذبياني كأنه الغيث « ينفع ما يليه » (٥٥٠) ،
وممدوح لبيد بن ربيعة (٥٥١) :

يَعْفُو عَلَى الجَهْدِ والسُّؤَالِ كَمَا أَنْزَلَ صَوْبُ الرِّيعِ ذِي الرِّصْدِ (٥٥٢)
فضلاً عن ذلك يقول الشعراء إنَّ عطاء الأجواد أجزل وأغزر من المطر ، كقول المسيب بن
علس : (٥٥٣)

ولأَنْتِ أَجْوَدُ بالعطاءِ مِنْ الرِّيانِ لَمَّا جَادَ بالقَطْرِ (٥٥٤)
لقد استخدم الشعراء في سياق صورة المطر وتشبيهه بالجدود كلمة « الندى » (٥٥٥) التي
أخذت بناء على هذا التشبيه معنى الجدود مباشرة . لقد كان للندى أهمية كبرى في المناخ الجاف
لشبه الجزيرة العربية ، لأنه إذا لم يوجد الندى قلن تخلصب الأرض ، وتنبت المراعي للقطعان ، وينتشر
الرخاء ، وهكذا فالندى رمز إلى الجدود والضيافة .

-
- ٥٤٦ — الديوان ٢٩/٢٦ .
٥٤٧ — نحين بكفيه المنايا : أي يحين وقتها . وتسحان سحاً : تصبان العطاء صباً .
٥٤٨ — التذكرة السعدية : العبيدي ص ١٦٤ . وانظر المعنى نفسه لندى بشر بن أبي خازم : الديوان ٢١/٤٦ .
٥٤٩ — الديوان ٤/٢٥ .
٥٥٠ — الديوان ٤٨/٧٥ .
٥٥١ — الديوان ٥/١٨ .
٥٥٢ — يعفو : يكثر في العطاء . والصوب : المطر . والرصد : المطر يكون في أول الزمان .
٥٥٣ — شعره : ٣٣/٩ .
٥٥٤ — الريان : جبل ببلاد طيء لا يزال يسيل منه المطر . انظر : القاموس المحيط ج ٤ ص ٣٣٩ .
٥٥٥ — جاء في لسان العرب ج ١٥ ص ٣١٥ : « الندى : السخاء والكرم وتندى عليهم وندى تسخى ،
وفلان ندى الكف إذا كان سخياً » .

إن اليد الندية هي اليد التي تسخو بالعطاء الجزل، وهذا ما كان مدعاة للفخر والحمد، فالشُّنْفَرِي الأزدِي يشير إلى رجل «ندي الكف» (٥٥٦) وبشر بن أبي خازم يذكر مجموعة من خصال ممدوحه، ومنها «كف فواضل تحصيل نداها» (٥٥٧)، وعامر بن الطفيل ينوه بوجود قومه بقوله: «وأيماننا تندي» (٥٥٨)، وامرؤ القيس يمدح رجلاً «يجير الخائفين وتندي يده عطاءً من طارفات وتلد» (٥٥٩).

٤ — صورة الربيع:

يرمز الربيع إلى الخصب، وكان له أثر كبير في حياة العرب، لأن الأرض تخصب في هذا الفصل من السنة، والمواشي تلد، فينتعش الناس من جديد، لذا يأتي الشعراء بهذا الرمز النموذجي ليشيروا إلى نعيم الضيافة والجود. إن الشعراء يطلقون على الجواد أحياناً اسم ربيع المحتاجين، كما يقول ابن قتيبة في سياق حديثه عن ليبد بن ربيعة الذي «كان يقال لأبيه ربيع المحتاجين لسخائه» (٥٦٠).

ويلاحظ أن الشعراء يطلقون اسم الربيع على الممدوح، ويؤكدون في الوقت نفسه قوته ومنعته تجاه أعدائه، كقول المُسَيَّب بن عَلس مادحاً: (٥٦١)

هَمْ الرِّبْعُ عَلَى مَنْ ضَافَ أَرْحَلَهُمْ وفي العدوِّ مَنَكيذُ مشائِمُ (٥٦٢)

وقول النابغة الذبياني يمدح النعمان بن المنذر (٥٦٣):

وَأَنْتَ رِبْعٌ يَنْعَشُ النَّاسَ سَيِّئُهُ وسيفُ أَعْبَرْتَهُ المَنِيَّةُ قَاطِعُ (٥٦٤)

ويشار إلى أن صورة الربيع. ترد في سياق المديح أو الرثاء، على أن عنتره بن شداد وظفها في معرض فخره الذاتي، بقوله: (٥٦٥)

٥٥٦ — الأشباه والنظائر: الخالديان ج ٢ ص ١١٤.

٥٥٧ — الديوان ٢١/٤٦.

٥٥٨ — عيون الأخبار: ابن قتيبة ج ١ ص ٣٤٣.

٥٥٩ — الديوان ٣/٤٢. والطارفات: ما استطرقة الرجل واتخذها واكتسبه. والتلد: ما ورثه الرجل عن آبائه.

٥٦٠ — الشعر والشعراء ص ٢٨٠.

٥٦١ — شعره ١/٢٢.

٥٦٢ — مشائيم مفردا مشووم، والشووم: خلاف اليموم.

٥٦٣ — الديوان ٣١/٢. وانظر الديوان نفسه ٣١/١٨، ١/١٩، ٢/٥٧.

٥٦٤ — السيف: العطاء. ينعش: يجبر ويرفع. أعبرتة المنية: يريد أنه يهلك أعداءه، فكأنه سيف استعارته المنية.

٥٦٥ — الديوان: الذيل ٢/٢٦.

وأنا الريح لمن يحل بساحتي أسد إذا ما الحرب أبدت ناهيا

٥ - صورة جري الجياد :

مثلاً يبذل الجواد لدى ركضه قوته كاملة، ولا يخيب ظن فارسه، فإن المدوح لا يخيب الأمل في جوده، حيث يجود أيضاً بكل ما يملك. يقول طرفة بن العبد (٥٦٦) :

نعفو كما تعفو الجياد على الـ علات والخدول لا نذر (٥٦٧)
ويقول النابغة الذبياني (٥٦٨) :

سبقت الرجال الباهشين إلى الندى كسبت الجواد اصطاد قبل الطوار (٥٦٩)
ويصف الشعراء الجود بطريقة أخرى، عندما يصورون الأشخاص المحتاجين الذين يأتون إلى الأجواد ملتجئين المعروف. وهم يشيرون في هذا السياق إلى العدد الكبير وإلى الحالة السيئة للمحتاجين، واستقبال الأجواد اللطيف. فأبو قيس صيفي بن الأسلت يشبه المحتاجين بعصائب تتبع عصائب أخرى (٥٧٠) :

ترى طالب الحاجات نحو بيوتكم عصائب هلكى تهدي بعصائب
والأعشى الكبير يشبه العفاة بالنصارى، وهم يطوفون بأيقوناتهم قائلاً: (٥٧١)

يطوف العفاة بأبوابه كطوف النصارى بيوت الوثن
ويعقد زهير بن أبي سلمى صورة بين المحتاجين والجمال وهي تحوم حول الماء (٥٧٢) :

كأن ذوي الحاجات حول قبابه جمال لدى ماء يحمن حواني (٥٧٣)
ويشبه عتيك بن قيس العفاة بدار ممدوحه بعظام الرأس التي تلتقي التقاء متيناً (٥٧٤) :

يضم العفاة الطارقين فناؤه كما ضم أم الرأس شغب القبائل

* * *

٥٦٦ - الديوان ١٦/١٣ .

٥٦٧ - نعفو على العلات : نزيد ونكثر العطاء على ما ينوبنا من قلة مال وعسرة .

٥٦٨ - المعاني الكبير : ابن قتيبة ج ١ ص ٥٤٩ . ورواية الديوان ١٧/٢٥ العلا .

٥٦٩ - الباهش : المسرع إلى الشيء سروراً به . والطوار : التي تطرد الصيد وتتبعه .

٥٧٠ - الديوان ص ٦٨ .

٥٧١ - الديوان ٥١/٢ .

٥٧٢ - الديوان ص ٣٦٤ .

٥٧٣ - يحمن : يجمع ويذهب . والحواني : جمع حانية وهي التي قد حنت عنقها من العطش .

٥٧٤ - معجم الشعراء : المرزباني ص ١٧٥ .

٤ — استعارات البخل وصوره

عَدَّ البخل عاراً لدى العرب^(٥٧٥) ، وقد حاول الشعراء بطرق مختلفة أن يصوروا هذه الصفة السيئة ، وكانوا مهتمين دائماً بأن يثبتوا أنهم ليسوا بخلاء ، أو أنَّ ممدوحهم لا علاقة لهم بالبخل . فممدوحو الأعشى بن النباش « لا بخل فيهم »^(٥٧٦) ، وممدوح أسيد بن عتقاء « لا بخل لديه ولا حصر »^(٥٧٧) ، ولا يوجد لدى ممدوحي المتنخل الهذلي « لا خال ولا بخل »^(٥٧٨) ، ويفتخر السموءل بقومه نافياً عنهم البخل بقوله :^(٥٧٩)

فنحن كماء المزن مافي نصابنا كهام ولا فينا يُعدُّ بخيل^(٥٨٠)

وينظر الشعراء إلى البخل على أنه عيب وعار ، إنه بشع وكريه ، ويضيفون إلى ذلك أنَّ البخل يلام ، ولذا فإنهم يحذرونه . يزيد بن عمرو التميمي يقول : « إِنَّ البخلَ عارٌ »^(٥٨١) ، ويؤكد حاتم الطائي أنه « لا خير في من كان بالبخل فارح »^(٥٨٢) ، وعدي بن زيد يبين ما يلحق بالبخل قائلاً :^(٥٨٣)

وَلِلْخُلُقِ إِذْلالٌ لِمَنْ كان باخلاً ضنيناً وَمَنْ يَخُلْ يُذَلُّ وَيُزْهَدِ

٥٧٥ — انتقد البخل والجشع في الأخلاق اليونانية والرومانية أيضاً . انظر : Lexikon für Theologie und Kirche,

Bd. IV S.628.

٥٧٦ — شعر تميم ٤/١٤ .

٥٧٧ — سمط اللالي : البكري ص ٥٤٣ .

٥٧٨ — ديوان الهذليين ج ٢ ص ٣٤ .

٥٧٩ — الديوان ص ١٥ .

٥٨٠ — المزن : السحاب الأبيض واحده مزنة . والنصاب : الأصل .

٥٨١ — الوحشيات : أبو تمام ٤/٣٤٩ .

٥٨٢ — الديوان : الذيل ٨/٣٠ .

٥٨٣ — الديوان ٤٠/٢٣ — ٤١ .

وللبخله الأولى لمن كان باخلاً أعفُ ومن يئخل يُلْمَ ويُلهَد (٥٨٤)

وقد يسخر الشعراء أحياناً من البخلاء، كقول المتلمس الضبعي: (٥٨٥)

آليت حَبَّ العراقِ الدُّهْرَ أطعمَهُ والحَبُّ يأكلُهُ في القرية السوسُ

وقول ابن زبابة التميمي: (٥٨٦)

إنك يا عمرو وترك الندي كالعبد إذ قيد أجماله

إن صفة البخل احتلت مكانة كبيرة في قصائد الهجاء، بحيث نُظر إلى أن أفضل بيت

شعري في غرض الهجاء هو الذي يشهر بالبخل:

تبيتون في المشتى ملاءً بطونكم وجاراتكم غرثى يَتَنَ حَمائصاً (٥٨٧)

ولذلك ترد هذه الصفة السيئة دائماً إذا ما أراد الشعراء أن يهجووا أحداً. طرفة بن العبد ينفي

جود أحدهم بقوله: «أنت بخيل» (٥٨٨)، والمتلمس الضبعي يعلن قوماً، فيقول: «ويشس

ما بخلوا» (٥٨٩)، والأعشى الكبير يعلن أن علقمة بن علاثة ليس «في السلم بذئ نائل» (٥٩٠)،

ويشنع أيضاً ببخل أحدهم عندما أتاه زائراً بقوله: (٥٩١)

أتيت حُرَيْشاً زائراً عن جنابةٍ وكان حريث عن عطائي جامداً (٥٩٢)

ويصعد الشعراء من نظرهم إلى البخل عندما يعلنون رفضهم لكل علاقة لهم بالبخلاء

لإظهار أنهم لا يريدون أن تكون لهم أية صلة بهم. فالأعشى الكبير يشبّه أن ممدوحه «لا يشربُ

كأساً بكفٍّ من بَخِلًا» (٥٩٣)، وعبد قيس بن خفاف البرجمي يعلن موقفه من البخلاء، فيقول:

«أوالي الكريم وأجفو البخيلاً» (٥٩٤).

٥٨٤ — رجل ملهد: رجل مستضعف ذليل.

٥٨٥ — الديوان ١٦/٤.

٥٨٦ — فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: أبو عبيد البكري ص ٢٠٧، تحقيق عبد المجيد عابدين وإحسان

عباس، الخرطوم ١٩٥٨.

٥٨٧ — الأعشى الكبير: الديوان ١١/١٩.

٥٨٨ — الديوان ١/٦٩.

٥٨٩ — الديوان ٥/٢.

٥٩٠ — الديوان ٣٦/١٨.

٥٩١ — المصدر نفسه ٤/٧.

٥٩٢ — حريث: هو الحارث بن وعله، يصغره تحقيراً من شأنه. والجنابة: البعد.

٥٩٣ — الديوان ١٧/٣٥. والمراد أنه ليس بخيلاً، لأنه يشرب بيده هو نفسه.

٥٩٤ — شعر تميم ٨/١٤٦.

إنَّ الشعراء يصفون بطرق مختلفة سلوك البخلاء، ويضيفون إلى ذلك استعارات متنوعة. إنَّ ربط ضرع الإبل لكي تحتفظ بالحليب كان علامة على البخل. لذا ينفي الشعراء هذا التصرف، إذا ما افتخروا فخراً ذاتياً، أو مدحوا. فأصحاب الأعشى الكبير « ما عودوا في الحَيِّ تَصْرَارَ اللَّقْحِ »^(٥٩٥)، ويستنكر ضَمرة بن ضَمرة النَّهْشَلِي أن يقوم بهذا التصرف قائلاً: « أَصْرُهَا وَبَنِي عَمِّي سَاغِبٌ »^(٥٩٦). كما أن رشح ضرع الناقة بالماء البارد ليحتفظ اللبن اتخذ إشارة إلى البخل، لذا ينصح الحارث بن حلزة ابنه قائلاً: « لا تكسع الشول بأغبارها »^(٥٩٧).

وبدهي أن ينظر إلى ترك الإبل دون حلب على أنه تصرف يشير إلى البخل، كقول عامر بن الطفيل هاجياً^(٥٩٨):

سُوْدٌ صَنَاعِيَّةٌ إِذَا مَا أوردوا صَدَرَتْ عَثُومَتُهُمْ وَلَمَّا تُحَلَبُ^(٥٩٩)

كما أشار الشعراء إلى أن البخلاء يتجنبون أن يحلبوا الإبل بصورة ملحوظة، أو يحدثوا صوتاً عند الحلب، لكي لا يعلم أحد فيلتمس شيئاً منهم، لذا فإنهم يشربون الحليب مباشرة من ضرع الناقة، كما يشير بشر بن عُليق الطائي مخاطباً أحدهم: « فاقْعُدْ يا بنَ مَصَّانٍ مُرْغَمًا »^(٦٠٠).

كما صور الشعراء ردة فعل البخيل، إذا ما طلب منه شيء، فالأعشى الكبير يؤكد جود أحدهم « إِذَا نَفْسُ الْبَخِيلِ تَجَهَّمَتْ سَوَاهَا »^(٦٠١) ويبرز جود آخر في حين « إن بعضهم إذا سئل المعروف صَدَّ وَجَمَّجَمًا »^(٦٠٢)، ويسخر من بخيل فزع عندما رأى زائراً، وكأنه يرى أسداً أو أفعى

٥٩٥ — الديوان ٤٨/٣٦. وانظر المعنى نفسه لدى عامر بن الطفيل: الديوان ١/٨. صر الناقة: شد ضرعها بالصرار حتى لا يرضعها ولدها. واللقح: جمع لُقحة وهي الناقة الحلوب.

٥٩٦ — شعر تميم ٣/١٢٤.

٥٩٧ — الديوان ٤/٧. والكسع: أن ينضح على درهما الماء البارد ليرتفع اللبن. والشول: الإبل التي ارتفعت ألبانها. والغبر: بقية اللبن في الضرع.

٥٩٨ — الديوان: الذيل ٧/١.

٥٩٩ — صناعية: الذين يصنعون ولا يسقون ألبان إبلهم للأضياف.

٦٠٠ — قصائد جاهلية نادرة ص ١٩٠. والأمثال الآتية تتعلق بهذه الفكرة: لئيم راضع، انظر: الأمثال لأبي عكرمة الضبي ص ٩٨. ألأم من راضع، وألأم من راضع اللبن، انظر مجمع الأمثال للميداني ج ٢، ص ١٣٥، والمستقصى في أمثال العرب: للزخشي ج ١ ص ٣٠٠. ورجل مصان: إذا كان يرضع من لؤمه، فلا يحلبها لئلا يسمع صوت الحلب فيطلب منه.

٦٠١ — الديوان ٢٤/٣.

٦٠٢ — المصدر نفسه ٣٦/٥٥.

في بيته ، حيث يقول : (٦٠٣)

إِذَا زَارَهُ يَوْمًا صَدِيقٌ كَأَنَّمَا يَرَى أَسَدًا فِي بَيْتِهِ وَ أَسَاوِدًا (٦٠٤)

أما أمية بن أبي الصلت فينفي أن ينكت ممدوحه الأرض لتلمس العلات بخلاً بقوله : (٦٠٥)

لَا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سَوَالِهِمْ لَتَلْمَسَ الْعَلَاتُ بِالْعَيْسِدَانِ (٦٠٦)

ولكي يشير الشعراء إلى البخل أيضاً فإنهم يصفون اليد بالقساوة ، لذا فإن « يد النعمان ليست بكرّة » (٦٠٧) ، ويلونون الوجه بالسواد : « ولم يُلَفْ يَاعِثْمَانُ وَجْهَهُكَ مَظْلَمًا » (٦٠٨) ، وهذا ما يؤكد حاتم الطائي بقوله (٦٠٩) :

فَلَا خَيْرَ فِي رَجُلٍ يَكُونُ بِمَالِهِ بِخِيلٍ شَحِيحٍ أَسْوَدَ الْوَجْهِ كَالْحُ

ويشبهون البخيل بالحرمل الذي يمتنع أكله وبالأرض الجرداء ، كقول طرفة بن العبد يذم قوماً : (٦١٠)

هُمُ حَرْمَلٌ أَعْيَا عَلَى كُلِّ آكِلٍ مُبِيرًا وَلَوْ أَمْسَى سَوَائِهِمْ دَثْرًا (٦١١)

جَمَادٌ بِهَا الْبَسْبَاسُ تَرْهَصُ مَعْزَهَا بَنَاتِ اللَّبُونِ وَالسَّلَاقِمَةُ الْحُمْرَا (٦١٢)

ويبينون أن عطاء البخلاء يرسف في الأغلال ، كقول الأعشى الكبير نافياً ذلك في ممدوحه (٦١٣) :

وَلَيْسَ كَمَنْ دُونَ مَا عَوْنِهِ خَوَاتِمُ يُخْلٍ وَأَقْفَالُهَا (٦١٤)

٦٠٣ — الديوان ٦/٧ .

٦٠٤ — أسود : جمع أسود ، وهو نوع قاتل من الحيات .

٦٠٥ — الديوان ٣/٩١ ، وينسب البيت أيضاً إلى القاسم بن أمية : الحماسة البصرية ١٣٥/١ .

٦٠٦ — نكت الأرض بالقضيب : هو أن يؤثر فيها بطرفه فعل المُفَكِّرِ المهموم .

٦٠٧ — علباء بن أرقم : الأصمعيات ١٩/٥٥ . وكرة : منقبضة .

٦٠٨ — الأعشى بن النباش : شعر تميم ٣/١٩ .

٦٠٩ — الديوان : الذيل ٧/٣ .

٦١٠ — الديوان ٢/١٣ — ٣ .

٦١١ — مبيراً : مهلكاً . والسوام : المال الراعي من الإبل وغيرها . والدثر : الكثير الذي لا يحصى .

٦١٢ — الجماد : أرض لا نبات فيها . والبسباس : نبت معروف ينبت في وعر الأرض . وترهص معزها : من قومهم رهصت الدابة ، وهو أن يصيب باطن الحافر شيء يوهنه فيندى مكانه وينزل ماء . والمعز : جمع أمعر

ومعزاء ، وهي الأرض الصلبة . والسلاقمة : العظام من الإبل .

٦١٣ — الديوان ٤٤/٢١ .

٦١٤ — الماعون : هنا العطاء والمعروف .

٥ — أجواد الجاهلية حسب الروايات العربية^(٦١٥)

كانت الضيافة منتشرة بين العرب الذين كانوا مشهورين بالجود، فهم أصحاب حياض حسب الروايات^(٦١٦)، وكانوا يقرون بالأحواض، ويبعدون الأوساخ عن الماء الذي يقدم للمسافرين.

إن المصادر الرئيسة التي روت أخبار الأجواد المشهورين وأشعارهم، هي المجموعات الشعرية وكتب الأدب والتاريخ والأمثال. ونستطيع أن نصنف الأجواد الجاهليين المشهورين في قسمين، يضم الأول الأجواد الذين بالغت الروايات في الحديث عنهم، فضرب المثل بهم، ويعالج الثاني الشخصيات التاريخية من الأجواد.

١ — الأجواد الذين ضرب المثل بجودهم:

توجد روايات وأخبار حول بعض الأجواد الذين عدوا مثلاً نموذجياً للجود والضيافة لدى العرب. ويقال إن أجود العرب ثلاثة أشخاص، وهم حاتم الطائي وهرم بن سنان وكعب بن مامة^(٦١٧). وقد أشارت الأمثال إلى جود هؤلاء الأشخاص المذكورين، ف قيل: «أقرى من أرقام المقوين». قال أبو اليقظان هم كعب وحاتم وهرم،^(٦١٨) و«أكرم من أسيري عنزة»^(٦١٩)، وهما حاتم وكعب.

٦١٥ — ينبغي أن يعرض هذا الموضوع ملخصاً قصيراً لبعض الأجواد المشهورين لا أن يكون بحثاً مفصلاً، لأن الأجواد الذين سنشير إليهم يستحقون أن يخصص لهم بحث خاص بهم.

٦١٦ — انظر: مجمع الأمثال: الميداني ج ١ ص ٢٣٧.

٦١٧ — انظر: الشعر والشعراء: ابن قتيبة ج ١ ص ٢٤٧، وسمط اللآلي: البكري ج ١ ص ٦٠٦، وثمرات الأوراق: ابن حجة الحموي ص ١٤٤، وتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧١، ونهاية الأرب: النويري ج ٣ ص ٢٠٨.

٦١٨ — انظر: جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري ج ٢ ص ١٣٤، ومجمع الأمثال: الميداني ج ٢ ص ٤٩.

٦١٩ — مجمع الأمثال: الميداني ج ٢ ص ٧٩.

جاء عن ابن الأعرابي^(٦٢١): «كان حاتم من شعراء الجاهلية، وكان جواداً يشبه جوده شعره ويصدق قوله فعله»^(٦٢٢). ولم يكن هناك جواد انتشر صيته وذكره في التاريخ العربي أكثر منه. وقد بقي ذكره حياً ومتداولاً حتى أيامنا، كما أن أخباره معروفة في المحيط اللغوي الفارسي في إيران والهند وتركيا^(٦٢٣).

وعلى الرغم من أن العلماء والنقاد^(٦٢٤) لم يكونوا متفقين حول أجود العرب كلهم فإن أغلبهم يعد حاتماً أجود الناس، فقد «كان أشهرهم بالكرم ذكراً»^(٦٢٥)، وهو «أحد الأجواد الذين يضرب بهم المثل بل هو أشهرهم»^(٦٢٦).

وقد عكست الأمثال الآتية مكانة حاتم الطائي الرفيعة، فقيل: «أجود من حاتم»^(٦٢٧)، و «أسخى من حاتم»^(٦٢٨)، و «السخاء حاتم»^(٦٢٩)، و «ذهب حاتم بالسخاء»^(٦٣٠)، و «سخاء أبي عدي»^(٦٣١).

وقد رويت أخبار كثيرة عن ضيافة حاتم الطائي وجوده، وكأنه وضع حياته وشعره في سبيل ذلك فقط^(٦٣٢). وعلى الرغم من أننا نقر بأن الأسطورة اختلطت بالأخبار الحقيقية المتعلقة بحاتم

٦٢٠ — حول سيرته ومصادره، انظر: Sezgin, F.: Geschichte des arabischen Schrifttums, Bd. 2, S. 208.

٦٢١ — هو محمد بن زياد من الكوفة، كان رواية ونسابة وعالم لغة، وألف مجموعة من الكتب، توفي ٨٤٥ م. انظر الأعلام للزركلي ج ٦ ص ٣٦٥ — ٣٦٦.

٦٢٢ — خزانة الأدب: البغدادى ج ٣ ص ١٢٨.

٦٢٣ — Von Arendonk, Enzyklopädie des Islam, Leiden-Leipzig 1913, Bd. II, S. 308 a.

٦٢٤ — ومنهم الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان (ت ٧٠٥) الذي يقول: «من زعم أن حاتماً أسخى الناس فقد ظلم عروة بن الورد». انظر: الأغاني ج ٣ ص ٧٣.

٦٢٥ — ثمرات الأوراق: ابن حجة الحموي ج ١ ص ١١٤.

٦٢٦ — سمط اللآلي: البكري ج ١ ص ٦٠٦.

٦٢٧ — جمهرة الأمثال للعسكري ج ١ ص ٣٣٦، وجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٢٣، والمستقصى في أمثال العرب للزنجشيري ج ١ ص ٥٣.

٦٢٨ — العقد الفريد ج ٣ ص ٦٩.

٦٢٩ — أمالي المرتضى ج ٣ ص ١٦٥.

٦٣٠ — العقد الفريد ج ١ ص ١١٧.

٦٣١ — الحور العين: نشوان الحميري ص ١١٥، تحقيق كمال مصطفى، القاهرة ١٩٤٨.

٦٣٢ — أشرنا إلى ضيافة حاتم الطائي وجوده في أماكن مختلفة من بحثنا.

الطائي، فإننا نعترف بجوده الحقيقي الذي برهنت عليه الأبحاث القديمة والحديثة (٦٣٣).

كعب بن مامة:

حسب رواية ابن قتيبة « كعب بن مامة الإيادي الذي آثر بنصيبه من الماء رفيقه النّمري فمات عطشاً، فضرب به المثل في الجود » (٦٣٤). وعلى الرغم من أن المرء لا يعلم شيئاً عن كعب سوى عمله الحميد الذي أشرنا إليه، فإنه كان مشهوراً بسبب جوده، فقد نظر إليه على أنه أجود من حاتم، فقد جاء في خزانة الأدب: « كان كعب فيما يقال، أجود من حاتم الطائي » (٦٣٥). ويقدم الجاحظ لنا سبب ذلك قائلاً: « لأن كعباً بذل نفسه في أعطية الكرم وبذل المجهول فساوى حاتمًا من هذا الوجه وبأينه ببذل المهجة » (٦٣٦)، لذلك فمن الطبيعي أن تفتخر قبيلته بإياد به، فقد جاء في الأغاني: « كانت إياد تفخر على العرب، تقول: منا أجود الناس كعب بن مامة » (٦٣٧).

٦٣٣ — لا أعلم أحداً انتقد جود حاتم الطائي سوى محمد النويهي (الشعر الجاهلي ص ٢٤، ٢٤١ — ٢٤٢، القاهرة بلا تاريخ). فمأخذه الرئيسة تتألف من أن جوده ليس حقيقياً، وأنه مسرف، وكان يمارس الجود ليكسب المكانة الرفيعة والذكر الحميد، فقد « استحلى ما جلبه إليه كرمه من شهرة وصيت فلم يلبث أن صار إلى الاقتعال ونعمد الإسراف الغريب استكثاراً للشهرة... فالكرم حقاً بمعنى الكرم الإسلامي... لا يهجمه من إنفاق المال الحصول على الأحاديث والذكر. وفي أشعار أخرى يصرح بأن جوده يتغني السؤدد ويتغني المجد... ولعلنا الآن أكثر فهماً وأكبر تقديراً لما فعله الإسلام. إذ جاء فذم هذا الإسراف، وأى أن يعده فضيلة بل عده رزيلة، نهى عنها في عدد من الآيات القرآنية ». ونرى أنه لا يجوز للباحث أن يحكم على جود حاتم حسب المفهوم الإسلامي للجود، وإنما حسب ظروف العصر الذي عاش فيه حاتم، ذلك أن فضيلة كل مجتمع أو رذيلته ينبغي أن تقاس بظروف ذلك المجتمع بالنظر إلى منافعه وفوائده. وقد وقع محمد النويهي في تناقض عندما بحث في جود حاتم من منظور إسلامي، لأنه يعتقد أن الباحث يجب أن يأخذ بعين الاعتبار لدى كل دراسة ظروف العصر وفضائل المجتمع. إنه يقول: « في كل دراسة تاريخية يجب أن تراعى أحوال العصر وقيم المجتمع حتى لا تسقط في التشويه التاريخي الذي يدل على إفقار صاحبه من الحاسة التاريخية ». ولأنه يرفض أن ينتظر المرء شيئاً من أفراد مجتمع معين لا تسمح به ظروف الحياة لديهم، حيث يقول: « إنما الذي نعييه هو الإسراف المنتطع في إداة قوم بمطالبهم بدرجة لم تكن ظروفهم المكانية والزمانية، المادية والثقافية تسمح لهم أن يبلغوها ». حول النقد السابق، انظر: مقدمة ديوان حاتم الطائي لعادل سليمان جمال ص ٧٧، وما بعدها، والقروسية في الشعر الجاهلي لنوري حمودي القيسي ص ٢٩١ وما بعدها، بغداد ١٩٦٤.

٦٣٤ — الشعر والشعراء: ابن قتيبة ص ٢٤٣، والخبر في: العقد الفريد ج ١ ص ٢٩٣، ومعجم الشعراء للمريزاني ص ٤٤١، ومخط الآلي للبكري ص ٤٨٠.

٦٣٥ — خزانة الأدب: البغدادى ج ٩ ص ٤٠٠.

٦٣٦ — الحيوان ج ٢ ص ١٠٧.

٦٣٧ — الأغاني ج ١٦ ص ٣٧٨.

وهكذا أصبح يضرب المثل بجوده، فيقال: «أجود من كعب بن مامة» (٦٣٨).

هرم بن سنان:

اشتهر جوده بفضل مدح زهير بن أبي سلمى، وهذا أبو الفرج الأصفهاني يذكر «أن هرماً كان قد حلف ألا يمدحه زهير إلا أعطاه، ولا يسأله إلا أعطاه: ولا يسلم عليه إلا أعطاه: عبداً أو وليدة أو فرساً». (٦٣٩) وقد أصبح جوده مضرب المثل، فيقال: «أجود من هرم» (٦٤٠).

عنترة بن شداد: (٦٤١)

يلحق عنترة بن شداد الشاعر المعروف والبطل الأسطوري في الأخبار العربية في هذا القسم الذي يضم الأجواد الذين عدوا مثلاً نموذجياً. فقد روى ابن قتيبة أن عنترة بن شداد كان «من أشد أهل زمانه وأجودهم بما ملكت يده» (٦٤٢)، كما يروى عنه أنه قال «أجود بما ملكت يدي» (٦٤٣).

لقد أصبح بعض الأجواد رمزاً للضيافة ومضرب المثل، لذا يشير الشعراء إلى جودهم في أشعارهم أيضاً إذا ما أرادوا مدح أحد أو إبراز ضيافته، تقول ليلي التغلبيّة: (٦٤٤)

تضمن جوداً حاتماً ونائلاً وسورة مقدم وقلب حصيف
ويشير أبو جليل البرجمي إلى خلود حاتم قائلاً (٦٤٥):
يعيش الندى ما عاش في الناس حاتم وإن مات قامت للسقاء الماتم
وينوه أبو تمام بجود حاتم وكعب قائلاً (٦٤٦):

-
- ٦٣٨ — جهرة الأمثال للعسكري ج ١ ص ٣٣٨، ومجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٢٣، والمستقصى في أمثال العرب للزحشري ج ١ ص ٥٤.
٦٣٩ — الأغاني ج ١٠ ص ٣٠٣.
٦٤٠ — جهرة الأمثال للعسكري ج ١ ص ٣٣٨، ومجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ١٢٧، والمستقصى في أمثال العرب للزحشري ج ١ ص ٥٥.
٦٤١ — حول سيرته ومصادره، انظر: Sezgin, F.: Geschichte des arabischen Schrifttums, Bd. 2, S.115 ff.
٦٤٢ — الشعر والشعراء ص ١٣١.
٦٤٣ — المصدر السابق ص ١٣١.
٦٤٤ — الحماسة البصرية ج ١ ص ٢٢٩.
٦٤٥ — معجم الشعراء: المرزباني ص ٢٠٢.
٦٤٦ — ديوان أبي تمام: شرح الخطيب التبريزي ٢٦/٣٧، تحقيق محمد عبده عزام، القاهرة ٦٤ — ١٩٦٥.

كعبٌ وحاتم اللذان تقسّما خطط العلا من طارفٍ وتليد

٢ — الأجواد التاريخيون :

ويتألف هذا القسم من ثلاث مجموعات ، وهي :

أ — قبائل عرفت بجودها .

ب — مجموعات عرف أفرادها بالجود .

ج — أشخاص مستقلون .

أ — قبائل عرفت بجودها : أبرزت الروايات بعض القبائل التي مارست الضيافة ممارسة خاصة ، ومنها قبيلة قريش . فالقرشيون كان لهم دور مهم في العصر الجاهلي ، وبسبب مكانتهم الدينية المميزة ، سواء أكان ذلك في العصر الجاهلي أم الإسلامي فإن الرواة يظهرون تقديرهم الرفيع لضيافتهم ، حتى إنهم عندما أرادوا تفسير اسم قريش ربطوه بالعطاء . فقد جاء في السيرة النبوية لابن كثير^(٦٤٧) : « كان النضر بن كنانة يسمى قريشاً لأنه كان يقرش عن تحلة الناس وحاجتهم فيسدها بماله ، والتقريش هو التفتيش ، وكان بنوه يقرشون أهل الموسم عن الحاجة فيفدونهم بما يبلغهم بلادهم ، فسموا بذلك من فعلهم وقرشهم قريشاً » . وينبه ابن حبيب^(٦٤٨) إلى ضيافة القرشيين قائلاً : « فمن مكارمهم في الجاهلية أنهم كانوا على حالة شركهم يترافدون على سقاية الحاج ، وإطعام أهل الموسم ، وحمل المنقطع به من الحاج ، ومعونته على بلاغ منزله » . وتشهد الروايات أن القرشيين كانوا يقومون بالرفادة والسقاية^(٦٤٩) . هذا وإن كانت قبيلة قريش كلها مشهورة بضيافتها فإن الروايات تسمي أيضاً بعض أفرادها الذين حصلوا من خلال ذلك على الصيت والذكر الحسن . إن عدد الأجواد من قبيلة قريش كبير^(٦٥٠) ، نشير إلى بعضهم إشارة قصيرة ، من مثل :

عمرو بن مناف :

هو جد النبي محمد ﷺ ، وينبغي أن يكون قد لعب دوراً كبيراً بين القرشيين ، وأن تكون

٦٤٧ — ج ١ ص ٨٧ ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ٦٤ — ١٩٦٦ .

٦٤٨ — المنطق في أخبار القريش : محمد بن حبيب البغدادي ص ١١ ، تحقيق خورشيد أحمد مختار ، حيدر آباد ١٩٦٤ .

٦٤٩ — انظر : تاريخ الرسل والملوك : الطبري ج ٢ ص ٢٥٩ — ٢٦٠ ، والسيرة النبوية : ابن هشام ج ١ ص ١٣٧ ، والمحرر : ابن حبيب ص ٢٤١ ، والسيرة النبوية : ابن كثير ج ١ ص ١٧٣ — ١٧٤ .

٦٥٠ — انظر : السيرة النبوية : ابن هشام ج ١ ص ١٤٣ .

ضيافته عظيمة بحيث إنه سمي هاشماً « لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه » (٦٥١) . وما رفع من قيمة عمله المذكور أنه قام به في وقت تسيطر الحاجة فيه ، فقد « ذكر أن قومه من قريش كانت أصابتهم لُزْبَةٌ وقحط ، فرحل إلى فلسطين ، فاشترى منها الدقيق ، فقدم به مكة ، فأمر به فخبز له ، ونحر جزوراً ثم اتخذ لقومه مرقاة ثريد بذلك الخبز » (٦٥٢) ، وقد عكس الشعر صنيع عمرو ابن مناف ، كقول عبد الله بن الزُبَيْر (٦٥٣) :

عمرو الذي هشمَ الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجاف (٦٥٤)

عبد المطلب بن عمرو :

اكتسب عبد المطلب بن عمرو مكانة رفيعة بين القريشيين مثل ما اكتسب أبوه عمرو بن مناف ، وسمي شبيه الحمد لجوده (٦٥٥) . وهو جد النبي القريب ﷺ .

الفاكهة بن المغيرة :

أصبح جود الفاكهة مشهوراً ، « وكان له بيت للضيافة يغشاه الناس فيه من غير إذن » (٦٥٦)

هشام بن المغيرة :

كان هشام بن المغيرة « سيداً مطعماً » (٦٥٧) ، وقد « اتخذت قريش موته تأريخاً » (٦٥٨)

ب — مجموعات عرف أفرادها بالجلود : ماعدا الأشخاص الأجواد الذين ذكرناهم والذين

-
- ٦٥١ — تاريخ الرسل والملوك : الطبري ج ٢ ص ٢٥١ .
٦٥٢ — تاريخ الرسل والملوك : الطبري ج ٢ ص ٢٥٢ . والخبر بروايات مختلفة ، في : أنساب الأشراف : أحمد ابن يحيى البلاذري ج ١ ص ٥٨ ، تحقيق محمد حميد الله ، القاهرة ١٩٥٩ .
٦٥٣ — شعره ١/٣٠ ، تحقيق يحيى الجبوري ، بيروت ١٩٨١ . وينسب البيت إلى مطرود بن كعب . انظر : المنق في أخبار قريش لابن حبيب البغدادي ص ١٢ ، وتاريخ الرسل والملوك للطبري ج ٢ ص — ٢٥٢ ، وأنساب الأشراف للبلاذري ج ١ ص ٥٨ ، والسيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٤٤ .
٦٥٤ — مستنون : أصابتهم سنة قحط وجذب .
٦٥٥ — انظر : السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ٥١ ، والسيرة النبوية لابن كثير ج ١ ص ٣٣ ، ومروج الذهب ومعادن الجوهر للمسعودي ج ٢ ص ٢٥٤ ، تحقيق دي ماينراد ، بيروت ٦٦ — ١٩٦٩ ، وبلوغ الأرب للألويسي ج ١ ص ٣٢٣ — ٣٢٤ .
٦٥٦ — المنق في أخبار قريش : ابن حبيب البغدادي ص ١١٨ ، ومخط اللآلي : اليكري ج ١ ص ٥٤٠ .
٦٥٧ — الاشتقاق : ابن دريد الأزد ص ١٠٠ ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨ .
٦٥٨ — المحبر : ابن حبيب ص ١٣٩ .

ينتسبون إلى قبيلة قريش يقرأ المرء عن مجموعة معينة سميت بـ «أزواد الركب» وتنتمي إلى قبيلة قريش، وقد عرف أفرادها بالضيافة والجلود، وذكر أنهم «سموا بذلك لأنهم كانوا لا يدعون غريباً ولا مآر طريق ولا محتاجاً يجتاز بهم إلا أنزلوه وتكفلوا به حتى يظعن»^(٦٥٩). الفيروز آبادي يعلل هذه التسمية بأنهم كانوا يزودون المسافرين الذين يرافقونهم بالزاد، ويذكر أسماءهم، «فأزواد الركب مسافر بن أبي عمرو وزمعة بن الأسود وأبو أمية بن المغيرة، لأنه لم يكن يتزود معهم أحد في سفر يطعمونه ويكفونه الزاد»^(٦٦٠). على أن الزبيدي يرى أن «ذلك خلق من أخلاق قريش ولكن لم يسم بهذا الاسم غير هؤلاء الثلاثة، وورد في الأمثال: أقرى من زاد الركب، فقيل: هو واحد منهم وقيل الكل»^(٦٦١).

وهناك مجموعة أخرى كانت ضيافتها مضرب المثل، وذكرت في كتب الأمثال، وسميت بـ «مطاعم الريح»، كما يظهر المثل: «أقرى من مطاعم الريح»^(٦٦٢). على أن هناك خلافاً يتعلق بعدد الأشخاص الذين ينتمون إليها، وقد لا يذكر العدد مطلقاً. ويرى ابن الأعرابي^(٦٦٣) أنهم «أربعة أحدهم عم أبي محجن الثقفي»^(٦٦٤)، ويذكر الميداني^(٦٦٥) أنهم «كثانة بن عبد ياليل»^(٦٦٦) عم أبي محجن وليد بن ربيعة وأبوه^(٦٦٧)، كانوا إذا هبت الصبا أطعموا الناس وخصوا الصبا لأنها لا تهب إلا في جدد.

- ٦٥٩ — الأغاني ج ٩ ص ٤٩.
- ٦٦٠ — القاموس المحيط: الفيروز آبادي ج ١ ص ٣٠٩. ويذكر ابن حبيب البغدادي شخصاً آخر هو الأسود بن عبد المطلب. انظر: المحبر ص ١٣٧، والمنق في أخبار قريش ص ٤٦٠.
- ٦٦١ — تاج العروس من جواهر القاموس: المرتضى الزبيدي ج ٢ ص ٣٦٦، القاهرة ١٣٠٦ — ١٣٠٧. وانظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور الثعالبي ص ٧٩. وقد ورد المثل «أقرى من زاد الركب» في مجمع الأمثال للميداني ص ٤٩، وجمهرة الأمثال للعسكري ج ٢ ص ١٣٣، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري ج ١ ص ٢٨١.
- ٦٦٢ — انظر: مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ١٤٩، وجمهرة الأمثال للعسكري ج ٢ ص ١٣٤، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري ج ١ ص ٢٨٢.
- ٦٦٣ — انظر: مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٤٩، وجمهرة الأمثال للعسكري ج ٢ ص ١٣٤.
- ٦٦٤ — هو عمرو بن حبيب الثقفي من الشعراء المعروفين. ت سنة ٦٥٠ م. انظر سيرته ومصادرها في: Sezgin, F: Geschichte des arabischen Schrifttums. Bd. 2, S.300f.
- ٦٦٥ — مجمع الأمثال ج ٢ ص ٤٩.
- ٦٦٦ — يعده ابن سلام في كتابه طبقات فحول الشعراء ج ١ ص ٢٦٠ شاعراً دون أن يذكر شيئاً من أخباره أو أشعاره. وكثانة ليس عم أبي محجن وإنما ابن عمه، وهذا ملاحظه محمود محمد شاكر في تعليقه حول ذلك. انظر هامش الصفحة نفسها.
- ٦٦٧ — هو ربيعة بن مالك، وسرد ذكره في ص ١٨٤ من هذا البحث.

ويذكر أنه ليس من المؤكد لدى مثل هذه التسميات « كأزواد الركب » « ومطاعيم القرى » عما إذا كان المقصود أشخاصاً معينين أو مجموعات تضم أفراداً ليسوا معروفين ، ومن المحتمل أن الأمر يتعلق بتسميات أطلقت على كل جواد ، ويظن أن جامعي الأمثال حاولوا أن ينسبوا هذه التسميات والتعابير إلى أشخاص محددين .

ج — أشخاص مستقلون : بينما يدور الجدل الأدبي حول من هو الأجود ويتناول أشخاصاً لهم طبيعة أسطورية بصفة عامة ، فإنه توجد روايات غزيرة تتعلق بأفراد تاريخيين كان جودهم معروفاً ومشهوراً ، نكتفي بالإشارة إلى بعضهم إشارة مقتضبة (٦٦٨) :

أوس بن حارثة :

عرف جوده من خلال قصائد بشر بن أبي خازم (٦٦٩) ، وقد وضعه الشاعر الأموي جرير في مرتبة كعب بن مامة ، وذلك في بيت يمدح فيه الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز (ت ٧٢٠ م) قائلاً (٦٧٠) :

وما كعبُ بن مامة وابنُ سَعْدَى بأجودَ منك يا عمرَ الجوادا

وجاء في خزنة الأدب (٦٧١) أن أوس بن حارثة « ممن يضرب به المثل في الكرم والجود ، يقال له ابن سعدى » .

ربيع بن مالك :

إنه والد الشاعر المعروف لبيد العامري ، سمي « ربيع المقترين لجوده وسخائه » (٦٧٢) ، وقد أشاد لبيد بجود أبيه في أماكن عدة من ديوانه (٦٧٣) ، وذكره بهذا اللقب المشرف ، كقوله (٦٧٤) :

٦٦٨ — حول بعض الأجواد الآخرين ، ينظر : الحبر : ابن حبيب البغدادي ص ١٣٧ وما بعدها .

٦٦٩ — يقول ابن قتيبة في الشعر والشعراء ج ١ ص ٢٧٧ : « كان بشر في أول أمره يهجو أوس بن حارثة بن لأم الطائي ، فأسرته بنو نيهان من طيء ، فركب أوس إليهم فاستوهبه منهم ، وكان قد نذر ليحرقنه إن قدر عليه ، فوهبوه له ، فقالت له أنه سعدى : قبح الله رأيك ! أكرم الرجل وعُِّل عنه ، فإنه لا يمحو ما قال غير لسانه ، ففعل ، فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح » .

٦٧٠ — الديوان ١٥/٨ .

٦٧١ — خزنة الأدب : البغدادي ج ٤ ص ٤٤٢ .

٦٧٢ — الأغاني ج ١٥ ص ٣٦١ .

٦٧٣ — الديوان ٧/٦ ، ٣/٤٩ .

٦٧٤ — الديوان ٩/٨ .

صاحب الأغاني^(٦٨١) أنه « كان من جُوداء العرب ، وكان قد آلى على نفسه في الجاهلية أن لا تهب صبا إلا أطعم ، وكان له جفنتان يغدو بهما ويروح في كل يوم على مسجد قومه فيطعمهم ، فهبت الصبا يوماً والوليد بن عقبة على الكوفة ، فصعد الوليد المنبر فخطب الناس ثم قال : إن أخاكم لييد بن ربيعة قد نذر في الجاهلية ألا تهب صباً إلا أطعم ، وهذا يوم من أيامه ، وقد هبت صبا فأعينوه ، وأنا أول من فعل ، ثم نزل عن المنبر فأرسل إليه بمائة بكرة » .

عبد الله بن جدعان :

يسلك بعض الرجال طرقاً نادرة بدافع شغفهم بالجود ، لكي يلفتوا النظر إلى سماحتهم وجودهم ، كما نقرأ في عيون الأخبار^(٦٨٢) حول سلوك عبد الله بن جدعان التيمي الذي كبر « فأخذ بنو تيم عليه ، ومنعوه أن يعطي شيئاً من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه ، قال : ادن مني ، فإذا دنا منه لطمه ، ثم قال : اذهب فاطلب بلطمتك أو ترضى ، فترضيه بنو تيم من ماله ، وابن جدعان هو القائل :

إنني وإن لم ينل مالي مدى تحلقي وهابُ ما ملكت كفي من المال
لا أحبس المال إلا ريثَ أتلفه ولا تُغيّرني حالٌ عن الحال

وتؤكد الروايات أن عبد الله بن جدعان كان جواداً معروفاً ، فقد جاء في السيرة النبوية لابن كثير^(٦٨٣) أنه « كان من الكرماء الأجواد المدوحين المشهورين » . ويروى عن عائشة زوجة الرسول عليه السلام أنها قالت^(٦٨٤) : « عبد الله بن جدعان كان يحمل الكّل ، ويقري الضيف ، ويعطي السائل ويطعم الطعام » .

ويبدو أنه كان يتمتع بمكانة قيادية في قبيلة قريش ، فقد عقد حلف الفضول في داره ، وهذا الحلف نصّ على أن يضمنوا حقوق الضعفاء ، وتعاهدوا على مساعدة المحتاجين^(٦٨٥) . وقد أبرز

٦٨١ — الأغاني ج ١٥ ص ٣٧٠ ، والخبر بروايات مختلفة لدى طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي

ج ١ ص ١٣٦ ، والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٨٢ — ٢٨٣ .

٦٨٢ — عيون الأخبار : ابن قتيبة ج ١ ص ٣٣٥ .

٦٨٣ — ج ١ ص ١٣٩ .

٦٨٤ — المنق في أخبار قريش : ابن حبيب البغدادي ص ٢٠٣ ، والأغاني ج ٨ ص ٣٢٨ .

٦٨٥ — انظر : السيرة النبوية لابن هشام ج ١ ص ١٤٠ وما بعدها ، وبلوغ الأرب للألوسي ج ١ ص ٢٩٦ — ١٩٧ .

أمية بن أبي الصلت جوده في أشعاره، بحيث أصبح مضرب الأمثال، فيقال: «أقرى من حاسي الذهب» (٦٨٦).

قيس بن عاصم:

ينظر إليه على أنه شاعر وجواد (٦٨٧)، وكان يرى أن الضيافة عنصر السيادة الأهم، فقد قيل له: «بما سُدَّتْ؟ قال: ببذل الندى، وكف الأذى، ونصر المولى» (٦٨٨).

* * *

-
- ٦٨٦ — جبهة الأمثال للعسكري ج ٢ ص ١٣٣، وجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٤٩.
٦٨٧ — انظر شعره في «شعر تميم في العصر الجاهلي» ص ٥٢ — ٥٧.
٦٨٨ — الأغاني ج ١٤ ص ٧٦.

الفصل الرابع

صور خاصة بالجود

١ - الميسر

لا نريد هنا أن نعالج موضوع الميسر معالجة عامة، وإنما من خلال علاقته بالوجود والإحسان. لقد كان الجود دافعاً هاماً لوجود الميسر عند العرب^(١) الذين نسبوه إلى لقمان بن عاد الأسطوري، وهذا يعني أنه كان أول من مارس لعب الميسر^(٢). يقول امرؤ القيس^(٣):

هُمُ أَيْسَارُ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ إِذَا مَا أَجْمَدَ الْمَاءِ الْقَرِيْسُ^(٤)
ويقول طرفة بن العبد أيضاً: (٥)

وَهُمُ أَيْسَارُ لُقْمَانَ إِذَا أَغْلَتِ الشَّوْةُ أَبْدَاءَ الْجُرْزِ^(٦)

١ - حول قواعد لعب الميسر ووصف القداح وطريقة اللعب وما يتعلق به، انظر: المخبر: ابن حبيب البغدادي ص ٣٣٣ وما بعدها، والميسر والقداح: ابن قتيبة: تحقيق محب الدين الخطيب، القاهرة ١٣٨٥. والتلخيص في معرفة أسماء الأشياء: أبو هلال العسكري ج ٢ ص ٧٣١ وما بعدها، تحقيق عزة حسن، دمشق ٦٩ - ١٩٧٠، ونهاية الأرب: النويري ج ٣ ص ١١٨ - ١٢٠، وبلوغ الأرب: الألسوسي ج ٣ ص ٥٣ - ٦٦، ومحاضرات الأدباء: الراغب الأصفهاني ج ص ٧٢٣ - ٧٢٤، والميسر والأزلام: عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٣، وهوهر:

Huber, A.: über das Meisir genannte Spiel des heidnischen Araber. Diss. Leipzig 1883.

والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي ج ٥ ص ١٢٦ وما بعدها، ويعقوب:

Jacob, G.: Altarabisches Beduinenleben, S. 110 ff.

ويستون:

Beeston, A. F. L. The Game of Maysir and some modern parallels. in Arabian Studies. II. 1975.

S.1-6

٢ - يتعلق بهذا المثل القائل: «أيسر من لقمان»، انظر: مجمع الأمثال للميداني ج ٢ ص ٢٥٨، وجمهرة الأمثال للعسكري ج ٢ ص ٤٣٦، والمستقصى في أمثال العرب للزنجشري ج ١ ص ٤٤٩.

٣ - الديوان ٣/٨٦.

٤ - أيسار: جمع يسر، وهم الذين يضربون بالقداح يقامرون وينحرون الجزر ويطعمونها.

٥ - الديوان ٧٠/٢. وانظر أوس بن حجر: الديوان ٤/١٦.

٦ - الجزر جمع جزور. وأبداءها: أشرف أعضائها، واحداً بدء، وهي: الفخذان ثم العضدان.

وكانوا يلعبون في أمسيات الشتاء وأوقات الحاجة عندما يسود القحط والجذب وتهب الرياح، لأنه لا يوجد في مثل هذا الوقت عشب فتزداد حاجة الناس إلى الطعام، ويميل بعضهم إلى التقدير والإمساك. فممدوحو بشر بن أبي خازم الأسدي «أيسارُ إذا حُبَّ القَتَارُ»^(٧)، ويفتخر الأسود ابن يعفر بقومه الذين يلعبون الميسر وقت القحط:^(٨)

فلن نَعْدَمِي منا السراة ذوي النهى إذا قحطت والمُسمحين المغالقا^(٩)
وفتخر علقمة الفحل بأنه يلعب وقت الحاجة إلى الطعام قائلاً^(١٠):

وقد يَسَرْتُ إذا ما الجوعُ كُلَّفه مُعَقَّبٌ من قداحِ النَّبعِ مَقْرُومٌ^(١١)

ويتفق الشعراء كلهم على زمن لعب الميسر عندما يحددون وقت هبوب الرياح وأمسيات الشتاء فقد «كانوا لا يكادون ييسرون إلا ليلاً، لأن الليل وقت مجيء الأضياف واشتداد البرد، فيوقدون وييسرون»^(١٢)، كقول عبيد بن الأبرص:^(١٣)

ولنعمَ أيسارُ الجَزورِ إذا زَهَتْ رِيحُ الشَّتَاءِ ومألفُ الجيرانِ^(١٤)
وقول زهير بن أبي سلمى:^(١٥)

أيسارُ صِدْقٍ ما عَلِمْتُهُمُ عِنْدَ الشَّتَاءِ وَقُلَّةِ الْأَنْوَاءِ^(١٦)
وقول لبيد بن ربيعة:^(١٧)

وبيضٌ على النيرانِ في كُلِّ شَتْوَةٍ سِراةُ العِشَاءِ يَزْجُرُونَ الْمَسَابِلَا^(١٨)

-
- | | |
|------|--|
| ٧ — | الديوان ٤١/١٥ . |
| ٨ — | الديوان ٢/٤٨ . |
| ٩ — | المغالق: قداح الميسر . |
| ١٠ — | الديوان ٥٤/٢ . |
| ١١ — | معقب: أي يفوز اليوم ويعقب غداً فيفوز . والنبع: من أكرم شجر القسي . والمقروم: الذي حُرَّ عليه بالأسنان، ليكون أبلغ علامة يعرف بها . |
| ١٢ — | الميسر والقداح: ابن قتيبة ص ٨٤ . |
| ١٣ — | الديوان ٥/٥٠ . |
| ١٤ — | الجزور: ما يجزر من النوق أو الغنم، أي يذبح . وزهت: هبت . |
| ١٥ — | الديوان ص ٣٣٣ . |
| ١٦ — | الأنواء: الأمطار التي تجيء بالنوء وهو النجم . |
| ١٧ — | الديوان ٧٢/٣٥ . |
| ١٨ — | بيض: رجال كرام يوقدون ويطعمون المسافرين في الليل . والمسابل: جمع مسبل، وهو قدح له ستة أنصباء . |

وقول خَرْي بن ضَمْرَة^(١٩) :

بنو نهشل أيسارُ كلِّ عَشِيَّةٍ إذا الأفقُ أَمْسَى كَابِي اللونِ أُعْبِرا

وقول عوف بن عطية^(٢٠) :

فلقد زَجَرْتُ القِدْحَ إذْ هَبَّتْ صَبَاً خَرْقَاءُ تَقْدِفُ بِالْحِظَارِ المُسْتَدِ^(٢١)

(إنَّ سادة القبائل^(٢٢) الذين يملكون الثروة كانوا يهتمون بلعب الميسر في الأزمات حول جزور يقسم إلى حصص تقدم إلى الفقراء الذين كانوا يجتمعون حول اللاعبين منتظرين ما يسد رمقهم، وهذا يعني أن الميسر في الشتاء كان دلالة على غنى اللاعب وجوده وشهامته، لأنه كان لا يأخذ ما يكسبه، وإنما كان يتركه للفقراء. وهكذا يستطيع الأغنياء فقط أن يشتركوا باللعب، ويبرهنوا على حسن نيتهم، أما الفقراء فكانوا لا يستطيعون الاشتراك بسبب الفقر، كما لا يستطيع البخلاء الاشتراك بسبب البخل.

ولأن الميسر كان وسيلة من الوسائل الكثيرة للحدود، فقد نظر العرب إليه على أنه عمل جليل لا يستطيع القيام به سوى الأغنياء الأجواد، لذا أبرز اللاعبون في مقابل البخلاء الذين لا يشتركون معهم.

وللميسر جانب اجتماعي مهم أشار إليه ابن قتيبة^(٢٣) قائلاً: «وأما نفع الميسر فإنَّ العرب كانوا في الشتاء عند شدة البرودة وجذب الزمان، وتعذر الأقوات على أهل الضر والمسكنة يتقامرون بالقдах على الإبل، ثم يجعلون لحومها لذوي الحاجة منهم والفقراء». ويذكر الزنجشري^(٢٤) أيضاً هذه الفائدة بتوزيع أجزاء الجزور على الفقراء، عندما نوه إلى أنهم «كانوا يدفعون تلك الأنصاء إلى

١٩ — نقائض جرير والفرزدق : أبو عبيدة :

K. Naqā'id Ġarir wa-l- Farazdak, A. 'Ubaida, ed. A. A. Beran, Voll. I-II (III=indices and Glossary), Leiden 1905-12. P. 945.

٢٠ — الأَصْمَعِيَّات ٤/٦٠ .

٢١ — الصبا : ربح مهيبا من الشرق . وخرقاء : هوجاء لا تدوم على جهتها في هبوبها . والحِظَار : الحظيرة تعمل للإبل من شجر لتقيها البرد والريح .

٢٢ — يذكر ابن حبيب البغدادي (المخبر ص ٣٣٣) : «الأيسار القوم الذين يدخلون في الميسر وهم أشراف القوم» .

٢٣ — الميسر والقдах ص ٥ . وانظر حول ذلك التلخيص في معرفة أسماء الأشياء للعسكري ج ٢ ص ٧٣٦ ، والميسر والأزلام لعبد السلام هارون ص ٤٧ .

٢٤ — الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : الزنجشري ، ج ١ ص ٢٧٢ .

الفقراء، ولا يأكلون منها، ويفتخرون بذلك، ويذمون من لم يدخل فيه. وقد أكد الشعراء ما ذكره ابن قتيبة والزحشرى من جوانب النفع الاجتماعية للميسر، كقول لبيد بن ربيعة: (٢٥)

وجزورٍ أيسارٍ دَعَوْتُ لِحَفْهَها بمغالِقٍ مُتَشَابِهٍ أجسامُها (٢٦)
أَدْعُو بَهْنَ لِعَاقِرٍ أَوْ مُطْفَلٍ يُذَلَّتْ لِحَيْرَانِ الجَمِيعِ لِحَامُها (٢٧)
فَالضَيْفُ وَالْجَارُ الْجَنِيبُ كَأَمَّا هَبْطًا تَبَالَةً مُخْصَباً أَهْضَامُها (٢٨)

وواضح أن الشاعر يعلن اشتراكه بالميسر حول جزور من أجل إطعام الجار والضيف. ويسمى علباء بن أرقم الفقراء على أنهم المستفيدون من لعبه بالميسر وقت الشدائد قائلاً: (٢٩)

وَإِذَا الْعَذَارَى بِالْذُّخَانِ تَقَنَّعَتْ وَاسْتَعْجَلَتْ نَصَبَ الْقُدُورِ فَمَلَّتْ (٣٠)
دَرَّتْ بِأَرْزَاقِ الْعِيَالِ مَغَالِقُ يَبْذِي مِنْ قَمْعِ الْعِشَارِ الْجِلَّةِ (٣١)

ويبين الشعراء أنهم يقامرون بالإبل السمينة الضخمة النفيسة، ليظهروا مقدار جودهم وسهولة إنفاقهم المال. فالإبل التي تذكر بهذا الصدد هي النيب (٣٢)، وأولات الذرى (٣٣)، والمنقيات (٣٤)، والزاهقات (٣٥)، والعشار الجلة (٣٦)، والعافر والمطفل (٣٧)، والتامكة (٣٨)

-
- ٢٥ — الديوان ٧٣/٤٨ — ٧٥.
- ٢٦ — المغالق: القداح لأنه يعلق بها الرهن. ومتشابه أجسامها: يشبه بعضها بعضاً، لأنها على نسق واحد.
- ٢٧ — بهن لعافر أو مطفل: أي بتلك المغالق للمياسرة على ناقة عافر أو مطفل.
- ٢٨ — الجنيب: الغريب. وتبالة: واد مخصب. والأهضام: جمع هضم، وهي بطون الأودية ذات النخيل والفواكه.
- ٢٩ — الأصمعيات ٧/٥٦ — ٨.
- ٣٠ — ملت: شوت الخبز أو اللحم في الملة، وهي الرماد الحار.
- ٣١ — العيال: جمع عيل، وهو الفقير. والقمع: جمع قمعة، وهي أعلى السنام من الإبل. والعشار: جمع عشاء، وهي التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر. والجلة: العظام الكبار.
- ٣٢ — الأعشى الكبير: الديوان ٢٢/٣٨، وسلامة بن جندل: الديوان: الذيل ٩/٥. والنيب: جمع ناب، وهي الناقة المستنة.
- ٣٣ — النابغة الذبياني: الديوان ٣/٥١. والذرى: جمع ذرّة، وهي أعلى سنام البعير.
- ٣٤ — طرفة بن العبد: الديوان ٣/١٦، وعمرو بن قميصة: الديوان ٣/١٠. والمنقيات: ذوات الشحم، يقال ناقة منقية إذا كانت سمينة.
- ٣٥ — عوف بن عطية: الأصمعيات ٥/٦٠. والزاهقات: الزاهق من الدواب السمين الذي اكتنز لحمه.
- ٣٦ — علباء بن أرقم: الأصمعيات ٨/٥٦.
- ٣٧ — لبيد بن ربيعة: الديوان ٧٤/٤٨.
- ٣٨ — دريد بن الصمة: الديوان ١٤/٣٤. والتامكة: الناقة العظيمة السنام.

وهكذا يستطيع الباحث أن يثبت أن الغني الذي يتصف بالجود هو الذي يشترك بلعب الميسر فقط، ولا سيما أن الشعراء يذكرون أنه يقامر بالإبل الغالية، فممدوحو زهير بن أبي سلمى «إن ييسروا يغلوا»^(٣٩)، وقوم سلامة بن جندل يغلون «ميسر النيب»^(٤٠). لذا فلا غرابة إذا ما نظر الشعراء إلى الميسر على أنه رمز لجود فياض، وهذا علقمة الفحل يعلن — انطلاقاً من النظرة السابقة — أنه بسبب ولعه بالميسر يستعد لكي يقامر بالخيـل^(٤١):

لو ييسرون بخيلٍ قد يـسـرتُ بها وكل مايسر الأقوام مغروم^(٤٢)

فضلاً عن ذلك يذكر ابن قتيبة ما لم يصرح به الشعراء، أو ربما جاء ذكره قليلاً، من أنهم يقامرون بالإبل كاملة بدلاً من تقسيمها حيث يقول: «وربما ضربوا القداح على الإبل، وجعلوا مكان العشر من أعشار الجزور... وهم يمدحون برد الإبل من مراعيها ليضرب بها بالقداح في الميسر»^(٤٣).

إن الشواهد الكثيرة التي أبرزت الميسر تظهر أن المرء عدّه علامة الجود، أو عملاً مجيداً ورائعاً. لهذا أشاد الشعراء به وافتخروا بنسبته إليهم، فامرؤ القيس قامر «إذا ما قيل من يسر»^(٤٤)، وعوف بن عطية التيمي يفعل في ماله «اليسار»^(٤٥)، والأعشى الكبير يشيع «القمارا»^(٤٦)، ودريد بن الصمة يتذكر فقيداً كريماً بقوله: «يا خالداً، خالداً الأيسار والنادي»^(٤٧)، وبشر بن أبي خازم يشير إلى أن حب القداح «لا يزال منادياً»^(٤٨)، والعرنـدس الكلاني يسمي ممدوحه بأنهم «أبناء أيسار»^(٤٩).

٣٩ — الديوان ص ١١٢. وييسروا: يتقامروا. ويغلوا: يختاروا سمان الإبل.

٤٠ — الديوان: الذيل ٩/٥. والميسر: اللعب بالقداح.

٤١ — الديوان ٥٢/٢.

٤٢ — لو ييسرون بخيل: لو ذبحوا خيلاً وقامروا عليها لنفاستها ليسرت بها.

٤٣ — الميسر والقداح ص ٩٣.

٤٤ — الديوان ١١/٦١.

٤٥ — الاختيار ٩/٧٨.

٤٦ — الديوان ١١/٥.

٤٧ — الديوان ١/١٨.

٤٨ — الديوان ٧/٢٥.

٤٩ — شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ١/٦٩١. انظر شواهد أخرى لدى: الأفوه الأودي: الديوان ص ٢٠،

وبشر بن أبي خازم: الديوان ١٩/١٠، وطرفة بن العبد: الديوان ١٦/٣٢ — ١٧، ١٠/٣٧، وعمرو

ابن قميقة: الديوان ١٧/٥، وذيل الديوان ١/٧ — ٢، وعنترة بن شداد: الديوان ٥٩/١، ١/١٦،

ولبيد بن ربيعة: الديوان ٣٧/٢ — ٣٩.

وقد وجد هناك سبب خاص للفخر عندما يتقص أحد اللاعبين ، يعلن أحد المشاركين أنه مستعد أن يأخذ نصيبه لتمام العدد . وهذا ما أشار إليه النابغة الذبياني مفتخراً بصنيعه^(٥٠) :

إني أئتمُّ أيساري وأمنحهم مثنى الأيادي وأكسو الجفنة الأدم^(٥١)

هذا وعلى الرغم من أن معظم العرب مجدوا الميسر ، فإن بعض الناس المشهورين والحكماء في المجتمع الجاهلي امتنعوا عن اللعب به^(٥٢) ، ويشار إلى أن «أول من حرم القمار في الجاهلية الأقرع ابن حابس التميمي»^(٥٣) . ومع أن الميسر كان يحتل مكانة عظيمة لدى العرب ، فإن حاتم الطائي أراد أن يظهر نفسه أكثر نبلاً وشهامة من الآخرين عندما رفض هذه الوسيلة لإثبات جوده قائلاً^(٥٤) :

ولاني لا ألو بمال ضيعة فأولهُ زاد ، وآخرهُ ذخِرُ^(٥٥)
يُفكُّ به العاني ويؤكُل طَيِّباً وما إن تُعَرِّيه القِداحُ أو الخمرُ^(٥٦)

لقد أبرزنا أن اللعب من الميسر كان من الأعمال الجيدة المميزة ، طالما أن اللاعب يتبرع بكسبه إلى الفقراء . إن الاشتراك بالميسر على أنه عمل إيجابي يظهر في رفض كلمة «البرم»^(٥٧) التي تطلق على الإنسان الغني الذي لا يشترك بالميسر ، وهذا ما عُدَّ عاراً ، وما أشار إليه الشعراء غير مرة ، ولا سيما وقت الحاجة واشتداد الزمان ، كقول النابغة الذبياني مؤكداً لبعه بالميسر وابتعاد البرم عنه^(٥٨) :

هَلَّا سَأَلْتَ بني ذِيانَ ما حَسَبِي ؟ إذا الدُّخانُ تَغَشَّى الأَشْمَطَ البرمَ^(٥٩)

-
- ٥٠ — الديوان ١٢/٦ .
- ٥١ — مثنى الأيادي : يريد أنه يعطي عطاء بعد عطاء . والأدم : جمع إدام ، ويريد الخبز المأدوم باللحم .
- ٥٢ — نذكر أيضاً بعض الأشخاص الذين رفضوا الاشتراك بلعب الميسر ومنهم بشير الثقفي ، انظر الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ج ١ ص ٣١٧ ، تحقيق علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٧٢ ، وعفيف بن معد يكرب ، انظر بلوغ الأرب : الأوسي ج ٢ ص ٢٩٤ .
- ٥٣ — صبح الأعشى : القلقشندي ج ١ ص ٤٣٥ .
- ٥٤ — الديوان ١٢/٣٦ — ١٣ .
- ٥٥ — آلو : لا أدع جهداً .
- ٥٦ — تعريه : تفنيه وتذهب به . والقداح : قُدح الميسر .
- ٥٧ — نشر إلى الأمثال الآتية المتعلقة بالبرم : ألُم من البرم ، وألُم من البرم القرون ، وأبرماً قروناً . انظر : مجمع الأمثال للميداني ج ١ ص ٧٨ وج ٢ ص ١٣٥ ، وجمهرة الأمثال للعسكري ج ٢ ص ٢٢٠ .
- ٥٨ — الديوان ٨/٦ . وانظر الديوان نفسه ٢/١٥ .
- ٥٩ — إذا الدخان تغشى : أي إذا اشتد الزمان وقوي البرد ، فغشي الناس النار فأحاط بهم الدخان . والأشمط : هو الذي بدأ الشيب في رأسه .

وقول دريد بن الصمة ينفي أن يكون أخوه جباناً أو برماً: (٦٠)

ولا برماً إمّا الرّياحُ تناوحتْ برطِبِ العِضاة والضريع المُعَضَّد (٦١)

وقول أوس بن حجر هاجياً: (٦٢)

تناهقون إذا انخضسرت نعالكم وفي الحفيظة أبرام مضاجير (٦٣)

ويكشف ابن قتيبة هذا الجانب للميسر، ويصف المعنى السلبي للبرم وصفاً سديداً، بقوله: «وكانوا يمدحون بأخذ القداح، ويسبون تركها، ويسمون الموسر الذي لا يدخل معهم في الميسر، ولا يتحمل الغرم لصالح أحوال الناس، البرم» (٦٤).

أما موقف الإسلام من الميسر فقد حرّمه كما حرم الخمرة. ولكن ليس مرة واحدة، وإنما خطوة بعد أخرى. فقد حذر القرآن في الخطوة الأولى من الميسر والخمر، لأن الإثم لدى الصنيعين أكبر من الفائدة: ﴿يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ (٦٥) وقد أشرنا إلى منافع الميسر، وتكمن في تأمين الطعام للفقراء، يضاف إلى هذا الفائدة الاقتصادية، كما يرى عبد السلام هارون، حيث يقول: «زد إلى ذلك ما كان يحدثه الميسر من رواج في سوق الإبل وبيعها وشرائها» (٦٦). أما الخطوة الثانية التي أوحى بها فيما بعد، فقد سمّت العاملين بأنهما من الأعمال الشيطانية، ومن هنا وجب بأن ينظر إلى أنهما محرّمان: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر، ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم متبهون﴾ (٦٧).

وهكذا فإن العداوة والبغضاء والابتعاد عن ذكر الله وعبادته نتائج اللعب بالميسر (٦٨) وشرب

٦٠ — الديوان ٢٨/١٥.

٦١ — تناوحت: أراد تقابلت في المهب. والعضاة: كل شجر بعظم له شوك، الواحدة عضاة. والمعضد: المقطع.

٦٢ — الديوان ٣٨٥٢١.

٦٣ — أي تأشرون إذا أصبتم الغنى والخصب، وإذا كان موضع المخافة والحاجة ضجرتم وتخلع.

٦٤ — الميسر والقداح ص ٣٧.

٦٥ — القرآن الكريم ٢/٢١٩.

٦٦ — الميسر والأزلام ص ٤٧.

٦٧ — القرآن الكريم ٥/٩٠ — ٩١.

٦٨ — يتحدث الألوسي في كتابه بلوغ الأرب ج ٣ ص ٦٥ عن الجوانب السيئة للميسر قائلاً: «وأما

الخمر حسب تعاليم الإسلام الذي يملك سبباً مقنعاً آخر في مسألة تحريم الميسر إذا ما صحت رواية ابن عباس^(٦٩) من أن الرجل كان في الجاهلية «يخطر على أهله وماله، فأَيُّهما قمر صاحبه ذهب بأهله وماله»^(٧٠). لذلك حرّمه الإسلام. أما فيما يتعلق بمساعدة الفقراء فإن الإسلام يدعو الأجواد أن يساعدوهم في صمت^(٧١)، وليس في العلانية من أجل مجدهم الشخصي.

لقد كان الميسر لدى العرب محبوباً، ونظروا إليه على أنه عمل نبيل مجيد، ومع أن الشعراء صوروا في أغلب الأحيان أخلاق الناس ذوي النفوذ، ومنها لعبهم بالميسر، فإنه يجب علينا أن نتصور أن الفقراء آنذاك كانوا يفرحون إذا مالعب بالميسر، وأن مجتمع ما قبل الإسلام نظر إلى هذا العمل على أنه جيد ونافع. لذا لا نوافق ما ذهب إليه شوقي ضيف من «أن هناك آفات كانت

مفسده فكبيرة منها أن فيه أكل الأموال بالباطل، وأنه يدعو كثيراً من المقامرين إلى السرقة، وتلف النفس وإضاعة العيال وارتكاب الأمور القبيحة والذرائل الشنيعة والعداوة الكامنة والظاهرة». ويذكر بيستون «أن من الممكن جداً أنه قبل الإسلام كان يرافق أي شكل من البذل بدعوة الآلهة الوثنية».

انظر: Beeston The Game of Maysir and some modern parallels, P.6.

٦٩ — هو عبد الله بن عباس كان صحابياً معروفاً، وروى كثيراً من الأخبار، والتزم جانب علي بن أبي طالب ضد معاوية، مات سنة ٦٨٧ م. انظر: الأعلام: الزركلي ج ٤ ص ٢٢٨ — ٢٢٩، القاهرة ٧٠ — ١٩٧٤.

٧٠ — جامع البيان عن تأويل مشكل القرآن: الطبري ج ٢ ص ٣٥٨، القاهرة ١٩٦٨. هذا ولا يرد ذكر للمقامرة بالأهل حسب مصادرنا الشعرية. إن الروايات حول ذلك نادرة أيضاً بحيث إنني أعرف روايتين فقط. فابن قتيبة في كتابه عيون الأخبار ج ٢ ص ٤١ يتحدث عن الحمق، ويقول: «ومن حمقى قريش العاص بن هشام أخو أبي جهل، وكان أبو لهب قماره فقمره ماله ثم داره ثم قليله وكثيره، وأهله ونفسه فاتخذة عبداً». ولأن هذه الرواية التي من المرجح أنها خطرت على بال ابن عباس ذكرت في سياق الحديث عن الحمقى فإنني أشك في صحتها. أما الرواية الثانية فقد ذكرها ابن حبيب في كتابه المنطق في أخبار قريش ص ١٣٢ — ١٣٣: «قال قدامة بن قيس الزبيدي حليف بلعاء، وهو يذكر ما أصاب في بني عامر وما أصاب في قريش، وكان بدء محالفته بلعاء أن بلعاء قامر قدامة بالقдах فقمره ماله كله، فطلب قدامة إلى بلعاء أن يقامره في يده وخمسين من الابل فلاعبه بلعاء فقمره يده، فأراد بلعاء أن يقطعها، فقال له قدامة: هل لك يا بلعاء فيما هو خير لك من قطعها تعزيبها على أن لا أفارقك ولا تنوبك نائبة فيها تلف الأنفس إلا وقتك بنفسي، فأنت تكثر محاربة الرجال؟ فرضي بلعاء بذلك فتركها عارية على أن يأخذ بلعاء يده متى شاء، فكان قدامة مع بلعاء لا يفارقه حيثما كان، فلما كان يوم المشلل نظر بلعاء إلى قدامة واقفاً إلى جنبه فقال: إما أن ترد عليّ يدي التي أعزتك، وإما أن تحمل على القوم لتجيبني بغداء بها، فحمل قدامة فلم يرجع حتى قتل منهم وأسر أسيراً».

٧١ — جاء في القرآن الكريم ٢٧١/٢: ﴿وإن تحفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾. وجاء عن رسول الله ﷺ: «ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما صنعت يمينه». انظر: متن البخاري بحاشية السندي: البخاري، ج ١ ص ٢٤٧، القاهرة بلا تاريخ.

تشيع في هذا المجتمع الجاهلي، لعل أهمها الخمر واستباحة النساء والقمار^(٧٢). ونرى أنه لا يحق لنا أن نعترض على ذلك إذا ما رأينا أن الأعراف الجاهلية، ومنها لعب الميسر، جيدة ونافعة لهذا المجتمع، وإذا ما بدت هذه الأعراف مناسبة له وقتذاك^(٧٣). وقد تنبه العلماء القدامى إلى هذا الجانب عندما أكدوا أن الميسر كان عملاً حميداً، فابن قتيبة يذكر أن «هذا من أفعالهم القديمة الحسنة الكريمة»^(٧٤)، ويقول عبد القادر البغدادي: «كان الميسر منقبة في الجاهلية»^(٧٥).

ومن الجدير بالذكر أن لعب الميسر بقي محتفظاً به في شبه الجزيرة العربية حتى القرن العشرين^(٧٦)، ولكنه فقد فائدته الاجتماعية للناس. يقول بيستون: «النقطة الرئيسة التي تختلف عن وصفهم للعب القديم هي أن اللحم يقسم بين المشاركين بالميسر»^(٧٧).

* * *

-
- ٧٢ — تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي: شوقي صيف ص ٧٠، ط ٩ القاهرة ١٩٨١.
- ٧٣ — من وجهة النظر هذه نرفض أيضاً ما يراه أحمد الخليل في رسالته للماجستير، ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي ص ١٧٦ — ١٧٧، حلب ١٩٨٦، حيث يقول: «أما كان يستطيع أحدكم أن يتحرر جزوره، ويقدمه في صمت لمن به خصاصة؟ أنتم تسعون بميسركم هذا إلى إنقاذ الإنسان من الشقاء، أم أنكم تتخلونونه حدثاً إعلامياً يدر عليكم الشهرة والأعجاب. وهل أنتم أصحاب نبل إنساني وذوو مروءة، أم أنتم طلاب لمو وعيث».
- ٧٤ — الميسر والقداح ص ٣٩.
- ٧٥ — خزانة الأدب ج ٤ ص ٢٧٤.
- ٧٦ — انظر:

Beeston, A.F.L. the Game of Maysir some modern parallels. p.3-4

- ٧٧ — المصدر السابق ص ٣.

٢ - الخمر

لن نتحدث هنا عن الخمر حديثاً شاملاً، وإنما بحدود أن شرب الخمر يسنح بفرصة بذل المال أو إنفاقه. فالشعراء يظهرون اهتمامهم بشراء الخمر، ويبيّنون ما ينفق المرء من أجل ذلك. وتذكر أثمان الخمر على أنها إبل كريمة، وخيول أصيلة وأموال تليدة أو طريفة. ويقول الشعراء دائماً: إن أغلى الأسعار لا يمنعهم من الحصول على الخمر، وبهذا يوضحون أن التوفير والبخل غريبان عنهم. حَزَّان بن عمرو دفع بكرةً ثمناً لخمرة^(٧٨):

تَبْكِي عَلَى بَكْرٍ شَرِبْتُ بِهِ سَفَهًا تَبْكِيهَا عَلَى بَكْرٍ^(٧٩)

والأعشى الكبير لا يشغل باله بثمان الخمر المرتفع كغيره من الندمان، إنه يشرب بثمان الناقة الكبيرة الضخمة: (٨٠)

فَإِذَا تُحَاسِبُهُ النَّدَا مَي لَا يُعَدِّينِي حَسَابُهُ^(٨١)
بِالْبَازِلِ الْكَوْمَاءِ يَتَبَعُهَا الَّذِي قَدْ شَقَّ نَابُهُ^(٨٢)

والمُنَحَّلُ اليَشْكُرِي يعلن أنه شرب بثمان الخيول من الذكور والإناث^(٨٣):

وَلَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمُدَا مَةٍ بِالْقَلِيلِ وَبِالكَثِيرِ
وَشَرِبْتُ بِالْخَيْلِ الْإِنَا ثٍ وَبِالْمَطْهَمَةِ الذُّكُورِ^(٨٤)

٧٨ — شرح ديوان الحماسة: المرزوقي ١/٣٥٣. ولعله حَزَّاز بن عمرو.

٧٩ — البكر: الفتى من الإبل.

٨٠ — الديوان ٣٩/٥٤ — ٤٠.

٨١ — عداه عن الأمر صرفه وشغله أي أنه لا يبالي بحسابه.

٨٢ — بالبازل: أي بثمان البازل، وهي الناقة الكبيرة التي بزل نابها. والذي شق نابها: الفحل الكبير من الإبل في سن التاسعة.

٨٣ — الشعر والشعراء: ابن قتيبة ص ٤١٢.

٨٤ — المطهمة: من الخيل المقرية المكرومة العزيزة الأنفس.

وعبيد بن الأبرص يفتخر بقومه الذين يدفعون أغلى الأسعار وعظيم التلاد (٨٥) :

تُعَلِّي السُّبَاءَ بِكُلِّ عَا تَقِيَّةٌ شَمُولٍ مَا صَحُونَا (٨٦)
وُثَّيْنُ فَي لَذَاتُهَا عُظْمُ التَّلَادِ إِذَا انْتَشِينَا (٨٧)

إن الشعراء الذين يتناولون الخمر يقدمون ثمنها، دون أن يسألوا عما إذا كان غالياً أو رخيصاً، لأنهم يهتمون فقط بشرب الخمر، ويبدلون من أجلها الكثير من الأموال ليبرهنوا أنهم ينفقون المال، وهم مسرورون، كي لا ينظر المرء إليهم على أنهم بخلاء. الأعشى الكبير يقدم لنا حكاية شرائه للخمر، وما قدمه من ثمن، وذلك في أسلوب قصصي شيق (٨٨) :

وَمُسْتَدْبِرٌ بِالَّذِي عِنْدَهُ عَلَى الْعَاذِلَاتِ وَإِرْشَادِهَا (٨٩)
وَأَبْيَضٌ مُخْتَلِطٌ بِالْكِرَا م لَا يَتَغَطَّى لِإِنْفَادِهَا (٩٠)
أَتَانِي يُؤَامِرُنِي فِي الشُّمُو لٍ لَيْلًا فَقُلْتُ لَهَا غَاذِهَا (٩١)
أَرْخَنَا نَبَاكِرُ جِدِّ الصُّبُو حَ قَبْلَ النُّفُوسِ وَحَسَادِهَا (٩٢)
فَقَمْنَا وَلَمَّا يَصْرُخْ دِيكُنَا إِلَى جَوْنَةٍ عِنْدَ حَدَادِهَا (٩٣)
تَنْحُلُهَا مِنْ بَكَارِ الْقِطَافِ أَزْهَرُ آمِنُ إِكْسَادِهَا (٩٤)
فَقُلْنَا لَهُ هَذِهِ هَاتِهَا بِأَذْمَاءٍ فِي حَبْلِ مُقْتَادِهَا (٩٥)
فَقَالَ تَزِيدُونَنِي تِسْعَةً وَلَيْسَتْ بَعْدِلٍ لِأَنْدَادِهَا (٩٦)
فَقُلْتُ لِمَنْصِفِنَا أُعْطِهُ فَلَمَّا رَأَى حَضَرَ شَهَادِهَا (٩٧)

-
- ٨٥ — الديوان ١٧/٥٢ — ١٨ .
٨٦ — السباء : شراء الخمر . ونغلي : ندفع فيها الأموال الكثيرة . والعائقة : الخمر .
٨٧ — عظم التلاد : معظمه ، والتلاد : المال الموروث .
٨٨ — الديوان ٧/٨ — ١٨ . وانظر الديوان نفسه ١٦/٢٩ — ٢٢ .
٨٩ — المستدير : الذي يعرض عن عواذله ويولين دبره .
٩٠ — لا يتغطى : لا يتساكر إذا نفذت لثلا يشترى .
٩١ — يؤامرني : يشاورني .
٩٢ — الجدة : العجلة . والصبوح : نحر الصباح .
٩٣ — جونة : نخاية الخمر . وحدادها : تاجرها .
٩٤ — بكار القطف : أول ما يقطف . وأزرق العينين . وآمن إكسادها : أي من كسادها .
٩٥ — مقتادها : غلامها الذي يرعاها .
٩٦ — أندادها : أمثالها .
٩٧ — المنصف : الخادم . وحضر : حضور . شهادها : هنا الدراهم .

أضَاءَ مِظْلَتَهُ بِالسُّرَا ج وَاللَّيْلُ غَامِرٌ جُدَادُهَا (٩٨)
 دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ فَلَائِحِسْنَا بِتَنْقَادِهَا (٩٩)
 فَقَامَ فَصَبُّ لَنَا قَهْوَةٌ تَسْكُنُنَا بَعْدَ إِرْعَادِهَا (١٠٠)

فضائل شرب الخمر:

ويتحدث الشعراء عن مزايا تناول الخمرة حديثاً قليلاً بالمقارنة مع وصف الخمر، أو مجلس الشراب أو الندمان أو آنية الخمر. ومن هذه المزايا تشجيع الجبناء، وطلاقة اللسان، والشعور بالقوة والسيادة، وأن الشارب يسكر بالشجاعة في الحرب. حسان بن ثابت يذكر أن الخمر تجعلهم يشعرون وكأنهم ملوك وأسد: (١٠١)

وَنَشْرِبُهَا فَتَرْكُنَا مَلُوكًا وَأُسْدًا مَا يُنْهِنُنَا اللَّقَاءُ (١٠٢)
 وَالْمُنْخَلَّ الْيَشْكُرِي يَشِيرُ إِلَى شَعُورِهِ بِأَنَّهُ صَاحِبُ الْقُصُورِ الْعَظِيمَةِ حِينَ يَنْتَشِي (١٠٣):

فَإِذَا انْتَشَيْتُ فَإِنْنِي رَبُّ الْخَوَزَنَقِ وَالسُّدَيْرِ (١٠٤)
 وَلَقِيطُ بْنُ زُرَّارَةَ يَحْدَدُ تَأْثِيرَ الْخَمْرِ فِي الشُّعُورِ بِالسِّيَادَةِ وَطَلَاقَةِ اللِّسَانِ بِقَوْلِهِ: (١٠٥)

شَرِبْتُ الْخَمْرَ حَتَّى خِلْتُ أَنِّي أَبُو قَابُوسَ أَوْ عَبْدُ الْمَدَانِ (١٠٦)
 أَمْشِي فِي بَنِي عُدُسَ بْنِ زَيْدٍ رَجِيَّ الْبَالِ مُنْطَلِقَ اللِّسَانِ (١٠٧)

-
- ٩٨ — مظلته: حانوته. والجداد: الأهداب والأستار.
 ٩٩ — تنقادها: نقدها وعددها ليتبين زائفها من صحيحها.
 ١٠٠ — تسكننا: نسكن إليها.
 ١٠١ — ديوان حسان بن ثابت ١٠/١، تحقيق وليد عرفات، لندن ١٩٧٠.
 ١٠٢ — التهنئة: الكف.
 ١٠٣ — الأصمعيات ٢١/١٤.
 ١٠٤ — الخوزنق والسدير: قصران مشهوران في العصر الجاهلي، ويقعان بالقرب من الحيرة عاصمة المناذرة. انظر: معجم البلدان: ياقوت الحموي ج ٢ ص ٤٠١ وما بعدها وج ٣ ص ٢٠١، بيروت ١٩٥٥ — ١٩٥٧.
 ١٠٥ — شعر تميم ١/٢٣٩ — ٢.
 ١٠٦ — أبو قابوس: كنية النعمان بن المنذر. وعبد المدان هو خشرم بن عبد ياليل من قبيلة جهنم، أحد الملوك اليمنيين في العصر الجاهلي، وكانت إقامته في مكة. انظر: الأعلام للزركلي ج ٤ ص ١٩٧ أ.
 ١٠٧ — عدس بن زيد: جد بعض القبائل العربية انظر: الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٥٦.

وأفعى بن جناب يتخيل نفسه أحد ملوك الحيرة حين نشوته: (١٠٨)

ولقد شربت الخمر حتى خلّثني لما خرجتُ أُجرُ فضل المِسر
قابوس أو عمرو بن هند قاعداً يُجبي له مادونَ دارة صرصر^(١٠٩)

أما فيما يتعلق بموضوعنا فالشعراء يذكرون أن الخمر وسيلة تجعل البخيل جواداً، فالمرء يكتسب صفة الجود إذا ما تناول الخمر التي لا تغير فقط صفات الناس، وإنما تحوّلهم للبذل بأيدي مفتوحة. (١١٠) فقوم الخرنق بنت بدر «إن يشربوا يهبوا» (١١١)، وهذا ما أشار إليه طرفة بن العبد قائلاً (١١٢):

فإذا ما شربوها وانتشوا وهبوا كلُّ أمونٍ وطِمر^(١١٣)

ويصور عمرو بن كلثوم بذل البخيل لأمواله وقت الشراب بقوله: (١١٤)

تري اللّحزّ الشحيح إذا أمرت عليه لماله فيها مهينا^(١١٥)

لذا فقد أصاب فرايتاغ حين ذكر أن «السكر مُدح لدى العرب لأنه يغري بالجود» (١١٦).

١٠٨ — الحماسة الشجرية ١/٥٥ — ٢.

١٠٩ — قابوس هو ابن المنذر الثالث، كان ملك الحيرة بعد موت أخيه عمرو بن هند توفي حوالي ٤٢ ق. هـ. وعمرو بن هند أحد ملوك الحيرة، واستمر حكمه خمس عشرة سنة، قتله الشاعر عمرو بن كلثوم عام ٤٥ ق. هـ. انظر الأعلام للزركلي ج ٥ ص ٢٦١.

١١٠ — ربما تكون هذه بعض الجوانب المفيدة للخمر، التي تحدث عنها القرآن الكريم في سورة البقرة ٢١٩. حول موقف الإسلام من الخمر، انظر: حديثنا عن الميسر ص ١٩٤. ويحاول بعض الدارسين أن يفسروا موقف الإسلام انطلاقاً من أسباب دينية كما يذهب Palgraves (انظر: Jacob, G.: Altarabisches Beduinenleben, S. 105)

بأن «تحريم الخمر كان حكم تحدي ضد المسيحيين حيث تشكل الخمر جانباً كبيراً من العشاء الرباني». ويرى بعض الباحثين دافعاً اقتصادياً لأن الخمر كانت في أغلب الأحيان مشروباً غالياً مستورداً من خارج شبه الجزيرة العربية، إضافة إلى أشياء أخرى مرتبطة بالبذخ كالحرير وديباج الذهب وصحون الشراب الفضية والذهبية. انظر المصدر نفسه ص ١٠٥.

١١١ — الديوان ٥/٤.

١١٢ — الديوان ٤٣/٢.

١١٣ — الأمون: الناقة يثق الراكب بها. والطمير: الفرس السريع الوثب.

١١٤ — شرح القصائد السبع: ابن الأنباري ٤/٥.

١١٥ — اللّحز: الضيق البخيل، وقيل السوء الخلق اللئيم. إذا أمرت: إذا أدبر.

١١٦ — انظر: Freitag, G.W.: Einleitung in das Studium des arabischen sprache (Neudruck des Ausgabe von 1861), Osnabrück 1972, S.294.

ويستخدم الشعراء موضوع شرب الخمرة غالباً لكي يفخروا فخراً ذاتياً، وينظرون إليه على أنه ميزة رائعة يجب على الرجل المثالي أن يتحلى بها. وهم يربطون بين شرب الخمرة وسماع الغناء، كما يشير سلامة بن جندل^(١١٧):

لنا خِباءٌ وراووقٌ ومُسَمِّعَةٌ لدى حِضاجٍ بَجونِ القارِ مَرُوبٍ^(١١٨)

لقد كانت الخمرة تقدم للضيوف بسرور، وكان ينظر إلى أنه عمل سمح إذا مادعا الأجواد الندامي إلى شرب الخمرة. الأعشى الكبير يفخر بقومه لأنهم يعجلون بتقديم الخمر مساءً: «ونحن وردنا بالعَبوقِ المُعَجَّلِ»^(١١٩)، وأمرؤ القيس يزهو لأنه يقدم الخمر صباحاً إلى الفتيان قائلاً^(١٢٠):

لقد أَصْبَحُ الفتيانَ صُهباءَ صِفْوَةٍ مُعْتَقَةً صِرْفاً إذا الديكُ أسحرا^(١٢١)

وزهير بن مسعود يذكر أنه قدم خمرة معتقة لأصحابه صباحاً فيقول: ^(١٢٢)

فَلَرَبُّ فتيانٍ صَبَحْتُهُمْ من عاتقِ صُهباءَ في الخِرْسِ^(١٢٣)
عانيةٌ تُصبي الحليمَ إذا دارت أَكْفُ القومِ بالكأسِ^(١٢٤)

وإذا ما فات المرء أن يدعو الندامي إلى مجلس شراب فإنه يتباهى على الأقل بالاشتراك بحفلة شرب الخمر، كقول زهير بن أبي سلمى: ^(١٢٥)

وقد أَغْدُو على شَرِبِ كرامٍ نَشَاوِي واجديـنَ لما نَشَاءُ^(١٢٦)

١١٧ — الديوان: الذيل ١/٧.

١١٨ — الراووق: ناجود الشراب الذي يَرُوقُ به فيصفي، والشراب يتروق منه من غير عصر. ومسمعة: أي مغنية. وحضاج: زق ضخم ممتلئ مسند إلى شيء. جون: أسود مشرب حمرة. والقار: الزيت. ومربوب: أي مصلح مطلبي.

١١٩ — الديوان ٢٩/٧٧.

١٢٠ — الديوان ٦/٦٠.

١٢١ — أصبح: أسقيهم الصبوح. وصهباء: شقراء، ومميت الخمر صهباء للونها. وصفوة: مختارة.

١٢٢ — قصائد جاهلية نادرة ص ٨٩.

١٢٣ — عاتق: حمرة عتيقة. والخِرْس: الدن.

١٢٤ — عانية: خمر منسوبة إلى قرية عانة على الفرات. وتصبي الحليم: تجعله يميل إلى الجهل والفتوة.

١٢٥ — الديوان ص ٧٢.

١٢٦ — النشاوي: جمع نشوان، وهو السكران. وواجدين ما نشاء: أي قادرين على ما نشاء من الطعام والشراب والطيب والغناء.

وقول علقمة الفحل: (١٢٧)

قد أشهدُ الشُّربَ فيهم مِزْهَرٌ رَنَمٌ والقومُ تُصرُّعُهم صَهْبَاءُ تُخرطومُ (١٢٨)

أحكام سلبية على الخمر:

على الرغم من أن أغلب الشعراء كانوا يتحدثون عن منافع شرب الخمر، وينظرون إلى تناولها على أنه سلوك جيد يجب على الرجال الكرام أن يتحلوا به، فإن بعض الناس المشهورين بالحكمة في المجتمع الجاهلي رفض تناولها، وعدّها سفاهة^(١٢٩). وهنا يسوق الرواة أن الوليد بن المغيرة «أول من حرم الخمر على نفسه في الجاهلية»^(١٣٠).

ويصبو هؤلاء الأشخاص إلى مثال العفة وضبط الشهوة، فهم يرون أن الخمر تهلك المال، وتزرع الكراهية بين الناس، وتسفّ بالعقل، وتضرّ الرجل الكريم، وتضعف قوة الرجال. لذا فإنهم يدعون إلى ضبط الشهوة بالابتعاد عن الخمر مفتخرين بذلك^(١٣١)، كقول قيس بن

١٢٧ — الديوان الديوان ٣٧/٢.

١٢٨ — الرثم: الصوت المترنم. والخرطوم: أول خروج الخمر من الدن.

١٢٩ — تشير إلى بعض الأشخاص الذين انتقدوا شرب الخمر في العصر الجاهلي:

صفوان بن أمية: الأمالي للقيلي ج ١ ص ٢٠٤ والأغاني ج ١٤ ص ٨٤، وعبد الله بن جدعان: الأغاني ج ٨ ص ٣٣٢ ونهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ٨٨، وعثمان بن عفان: العقد الفريد ج ٦ ص ٣٣٨ — ٣٣٩، ونهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ٨٨، وعفيف بن معد يكرب: الأمالي للقيلي ج ١ ص ٢٠٥ وخزانة الأدب للبغدادي ج ٣ ص ٣٣٠ ونهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ٨٩. وعامر بن الظرب: الأمالي للقيلي ج ١ ص ٢٠٤، ونهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ٨٨، وقيس بن عاصم: الأمالي للقيلي ج ١ ص ٢٠٤، والأغاني ج ١٤ ص ٨٤ — ٨٥، والعقد الفريد ج ٦ ص ٣٤٦ ونهاية الأرب للنويري ج ٤ ص ٨٨، وقصي بن كلاب: العقد الفريد ج ٦ ص ٣٣٨، والنابعة الجعدي: الأغاني ج ٥ ص ٨، وأسد بن كرز: الأغاني ج ٢٢ ص ٢، ونهاية الأرب ج ٤ ص ٨٨ — ٨٩. ويسمى النويري: (نهاية الأرب ج ٤ ص ٨٨) آخرين من مثل: سعيد بن ربيعة والعباس بن مرداس وعبد المطلب بن هاشم وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة. حول الذين تجنبوا شرب الخمر، انظر: كتابي ابن حبيب البغدادي: المحبر ص ٢٣٧ والمنمق ص ٥٣١ — ٥٣٢، والمستطرف في كل فن مستظرف للإبشيري ج ٢ ص ٢٢٩، القاهرة ١٣٦٨، والمفصل في تاريخ العرب لجواد علي ج ٤ ص ٦٧٠ وما بعدها.

١٣٠ — المعارف: ابن قتيبة ص ٥٥١، تحقيق ثروت عكاشة، القاهرة ١٩٦٠، وانظر: صبح الأعشى:

القلقشندي ج ١ ص ٤٣٥.

١٣١ — انظر حول هذه الآراء لدى: صفوان بن أمية وعفيف بن معد يكرب: الأمالي للقيلي ج ١

ص ٢٠٤ — ٢٠٥، وقيس بن عاصم: شعر تميم ١/١٩٨ — ٥.

لعمرك إنَّ الخمرَ مادمْتُ شارباً لسالبةٌ مالي ومُذهبةٌ عقلي
وتاركتني بين الضُّعُفِافِ قواهُمُ ومورثي حَرْبِ الصديقِ بلائِلِ (١٣٣)

وقد عد النسب الكريم سبباً واضحاً يحرم الخمر عند بعض الشعراء، وكأن العائلات النبيلة تنظر إلى شربها على أنه سلوك غير حميد أو عار، يقول عفيف بن معد يكره (١٣٤) :

أبى لي ذاك آباء كرام وأحوال بعزهم رِيث

ويتبين لنا أن أغلب الشعراء استعملوا فهم الشعري في سياق الحديث عن الخمر لكي يتحدثوا عن لحظات فرحة مرت في مرحلة شبابهم. وكان شرب الخمر يصور غالباً تصويراً إيجابياً من خلال ذكرهم لأفعالهم النبيلة في تلك المرحلة التي لا ينتظر من المرء فيها رجاحة العقل والاتزان والوقار، كقول عمرو بن قميئة مفتخراً بأيامه الخوالي (١٣٥) :

قد كنتُ في مَيْعَةٍ أُسرُّ بها أمتع ضيمي وأهبط العُصْماً (١٣٦)
وَأَسَحَبُ الرِّيطَ والبُرودَ إلى أذنَى تجاري وأنفضُ اللِّمما (١٣٧)

وقول الأعشى الكبير: (١٣٨)

وكأسٍ شربْتُ على لَذَّةٍ وأخرى تداويتُ منها بها
لكي يعلمَ الناسُ أنني امرؤٌ أتيتُ المعيشةَ من بابها

وقول الأسود بن يعفر (١٣٩) :

ولقد لهوْتُ وللشبابِ لَذَاذَةً بسُلافةٍ مُزجتِ بماءِ غواذي (١٤٠)

-
- ١٣٢ — شعر تميم ١/١٩٢ — ٢ .
١٣٣ — التبل: العداوة .
١٣٤ — الأمالي: القالي ج ١ ص ٢٠٥ .
١٣٥ — الديوان ٢/٤ — ٣ .
١٣٦ — الميعة: الشباب . والعصم: الوعول .
١٣٧ — الريط: جمع الريطة وهي كل ملاءة غير ذات لفقين . والبرود: جمع البرد، وهو ثوب مخطط . والتجار: جمع التاجر والعرب تسمي بائع الخمر تاجراً . واللِّمَّة: وهي الشعر المجاوز شحمة الأذن .
١٣٨ — الديوان ١٧/٢٢ — ١٨ .
١٣٩ — الديوان ٢٢/١٣ .
١٤٠ — السُلافة: من الخمر أخلصها وأفضلها .

ويضاف إلى ذلك أن الشعراء عندما يتحدثون عن الخمر، فإنهم يصورون طائفة من الأشخاص أطلقوا عليهم اسم الفتيان أو الفتية^(١٤١). وهذا يعني أن أغلب الناس الذين يحلو لهم شرب الخمر هم من الشباب الذين يتوقع المرء منهم أفعالاً غير حكيمة كشرب الخمر، والتي ينظر إليها بعد ذلك على أنها من هفوات الشباب حيث ينبغي أن يسود الرشد وتسيطر الحكمة. لقد عدّ شرب الخمر سلوكاً جيداً يوافق مرحلة الشباب، حيث يسمح باللهو والتبسية، لذلك يدين بعضهم الإفراط في الشراب، ويعدّه حماقة، وهذا ما أشار إليه طرفة بن العبد بقوله^(١٤٢):

وما زال شربي الرّاح حتّى أُشْرني صديقي وحتّى ساءني بعض ذلك^(١٤٣)
وحتّى يقول الأقربون نصّاحاً ذر الجهل واصبرم حبلها من حبالك
وقوله^(١٤٤):

وما زال شرابي الخمر ولذّتي وبشيعي وإنفاقي طريفي ومثلي^(١٤٥)
إلى أن تحامنتي العشيرة كلّها وأفردت أفراد البعير المعبّد^(١٤٦)
وقول عبد الله بن جدعان^(١٤٧):

شربت الخمر حتّى قال قومي ألسّ عن السّفاه بمستفيق
علاوة على ذلك يذكر الشعراء دائماً ثلاث مسرات، هي الخمر والمرأة والفروسية، وكأنّها تحقق لهم أقصى سعادة في حياتهم التي تفقد معناها إن خلت من هذه المسرات. لذا فإن الشعراء يسعون للحصول على هذه المسرات مفتخرين بذلك، كقول امرئ القيس^(١٤٨):

كأنّي لم أركب جواداً للذّة ولم أبطن كاعباً ذات خلخال^(١٤٩)

-
- ١٤١ — انظر: الأعشى الكبير: الديوان ٣٨/٦، ١٩/٣٣، والأسود بن يعفر: الديوان ٦/٣٣، وليبد بن ربيعة: الديوان ٩/٥٣.
- ١٤٢ — الديوان ٨/٦٧ — ٩.
- ١٤٣ — أشربي: صبرني شرباً.
- ١٤٤ — الديوان ٥١/١ — ٥٢.
- ١٤٥ — الطريف: المال المكتسب حديثاً. والتليد: المال القديم.
- ١٤٦ — تحامنتي: تجبّنتي واعتزلتني. والمعبد: المطلي بالقطران لإذلاله للركوب.
- ١٤٧ — الأغاني ج ٨ ص ٣٣٢.
- ١٤٨ — الديوان ٣٧/٢ — ١٩. وانظر الأفكار نفسها لدى طرفة بن العبد: ٥٦/١ — ٥٩، والمرثى الأكبر: المفضليات ٥/٥١ — ٧، وعبيد بن عبد العدى: قصائد جاهلية نادرة ص ١٢٨.
- ١٤٩ — أبطن: من البطانة، أي جعلت بطني عليها، فكأنها بطانة لي. والكاعب: الجارية إذا نهّد ثديها.

ولم أسبأ الزُّقَّ الرَّوِّيَّ ولم أَقُلْ لخلي كَرِّي كَرَّةً بعد إجفال^(١٥٠)
ولم أشهد الحَيْلَ الْمُغِيرَةَ بالضُّحَا على مَيْكَلٍ نَهْدِ الْجُزَارَةَ جَوَّالٍ^(١٥١)

وهكذا فقد رأينا أن تناول الخمر يتعلق قبل كل شيء بمرحلة الشباب التي صورت فيها تصويراً إيجابياً، ونظر إليها على أنها هو. ولكن مع تقدم السن ينظر المرء إليها على أنها صفة ذميمة غير حميدة. ويستطيع المرء أخيراً أن يقول: إن الحكم على تناول الخمر في العصر الجاهلي يتسم بالتكافؤ المزدوج لدى الكثيرين كما هو اليوم.

* * *

١٥٠ — الروي: المملوء. والإجفال: الانهزام والانقلاع من الموضع بسرعة.
١٥١ — بالضحا: نَحَصَ الضحا لأن الغارة تكون في وجه الصبح. والجُزارة: القوائم. والجوال: النشيط السريع في إقباله وإدباره.

الفصل الخامس

تعاير الضيافة والجود والبخل في الشعر الجاهلي

يهدف^(١) هذا الفصل إلى وضع الأساس الذي واصلت الثروة اللغوية تطورها، فيما بعد، انطلاقاً منه، وهذا الأساس يشكل الأساليب والتعابير التي استعملت في موضوع الجود والبخل في الشعر الجاهلي. لذا انصب اهتمامنا على التعابير النموذجية التي تخص موضوعنا مباشرة. وبهذا ينبغي أن يوضح الفصل تركيب العبارات القديمة المتعارف عليها في موضوع الجود والبخل، وهذه العبارات قد لا ترد في المعاجم اللغوية، وهي تنقسم إلى أربعة أصناف حسب:

١ — العطاء والمُعطي

٢ — المُعطي

٣ — رموز الضيافة والصيغ المحكمة

٤ — البخل

١ — العطاء والمعطي:

تنقسم التعابير التي ترتبط بالعطاء والمعطي على النحو الآتي:

١ — تعابير تفيد العطاء:

استخدم الشعراء لمعنى «العطاء» ما يأتي من الأفعال والأسماء: بذل، جاد، رقد، سخا، سمح، أعطى، أعان، أفاد، منح، نال، وهب.

بذل: ترد مشتقات مادة «بذل» مجردة دون أن يُسمّى العطاء الذي قد يشار إليه إلى أنه عزيز:

ولا تُلْحُ إِلَّا مَنْ أَلَمَ وَلَا تُلْمُ وبالبذل من شكوى صديقك فامدِد^(٢)

١ — ويقدم هذا الفصل مختارات شعرية تصلح أن تكون نواة ذات قيمة كبرى لديوان الجود والبخل في العصر الجاهلي.

٢ — عدي بن زيد: الديوان ٣٨/٢٣.

على مكثهم حق من يعترهم
وغلام أرسلته أمه
مباذيل عفواً جزيل العطاء
وشيمتي البذل وصدق الوعد
والخالطين فقيرهم بغنيهم
وعند المقلين السماحة والبذل^(٣)
بألوك فبذلنا ماسأل^(٤)
إذا فضله الزاد لم تبذل^(٥)
وأشتري الحمد بفعل الحمد^(٦)
وباذلين عطاءهم للسائل^(٧)

ولكن العطاء غالباً يسمى ، ويذكر مع مادة « بذل » في المقام الأول المال والتلاذ والمواد الغذائية والإبل :

إنني لأبذل للحليل إذا دنا
أعف وأبذل مالي لها
سأبذل للعشيرة جل مالي
هل أبذل المال على حبه
وكيف ضربي بالحسام الفرد
ولي مع بذل المال والبأس صولة
محافظة على الجلى وعرضي
يجعل المال عطايا جمّة
منا المعين على الندى بفعاله
مالي وأثرك ماله موفورا^(٨)
ولا أتعلم ألقابها^(٩)
إذا ضنّ البخيل المستमित^(١٠)
فيهم وآتي دعوة الداعي^(١١)
وكيف بذلي المال غير كد^(١٢)
إذا الحرب أبدت عن نواجذها العصل^(١٣)
وبذلي المال للخل المداني^(١٤)
إن بذل المال في العرض أمم^(١٥)
وبذل في اللزات بالأموال^(١٦)

-
- ٣ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ١١٤ .
٤ — لبيد بن ربيعة : الديوان ١٦/٢٦ .
٥ — زهير السكّب المازني : شعر تميم ١١/٨٢ .
٦ — حاتم الطائي : الديوان ٢/٦١ .
٧ — عمرو بن الإطناية : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/٧١٤ .
٨ — همام بن رياح البزيعي : شعر تميم ٣/٢٥١ .
٩ — عوف بن عطية التيمي : معجم الشعراء للمرزباني ص ١٢٥ .
١٠ — الأسقع بن الغدير : الوحشيات لأبي تمام ٢/٢٧٤ .
١١ — أبو قبيش صيفي بن الأسلت : الديوان ص ٨١ .
١٢ — حاتم الطائي : الديوان ٥/٦١ .
١٣ — المصدر نفسه ٥/٦ .
١٤ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٣٤٧ .
١٥ — المثقب العبدى : الديوان ١٠/٦ .
١٦ — عنتره بن شداد : ذيل الديوان ٣٠/١٨ .

وما إن كسبتُ المسالَ إلا لبذلِهِ
والبازلونَ رقابَ ما لهم
أشري التلادَ بحمد الجار أبذله
وإني لأستغني، فما أبطرُ الغنى
وأبذلُ معروفٍ، وتصفو خليفتي
إن من شيمتي لبذلُ تلادي
أبسط وجهي أنه أولُ القرى
أدعو بهن لعافر أو مطفل
وأبذلُ سنام القذر
وأبذل لضيفك ذات رَح
نحامي على مجد الأغر بما لنا

(١٧) لطارق ليلٍ أو لعانٍ مُكبَّلٍ
(١٨) لغفاتهم إن ضنَّ بالوفر
(١٩) حتى أصيرَ رميمًا تحت السواح
وأبذل ميسوري لمن يتغني قرضي
(٢٠) إذا كذرت أخلاق كل فتى محض
(٢١) دون عِرْضي فإن رضيت كوني
وأبذلُ معروفٍ له دون مُنْكَري
(٢٢) بُذلت لجيران الجميع لحامها
(٢٣) ن سِواءها دُهمًا وجُونا
(٢٤) لك مكرماً حتى يزولا
(٢٥) وببذل حَزراتِ النفوس لنحمدا
(٢٦)

جاء : تأتي مادة « جود » ومشتقاتها عادة مجردة ، دون أن يُسمَّى نوع العطاء :

تجودُ لهم نفسي بما ملكتُ يدي
تري الجود يجري ظاهراً فوق وجهه
لهم شيمة لم يُعْطِها الله غيرهم
أعاذل إن الجود لا ينقصُ الغنى

وَنَصْرِي فلا فُحْشي عليهم ولا بخلِي
(٢٧) كما زان متن الهندواني رَوْنَقُ
(٢٨) من الجود، والأحلام غير عواذب
(٢٩) ولا يدفع الإمساك عن مال مكثراً
(٣٠)

-
- ١٧ — دهر بن الصمة : الديوان ٤/٤٧ .
١٨ — عبد الله بن سليم الأزدي : قصائد جاهلية نادرة ص ٢٠٣ .
١٩ — عبيد بن الأبرص : الديوان ١٦/١٢ .
٢٠ — طرفة بن العبد : الديوان ٥/٥٦ — ١٤ .
٢١ — أبو دود الأيادي : شعره ٣/٦٥ .
٢٢ — حاتم الطائي : الديوان ٢/١١٥ .
٢٣ — لبيد بن ربيعة : الديوان ٧٤/٤٨ .
٢٤ — المصدر السابق ١٢/٤٩ .
٢٥ — ذو الإصبع العلواني : الأغاني ج ٣ ص ١٠٠ .
٢٦ — يزيد بن قُشَحم الخزرجي : معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٧٨ .
٢٧ — دهر بن الصمة : الديوان ٢/٥٠ .
٢٨ — الأعشى الكبير : الديوان ٥٥/٣٣ .
٢٩ — النابغة الذبياني : الديوان ٢٣/٣ .
٣٠ — عبيد بن عبد العزى السلمي : قصائد جاهلية نادرة ص ١٣١ .

قالى ابن مارية الجواد وهل
شروى أبى حسان فى الأنس (٣١)
ويتكرر ذكر كلمة الجود مرتبطة بصفات وقيم أخرى، من مثل: الندى والحزم والحسب
والحلم والسؤدد:

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------------|
| وبات الندى والجود يصطليانها | حليقي كريم واجد غير مجحد (٣٢) |
| وودعوني فقالوا ساعة انطلقوا | أودى فأودى الندى والحزم والجود (٣٣) |
| برغم العلى والجود والمجد والندى | طواك الردى ياخير حاف وناعل (٣٤) |
| متى تنع ينع البأس والجود والندى | وتصبح قلوصل الحرب جرباء حائل (٣٥) |
| على ماتريه الخمر إذ جاش بحرته | وأوشم جود من نداءه ووابل (٣٦) |
| فعني ابن الحيا وأبو شريح | وعني خالد حزم وجود (٣٧) |
| أرجي فواضل ذي يهجة | من الناس يجمع حزمًا وجودًا (٣٨) |
| أولئك إن يكن في الناس خير | فإن لديهم حسبًا وجودًا (٣٩) |
| وتأم الفضل الشجاعة والجل | م إذا زانبه عفاف وجود (٤٠) |
| وفى بهم حلمًا وجودًا وسؤددًا | وبأسًا، فهذا الأسود بن قنان (٤١) |
| سمعت برحب الباع والجود والندى | فأذليت دلوي فاستقت برشائكا (٤٢) |

٣١ — الحارث بن حلزة: الديوان ١٠/٣. وانظر: الأعشى بن النباش: شعر تميم ٤/١٨، والأعشى الكبير: الديوان ١٣/٣ — ١٤، ٢/٦٧، وأمية بن أبي الصلت: الديوان ٢/٢٥، ١/٣٥، ١١/٣٨، وحاتم الطائي: الديوان ٢/٢٣، ٢/٦٠، ٢/١١٢، ٣/١١٥، وحطائط بن يعفر: شعر تميم ٤/٦٠، والربيع ابن أبي الحقيق: الأشباه والنظائر للخالدين ج ١ ص ٧٢، وزهير بن أبي سلمى: الديوان ص ١٥٢، وعبد قيس بن خفاف: شعر تميم ٦/١٤٧، وعوف بن عطية: المفضليات ٢/٩٥.

- ٣٢ — عبادة بن جعشم: معجم الشعراء للمرزباني ص ١٦٩.
- ٣٣ — الأسود بن يعفر: الديوان ٢/١٢.
- ٣٤ — عتيك بن قيس: الحماسة البصرية ج ١ ص ٢٦٢.
- ٣٥ — حجر بن خالد: شرح ديوان الحماسة ٤/٧١٨.
- ٣٦ — لبيد بن ربيعة: الديوان ١٨/٣٦.
- ٣٧ — المصدر السابق ٤/٦.
- ٣٨ — حاتم الطائي: الديوان ٣/٣٤.
- ٣٩ — نوحاش بن زهير: أشعار العامرين الجاهليين ٤/٦.
- ٤٠ — قيس بن عاصم: شعر تميم ٢/١٨٤.
- ٤١ — أمانة بنت الجلاح: التذكرة السعدية للبيدي ص ١٠٩.
- ٤٢ — الأعشى الكبير: الديوان ١٩/١١.

إليك أبيت اللعن كان كلاً لها
كريم جواد أخو ماقسط
إلى الماجد الفرع الجواد المحمّد (٤٣)
نقاب يُحدّث بالغائب (٤٤)
ويرد غير مرة أن الأجواد سموا بأهل الجود، وهذا التعبير استخدم مرتبطاً بصفات أخرى:

ومن كان أهل الجود والحزم والندى
وسلمى، وسلمى أهل جود ونائل
يا عين جودي على عمرو بن مسعود
أهل العفاف وأهل الحزم والجود (٤٦)
وتستعمل كلمة «الجود» كثيراً في حالة الإضافة:

ألا أيها الناعي أخا الجود والفخر
يا عين جودي بدمع لانفاد له
فإن كشفت عند الملّمات عورة
أشاور نفس الجود حتى تطيعني
وهذا فعال الجود في كل محفل
من المرء تنعاه لنا من بني فخر (٤٧)
وابكي فتى الجود والهيّجاء مسروفاً (٤٨)
كفاك لباس الجود ما يتكشف (٤٩)
وأترك نفس البخل ما أشتيرها (٥٠)
تتير به الأخبار في سائر الأرض (٥١)

ويرجد مادة «جود» أحياناً مرتبطة بالمادتين: «عطى» و«بخل»

فإن بخلت فإن البخل مشترك
يجود ويعطي المال من غير ضنة
هو الجواد الذي يعطيك نائله
وإن أجذ أعط عفواً غير ممنون (٥٢)
ويضرب أنف الأبلخ المتغشم (٥٣)
عفواً ويظلم أحياناً فيظلم (٥٤)

-
- ٤٣ — المصدر نفسه ١٢/٢٨ .
٤٤ — أوس بن حجر: فصل المقال للبكري ص ١٢٧ .
٤٥ — لبید بن ربيعة ١٥/٨ — ١٦ .
٤٦ — أوس بن حجر: الديوان ١/١١ .
٤٧ — الأعشى بن النباش: شعر تميم ٢/١٥ .
٤٨ — الأسود بن يعفر: الأشباه والنظائر للمخالدین ج ١ ص ٦٧ .
٤٩ — أعرابي: الأمالي للقالبي ج ١ ص ٢٣٩ .
٥٠ — حاتم الطائي: الديوان ١٣/٥٠ .
٥١ — المصدر نفسه ٣/١١٥ .
٥٢ — أبو كنداء العجلي: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٧٦٠ .
٥٣ — أوس بن حجر: الديوان ٩/٤٨ .
٥٤ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ١٥٢ .

وإن يَجْبِنُوا تَشْجُعْ وإن يَخْلُوا تَجُدْ
وإن السيد المعلوم منا
أقربهم خيراً وأبعدهم
وأنت امرؤ منا ولست بخيرنا

وإن يَخْرَبُوا بالأمر تَفْصِلْ وتَغْرَقْ (٥٥)
يجود بما يَضُنُّ به البخيل (٥٦)
شراً، وأجودهم أوانَ بَخِلْ (٥٧)
جَوَادٌ على الأقصى، وأنت بخيل (٥٨)

وتأتي أساليب تعبيرية محكمة مع صيغة التفضيل «أجود»، حيث يشبه الجود بالنهر أو البحر أو السيل. الأعشى الكبير يكرر هذه التعابير خاصة، كقوله: (٥٩)

وما مزيد من خليج الفرا
يكبُّ الخلية ذات القلا
تكأكأ ملاحها وسطحها
بأجود منه بما عوزته

ت جَوْنُ غواربه تَلْتَطِمُ
ع قَدْ كَادَ جَوْجُوها يَنْحَطِمُ
من الخوف كَوْنَلَهَا يلتزم
إذا ما سماءهم لم تَغْمُ

وقوله (٦٠):

وما مزيد من خليج الفرا
يكبُّ السفين لأذقانه
بأجود منه بما عئذه

ت يَغْشَى الإكام ويعلو الجسورا
ويَصْرَعُ بالعُبر أثلاً ودورا
فيُعْطِي المئين ويعطي البُدورا

وقوله (٦١):

وما مجاور هيت إن عرضت له
يميش طوفائه إذ عبَّ مُحْتَفِلاً
طابت له الريح فامتدت غوارته
يوماً بأجود منه حينَ تَسألُهُ

قد كَادَ يَسْمُو إلى الجُرْفَيْن واطَّلعا
يكاد يعلو رُيى الجُرْفَيْن مُطَّلعا
تري حوالبه من موجه ترعا
إذ ضَنَّ ذو المال بالإعطاء أو تَحْدَعَا

وقوله (٦٢):

- ٥٥ — المزمق العبدى: الأصمعيات ١٤/٥٨.
- ٥٦ — حبيب بن عبد الله الهذلي: ديوان الهذليين ج ٢ ص ٨٧.
- ٥٧ — امرؤ القيس: الديوان ٣/٣٦.
- ٥٨ — طرفة بن العبد: الديوان ١/٦٩.
- ٥٩ — الأعشى الكبير: الديوان ٣٦/٤ — ٣٩.
- ٦٠ — المصدر السابق ٥٥/١٢ — ٥٧.
- ٦١ — المصدر السابق ٥٨/١٣ — ٦١.
- ٦٢ — المصدر السابق ٢٢/٣ — ٢٤.

ما النَّيْلُ أَصْبَحَ زَاخِرًا مِنْ مَدَّةِ
زَيْدًا بِبَابِلَ فَهُوَ يَسْقِي أَهْلَهَا
يَوْمًا بِأَجُودَ نَائِلًا مِنْهُ إِذَا

وقوله (٦٣):

فَمَا نَيْلٌ مِصْرَ إِذْ تَسَامَى عِبَابُهُ
بِأَجُودَ مِنْهُ نَائِلًا إِنَّ بَعْضَهُمْ

وقوله (٦٤):

وَمَا فَلَجَ يَسْقِي جَدَاوِلَ صَعْبَتِي
وَيُرْوِي النَّيْطُ السَّرْزُقُ مِنْ حَجَرَاتِهِ
بِأَجُودَ مِنْهُ نَائِلًا إِنَّ بَعْضَهُمْ

وقوله (٦٥):

وَمَا رَائِحَ رَوْحَتِهِ الْجَنُوبُ
يَكُوبُ السَّفِينُ لَأَذْقَانَهُ
إِذَا رَهَبَ الْمَوْجَ نَوْتِيَّةُ
بِأَجُودَ مِنْهُ بِأَدَمِ الْعِشَا

وترد هذه التعابير لدى بعض الشعراء، كقول النابغة الذبياني (٦٦):

فَمَا الْفِرَاتُ إِذَا هَبَّ الرِّيحُ لَهُ
يَمُدُّهُ كُلُّ وَادٍ مُتَرَعٍ لَجِبِ
يَظَلُّ مِنْ خَوْفِهِ الْمَلَاخُ مَعْتَصِمًا
يَوْمًا بِأَجُودَ مِنْهُ سَيْبَ نَافِلَةٍ

وقول أوس بن حجر: (٦٧)

جَادَتْ لَهُ رِيحُ الصَّبَا فَجَرَى لَهَا
رَغْدًا تُفَجِّرُهُ النَّيْطُ خِلَالَهَا
نَفْسُ الْبَخِيلِ تَجْهَمُ سُؤَالَهَا

وَلَا بَخْرُ بَائِقِيَا إِذَا رَاحَ مُفْعَمَا
إِذَا سئلَ الْمَعْرُوفُ صَدٌّ وَجَمْعَمَا

لَهُ شَرَعٌ سَهْلٌ عَلَى كُلِّ مَوْرِدٍ
دِيَارًا تَرْوِي بِالْأَتْسَى الْمُعْمَدِ
كَفَى مَالَهُ بِاسْمِ الْعَطَاءِ الْمُوعَدِ

يُرْوِي السُّرُوعَ وَيَعْلُو الدِّيَارَا
وَيَضْرَعُ بِالْعَبْرِ أَثْلًا وَزَارَا
يَحُطُّ الْقَلَاعُ وَيُرْخَى الزُّيَارَا
رَ لَطَّ الْعَلُوقُ بِهِنَ أَحْمَرَارَا

تَرْمِي غَوَارِثَهُ الْعَبْرَيْنِ بِالزَّيْدِ
فِيهِ رَكَامٌ مِنَ الْيَنْبُوتِ وَالْخَضَدِ
بِالْخَيْرِزَانَةِ بَعْدَ الْأَيْنِ وَالنَّجْدِ
وَلَا يَحُولُ عَطَاءُ الْيَوْمِ دُونَ غَدِ

٦٣ — المصدر السابق ٣٥/٥٥ — ٣٦.

٦٤ — المصدر السابق ٣١/٢٨ — ٣٣.

٦٥ — المصدر السابق ٥٥/٥ — ٥٨.

٦٦ — الديوان ٤٤/١ — ٤٧.

٦٧ — الديوان ١٨/١٧/٤٠.

يرمي الضرير بحُشْبِ الطلح والضال
ولا مُنْبٍ بترح بين أشبال

وما خليج من المروء ذو حذب
يوماً بأجود منه حين تسأله
وقول أبي اللحام التغلبي (٦٨):

متتابع التيار غير مُسَجَّس

ولأنت أجود من خليج مُرْسَل
وقول المسيب بن علس (٦٩):

مترام الآذني ذي دُفَاع

ولأنت أجود من خليج مُفْعَم
وقوله (٧٠):

الرَّيَّان لما جاء بالقَطَر

ولأنت أجود بالعطاء من
وقول كبشة الكندية: (٧١)

تداعى من مسبل هَطَال

وجواد فأنت أجود من سيل
وقول طرفة بن العبد (٧٢):

فأجودُ جوداً من اللافظة

فأما التي خيرها يُرتجى

وقلما يذكر الشعراء نوعية العطاء مع مادة «جود»، وإذا ما ذكرت فهي المال، في الدرجة

الأولى، والإبل والتلاد، وفك الأسرى:

والبخل مبقٍ لأهليه ومذموم (٧٣)
ولا البخل في مالٍ الشحيح يزيد (٧٤)
ونفسك حتى ضُرَّ نفسك جودها (٧٥)
إن الجواد يرى في ماله سُبلاً (٧٦)

والجود نافية للمال مُهْلِكَةٌ
فلا الجود يُفني المَالَ قبل فوائه
وقائلية أهلكت في الجود مائنا
يرى البخیل سبيلَ المال واحدة

٦٨ — ديوان عمرو بن كلثوم ١٥/٣٦.

٦٩ — شعره ٢٠/١١.

٧٠ — المصدر نفسه ٣٣/٩.

٧١ — الحماسة الشجرية ٣/٢٣٣.

٧٢ — الديوان ٢/٥٧.

٧٣ — علقمة الفحل: الديوان ٣٠/٢.

٧٤ — حاتم الطائي: الديوان ١/٦٥.

٧٥ — المصدر نفسه ١/٢٩.

٧٦ — المصدر نفسه: ٣/٣٢.

تَضَيَّفْتُ يَوْمًا عَلَى نَارِهِ من الجود في ماله أُخْتَكِمُ (٧٧)
أَجُودُ بِمُضُنُونِ الثَّلَاثِ وَإِنِّي بسرُّكَ عَمَّنْ سألني لَضَيْنُ (٧٨)
إِنَّمَا جَادَ بِشَأْسٍ خَالِدُ بَعْدَ مَا حَاقَتْ بِهِ إِحْدَى الْعُظَمُ (٧٩)

حبا : إن مشتقات مادة « حبا » تأتي مجردة دون أن يُسمَّى نوع العطاء :

فَتَى إِنْ جَعَلْتَ مَرْتَبًا إِلَيْهِ قَلِيلَ الْوَفْرِ مَجْتَدِيًا حَبَانِي (٨٠)
وَذِي رَحِمٍ حَبَوْتُ وَذِي دَلَالٍ من الأصحاب إِذْ نَحَدَّغَ الصُّحُوبُ (٨١)
حَبَاءَ شَقِيقٍ عِنْدَ أَحْجَارِ قَبْرِهِ وما كان يُجْبِي قَبْلَهُ قَبْرُ وَافِدٍ
أَتَى أَهْلَهُ مِنْهُ حَبَاءٌ وَنِعْمَةٌ وَرُبُّ أَمْرِيءٍ يَسْعَى لِآخِرِ قَاعِدِ (٨٢)

ولكن نوع العطاء، في الغالب، يذكر مع الفعل « حبا » أو الاسم « حباء » كالهدايا الثمينة من الإبل والخيل والأسلحة والعبيد والذهب والتيجان، إضافة إلى أعمال الخير عامة، كقول أوس ابن حجر :

وَيَحِبُّو الْخَلِيلَ بِخَيْرِ الْحَبَا إِ غَيْرَ مُكِبِّ وَلَا قَاطِبِ
بِرَأْسِ النَجِيَّةِ وَالْعَبْدِ وَالْـ وَلِيْدَةٍ كَالْجُوْدْرِ الْكَاعِبِ
وَبِالْأَدَمِ تُحْدَى عَلَيْهَا الرُّحَا لُ وَبِالشُّوْلِ فِي الْفَلَقِ الْعَاشِبِ (٨٣)
وقول الأعشى الكبير (٨٤) :

جئْتُه يَوْمًا فَأَدْنَى مَجْلِسِي وَحَبَانِي بَلَجُوجٍ فِي السَّنَنِ
وِثْمَانِينَ عِشَارَ كُلِّهَا أَرَكَاثَ فِي بَرِيمٍ وَخَضَنَ
وَعُغْلَامٍ قَائِمٍ ذِي عَدْوَةٍ وَذُلُولٍ جَسْرَةٍ مِثْلَ الْفَدَنِ

-
- ٧٧ — الأعشى الكبير : الديوان ٣/٣٢، وانظر الديوان نفسه ٥٨/٥
٧٨ — قيس بن الخطيم، ذيل الديوان ١/٢٠.
٧٩ — المثقّب العبدي ٧/٦.
٨٠ — زهير بن أبي سلمى ص ٣٥٨.
٨١ — عبيد الله بن سليم الأزدي : قصائد جاهلية ص ٢٠٥.
٨٢ — النابغة الذبياني ٣/٥٢. وانظر : أكم بن صنيفي : شعر تميم ٦/٢٥، وبشر بن عمرو : المفضليات ١٣/٧١، وعبيد بن عبد العزى : قصائد جاهلية نادرة ص ١٣٤.
٨٣ — الديوان ٨/٤ — ١٠.
٨٤ — الديوان ٢٥/٧٨ — ٢٦.

وقول الحارث بن حلزة (٨٥) :

يحبوك بالزَّغْف الفيوض على هميانها والدُّهْم كالْفَرَسِ
وبالسبيك الصَّفْر يعقبها بالآنسات البيض واللَّعْسِ

وقول النابغة الذبياني (٨٦) :

وإنَّ تلادي إنْ ذكرتُ وشكَّتي ومهري وماضتْ لَدَيَّ الأناملُ
حباؤك، والعيسُ العِتاقُ كأنَّها هجانُ المها تُحْدَى عليها الرِّحائلُ

وقول الأعشى الكبير (٨٧) :

له أكاليلُ بالياقوت زَيْنها صُواغُها لا ترى عَيْيَا ولا طَبْعَا
وكلُّ زَوْجٍ من الدياجِ يُلْبِسُهُ أبو قُدَامَةَ محبِّوًّا بِذاك معا

وقول أمية بن أبي الصلت (٨٨) :

عطاؤك زينٌ لامرئٍ إنْ حبَّوْتهُ بخيرٍ وماكلُ العطاءِ يزِينُ

وقول عمرو بن قميئة (٨٩) :

ليالي يَحْبُونَنِي ودَّهْمُ وَيَحْبُونُ قَدْرَكَ غُرَّ المَحَالِ

وقول عبيد بن الأبرص (٩٠) :

والجارُ يَحْبُوهُ بِجَفْنَتِهِ ولا يذُمُّ رَفِيقُهُ نَحْبَرَهُ

رفد : ترد مادة « رفد » ومشتقاتها دون أن يسمى نوع العطاء :

ونحنُ غداةً أوقدَ في خِزارِ رفدنا فوق رفد الرافدين^(٩١)
وإنَّا لَيَغْشى الطَّامِعُونَ بيوتنا إذا كان عَوْصاً عِنْدَ ذِي الحَسْبِ الرُّفْدُ^(٩٢)

٨٥ — الديوان ١١/٣ — ١٢ .

٨٦ — الديوان ١٩/٢٢ — ٢٠ .

٨٧ — الديوان ٤٨/١٣ — ٤٩ .

٨٨ — الديوان ١/٨٩ .

٨٩ — الديوان ٦/٥ .

٩٠ — الوحشيات لأبي تمام ٣/٢١٨ .

٩١ — عمرو بن كلثوم : شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٥٨/٥ .

٩٢ — الحادرة : الديوان ٦/٤ .

وجدنا الرِّفْدَ رَفَدَ بَنِي لُجَيْمِ
وطارق ليلٍ كُنْتُ حَمَّ مَبِيَّتِهِ
إِنْ تَهْجُنَا تَهْجُ أَسَادِ شَرَاةٍ
إِذَا مَا قَلَّتِ الْأَفْئَادُ زَادَا (٩٣)
إِذَا قَلَّ فِي الْحَيِّ الْجَمِيعِ الرُّوْافِدُ (٩٤)
يَبِضُّ الرُّجُوهَ مَرَايِدًا عَلَى الزَّمَنِ (٩٥)

إِنَّ الْأَشْخَاصَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مُرْتَبِطِينَ « بِالرَّفْدِ » ، هُمْ : الضَّيْفُ ، وَالْقَوْمُ ، وَالْحَيُّ ، وَالْمَوْلَى :

تُحَذُوا مَا أَسَارَتْ مِنْهَا قَدَاحِي
فَتَى عَارِفٌ لِلْحَقِّ لَا يُنْكِرُ الْقِرَى
فَلَنَعْمَ رِفْدُ الْحَيِّ يَنْتَظِرُونَهُ
مَرَايِدُ لِلْمَوْلَى مُحَاشِيْدُ لِلْقِرَى
وَلَسْتُ بِمَحَلَالِ الثَّلَاعِ لِبَيْتِهِ
وَرَفْدُ الضَّيْفِ وَالْإِنْسُ الْجَمِيعُ (٩٦)
تَرَى رَفْدَهُ لِلضَّيْفِ مَلَانٌ مُتْرَعًا (٩٧)
وَلَنَعْمَ حَشَوُ الدَّرْعِ وَالسَّرْبَالِ (٩٨)
عَلَى الْجَارِ وَالْمُسْتَأْنِسِ الْمُتَنَوِّرِ (٩٩)
وَلَكِنْ مَتَى يَسْتَرْفِدِ الْقَوْمُ أَرْفَدِ (١٠٠)

وقد يذكر نوع العطاء ، ويتمثل في الإبل والمال والفدية والجفنة :

وَذِي إِبِلٍ لَا يَقْرَبُ الْحَقُّ رَفْدَهَا
وَأِنْ صَرَّحْتَ كَحُلٍّ وَهَبْتَ عَرِيَّةً
الْمَانِعُونَ غَدَاةَ الرُّوعِ عَقَوْتَهُمْ
يَسِطُ الْبَيْوتُ لَكِي يَكُونَ مَظْنَّةً
تَرَكْتُ قَلِيلًا مَالَهُ يَتَصَفَّفُ (١٠١)
مَنْ الرِّيحُ لَمْ تَتْرُكْ لَذِي الْمَالِ مِرْفَدًا (١٠٢)
وَالرَّافِدُونَ لَدَى اللَّزَبَاتِ بِالْغَيْرِ (١٠٣)
مَنْ حَيْثُ تُوضَعُ جَفْنَةُ الْمُسْتَرْفِدِ (١٠٤)

السَّخَاءُ : تَأْتِي كَلِمَةُ « السَّخَاءِ » دُونَ ذِكْرِ الْعَطَاءِ ، وَقَدْ تَقَابَلَ كَلِمَةُ الْبَخْلِ :

يَعِيشُ التَّنْدِيُّ مَا عَاشَ حَاتِمُ طَيْئِي
وَإِنْ مَاتَ قَامَتْ لِلْسَّخَاءِ مَاتِمُ (١٠٥)

-
- ٩٣ — خالد بن مالك النهشلي : شعر تميم ١/٦٢ .
٩٤ — ضمرة بن ضمرة النهشلي : شعر تميم ١٠/١٢٦ .
٩٥ — عبيد الله بن المدان : الحماسة الشجرية ٦/٢٩ .
٩٦ — عنتر بن شداد : الديوان ١/١٦ .
٩٧ — ليبيد بن ربيعة : الديوان ٩/٢٥ .
٩٨ — أوس بن حجر : الديوان ٦/٤١ .
٩٩ — عبيد بن عبد العزى : قصائد جاهلية ص ١٣٢ .
١٠٠ — طرفة بن العبد : الديوان ٤٤/١ .
١٠١ — عبد الله بن ثور العامري : قصائد جاهلية ص ١٥٧ .
١٠٢ — عمرو بن قميئة ٩/١ .
١٠٣ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٣١٨ .
١٠٤ — المصدر نفسه ص ٢٧٩ .
١٠٥ — عبد قيس بن خُفَاف : شعر تميم ٥/١٤٧ .

وليس بنافع ذا البخل مالٌ ولا مُزِرٌ بصاحبه السخاءُ (١٠٦)
ويُظهرُ عيبَ المرءِ في الناسِ بُخلُهُ ويستره عنهم جميعاً سخاؤُهُ
تغطُّ بِأسبابِ السخاءِ فإنني أرى كلَّ عيبٍ والسخاءُ غطاؤُهُ (١٠٧)

سمح : إن مشتقات مادة «سمح» ترد غالباً دون أن يذكر نوع العطاء :

ونَدَمَانِ كَرِيمِ الْجَدِّ سَمَحَ صَبَحْتُ بِسُحْرَةٍ كَأْساً سَبِيّاً (١٠٨)
وقد أَقْطَعُ اليَوْمَ الطَوِيلَ بِفَتِيَةٍ مَسَامِيحَ تُسْقَى وَالْخَبَاءُ مُرَوِّقُ (١٠٩)
وسَمَّاحٌ لَدَى السَّيْنِ إِذَا مَا قَحَطَ الْقَطَرُ وَاسْتَقَلَّ الرَّهَامُ (١١٠)
عَدَّتْ سَمَاحَتِي تَبْذِيرًا، وَلَسْتُ أَرَى مَا يَجْلُبُ الْحَمْدَ تَبْذِيرًا وَلَا سَرْفًا (١١١)
إِنِّي أَمْرٌ عَفُ الْخِلَائِقِ لَا أَرَى طُرُقَ السَّمَّاحَةِ يَا أَمِيمَ وَعُورًا (١١٢)
يَا كَأْسُ وَيْلَكَ إِنِّي غَالَنِي تُحْلِقِي عَلَى السَّمَّاحَةِ صُغْلُوكًا وَذَا مَالِ (١١٣)
سَمَّاحَةً ذَا، وَبِرٌّ ذَا وَوَفَاءً ذَا وَنَائِلَ ذَا، إِذَا صَحَا وَإِذَا سَكِرَ (١١٤)

وقد يربط الشعراء بين مادة «سمح» وعطاء الإبل وتقديم الطعام :

ظَلَّتْ تَلُومُ عَلَى بَكْرٍ سَمَحَتْ بِهِ إِنَّ الرِّزِيَّةَ فِي الدُّنْيَا ابْنُ مَسْعُودِ (١١٥)
بِمَسَامِيحٍ فِي الشُّتَاءِ يَخَالُو نَ عَلَى كُلِّ فَالَجٍ إِطْعَامًا (١١٦)

إن مشتقات مادة «سمح» تذكر غير مرة مرتبطة بصفات حميدة وقيم نبيلة كالكرم والجود

والعز والنهي والبذل والندى والنجدة :

-
- ١٠٦ — قيس بن الخطيم : ذيل الديوان ١/١ .
١٠٧ — طرفة بن العبد ٨/١٩ — ٩ .
١٠٨ — عمرو بن قميئة : الديوان ٥/١٣ .
١٠٩ — الأعشى الكبير : الديوان ١٩/٣٣ .
١١٠ — أبو دواد الأيادي : شعره ١٨/٦٠ .
١١١ — حاتم الطائي : الديوان ٣/٨٢ .
١١٢ — همام بن رياح اليربوعي : شعر تميم ٥/٢٥١ .
١١٣ — الكلحبة اليربوعي : شعر تميم ١/٢١١ .
١١٤ — امرؤ القيس : الديوان ١٩/١٤ . وانظر : الأسود بن يعفر : الديوان ٢/٤٨ ، وبشر بن عمرو :
المفضليات ١٢/٧١ ، وسعدى بنت الشمرذل : الأصمعيات ٢٧/٢٧ . وعلباء بن أرقم : الأصمعيات
١٦/٥٥ .

- ١١٥ — حاتم الطائي : الديوان ١/٦٣ .
١١٦ — الأعشى الكبير : الديوان ٢٣/٣٨ .

- وأيسار لقمان بن عاد سَمَاحَةً
 إِنَّ الَّذِي جَمَعَ السَّمَاخَةَ وَالنَّدَى
 إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَا مَا بَقِيَتْ لَنَا
 إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَا مَا بَقِيَتْ لَنَا
 أَبَاؤُكَ الشُّمُّ الْمَرَا
 إِنَّ الَّذِي جِئْتَ مِنْ تَثْلِيثٍ تَنْدُبُهُ
 مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمًا
 إِنِّي امْرُؤٌ مَنِ السَّمَاخَةَ وَالنَّدَى
 وَلِذَا كُمْ زَعَمْتَ تَمِيمٌ أَنَّهُ
 فِي إِخْوَةٍ جَمَعُوا نَدَى وَسَمَاخَةَ
 فِيهِمُ الْخِصْبُ وَالسَّمَاخَةُ وَالنَّجْدُ
 وَإِنْ مَسَّهُ الْإِقْوَاءُ وَالْجَهْدُ زَادَهُ
 وَكَمْ فِينَا إِذَا مَا الْمَحْلُ أَبْدَى
 فَضْلًا وَذُو كَرَمٍ يُعِينُ عَلَى النَّدَى
 وَلَقَدْ تَعْلَمُ بِكُفْرٍ أَنَّنَا
- وجوداً إذا ما الشَّوْلُ أُمِسَتْ جَرَاثِرًا (١١٧)
 جُدَّةَ وَالْحَزْمَ وَالْقُصَى جُمَعَا (١١٨)
 فِينَا السَّمَاخُ وَفِينَا الْجُودُ وَالْكَرَمُ (١١٩)
 فِينَا السَّمَاخُ وَفِينَا الْعَزْ وَالْكَرَمُ (١٢٠)
 جِيحُ الْمَسَامِيحُ الْأَخَايِرُ (١٢١)
 مِنْهُ السَّمَاخُ وَمِنْهُ الْجُودُ وَالْغَيْرُ (١٢٢)
 يَلْقَى السَّمَاخَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى تَخْلُقَا (١٢٣)
 وَالْبَاسُ أَخْلَاقُ أَصْبَتْ لِبَابَهَا (١٢٤)
 أَهْلُ السَّمَاخَةِ وَالنَّدَى وَالْبَاعِ (١٢٥)
 هُضُمِ إِذَا أَرُمَ الشَّتَاءُ تَزَعَّبَا (١٢٦)
 دَعُ فِيهِمُ وَالْخَاطِبُ الْمِصْلَاقُ (١٢٧)
 سَمَاحًا وَإِتْلَافًا لَمَّا كَانَ فِي الْيَدِ (١٢٨)
 نُحَاسُ الْقَوْمِ مِنْ سَمَحٍ هُضُومِ (١٢٩)
 سَمَحٌ كَسُوبٌ رَغَائِبُ غَنَائِمَهَا (١٣٠)
 آفَةُ الْجُزْرِ، مَسَامِيحُ يُسْرُ (١٣١)

- ١١٧ — أوس بن حجر : الديوان ٤/١٦ .
 ١١٨ — المصدر نفسه ٢/٢٦ .
 ١٢٩ — خدّاش بن زهير : أشعار الجاهليين العامريين ١٤/٥٢ .
 ١٢٠ — أمية بن أبي الصلت : الديوان ٢/٧٢ .
 ١٢١ — المصدر نفسه ١٢/٣٨ .
 ١٢٢ — أعشى باهلة : شعره ١٠/٤ . وفي الأصل : العبر وهو تصحيف والصواب الغير كما جاء في الأصمعيات ٥/٢٤ .
 ١٢٣ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٥٣ .
 ١٢٤ — عنترة بن شداد : ذيل الديوان ١/٢٦ .
 ١٢٥ — المسيب بن علس : شعره ٢٦/١١ .
 ١٢٦ — بشر بن عمرو : المفضليات ٨/٧١ .
 ١٢٧ — الأعشى الكبير : الديوان ٥١/٣٢ .
 ١٢٨ — دريد بن الصمة : الديوان ٣٤/١٥ .
 ١٢٩ — ليبيد بن ربيعة : الديوان ٢٠/١٣ .
 ١٣٠ — المصدر نفسه ٨٠/٤٨ .
 ١٣١ — طرفة بن العبد : الديوان ٥١/٢ .

العطاء : تأتي مشتقات « العطاء » دون بيان نوع العطاء :

وَإِعْطَانِي الْمَوْلَى عَلَى حِينِ فَقْرِهِ	إِذَا قَالَ : أَبْصُرْ خَلَّتِي وَخُشُوعِي (١٣٢)
تُعْطِي حَقَّقاً عَلَى الْأَحْسَابِ ضَامَةً	حَتَّى يُنَوِّرَ فِي قُرْيَانِهِ الزَّهَر (١٣٣)
وَمَقْسَمٌ يُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا	وَمَغْدِمٌ لِحَقُوقِهَا هَضَامَهَا (١٣٤)
فَأَلْفَيْتُهُ يَوْمًا يُبِيرُ عَدُوَّهُ	وَبَحَرَ عَطَاءٍ يَسْتَخِفُّ الْمَعَابِرَا (١٣٥)
يُكَذِّبُ رَأْيَهُ وَيُخْلِفُ قَوْلَهُ	وَيُعْطِي إِذَا أُعْطِيَ قَلِيلاً مَصْرَدًا (١٣٦)
الضَيْفَ أَوْصِيكُمْ بِالضَيْفِ إِنَّ لَهُ	حَقًّا عَلَيَّ فَأُعْطِيهِ وَأُعْتَرِفُ (١٣٧)
تُعْطِي الْعَشِيرَةَ حَقَّهَا وَحَقِيقَهَا	فِيهَا وَنَغْفِرُ ذَنْبَهَا وَنَسُودُ (١٣٨)
وَقَالَ لَهُ اللَّهُ اغْطِرْ وَهَبْ	وَبَاعَ لَهُ الْمَجْدُ يِعَاً صَفَاقَا (١٣٩)

ويجملو للشعراء أن يربطوا بين « العطاء » و « السؤال » :

وَإِنِّي لِأُعْطِي سَائِلِي وَلَرَّيْمَا	أَكْلَفُ مَا لَا أُسْتَطِيعُ فَأَكْلَفُ (١٤٠)
تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَتَهْلِلاً	كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ (١٤١)
يَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مَتَهْلِلاً	كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُ (١٤٢)

- ١٣٢ — لبيد بن ربيعة : الديوان ٦/١٠ .
 ١٣٣ — المصدر نفسه : ٢٤/٩ .
 ١٣٤ — المصدر نفسه ٧٩/٤٨ .
 ١٣٥ — النابغة الذبياني : الديوان ٢١/٧ .
 ١٣٦ — عبيد قيس بن خُفَاف : شعر تميم ٣/١٤٤ .
 ١٣٧ — الأعشى الكبير : الديوان ٥/٦٢ .
 ١٣٨ — معاوية بن مالك : أشعار العامريين الجاهليين ٦/٦٦ .
 ١٣٩ — أبو قردودة الطائي : قصائد جاهلية نادرة ص ١٧٠ . وانظر : أعشى باهلة : شعره ١٧/٤ ، والأعلم عمرو بن مالك : معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٠ ، والأعشى الكبير : الديوان ٤/٧ — ١٣ ، ٢٥/١١ ، ٣٦/٢١ ، وأفنون التغلبي : المفضليات ٧/٦٦ ، وأمامة بنت الجُلاح : التذكرة السعدية للبيدي ص ١٠٩ ، وأمّية بن أبي الصلت : الديوان ٦/٤٨ ، ١/٨٩ ، وحاتم الطائي : الديوان ١/٤٩ ، وزهير بن أبي سلمى ص ٤٩ ، ٣٦٤ ، وطرفة بن العبد : الديوان ١/٢٢ ، وعدي بن زيد : الديوان ٢٢/١٦ ، وعاصم بن جويرية : شعر تميم ٥/١٤١ ، وعمرو بن لأبي : الوحشيات لأبي تمام ٢/٢٥٨ ومعاوية بن مالك : المفضليات ٢٢/١٠٥ والنابعة الذبياني ٤٧/١ ، وهمام بن رباح : شعر تميم ٤/٢٥١ .
 ١٤٠ — حاتم الطائي : الديوان ٨/٤٢ .
 ١٤١ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ١٤٢ .
 ١٤٢ — المصدر نفسه ص ٢٩٨ .

وإن يُسألوا يُعطوا وإن يَسروا يُغْلوا (١٤٣)
 كما أَكَبَّ على ذي بَطْنِهِ الْفَهْدُ (١٤٤)
 فَيُعْطِي وَإِذَا كُلُّ ذَنْبٍ فَيَغْفِرُ (١٤٥)
 رَةٌ كَانَتْ عَطِيَّةَ الْبُخَّالِ (١٤٦)
 تَجُودَانِ بِالْإِعْطَاءِ قَبْلَ سُؤْلِكَ (١٤٧)

هناكَ إن يَسْتَخْبِلُوا الْمَالَ يُخْبِلُوا
 يُعْطُونَ مَا سَأَلُوا وَالْخَطُّ مِنْهُمْ
 فَتَى كَانَ إِذَا كُلُّ شَيْءٍ سَأَلَتْهُ
 وَعُطَاءٌ إِذَا سَأَلْتَ إِذَا الْعِدُّ
 وَمَا ذَاكَ إِلَّا أَنَّ كَفَيْكَ بِاللَّدَى

ويُسَمَّى نوع العطاء غير مرة عندما يذكر الشعراء على أنه المال في الدرجة الأولى، والهدايا الثمينة كالإبل والحيل والنساء والذهب والتلاد:

جَمِيلِ الْمُحَيَّا، لِلْمُعَارِمِ دَافِعُ (١٤٨)
 بَقَرُ الصَّرَائِمِ، وَالْجِيَادُ تَوَدُّفُ (١٤٩)
 فَعَالًا، وَأُعْطِيَ مِنْ تِلَادٍ وَمَغْنَمِ (١٥٠)
 أَدَمًا يَشْبَهُنَ صُورًا أَبَدًا (١٥١)
 وَالْبَسُّ أَقْوَامًا عَلَى الشَّنَّانِ (١٥٢)
 وَيُعْطَى إِذَا ضَنَّ الْبَخِيلُ الْمُصَرَّدُ (١٥٣)
 كَأَنِّي إِذَا أُعْطِيتُ مَالِي أَضِيئُهَا (١٥٤)
 إِذَا ضَنَّ بِالْمَالِ الْبَخِيلُ وَصَرَّدَا (١٥٥)
 مَالِي وَأَطْعَنُ وَالْفَرَائِصُ تَرَعَّدُ (١٥٦)

إِلَى مَا جَدَّ أُعْطِيَ عَلَى الْحَمْدِ مَالُهُ
 يُعْطِي النَّجَائِبَ بِالرَّحَالِ كَأَنَّهَا
 مَتَى تَبْلُغِيهِ تَبْلُغِي خَيْرَ سَوْفَةٍ
 يُحْذِرِي وَيُعْطِي مَالَهُ لِيُحْمَدَا
 وَإِنِّي لِأُعْطِيَ الْمَالَ مَنْ لَا أَوْدُهُ
 يَفُكُ بِهِ الْعَانِي وَيُؤْكَلُ طَيِّبًا
 وَعَاذِلِي قَامَتْ عَلَيَّ تَلَوْنِي
 تَلَوْنٌ عَلَى إِعْطَائِي الْمَالَ ضِلَّةً
 أُعْطِيَ إِذَا النَّفْسُ الشَّعَاعُ تَطَلَّعَتْ

-
- ١٤٣ — المصدر نفسه ص ١١٢ .
 ١٤٤ — التلمس الضبعي: الديوان ٣/١٢ .
 ١٤٥ — لبيد بن ربيعة: الديوان ٢/٢٣ .
 ١٤٦ — الأعشى الكبير: الديوان ٤٢/١ .
 ١٤٧ — المصدر نفسه ٢٥/١١ .
 ١٤٨ — بشر بن أبي خازم: الديوان ٥/٢٤ .
 ١٤٩ — المصدر نفسه ١٦/٣١ .
 ١٥٠ — المصدر نفسه ٣١/٤٠ .
 ١٥١ — لبيد بن ربيعة: الديوان ٣/٢٠ .
 ١٥٢ — المصدر نفسه ٣/٥٠ .
 ١٥٣ — حاتم الطائي: الديوان ١/١٢٢ .
 ١٥٤ — المصدر نفسه: ١/١٢٢ .
 ١٥٥ — المصدر نفسه ٢/٤٥ .
 ١٥٦ — السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَيْكَةِ: شعرتيم ٢/٩٤ .

وَضَرَبِي هَامَةَ الْبَطْلِ ، الْمُشِيح (١٥٧)
 وَكَيْفَ وَمِنْ عَطَائِكَ جُلٌّ مَالِي (١٥٨)
 مِنَ الْمَوَاهِبِ لَا تُعْطَى عَلَى تَكْدٍ (١٥٩)
 وَالْحَمْدُ لَا يُشْتَرَى إِلَّا بِأَثْمَانٍ (١٦٠)
 مِنَ الثَّلَادِ وَهَوْبٍ غَيْرُ مَثَانٍ (١٦١)
 إِذَا التَّطُّتْ لَدَى بَحْلِ لَطَاطٍ (١٦٢)
 بِذِهِ عَطَاءٌ مِنْ طَارِفَاتٍ وَتُلْدٍ (١٦٣)
 نَدَامَاهُ ، وَيَضْطَلَعُ الثُّقَالَا (١٦٤)
 كَثِيرٌ وَلَا يُعْطُونَ فِي حَادِثٍ بَكْرًا (١٦٥)
 بِأَرْسَانِهِنَّ وَالْحَسَانَ الْخَوَالِيَا
 بَغْلَاتِهِنَّ وَالْمَيْسَنَ الْغَوَالِيَا (١٦٦)
 صَفَايَا الْخَاضِرِ وَالْعَشَارِ الْمَطَافِلِ (١٦٧)

وَإِعْطَائِي ، عَلَى الْمَكْرُوهِ ، مَالِي
 لَمَّا أَغْفَلْتُ شُكْرَكَ فَانْتَصَحَنِي
 أَعْطَى لِفَارِهِةٍ خُلِرَ تَوَابِعُهَا
 وَالْمَعْطِيَانِ ابْتِغَاءَ الْحَمْدِ مَالَهُمَا
 يَعْطِيكَ مَا لَا تَكَادُ النَّفْسُ تُرْسِلُهُ
 وَأَعْطِي غَيْرَ مَنْزُورٍ تَلَادِي
 سَعْدٌ يُجِيرُ الْخَائِفِينَ وَتُنْدَى
 وَيُعْطِي الْقَيْنَةَ الْحَسَنَاءُ تُرْوِي
 مِنَ الشَّرِّ وَالسُّبْحُ أَوْلَادُ مَعْشَرٍ
 فَأَيُّنَ الَّذِينَ كَانَ يَعْطِي جِيَادَهُ
 وَأَيُّنَ الَّذِينَ كَانَ يَعْطِيهِمُ الْقَرَى
 إِذَا نَهَبُوا نَهْبًا يَكُونُ عَطَاءَهُ

ويذكر الشعراء أحياناً أنَّ العطاء غزير وعظيم دون أن يسموه، وهنا يربطون بين المادتين:

«عطي» و«جزل»:

يَجُودُ وَيَغْزُو إِذَا مَا عَسَدِمَ (١٦٨)
 وَقَدْ قَصَرَ الضَّنُّ مِنِّي كَثِيرًا (١٦٩)

وَأَبْيَضَ كَالسَّيْفِ يَعْطِي الْجَزِيلَ
 مَنَنْتَ عَلَيَّ الْعَطَاءَ الْجَزِيلَ

-
- ١٥٧ — عمرو بن الإطناية: الاختيارين ٥/١٦ .
 ١٥٨ — النابغة الذبياني ١٥/٢٧ .
 ١٥٩ — المصدر نفسه ٢٧/١ .
 ١٦٠ — حاجب بن حبيب الأسدي: المفضليات ١٣/١١١ .
 ١٦١ — أبو المثلّم الهذلي: ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٤٠ .
 ١٦٢ — الممتحلّ الهذلي: المصدر نفسه ج ٢ ص ٢٢ .
 ١٦٣ — امرؤ القيس: الديوان ٣/٤٢ .
 ١٦٤ — المصدر نفسه ٣/٧٥ .
 ١٦٥ — طرفة بن العبد: الديوان ١/١٣ .
 ١٦٦ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٢٩٠ .
 ١٦٧ — المصدر نفسه ص ٢٩٨ . وانظر الأعشى الكبير: الديوان ٥٧/١٢ ، ٦١/١٣ ، وص ٢١١ من البحث ، وأوس بن حجر: الديوان ٩/٤٨ وص ٢١٠ من البحث .
 ١٦٨ — الأعشى الكبير: الديوان ١٣/٤ .
 ١٦٩ — المصدر نفسه ٣٧/١٢ .

أَخَا ثِقَةً عَلِيًّا كَغُبُهُ جَزِيلَ الْعَطَاءِ كَرِيمَ الْجِنَّ (١٧٠)
 كَفَاهُ مُخْلَفَةً وَمُتْلِفَةً وَعَطَاؤُهُ مُتَخَرِّقٌ جَزْلُ (١٧١)
 يَعْطِي جَزِيلًا وَيَسْمُو غَيْرَ مُتَّحِدٍ بِالْخَيْلِ لِلْقَوْمِ فِي الزَّعْرَاعَةِ الْجَوْلِ (١٧٢)
 أَحْيَى الْخَلِيلَ، وَأَعْطَى الْجَزِيلَ وَمَالِي أَفْعَلَ، فِيهِ الْيَسَارُ (١٧٣)
 وَفِي الْحَرْبِ أَطْعَمُ طَعْنًا وَبَيْلًا (١٧٤)
 فَمَسَّنْ وَأَعْطَانَسِي الْجَزِيلَ وَإِنْسَهُ بِأَمْثَالِهَا رَحْبُ الدَّرَاعِ نَهْوُضُ (١٧٥)
 مَبَاذِيلُ عَفْوًا جَزِيلُ الْعَطَاءِ إِذَا فَضْلُهُ الزَّادُ لَمْ تُبْذَلِ (١٧٦)

أَعَانُ: يسمي نوع الهدية مع مادة «عون» ومشتقاتها تسمية عامة، دون أن يذكر بالتفصيل، وذلك عندما يربطون بين «أعان» و«الندى»:

يَأْتَا نَعِينَ الْمُسْتَعِينَ عَلَى النَّدَى وَنَحْفِظُ ثَغَرَ الْمَقْدَمِ الْمُتَضَايِقِ (١٧٧)
 مَنَا الْمَعِينُ عَلَى النَّدَى بِفَعَالِهِ وَالبَذْلُ فِي اللَّزِيَّاتِ بِالأَمْوَالِ (١٧٨)

ونادراً ما يبين الشعراء نوعية المعونة التي تعني المال ومساعدة الغارمين:

وَأَفْعَلُ بِمَالِكَ مَا بَدَا لَكَ إِنْ مُعَانًا أَوْ مُعِينًا (١٧٩)
 فَتَى لَا يَزَالُ الدَّهْرُ أَكْبَرُ هَمِّهِ فَكَأَنَّكَ أَسِيرٌ أَوْ مَعُونَةٌ غَارِمِ (١٨٠)

أَفَادُ: ترد مادة «فيد» ومشتقاتها دون أن يسمي نوع العطاء:

أَرَى الْمَلِكَ الَّذِي قَدْ كَانَ فِينَا يُفِيدُ رَغَائِبًا وَيُفَيْتُ مَالًا (١٨١)

-
- ١٧٠ — المصدر نفسه ٣٤/٢ .
 ١٧١ — المسيب بن علس: شعره ٨/١٦ .
 ١٧٢ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٣٠٩ .
 ١٧٣ — عوف بن عطية التيمي: الاختيارين ٩/٧٨ .
 ١٧٤ — دريد بن الصمة: ذيل الديوان ١٠/٢ .
 ١٧٥ — بشر بن أبي خازم: الديوان ٢/٢٢ .
 ١٧٦ — زهير السَّكْبُ المازني: شعر تميم ١١/٨٢ .
 ١٧٧ — الأسود بن يعفر: الديوان ١٤/٤٩ .
 ١٧٨ — عنترة بن شداد، ذيل الديوان ٣٠/١٨، وانظر: لبيد بن ربيعة: الديوان ٨٠/٤٨ وص ٢٢٣ من البحث .
 ١٧٩ — لبيد بن ربيعة: الديوان ١٠/٤٩ .
 ١٨٠ — أوس بن حجر: الديوان ٢/٤٩ .
 ١٨١ — امرؤ القيس: الديوان ٢/٧٥ .

أنا المفيدُ حاتمُ بنُ سعدٍ أُعطيَ الجزيلَ وأُفيَ بالعَهْدِ (١٨٢)

ويحلو للشعراء أن يربطوا بين مادة «فاد» و«تلف» خاصة، دون تسمية العطاء بالتفصيل:

وعاذلتين هَبَّتَا بعدَ هَجْمَةٍ
ألا هَلَكْ امرؤُ حَبَّاسُ مالٍ
أليسَ بوَهَّابٍ مُفيدٍ ومُتَلِفٍ
المُخْلَفُ المُتَلَفُ المفيدُ إذا
وقد يذكر نوع العطاء كاملاً:

والمفيدُ المَالُ التَلَادَ لَمَنْ يَغْـ
وأجعلُ مالي دونَ عرضي، وإنني

منح: يأتي الفعل «منح» عادة مرتبطاً بهدايا ثمينة كالإبل والمال:

وأَمَنَحُهُ مالي وَعَرَضِي وتُصَرِّقِي
نلوي الرؤوسَ إذا رِمْتَ ظُلَامَتُنَا
سَأَمْنَحُ مالي كُلَّ مَنْ جَاءَ طَالِباً
أُفِي نَابٍ مَنَحْنَاهَا فَقِيراً
واعفُفْ عَنِ الجاراتِ وامْنَحْ
والمَانِحُ المائَةُ الهِجَانِ بِأَسْرِهَا
وإن كان مَحْنِي الضُّلُوعَ على بُغْضٍ (١٨٩)
وَمَنَحُ المَالِ فِي الإِمْعَالِ والعَنَمَا (١٩٠)
وأَجْعَلُهُ وَقفاً على القَرْضِ والقَرَضِ (١٩١)
لَهُ بَطْنَانَا طُنْبٌ مَصِيت (١٩٢)
هُنَّ مَيْسِرُكَ السَّمِينَا (١٩٣)
تُرْجِي مَطَافِلُهَا كَجَنَةِ يَثْرِبِ (١٩٤)

١٨٢ — حاتم الطائي: الديوان ١/٦١.

١٨٣ — المصدر نفسه ١٢/٤٧.

١٨٤ — امرأة من بني حنيفة: المفضليات ٣/٦٩.

١٨٥ — أوس بن حجر ٤٧/٤٨.

١٨٦ — بشر بن أبي خازم ١٢/٢٦.

١٨٧ — المصدر نفسه ١٦/٣٦.

١٨٨ — حاتم الطائي: الديوان ١١/٤٢.

١٨٩ — طرفة بن العبد: الديوان ٨/٥٦.

١٩٠ — النابغة الذبياني ٢/٣٧.

١٩١ — حاتم الطائي: الديوان ١/١١٥.

١٩٢ — عروة بن الورد: الديوان ١/٢٣.

١٩٣ — ليبد بن ربيعة: الديوان ١١/٤٩.

١٩٤ — بشر بن أبي خازم ٢١/٧.

وقد يأتي الفعل «منح» دون أن يُسمَّى نوع العطاء:

سَأَمْنَحُهُ عَلَى الْعَلَاتِ حَتَّى أَرَى مَاوِيَّ أَلَا يَشْتَكِينِي (١٩٥)
قَدْ كُنْتُ أَوْتِيَكُمْ مَالِي وَأَمْنَحُكُمْ وَدِّي عَلَى مَثَبٍ فِي الصَّدْرِ مَكْنُونِ (١٩٦)
بَذَنُكُمْ ضَوَامِنَ لِلْمَعْتَفِي — مَنْ أَنْ يَمْنَحُوهُمْ قَبْلَ الْعِيَالِ (١٩٧)

نال : ترد مشتقات مادة «نال» غالباً دون أن توصف نوعية العطاء:

وَلَقَدْ تَنَاوَلَنِي بَنَائِلُهُ فَأَصَابَنِي مِنْ مَالِهِ سَجْلُ (١٩٨)
مَنْ سَيَبُهُ سَحَّ الْفِرَاتِ وَحَمْلُهُ مُزْنُ الْجِبَالِ وَنَيْلُهُ لَا يَنْقُذُ (١٩٩)
مَنْ قَوْلُهُ قَوْلٌ، وَمَنْ فِعْلُهُ فِعْلٌ، وَمَنْ نَائِلُهُ نَائِلُ (٢٠٠)

ويذكر أن «نائِل» الأجواد هو الأجود والأغزر، وهنا نجد صيغة تفضيل مألوفة مكررة تجمع بين كلمة «النائل» وصيغ التفضيل «أجود» و«أغزر» و«أجدي» و«خير»:

وَأَغْزَرَ نَائِلًا لِمَنْ اجْتَدَاهُ مِنْ الْعَافِينَ وَالْهَلَكَى الْجِيَاعِ (٢٠١)
أَعَفَّ وَأَجْدَى نَائِلًا لِعَشِيرَةٍ وَأَكْرَمَ مَخْلُودٍ لَدَى كُلِّ مَجْلِسِ (٢٠٢)
بَلْ اذْكُرْنِ خَيْرَ قَيْسٍ كُلُّهَا حَسْبًا وَخَيْرَهَا نَائِلًا وَخَيْرَهَا خُلُقًا (٢٠٣)

وتستعمل كلمة «النائل» في جمل ترتبط فيها بصفات نبيلة وقيم حميدة أخرى، «كالحسب» و«الحزم» و«الوفاء» و«البيان» و«الفضل» وكلمات تشير إلى «القوة»:

-
- ١٩٥ — حاتم الطائي : الديوان ٢/٧ .
١٩٦ — ذو الإصبع العلواني : الأشباه والنظائر للخالدين ج ٢ ص ١٢٩ .
١٩٧ — عمرو بن قميصة : الديوان ١٣/٥ .
١٩٨ — المسيب بن علس : شعره ١٤/١٦ .
١٩٩ — عبيد بن الأبرص ١٧/١٣ .
٢٠٠ — المصدر نفسه ١٩/٣٩ . وانظر : الأعشى الكبير ١٤/١١ ، ٤٦/٢١ ، ١/٣٧ ، وأوس بن حجر : الديوان ١١/٤ ، وبشامة بن الغدير : سمط اللآلي للبكري ج ١ ص ٣٩ ، والحادرة : الديوان ١/٩ ، وزهير بن أبي سلمى : الديوان ص ١٥٢ ، وأمرؤ القيس : الديوان ص ٣٩٧ ، وعلقمة الفحل : الديوان ٣٩/١ ، وعمرو بن الإطنابة : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٧١٤ ، والنابعة الذبياني ٢٩/٢٦ ، ٢/٥٨ ، وهشام بن رباح : شعر تميم ٤/٢٥١ .
٢٠١ — طفيل الغنوي : الحماسة الشجرية ٢/٢٣٨ .
٢٠٢ — دريد بن الصمة : الديوان ٣/٣٥ .
٢٠٣ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٤٨ . وانظر : الأعشى الكبير : الديوان ٢٤/٣ ، ٣٣/٢٨ ، ٣٦/٥٥ .

خير معدٌ حسباً ونائلاً (٢٠٤)

وَأَنَا إِذَا مَا خَافَ جَارُ ظِلَامَةٍ لَبَسْنَا لَهُ ثَوْبِي وَفَاءٍ وَنَائِلٍ (٢٠٥)
هَمَّ خَيْرٌ حَيٌّ فِي مَعْدُ عِلْمَتِهِم لَهْمُ نَائِلٌ فِي قَوْمِهِمْ وَلَهْمُ فَضْلٍ (٢٠٦)
أَبَى لَابَنُ سَلَمَى خَلْتَانِ اصْطَفَاهَا قِتْيَالٌ إِذَا يَلْقَى الْعَدُوَّ وَنَائِلٍ (٢٠٧)
عَلَوْتُ مَعْدًا نَائِلًا وَنَكَايَةَ فَأَنْتَ لَغَيْثِ الْحَمْدِ أَوَّلُ رَائِدٍ (٢٠٨)

وقد يطلق على الشخص الجواد اسم «ذي نائل» :

وَلَسْتُ فِي السَّلَمِ بِذِي نَائِلٍ وَلَسْتُ فِي الْهَيْجَاءِ بِالْجَاسِرِ (٢٠٩)
فَمَنْ يَكُ ذَا نَائِلٍ يَسَعُ مِنْ فَضَالَةٍ فِي أَثَرٍ لَاحِبٍ (٢١٠)

ويبين غير مرة أن «النائل» يعني «المال» :

أَخِي ثَقَّةٌ لَا تَهْلِكُ الْخُمُرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يَهْلِكُ الْمَالُ نَائِلُهُ (٢١١)
وَلَقَدْ تَنَاوَلَنِي بَنَائِلُهُ فَأَصَابَنِي مِنْ مَالِهِ سَجْلٌ (٢١٢)
فَأَيُّكُمْ لَمْ يَنْلِهِ عَرْفُ نَائِلِهِ دَثْرًا سَوَامًا وَفِي الْأَرْيَافِ أَوْصَارًا (٢١٣)

هدى : تأتي مشتقات مادة «هدى» دون ذكر نوعية العطاء، وقد تذكر «كالخليب» أو «الإناء» :

تَبِيتُ بُعِيدَ النَّوْمِ تُهْدِي غُبُوقَهَا لَجَارَتَهَا إِذَا الْهَدِيَّةُ قُلَّتْ (٢١٤)
رَأَيْتُ الْيَتَامَى لَا تُسَدُّ فَقُورَهُمْ هَذَايَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُشَعَّبٍ (٢١٥)

-
- ٢٠٤ — امرؤ القيس : الديوان ٤/٢١ .
٢٠٥ — حاجب بن زرارة : شعر تميم ٣/٥٣ .
٢٠٦ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ١٠٦ .
٢٠٧ — المصدر نفسه ص ٢٩٨ .
٢٠٨ — النابغة الذبياني : الديوان ١٨/٢٥ .
٢٠٩ — الأعشى الكبير : الديوان ٣٦/١٨ .
٢١٠ — أوس بن حجر : الديوان ١١/٤ .
٢١١ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ١٤١ .
٢١٢ — المسيب بن علس : شعره ١٤/١٦ .
٢١٣ — عدي بن زيد : الديوان ٤٤/٤٦ .
٢١٤ — الشنفرى الأزدي : المفضليات ٧/٢٠ .
٢١٥ — حجة بن المضرب : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٤٣٧ .

وهب : ترد مادة « وهب » ومشتقاتها ، دون أن يذكر نوع العطاء . ذكرنا تفصيلياً :

إِنْ يَشْرُوبُوا يَهْبُوا وَإِنْ يَلْذَرُوا (٢١٦)
إِلَى الْحَارِثِ الْوَهَّابِ أَعْمَلْتُ نَاقَتِي
إِلَى هُوْدَةَ الْوَهَّابِ أَهْدَيْتُ مِذْحَتِي
قَطَاعٌ وَاصِلَةٌ وَصَّالٌ قَاطِعَةٌ
طَعْنٌ مُقْتَلَةٌ ، وَهَابٌ مُثْقَلَةٌ
يَتَوَاعَظُوا عَنْ مَنَاطِقِ الْهَجَرِ (٢١٦)
لِكُلِّكِلِهَا وَالْقُصْرَيْنِ وَجِيبٌ (٢١٧)
أَرْجِي نَوَالاً فَاضِلاً مِنْ عَطَائِكَ (٢١٨)
وَهَابٌ أَوْهَبٌ لِلْخَيْرِ مُحْتَسِبٌ
شَعَالٌ مَشْعَلَةٌ شِعْوَاءٌ تَلْتَهَبُ (٢١٩)

وقد يذكر الشعراء أحياناً أن المواهب جزلة ولكنها عامة ، دون أن يحدد نوع العطاء :

مُتَحَلِّبُ الْكَفَّيْنِ غَيْرُ غُضْبَةٍ
يَاهُوْدُ يَاخَيْرَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ
جَزُلُ الْمَوَاهِبِ مُخْلِفٌ مَا يُتْلَفُ (٢٢٠)
بَحَرُ الْمَوَاهِبِ لِلزُّرَادِ وَالشُّرَعَا (٢٢١)

ويسمى نوع العطاء غالباً ، عندما يربط الشعراء بين الفعل « وهب » وهدايا ثمينة كالخيل

والإبل والقيان :

وَأَجْرَدَ مِيَّاحٍ وَهَبْتُ بِسَرِّجِهِ
يَهَبُ الْمَخَاضَ عَلَى غَوَارِيهَا
يَهَبُ الْجِيَادَ كَأَنَّهُمَا عُشْبٌ
يَهَبُ الْجَوَادَ بِسَرِّجِهِ وَجَامِهِ
يَهَبُ النَّجِيبَةَ وَالنَّجِيحَ
لِخَبَطٍ أَوْ ذِي دَلَالٍ أَكَارُمُهُ (٢٢٢)
زَبْدُ الْفَحُولِ مَعَانِيهَا يَبْقَلُ (٢٢٣)
جَرْدًا أَطَارَ نَسِيلَهَا الْبَقْلُ (٢٢٤)
وَالْعَنْسُ تُخْطِرُ بِالْإِمَانِي الْكَامِلِ (٢٢٥)
بَ لَه الرُّحَالَةُ وَالزُّمَامُ (٢٢٦)

٢١٦ — الخرنق بنت بدر : الديوان ٥/٤ .

٢١٧ — علقمة الفحل : الديوان ١٥/١ .

٢١٨ — الأعشى الكبير : الديوان ١٤/١١ .

٢١٩ — امرؤ القيس : الديوان ٦/٧٤ — ٧ . وانظر : أبو المثلّم الهذلي : ديوان الهذليين ج ٢ ص ٢٤٠ ،

وص ٢٢٦ من البحث ، وأبو قردودة الطائي : قصائد جاهلية نادرة ص ١٧٠ ، وأوس بن حجر :

الديوان ٤٧/٤٨ ، وص ٢٢١ من البحث . ودييد بن الصدة : الديوان ٣/٤٩ .

٢٢٠ — بشر بن أبي خازم : الديوان ١٣/٣١ .

٢٢١ — الأعشى الكبير : الديوان ٥٦/١٣ .

٢٢٢ — عمرو بن قميئة : الديوان ٣/٨ .

٢٢٣ — المصدر نفسه ١٦/١٠ .

٢٢٤ — المسيب بن علس : شعره ٩/١٦ — ١١ .

٢٢٥ — النابغة الذبياني : الديوان ٣/٥٨ .

٢٢٦ — أمية بن أبي الصلت : الديوان ٣/٧٦ .

وَالْأَذَمَ بَيْنَ لَوَاقِحٍ وَعِشَارٍ (٢٢٧)
 تَانِ تَحْنُو لِذَرْذَقٍ أَطْفَالِ
 رِيحٍ وَالشَّرْعِيَّ ذَا الْأَذِيَالِ
 حَظٍ تَغْدُو بِشِكَاةِ الْأَبْطَالِ
 وَالضَامِرَاتِ تَحْتَ الرِّجَالِ (٢٢٨)
 تَوَهَّبَ فِينَا الْقِيَانُ وَالْحُلَلِ (٢٢٩)
 وَهَبُوا كُلُّ أُمُونٍ وَطِيمِرٍ (٢٣٠)

يَهَبُ النَجِيَّةَ وَالنَجِيبَ بِسَرِّهِ
 يَهَبُ الْجَلَّةَ الْجَرَّاجِرَ كَالْبُسْدِ
 وَالْبَغَايَا يَرْكُضْنَ أَكْسِيَّةَ الْإِضْدِ
 وَجِيَاداً كَأَنَّهَا قُضِبُ الشُّو
 وَالْمَكَائِكَ وَالصُّحَافِ مِنَ الْفُضْدِ
 لَا يَعْتَرِي شَرْبِنَا اللَّحَاءُ وَقَدْ
 فَإِذَا مَا شَرِبُوهَا وَانْتَشَشُوا

إن تسمية شخص « بالواهب » للقيان والنساء الحسان والإبل الثمينة والخيل أصبحت لقب شرف تمييز الدرجة الأولى للجود :

بَ بَيْنَ الْحَرِيرِ وَبَيْنَ الْكَثَنِ (٢٣١)
 غِزْلَانٍ فِي عَقْدِ الْحَمَائِلِ (٢٣٢)
 وَالْوَاهِبُ الْقَيْنَاتِ شَبَّ الرِّتْرِبِ (٢٣٣)
 حُوراً بِأَيْدِيهَا الْمَزَاهِرُ تُعْرِفُ (٢٣٤)
 وَالْوَاهِبُ الْمَثَّةَ الْحَمْرَا يَرَاعِيهَا (٢٣٥)
 يَوْمَ النِّضَالِ بِأُخْرَى غَيْرَ مَجْهُودِ (٢٣٦)
 سَعْدَانُ تَوْضَحُ فِي أَوْبَارِهَا اللَّبْدِ
 مَشْدُودَةٌ بِرَحَالِ الْحِيرَةِ الْجُدِّ
 بَرْدُ الْهَوَاجِرِ كَالْغِزْلَانِ بِالْجَرْدِ
 كَالطَّيْرِ تَنْجُو مِنَ الشُّوْبُوبِ ذِي الْبَرْدِ (٢٣٧)

هُوَ الْوَاهِبُ الْمُسْمِعَاتِ الشُّرُو
 الْوَاهِبُ الْقَيْنَاتِ كَالْ—
 الْحَافِظُ الْحَيَّ الْجَمِيعَ إِذَا شَتَّوَا
 الْوَاهِبُ الْبَيْضَ الْكَوَاعِبَ كَالذُّمَى
 النَّاحِرِ الْكُومَ مَا يَنْفَكُ يَطْعُمُهَا
 وَالْوَاهِبُ الْمَائَةَ الْمَعْكَاءَ يَشْفَعُهَا
 الْوَاهِبُ الْمَائَةَ الْمَعْكَاءَ زَيْنَهَا
 وَالْأَذَمَ قَدْ خُيِّسَتْ قُتْلًا مِرَاقِقُهَا
 وَالرَّكَاضَاتِ ذِيوَلِ الرِّيطِ فَانْقَهَا
 وَالْخَيْلَ تَمَزَّعُ غَرِيماً فِي أَعْنَتِهَا

-
- ٢٢٧ — الأعشى الكبير : الديوان ٢/٣٧ .
 ٢٢٨ — المصدر نفسه ٤٦/١ — ٤٩ .
 ٢٢٩ — الأسود بن يعفر : ذيل الديوان ١/٤ .
 ٢٣٠ — طرفة بن العبد : الديوان ٤٣/٢ .
 ٢٣١ — الأعشى الكبير : الديوان ٥٢/٢ .
 ٢٣٢ — المصدر نفسه ١٠/٧٠ .
 ٢٣٣ — بشر بن أبي خازم : الديوان ٢٠/٧ .
 ٢٣٤ — المصدر نفسه ١٥/٣١ . وانظر المصدر نفسه ١٦/٣٦ وص ٢٢٨ من البحث .
 ٢٣٥ — المهلهل بن ربيعة : شعراء النصرانية للويس شيخوخ ج ١ ص ١٦٦ .
 ٢٣٦ — أوس بن حجر : الديوان ٤/١١ .
 ٢٣٧ — النابغة الذبياني : الديوان ٢٨/١ — ٣١ .

الواهبُ المائة الصفا
الواهبُ المائة الهجانَ وعَبْدَهَا
والقارحَ العَدَا وكُلَّ طِمْرَةٍ
هو الواهبُ المائة المصطفَا
وكُلَّ كُمَيْتٍ كجذعِ الخَصَا
هو الواهبُ المائة المصطفَا
وكُلَّ كُمَيْتٍ كَأَنَّ السَّلْبِ
هو الواهبُ المائة المصطفَا
وكُلَّ كُمَيْتٍ كجذعِ الخَصَا
هو الواهبُ الكومَ الصفايا لجاره
وكُلَّ كُمَيْتٍ كالقناةَ مَحَالُهُ
وكُلَّ مِزَاقٍ كالقناةَ طِمْرَةٍ
وكُلَّ ذَمُولٍ كالفتيقِ وقِينَةٍ
وَهَبُ المِثْمِينِ مِنَ المِثْمِ
الواهبُ الألفَ محبوباً هجائنها
وأوهبَ للكومِ الهجانَ بِأُسْرِهَا
أَنَامُ أُمٍ يَسْمَعُ رَبُّ القَبَةِ
وهوبُ للمُخَيَّسَةِ التَّوَجِي

يَابِينِ تَالِيَةِ وَحَائِلِ (٢٣٨)
عُوداً تُزَجِّي حَلْفَهَا أَطْفَالَهَا
مَا إِنَّ تَنَالُ يَدُ الطويلِ قَذَالَهَا (٢٣٩)
ة كَالنَّحْلِ طَافَ بِهَا الْمُجْتَرِمُ
ب يَزْدِي عَلَى سَلْطَاتِ لُتْمِ (٢٤٠)
ة إِمَّا مَخَاضاً وَإِمَّا عِشَاراً
طَ فِي حَيْثُ وَارَى الأَدِيمُ الشُّعَارَا (٢٤١)
ة كَالنَّحْلِ زَيْنُهَا بِالرَّجْنِ
ب يَزِينُ الفَنَاءَ إِذَا مَا صَفَنَ (٢٤٢)
يَشْبِهَن دُوماً أَوْ نَخِيلاً مَكْتَمَا
وكُلَّ طِمْرٍ كَالهَرَاوَةِ أَذْهَمَا
وَأَجْرَدَ جِيَّاشِ الأَجَارِي مِرْجَمَا
تَجُرُّ إِلَى الحَانُوتِ بُرْدَا مُسَهَّمَا (٢٤٣)
نَ إِلَى المِثْمِينِ اللُّوَقِصِ (٢٤٤)
كَأَنَّ أَلْوَانَهَا غُشِّيْنِ جِيَّارَا (٢٤٥)
تُسَاقُ جَمِيعاً مِثْلَ جَنَّةٍ مَلْهَمِ (٢٤٦)
يَا أَوْهَبَ النَّاسِ لَعْنَسِ صِلْبِهِ (٢٤٧)
عَلَيْهَا القَائِنَاتُ مِنَ الرِّحَالِ (٢٤٨)

٢٣٨ — الأعشى الكبير : الديوان ٤/٧٦ .

٢٣٩ — المصدر نفسه ٢٥/٣ — ٢٦ .

٢٤٠ — المصدر نفسه ٤٠/٤ — ٤١ .

٢٤١ — المصدر نفسه ٥٩/٥ — ٦٠ .

٢٤٢ — المصدر نفسه ٤٠/٢ — ٤١ .

٢٤٣ — المصدر نفسه ٣٧/٥٥ — ٤٠ .

٢٤٤ — أمية بن أبي الصلت : الديوان ١٩/٨ .

٢٤٥ — عدي بن زيد : الديوان ٤٠/٦ .

٢٤٦ — بشر بن أبي خازم : الديوان ٣٣/٤٠ .

٢٤٧ — ليبد بن ربيعة : ذيل الديوان ١/٢ .

٢٤٨ — النابغة الذبياني : الديوان ٢٠/٢٧ .

وَأَنِّي لَوَهَّابٌ قُطُوعِي وَنَاقِصِي إِذَا مَا انْتَشَيْتُ وَالْكَمَيْتُ الْمَصْدَرُ (٢٤٩)

وقد يربط الشعراء بين تسمية الشخص «بالواهب» و«المال» أو «السلاح»:

يَا وَاهِبَ الْمَالِ الْجَزِيْلَ ————— لَ مِنْ سَعْيِهِ (٢٥٠)

إِنِّي وَإِنْ لَمْ يَنْلُ مَالِي مَدَى خُلْفِي وَهَّابٌ مَا مَلَكَتْ كَفِّي مِنَ الْمَالِ (٢٥١)

أَوْهَبَ مِنْهُ لَذِي أَثَرٍ وَسَابِغَةٍ وَقِينَةٍ عِنْدَ شَرْبِ ذَاتِ أَشْكَالِ (٢٥٢)

٢ — كُنَايَاتُ لِلْفِعْلِ أُعْطِيَ:

يستخدم الشعراء بعض التعابير التي تكني عن العطاء، وهي أَلْفٌ وَأَفْنَى وَأَنْفَقَ وَأَهْلَكَ وَأَهَانَ:

أَلْفٌ: يذكر مع كلمة «التلف» التي تعني أصلاً الهلاك، نوع العطاء، وغالباً ما يكون «المال»:

أَزْمَعْتُ بِالْفِرَاقِ لَمَّا رَأَيْتُنِي أَتْلِفُ الْمَالَ لَا يَذُمُّ دَخِيلِي (٢٥٣)

لَا أَحْبَسَ الْمَالَ إِلَّا رَيْثَ أَتْلِفُهُ وَلَا تُعَيِّرْنِي حَالٌ عَنِ الْحَالِ (٢٥٤)

لَا يُبَالِي طَيِّبُ النَّفْسِ بِهِ تَلَفَ الْمَالَ إِذَا الْعِرْضُ سَلِمَ (٢٥٥)

وغالباً ما يهمل ذكر نوع العطاء مع لفظة «التلف»، ولكنها ترد مرتبطة بـ «أخلف» و«مخلف»:

إِنْ يَتْلَفُوا يُخْلِفُوا فِي كُلِّ مَنْقَصَةٍ مَا أَتْلَفُوا لِابْتِغَاءِ الْحَمْدِ أَوْ عَقَرُوا (٢٥٦)

كَفَاهُ مُخْلِفَةٌ وَمُتْلِفَةٌ عَطَاؤُهُ مُتَخَرِّقٌ جَزُلٌ (٢٥٧)

مَأْوَى الضَّرِيكَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاضَحَتْ ضَحْمَ الدَّسِيعَةِ مُخْلِفٌ مُتَلَفٌ (٢٥٨)

٢٤٩ — حاتم الطائي: الديوان ١٨/٦٨.

٢٥٠ — ليبد بن ربيعة: الديوان ١١/٥٩.

٢٥١ — عبد الله بن جدعان: عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٣٥.

٢٥٢ — أوس بن حجر: الديوان ٥/٤٠.

٢٥٣ — المرقش الأصغر: المفضليات ٢/٥٩.

٢٥٤ — عبد الله بن جدعان: عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٣٥.

٢٥٥ — المثقب العبدى: المفضليات ١٧/٧٧. وانظر: الأعشى الكبير: الديوان ١٩/٧٨، وحاتم الطائي

١١/٤٢، ودريد بن الصمة: الديوان ٣٤/١٥، وعمرو بن كلثوم: الديوان ٤/١٤.

٢٥٦ — ليبد بن ربيعة ٢٣/٩.

٢٥٧ — المسيب بن علس ٨/١٦.

٢٥٨ — قيس بن الخطيم: ذيل الديوان ٢/١٨.

والمُخْلَفَ المثلَفَ المرزَأَ لَمْ يُمْتَنِعَ بضعفٍ ولم يمت طبعاً (٢٥٩)

أَفْنَى: وتعني كلمة أفنى أهلك، وتأتي مرتبطة «بالمال» أو «الزاد» أو «التلاد»:

أَفْنَيْتَ مَالَكَ فِي السَّفَاهِ وَإِنَّمَا
لَهُ الْمَوَاسَاةُ عِنْدِي إِنْ تَأْوِينِي
وَيَبْقَى بَعْدَ حِلْمِ الْقَوْمِ حِلْمِي
وَعِشْتُ وَقَدْ أَفْنَى طَرِيفِي وَتَالِدِي
أَمْرُ السَّفَاهَةِ مَا أَمْرُنْكَ أَجْمَعُ (٢٦٠)
وَكُلُّ زَادٍ، وَإِنْ أَبْقَيْتَهُ فَانِ (٢٦١)
وَيَفْنَى قَبْلَ زَادِ الْقَوْمِ زَادِي (٢٦٢)
قَلِيلَ ثَلَاثٍ يَنْهِنُ أَصْرُعُ (٢٦٣)

أنفق: يذكر نوع العطاء مع مادة «نق» على أنه المال غالباً، أو «الطريف» و«التلاد» أو «الزاد»:

لَا تَعْذِلِي يَامَيَّ وَاسْتَأْهِلِي
ذَرِينِي إِنَّمَا خَطِيئِي وَصَوْبِي
أُبَادِرُ بِالْمَالِ إِنْفَاقَهُ
وَمَا الْبَحْرُ تَطْمُو قَوَامِيْسُهُ
وَمَا زَالَ تَشْرَابِي الْخُمُورَ، وَلَذَتِي
يَدَاكَ يَدَا صَدَقٍ فَكُفْ مُفِيدَةً
إِنَّ الَّذِي أَنْفَقْتُ مِنْ مَالِيَّةٍ (٢٦٤)
عَلَيَّ، وَإِنْ مَا أَنْفَقْتُ مَالٌ (٢٦٥)
وَقَوْلُ الْمَعْوُوقِ وَالرَّائِثِ (٢٦٦)
بِأَنْفَقَ مِنْهُ لِمَالٍ زِفَاقَا (٢٦٧)
وَيَبْعِي، وَإِنْفَاقِي طَرِيفِي وَمُتَلَدِي (٢٦٨)
وَأُخْرَى إِذَا مَا ضَنَّ بِالزَادِ تَنْفَقُ (٢٦٩)

وقد لا يذكر نوع العطاء:

وَلَكِنْ عَلَى الْحَمْدِ إِنْفَاقُهُ وَقَدْ يَشْتَرِيهِ بِأَغْلَى الشَّمَنِ (٢٧٠)

٢٥٩ — أوس بن حجر: الديوان ٤/٢٦. وانظر الديوان نفسه ٤٧/٤٨ وص ٢٢٨ من البحث، وحاتم الطائي الديوان ١٢/٤٦.

٢٦٠ — المثلّم بن رباح: معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٠٢.

٢٦١ — حاتم الطائي: الديوان ٢/١١. وانظر الديوان نفسه ١/٦٥ وص ٢١٨ من البحث.

٢٦٢ — دريد بن الصمة: الديوان ٥/١٩.

٢٦٣ — بشر بن أبي خازم: الديوان ٥/٢٥.

٢٦٤ — حاتم الطائي: الديوان ١/١٠٤.

٢٦٥ — أوس بن غلفاء: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٤٠.

٢٦٦ — وهب بن عبد مناف: حماسة البحري ص ٢٣٧.

٢٦٧ — أبو فرودة الطائي: قصائد جاهلية نادرة ص ١٧٠.

٢٦٨ — طرفة بن العبد: الديوان ٥١/١.

٢٦٩ — الأعشى الكبير: الديوان ٥٤/٣٣.

٢٧٠ — الأعشى الكبير: الديوان ٦٩/٢.

يَارُبُّ عَاذِلِي لَامَت، فَقُلْتُ لَهَا أَنْ الْإِلَهِ عَلَى مَا تَنْفِقِ الْخَلْفَا (٢٧١)

أَهْلَكَ : ترد مشتقات مادة « هلك » مرتبطة « بالمال » على أنه نوع من العطاء :

ولا تقولي لمالي كنتُ مُهْلِكُهُ مهلاً، وإن كنتُ أعطي الجنَّ والخبلا (٢٧٢)
يقولون لي أَهْلَكْتُ مالَكَ فاقْتَصِدْ وَمَا كُنْتُ، لولا ما يقولون سَيِّداً (٢٧٣)
يقول أَهْلَكْتُ مالاً لو قَبَعْتُ به من ثوبٍ صِدْقٍ ومن بَزٍّ وأَعْلَاقٍ (٢٧٤)
لا مَسَكٌ للمال يهلكه طلق النجوم لديه كالنحس (٢٧٥)
وبين أروغٍ مشمولٍ خلائقُهُ مُسْتَهْلِكِ المالِ لِلذَّاتِ مِكَسَالٍ (٢٧٦)

وقد ترد كلمة «أهلك» دون ذكر العطاء :

تقول إذا استهلكْتُ شيئاً للذِّة فكِهَةٌ هَشْيٌ بِكَفْيِكَ لائقٍ (٢٧٧)
أَعَاذِلُ إن الرُّزْءَ في مِثْلِ خالِدٍ ولا رُزْءَ فيما أَهْلَكَ المرءُ عَنْ يَدِ (٢٧٨)
ألوماً كلما أَهْلَكَتُ شيئاً وأما الدهرُ، هنْدٌ، فلا يلام (٢٧٩)

أهان : يسمى نوع العطاء مع «أهان» «كالمال» و«التلاد» و«الإبل» :

أهينُ لهم مالي وأعلمُ أنني سَأورثُهُ الأعداءَ سيرةً من قبلي (٢٨٠)
أهينُ لهم مالي وأعلمُ أنني سَأورثُهُ الأحياءَ، سيرةً من قبلي (٢٨١)
أهينُ المالَ فيما يئِنَ قومي وأدفعُ عنهم سُنَنَ المنيعِ (٢٨٢)

-
- ٢٧١ — حاتم الطائي : الديوان ١/٨٢ .
٢٧٢ — المصدر نفسه : ٢/٣٢ .
٢٧٣ — المصدر نفسه : ١٢/٤٥ .
٢٧٤ — تأبط شراً : المفضليات ٢١/١ .
٢٧٥ — الحارث بن حلزة : الديوان ١٣/٣ .
٢٧٦ — الكَلْبَجَةُ اليربوعي : شعر تميم ٤/٢١١ . وانظر : علقمة الفحل : الديوان ص ١٤١ وص ٢٣٠ من البحث ، وأوس بن غلفاء : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٦٤٠ وص ٢٣٥ من البحث .
٢٧٧ — طريف بن تميم : شعر تميم ١/١٣٨ .
٢٧٨ — دريد بن الصمة : الديوان ١٥/١٠ .
٢٧٩ — الحارث بن مُسَهَّر : الاختيارين ٦/١٩ .
٢٨٠ — ابن وابصة الثقفي : الأشباه والنظائر للخالدين ج ٢ ص ٢٤٣ .
٢٨١ — جابر بن حبيب : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٧٥٥ .
٢٨٢ — عمرو بن الإطناية : الاختيارين ٩/١٦ .

ولأنا نهينُ المالَ في غيرِ ظَنَّة
أهنُ للذي تهوى التُّلادُ فإنه
وأهانَ صَالِحَ مَالِهِ لِفَقِيرِهَا
أَهْنَا لها أُمُورُنَا عندَ حَقِّهَا
بِمَتَالَيْفِ أَهَانُوا مَالَهُمْ
فَأَعْطَيْنَا الْوَفَاءَ بِهَا وَكُنَّا
الْمُهِنِينَ مَالَهُمْ لَزِمَانِ السِّدِّ
أَهْنَتْ الْمَالَ فِي الشَّهَوَاتِ حَتَّى
نَحَابِي بِهَا أَكْفَاءَنَا وَنُهِنُهَا
وَكَانُوا تِيَامَا كُلِّ حَرْفٍ غَزِيرَةٍ
وَأَهْنَتْ إِذْ قَدَمُوا، التُّلَادَ لَهُمْ
وَنُهِنِينَ فِي لَذَاتِهَا
تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أُمِرَتْ
الْمُهِنُ الْكُومَ الْجِلَادَ إِذَا مَا

وما يشتكينَا في السنينِ ضَرِيرُهَا (٢٨٣)
إِذَا مُتُّ كَانَ الْمَالُ نَهْباً مُقْسَماً (٢٨٤)
وَأَسَى وَأَصْلَحَ بَيْنَهَا وَسَعَى لَهَا (٢٨٥)
وَعَزَّتْ بِهَا أَغْرَاضُنَا لَا تُفَاقُهَا (٢٨٦)
لِغِنَاءٍ وَلِلْغَيْبِ وَأَذَنْ (٢٨٧)
نُهِنُنْ لِمَثَلِهَا فِينَا السُّوَامَا (٢٨٨)
سَوْءٍ حَتَّى إِذَا أَفَاقَ أَفَاقُوا (٢٨٩)
أَصَارَتْنِي أَسِيفاً عَبْدَ عَبْدٍ (٢٩٠)
وَنَشَرَبُ فِي أَمَانِهَا وَنُقَامِرُ (٢٩١)
أَهَانُوا لَهَا الْأُمُورَ وَالْعَرْضَ وَافِرَ (٢٩٢)
وَكَذَاكَ يَفْعَلُ مُبْتَغِي النَّعْمِ (٢٩٣)
عُظْمَ التُّلَادِ إِذَا انْتَشَيْنَا (٢٩٤)
عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مَهِينَا (٢٩٥)
هَبَّتِ الرِّيحُ كُلَّ يَوْمٍ شَمَالَ (٢٩٦)

٣ - الأفعال المرادفة لفعل «أعطى» :

يستعمل الشعراء بعض الأفعال المرادفة لكلمة «أعطى» ، نحو : «أقَى» و«حذا» و«حش»

-
- ٢٨٣ — حاتم الطائي : الديوان ٦/٥٠ .
٢٨٤ — المصدر نفسه ١٨/٤٧ .
٢٨٥ — الأعشى الكبير : الديوان ٣٥/٣ .
٢٨٦ — المصدر نفسه ٣٦/١٠ .
٢٨٧ — المصدر نفسه ١٩/٧٨ .
٢٨٨ — المصدر نفسه ٢١/٢٩ .
٢٨٩ — المصدر نفسه ٣٨/٣٢ .
٢٩٠ — أحيحة بن الجلاح : الأصمعيات ٢/٣٣ .
٢٩١ — سيرة بن عمرو : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤/٦٠ .
٢٩٢ — الأفره الأودي : الديوان ص ١٤ .
٢٩٣ — طرفة بن العبد : الديوان ١/٨٤ .
٢٩٤ — عبيد بن الأبرص : الديوان ١٨/٥٢ .
٢٩٥ — عمرو بن كلثوم : شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٤/٥ .
٢٩٦ — بشر بن أبي خازم : الديوان ١٦/٣٦ .

و«در» و«راش» و«شكد» و«عفا» و«فرق» و«قسم» و«نفد» و«هنا». ويذكر العطاء في هذا السياق مرتبطاً «بالزاد» و«المال» و«الجفان» و«الإبل» :

حَشَّ:

وَحَشَّ رَوَاحَةَ الْفَرَشِيِّ رَخْلِي بِنَاقَتِهِ وَلَمْ يَنْظُرْ ثَوَابَا (٢٩٧)

فرق:

إِذَا مَا عَشُّوا الْحَدَّادَ فُرِّقَ بَيْنَهُمْ جَفَانٌ مِنَ الشَّيْزَى وَرَاءَ جِفَان (٢٩٨)

قسم:

مِنْ مَتِيبٍ ذِي فَجَرٍ يُقَسِّمُ مَالَهُ فِينَا وَيَشْكُدُ فَوْقَ شُكْدِ الشَّاكِدِ (٢٩٩)
إِنِّي مَقْسَمٌ مَا مَلَكَتُ فِجَاعِلٌ أَجْرًا لِآخِرَةٍ وَدُنْيَا تَنْفَعُ (٣٠٠)

أنفد:

وَصَّيَ بِهَا جَدِّي وَعَلَّمَنِي أَبِي تَقْضَ الْوِعَاءِ وَكُلُّ زَادٍ يَنْفَدُ (٣٠١)
قَدْ يَعْلَمُ الْقَوْمُ إِذْ طَالَتْ غَزَائُهُمْ وَأُرْمَلُوا الزَّادُ أَنِّي مَنفَدٌ زَادِي (٣٠٢)

ويشار إلى نوع العطاء على أنه شامل مع مرادفات لكلمة «أعطى»، مثل:

دَرَّ:

إِلَى مَلِكٍ أَدَّرَ لَنَا الْعَطَايَا بِحُسْنٍ بِشَاشَةِ الْوَجْهِ الطَّلِيقِ (٣٠٣)
راش: ترد كلمة «راش» مرتبطة بـ «برى» :
صَبَحَتْ الْعَدُوُّ عَلَى نَائِيهِ تَرِيشُ رَجَالاً وَتُسْرِي رَجَالاً (٣٠٤)

٢٩٧ — الحارث بن ظالم: المفضليات ١٧/٨٩.

٢٩٨ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٣٦٥.

٢٩٩ — عبد الله بن عجلان النهدي: الوحشيات لأبي تمام ٢/٢٠٢.

٣٠٠ — المثلّم بن رياح: معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٠٢.

٣٠١ — حبيبة ابنة عبد العزى: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي: ٤/٧١٥.

٣٠٢ — سينان بن أبي حارثة: المفضليات ٦/١٠١.

٣٠٣ — أمية بن أبي الصلت: الديوان ٦/٤٨.

٣٠٤ — عمرو بن قميعة: الديوان ٢٩/١٥.

يريشُ قوماً ويُثري آخرين بهم لله من رائش عمرو ومن بار (٣٠٥)

عفا:

نُغْفُو كما تغفو الجيادُ على الد عِلَاتٍ والمخذولُ لائذرة (٣٠٦)
يعفو على الجهدِ والسؤال كما أنزل صوبُ الربيع ذي الرصد (٣٠٧)
هنا: تأتي كلمة «هنا» مرتبطة بكلمة «من»:

هنا ولم نمن عليها فأصبحنا رخيّة بالٍ قد أرحنا هزالها (٣٠٨)
هنا فلم نمن عليه طعامنا إذا ما نبا عنه قريب الأصادق (٣٠٩)
يَجْعَلُ الهنءَ عطايًا جُمَّةً إنَّ بعضَ المالِ في العِرضِ أُمَم (٣١٠)
فاشتراني واصطفاني نِعْمَةً مجّد الهنءَ وأعطاني الثمن (٣١١)

٤ - تعابير الجود مجازياً:

يستخدم الشعراء بعض التعابير المجازية للجود، مثل «الندى» و«الغيث»، و«الربيع». إن البقاء في قيد الحياة في الصحراء متعلق بالمطر والندى، لذا فإن الشعراء يستعملون تلك التعابير في موضع الاستعارة لكي يلفتوا النظر إلى جود لا يمكن الاستغناء عنه:

الربيع: لا يذكر بالتفصيل ما المقصود ب«الربيع»، فهذه كلمة تأتي مرتبطة بتسميات مختلفة للمحتاجين، «كاليتمى» و«المقتر» و«المجاور» و«الضيف»، وهذا يعني أنها تشير إلى عطاء عام أو رعاية شاملة:

وكنْتَ ربيعاً لليتامى وعِصْمَةً فمُلِكُ أبي قابوس أضْحى وقد نُجِرَ (٣١٢)

-
- ٣٠٥ — النابغة الذبياني: الديوان ٥/٤٦ .
٣٠٦ — طرفة بن العبد: الديوان ١٣/١٦ .
٣٠٧ — ليبد بن ربيعة: الديوان ٥/١٨ .
٣٠٨ — الأعشى الكبير: الديوان ٩/٦٠ .
٣٠٩ — الأسود بن يعفر: الديوان ١٨/٤٩ .
٣١٠ — المثقب العبدى: المفضليات ١٦/٧٧ .
٣١١ — عدي بن زيد: الديوان ١/١٣٢ . وانظر الفعل «حذا» لدى ليبد بن ربيعة: الديوان ٣/٢٠ ، وص ٢٢٥ من البحث . والفعل «شكد» لدى عبد الله النهدى: الوحشيات لأبي تمام ٢/٢٠٢ ، وص ٢٣٨ من البحث .
٣١٢ — النابغة الذبياني: الديوان ٢/٥٧ .

وَأَنْتَ رِبْعٌ يَنْعَشُ النَّاسَ سَيْبُهُ وَسَيْفٌ أَعْيَرَتْهُ الْمَنِيَّةُ قَاطِعُ (٣١٣)
 فَإِنْ يَهْلِكُ أَبُو قَابُوسٍ يَهْلِكُ رِبْعُ النَّاسِ وَالشَّهْرُ الْحَرَامُ (٣١٤)
 وَجَذْتُ أَبِي رِبْعاً لِلْيَتَامَى وَلِلْأَضْيَافِ إِذْ حُبُّ الْفَقِيدِ (٣١٥)
 وَلَا مِنْ رِبْعِ الْمُقْتَرِينَ رُزْئُهُ يَذِي عُلُقٍ فَاقْتَنِي حَيَاءَكَ وَاصْبِرِي (٣١٦)
 وَهُمْ رِبْعٌ لِلْمَجَاوِرِ فِيهِمْ وَالْمَرْمَلَاتِ إِذَا تَطَاوَلَ عَامُهَا (٣١٧)

الغيث أو الغياث: ترد الكلمتان «الغيث» و«الغياث» مجردتين دون أن يذكر نوع العطاء، أو يشار إلى الأشخاص المحتاجين الذين يلتمسون المساعدة:

وَأَنْتَ الْغَيْثُ يَنْفَعُ مَا يَلِيهِ وَأَنْتَ السَّمُّ خَالِطُهُ الْيَرُونُ (٣١٨)
 أَيَّامٌ، ذُبْيَانُ إِذْ عَضَّ الزَّمَانُ بِهِمْ، كَانَ الْغِيَاثُ لَهُمْ مِنْ هَيْشَةِ الْهُورِ (٣١٩)
 كَالْغَيْثِ مَا اسْتَمَطَرُوهُ جَادَ وَابْلُهُ وَعِنْدَ ذِمَّتِهِ الْمُسْتَأْسِدُ الضَّارِي (٣٢٠)

وترد الكلمات «الغياث» و«الغيث» و«المغيث» غالباً مرتبطة بتسميات بعض المحتاجين «كالرمل» و«المقتر» و«الجار»:

كان غياث الرمل الممْتَاح (٣٢١)

غِيَاثُ الْمَرْمِلِينَ إِذَا أَنَاخُوا بِهِ فِي اللَّيْلَةِ الْعَالِي قَرَاهَا (٣٢٢)
 يَا سَمِيرٌ مَنْ لِلنِّسَاءِ إِذَا مَا قَحَطَ الْقَطَرُ أَمْهَاتِ الْعِيَالِ
 كُنْتُ غِيَاثاً لهنَّ فِي السَّنَةِ الشَّهْرِ بَاءَ ذَاتِ الْغُبَارِ وَالْأَحْمَالِ (٣٢٣)

٣١٣ — المصدر نفسه ٣١/٢.

٣١٤ — المصدر نفسه ٣/١٨.

٣١٥ — لبید بن ربیع: الديوان ٧/٦.

٣١٦ — المصدر نفسه ٩/٨.

٣١٧ — المصدر نفسه ٨٧/٤٨. وانظر: أوس بن حجر: الديوان ٢/١١، وجنوب أخت عمرو ذي الكلب: ديوان الهذليين ج ٣ ص ١٢٣، وعنترة بن شداد: ديل الديوان ٢/٢٦، والمسيب بن علس: شعره ١/٢٢.

٣١٨ — النابغة الذبياني: الديوان ٤٨/٧٥.

٣١٩ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٣١٩.

٣٢٠ — الأعشى الكبير: الديوان ٤/٢٥. وانظر الديوان نفسه ٣٨/٣، والمهلهل بن ربیع: شعراء النصرانية للويس شيخوخ ج ١ ص ١٦٣.

٣٢١ — لبید بن ربیع: الديوان ١٥/٥٣.

٣٢٢ — بشر بن أبي خازم: الديوان ٢٠/٤٦.

٣٢٣ — المصدر نفسه ١٣/٣٦ — ١٤.

غَيْثُ الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ كُلُّهُمْ
غِيَاثُ الْمُقْتَرِبِينَ وَكَانَ حِصْنًا
وَجَارَ غَرِيبٍ حُلٌّ فِينَا فَلَمْ نَكُنْ
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ إِلَّا ضَرْأً أَوْ نَفْعًا (٣٢٤)
وَكَانَ لِمَنْ تَضَيَّقَهُ ثِمَالًا (٣٢٥)
لَهُ غَيْرَ غَيْثٍ يَنْبِتُ الْبَقْلَ وَادِقَ (٣٢٦)

الندى: تأتي مادة «ندى» ومشتقاتها دون أن يذكر نوع العطاء:

بَكَرْتُ تَلَوْمَكَ بَعْدَ وَهْنٍ فِي النَّدَى
فَمَا زَادَنِي الشَّيْبُ إِلَّا نَدَى
وَلَمْ يَسْعَ فِي الْأَقْوَامِ سَعِيكَ وَاحِدٌ
فَلَا تَحْرِمْنِي نَدَاكَ الْجَزِيلَ
فَإِنْ أُمِسَ كَهْلًا قَدْ عَلَتْنِي كِبَرَةٌ
بَسَّلَ عَلَيْكَ مَلَامَتِي وَعِثَابِي (٣٢٧)
إِذَا اسْتَرْوَحَ الْمُرْضِعَاتُ الْقَتَارَا (٣٢٨)
وَلَيْسَ إِنَاءٌ لِلْنَّدَى كِإِنَائِكَا (٣٢٩)
فَاتَّسَى أَمْرُ قَبْلِكُمْ لَمْ أَهَنْ (٣٣٠)
فَقَدْ كُنْتُ قَبْلَ الْيَوْمِ أَهْتَرُ لِلْنَّدَى (٣٣١)

وترد كلمة «الندى» مرتبطة بفضائل وقيم أخرى، «كالجود» و«السماحة» و«الكرم»

و«الحلم» و«المجد»:

إِنَّ التَّكْرُمَ وَالنَّدَى فِي عَامِرٍ
وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّهُ خَيْرُهُمْ
أُسْمِي مَا يُذْرِيكَ أَنْ رَبَّ قِتِيَّةٍ
وَكَهُولِ ذَوِي نَدَى وَحُلُومٍ
جَدَّاكَ مَا سَلَكَتْ لِحْجُ عَزَّوَرٍ (٣٣٢)
وَفِي بَيْتِهِمُ ذِي النَّدَى وَالْكَرَمِ (٣٣٣)
يَبْضُ الْوُجُوهُ ذَوِي نَدَى وَمَآثِرِ (٣٣٤)
وَشَبَابِ أَنْجَادٍ غُلِبَ الرِّقَابِ (٣٣٥)

-
- ٣٢٤ — الأعشى الكبير: الديوان ٤٦/١٣ .
٣٢٥ — رجل من بني مالك بن حبيب: ديوان عمرو بن كلثوم ٣/٢٨ .
٣٢٦ — الأسود بن يعفر: الديوان ١٥/٤٩ .
٣٢٧ — ضمرة بن ضمرة: شعر تميم ١/١٢٤ .
٣٢٨ — عوف بن عطية: المفضليات ٨/١٢٤ .
٣٢٩ — الأعشى الكبير ١١ .
٣٣٠ — المصدر نفسه ٨٣/٢ .
٣٣١ — امرؤ القيس: الديوان ٢٦/٧٩ . وانظر: الأسود بن يعفر: الديوان ١٤/٤٩ ، وعبد قيس بن خُفَاف: شعر تميم ١٧/١٤٥ ، وعلقمة الفحل: الديوان ٣٧/١ ، وعمرو بن كلثوم: الديوان ١٢/٣٦ ، وليبد بن ربيعة: الديوان ١١/٧١ ، والمتلمس الضبي: الديوان ٣/٣٧ .
٣٣٢ — أمية بن أبي الصلت: الديوان ١/٢٥ .
٣٣٣ — المصدر نفسه ٥/٨٨ .
٣٣٤ — ثعلبة بن صُغَيْر: المفضليات ١٥/٢٤ .
٣٣٥ — عبيد بن الأبرص: الديوان ٦/٦ .

وَعَرَّيْنِي سَعْدُ بْنُ قَيْسٍ عَنِ الْعَلَى
تُدْهِدُقُ بَضْعَ اللَّحْمِ لِلْبَاعِ وَالنَّدَى
الْمَجْدُ وَالْإِقْدَامُ أَجْمَعُ وَالنَّدَى
وَأَحْسَابُهُمْ يَوْمَ النَّدَى وَالتَّكْرُمِ (٣٣٦)
وَيَعْضُهُمْ تَغْلِي بِذَمٍّ مَنَاقِعُهُ (٣٣٧)
أَحْيِي الْعَشِيرَةَ ذَلِكَ الْمَجْدُ (٣٣٨)

ويرد غير مرة أن أطلق على بعض الأجواد اسم «أهل الندى»، وهذه التسمية ترتبط بقيم نبيلة أخرى :

غَادَرَهُ الْقَوْمُ بِالْمَعَزَاءِ مُنْجَدِلًا
لَعَرَفْتَنَا مِنْ خَيْرِ أَهْلِ نَدَى
لَا تَشْكُنِي إِلَيَّ وَانْتَجَعَسِي الْأَمْرَ
وَإِذَا أُتِيتَ مُعْتَبَأً فِي دَارِهَا
تَذَكَّرْتُ أَهْلَ الْخَيْرِ وَالْبَاعِ وَالنَّدَى
وَكَانَ أَهْلُ النَّدَى وَالْحَزْمِ وَالْجُودِ (٣٣٩)
بَعْدَ الْهُدُوِّ لَطَارِقٍ يَسْرِي (٣٤٠)
وَدَّ أَهْلُ النَّدَى وَأَهْلُ الْفَعَالِ (٣٤١)
أَلْفَيْتُ أَهْلَ نَدَى هُنَاكَ خَيْرَ (٣٤٢)
وَأَهْلَ عَتَاقِ الْجَرْدِ وَالْبِرِّ وَالطَّيِّبِ (٣٤٣)

وترد كلمة «الندى» غير مرة في صيغة الإضافة :

نَعَيْتُ ابْنَ جُدْعَانَ بْنِ عَمْرٍو أَخَا النَّدَى
وَهُمُ الْحُكَّامُ أَرْبَابُ النَّدَى
فَلَوْ أَنَّ شَيْئًا نَالَ تُحْلِدًا لَنَالَهُ
قَوْمًا فَنُوحًا فِي مَاتَمٍ صَحْجَلٍ
يَكُنْ لَكَ فِي قَوْمِي يَدٌ يَشْكُرُونَهَا
وَذَا الْحَسَبِ الْقَدَمُوسِ وَالْمَنْصِيبِ الْعَمْرِ (٣٤٤)
وَسَرَاةِ النَّاسِ ، فِي الْأَمْرِ الشَّجَرِ (٣٤٥)
حَلِيفُ النَّدَى عَمْرُو سَلِيلُ أَبِي الْجَعْدِ (٣٤٦)
عَلَى سُمَيْرِ النَّدَى وَلَا تَدْعَا (٣٤٧)
وَأَيْدِي النَّدَى فِي الصَّالِحِينَ قُرُوضِ (٣٤٨)

-
- ٣٣٦ — الأعشى الكبير : الديوان ٣٩/١٥ .
٣٣٧ — حجر بن خالد : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٥/١٧٠ .
٣٣٨ — امرؤ القيس : الديوان ٢٨/٤٩ .
٣٣٩ — حاتم الطائي : الديوان ٢/٦٣ .
٣٤٠ — عبد الله الأزدي : قصائد جاهلية نادرة ص ٢٠٢ .
٣٤١ — الأعشى الكبير : الديوان ٣٧/١ .
٣٤٢ — المصدر نفسه ١/٦٧ .
٣٤٣ — عبيد بن الأبرص : الديوان ٢/٨ . وانظر : لبيد بن ربيعة : الديوان ١٥/٨ ، وص ٢١٥ من البحث .
٣٤٤ — الأعشى بن النباش : شعر تميم ٢/١٥ .
٣٤٥ — طرفة بن العبد : الديوان ٣/٣٩ .
٣٤٦ — حاطب بن مالك : شعر تميم ٥/٥٤ .
٣٤٧ — بشر بن أبي خازم : الديوان ٢/٢٦ .
٣٤٨ — المصدر نفسه ٦/٢٢ .

بشريح قدحي أو شجيري (٣٤٩)
 برقاق الظباة فيه صَعَارُ (٣٥٠)
 حين يباري خُلُقِي أُخِيلِي (٣٥١)
 لنار الندي: ارفع سناها وأوقد
 بجيء بمَقُورٍ أو طريدٍ مشردٍ (٣٥٢)
 وغرب نَدَى من عُرْوَةِ الْعِزِّ يَسْتَقِي (٣٥٣)

أَفِيئَنِّي هَشُّ النَّدَى
 وجوادُ جُثمِ النَّدى وضروبُ
 للجارِ والضيفِ وباغي النَّدى
 كأنَّ لم يقل يوماً يزيدُ بنُ جُعْشَمٍ
 وأذكِ سنا نارِ الندي علَّ ضوءَها
 علوتُم ملوكَ الناسِ في المجدِ والتَّقَى

٥ — كُنَايَاتُ الْعَطَاءِ :

يستخدم الشعراء بعض الكُنَايَاتِ للإشارة إلى العطاء، نحو: «الدسيعة» و«الرزق» و«السيب» و«الشكم» و«اللها» و«الناقلة». وهذه التسميات تأتي مجردة دون أن تذكر نوعية العطاء:

الدسيعة: يربط الشعراء دائماً بين «الدسيعة» و«ضخم»:

شديدُ القُوَى، ضخمُ الدسيعة مِقْوَلُ
 أبي إذا ماهمُ بالقَتِكِ الْحَمَا (٣٥٤)
 رفيعُ الوسادِ طويلُ النَّجَا
 د ضخمُ الدسيعة رَحْبَ الْعَطَنِ (٣٥٥)
 وَلَرُبَّ سَيِّدٍ مَغْشَرٍ
 ضخمُ الدسيعة قد رَمِينَا (٣٥٦)
 إلى ضخمِ الدَّسِيعَةِ مَذْجِجِي
 غمَاهُ من جَدِيلَةٍ خَيْرُ نَامِ (٣٥٧)

الرزق: قلما تأتي كلمة «الرزق» وحيدة، وقد تذكر مرتبطة بـ «الضيف»، أو «الغلام الفقير»:

أو نَهَتْهُ فَأَتَاهُ رِزْقُهُ
 فاشتوى ليلة ربيع واجتمل (٣٥٨)

-
- ٣٤٩ — الْمُتَخَلِّلُ الشُّكْرِي: الاضمعيات ٤/١٤ .
 ٣٥٠ — أبو دُوَادِ الْإِيَادِي: شعره ٧/٣٤ .
 ٣٥١ — عبيد بن وداع: قصائد جاهلية نادرة ص ٥٧ .
 ٣٥٢ — عَبَاةُ بْنُ جُعْشَمٍ: معجم الشعراء ص ١٦٨ .
 ٣٥٣ — الْمَرْزُوقُ الْعَبْدِي: الاضمعيات ١٢/٥٨ .
 ٣٥٤ — طرقة بن العبد: الديوان ٥/٨٣ .
 ٣٥٥ — الْأَعَشَى الْكَبِيرُ: الديوان ٨٠/٢ .
 ٣٥٦ — عبيد بن الأبرص: الديوان ٢١/٥٢ .
 ٣٥٧ — عامر بن مالك: أشعار العامرين الجاهليين ٢/٩٦ . وانظر قيس بن الخطيم: ذيل الديوان ١/١٨ ، وأعشى باهلة: شعره ٢٦/٤ .
 ٣٥٨ — لبيد بن ربيعة: الديوان ١٧/٢٦ .

فلا أدفعُ الضيفَ عن رزقه لَدَيَّ إذا قيلَ لَمْ يُرْزَقِ (٣٥٩)
السيب:

سهمانٍ سهمُ عيالٍ الحيَّ إنْ سَغَبُوا والسهمُ سَيْبٌ إلى الجيرانِ ممنوح (٣٦٠)
وترد كلمة « السيب » غير مرة مجردة:

لا يخرِمُ السائلُ إنْ جاءهُ ولا يُعْفِي سَيِّئُهُ العاذِلُ (٣٦١)
يا بَا يَزِيدَ رأيتُ سَيِّئَكَ واسعاً وسماءَ جودِكَ تُسْتَهْلُ قُطْمِطِرُ (٣٦٢)

الشكْم:

أُبْلَغُ قَتَادَةَ غَيْرِ سَائِلِهِ مِنْهُ الثَّوَابُ وعاجِلُ الشُّكْمِ (٣٦٣)
اللها: مفرداً لهوة:

عِظَامُ اللَّهِهَا أولادُ عُذْرَةٍ إِنَّهُمْ لهاميمٌ يَسْتَلْهُونَهَا بالحناجرِ (٣٦٤)

النافلة: جمعها النوافل، والنفل والنوفل:

تذكر كلمة « النافلة » مجردة دون بيان نوع العطاء، وقد ترد مرتبطة ببعض تسميات المحتاجين كالمعتفين:

إِنَّا لَدَى مَلِكٍ بِشْبِ ————— جِوَّةٍ مَائِغِبٌ لَهُ النوافِلِ (٣٦٥)

٣٥٩ — السموعل: الديوان ص ٢٦ .

٣٦٠ — قيس بن الخطيم: الأشباه والنظائر للخالدين ج ٢ ص ٥٤ . وانظر: النافعة الذبياني: الديوان

٣١/٢، وص ٢٤٠ من البحث .

٣٦١ — عبيد بن الأبرص: الديوان ٢١/٣٩ .

٣٦٢ — أمية بن أبي الصلت: الديوان ٢/٢٥ . وانظر: الأعشى الكبير: الديوان ٣٦/٥، وبشر بن أبي خازم:

الديوان ١١/٢٤، ٣٤/٤٠، وزهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٢٨١، وعدي بن زيد: الديوان

١/١٣٣، وعبيد بن الأبرص: الديوان ١٧/١٣، والنافعة الذبياني: الديوان ٤٧/١، وجابر بن قطن:

شعر تميم ٢/٤٦ .

٣٦٣ — طرفة بن العبد: الديوان ٧/٧ .

٣٦٤ — النافعة الذبياني: الديوان ٣/١٤ .

٣٦٥ — الأعشى الكبير: الديوان ٢/٦٧ . وانظر: الديوان نفسه ٤٨/٨ .

لولا الهمام الذي تُرجى نوافله
لولا الهمام الذي تُرجى نوافله
فأخى إن شربوا من خيرهم
وأبيض فياض يدها غمامة
لنألهم جحفل تشقى به العور^(٣٦٦)
لقال راكبها في عصبه: سيروا^(٣٦٧)
وأبو الحزاز من أقل الثفل^(٣٦٨)
على معتقيه ما تغب نوافله^(٣٦٩)

٦ — عطاء محدد: الطعام:

هناك تعابير محددة تشير إلى العطاء، مثل، الزاد وأطعم وقرى:

الزاد: ترد كلمة «الزاد» مجردة دون أن يسمى نوع الطعام، وقد يربط الشعراء بين «الزاد» و«القوم» أو «الجار»:

عليه أول زاد القوم قد علموا
إذا ما عملت الزاد فالتحسي له
وكيف يسبغ المرء زاداً وجاره
ثم المطي إذا ما أرملا جزروا^(٣٧٠)
أكيلاً فإني غير آكله وخدي
خفيف المعنى بادي الخصاصة والجهد^(٣٧١)

وتكون كلمتا «الزاد» و«أرمل» تعبيراً محكماً ينبه إلى العسر والقلة ليجد الأجواد سبباً لنحر

الإبل:

إذا أرملا زاداً عقرت مطية
وعقري لأصحابي الغداة مطيتي
تجر برجليها السريع المخدم^(٣٧٢)
إذا أرملا زاداً بأبيض ذي أثر^(٣٧٣)

وقد يشار إلى البخل بالزاد، وهذه كلمة توضع بالدرجة الأولى إلى جانب كلمة «ضن»:

وخالد الركب إذ جد السفار بهم
وخالد الحي لما ضن بالزاد^(٣٧٤)

٣٦٦ — أوس بن حجر ٣٥/٢١.

٣٦٧ — النابغة الذبياني: الديوان ٩/٢٩، وانظر: الديوان نفسه ٤٧/١.

٣٦٨ — لبيد بن ربيعة: الديوان ٨٣/٢٦.

٣٦٩ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ١٣٩.

٣٧٠ — أعشى باهلة: شعره ١٤/٤.

٣٧١ — قيس بن عاصم: شعر تميم ٢/١٨٥ — ٤. وانظر: حاتم الطائي: الديوان ٢/١١ وص ٢٣٥ من البحث، ودريد بن الصمة ٥/١٩ وص ٢٣٥ من البحث.

٣٧٢ — السليك بن السليكة: شعر تميم ٩/١١٢.

٣٧٣ — أريد بن قيس: أشعار العامريين الجاهليين ٤/١٢٢. وانظر: سينان بن أبي حازمة: المفضليات ٦/١٠١ وص ٢٣١ من البحث.

٣٧٤ — دريد بن الصمة: الديوان ٣/١٨.

وَلَا أَكُونُ وَكَاءَ الزَّادِ أُحْبِسُهُ إِنِّي لِأَعْلَمُ أَنَّ الزَّادَ مَأْكُولٌ (٣٧٥)

أطعم: تسمى أنواع الطعام مع الفعل «أطعم» ومشتقات مادة «طعم»، وعادة تكون أطعمة ممتازة كالكبد والسنام والشحم والخبز والعسل:

فَأَطْعَمْتُهُ مِنْ كَبِدِهَا وَسَنَامِهَا شَوَاءٌ، وَخَيْرُ الْخَيْرِ مَا كَانَ عَاجِلُهُ (٣٧٦)
أَطْعَمْتُ فِيهَا عَلَى جَوْعٍ وَمَسْغَبَةٍ شَحْمَ الْعِشَارِ إِذَا مَا قَامَ بِأَغْيَا (٣٧٧)
الْمَطْعَمُ الْحَيُّ وَالْأَمْوَاتُ إِنْ نَزَلُوا شَحْمَ السَّنَامِ مِنَ الْكُومِ الْمَقَاحِدِ (٣٧٨)
الْمَطْعَمِينَ الشَّخْمَ فَوَالْبُرُّ يُبَلِّغُكَ بِالشَّهَادِ طَعَامَهُمْ قَ الْخُبْزِ شَخْمًا كَالْأَنَافِخِ (٣٧٩)
يُطْعِمُ النَّاسَ إِذَا أَمَحَلُوا لَأَمَّا يُعَلِّلُنَا بَنُو جُدْعَانَ (٣٨٠)
ثُمَّ أَطْعَمْتُ زَادِي غَيْرَ مُدْخِرٍ مَنْ نَقِي فَوْقَهُ أَدْمَةً (٣٨١)
أَهْلُ الْمَحَلِّ مِنْ جَارٍ وَمِنْ جَارٍ (٣٨٢)

ويسمى الأشخاص الذين يقدم الطعام إليهم بالارتباط بين «أطعم» و«النازل» أو «الجار» أو «الجائع»:

لَا دَرَّ دَرِّي إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَكَمْ قَرَفَ الْحَتِي وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزٌ (٣٨٣)
أَمْسَى بَنُو تَهْشَلٍ نِيَانُ دُونَهُمْ الْمَطْعَمُونَ ابْنَ جَارِهِمْ إِذَا جَاعَا (٣٨٤)
وَجَارَتُهُمْ خَصَّانَ مَا تَزَوَّى وَطَاعِمَةُ الشِّتَاءِ فَمَا تَجُوعُ (٣٨٥)
يَا مُطْعِمَ الرِّكَبِ الْجِيَاعِ إِذَا هُمْ حُتُّوا الْمَطْيَ إِلَى الْعُلَى وَتَسْرَعُوا (٣٨٦)

- ٣٧٥ — طفيل الغنوي: أشعاره ١٦/٥. وانظر الأعشى الكبير: الديوان ٥٤/٣٣ وص ٢٣٥ من البحث، وزهير المازني: شعر تميم ١١/٨٢ وص ٢١٢ من البحث.
- ٣٧٦ — حاتم الطائي: الديوان ٩/١١٨.
- ٣٧٧ — جنوب أخت عمرو ذي الكلب: ديوان الهذليين ج ٣ ص ١٢٦.
- ٣٧٨ — أوس بن حجر: الديوان ٣/١١.
- ٣٧٩ — أمية بن أبي الصلت: الديوان ١٥/٨.
- ٣٨٠ — المصدر نفسه ٣/٩٢.
- ٣٨١ — طرفة بن العبد: الديوان ١/٨٢.
- ٣٨٢ — سينان بن أبي حارثة: المفضليات ٤/١٠١.
- ٣٨٣ — المتشخل الهذلي: ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٥.
- ٣٨٤ — علقمة الفحل: الديوان ١/١٧.
- ٣٨٥ — حاتم الطائي: الديوان ٣/١.
- ٣٨٦ — سغدي بنت الشمردل: الاصمعيات ٢٠/٢٧.

المانعين من الخنا جيرانهم والحاشدين على طعام النازل (٣٨٧)
ويربط الشعراء بين الظروف التي يقدم فيها الطعام ومشتقات «طعم» دون أن يُبين نوع
الطعام، أو يسمى الأشخاص المحتاجون:

مَطَاعِيمٌ إِذَا قَحَطَتْ جُمَادَى	وَمَسَاحِرُ الْمَغَايِظِ بِالْجُنُوبِ (٣٨٨)
وَهُمْ يَطْعَمُونَ إِذَا قَحَطَ الْقَطْ	رُ وَهَبْتُ بِشِمَالٍ وَضَرِبَ (٣٨٩)
مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَطَاعِيمُ لِلْقَرَى	إِذَا اصْفَرَّ آفَاقُ السَّمَاءِ مِنَ الْقَرَسِ (٣٩٠)
يَيْضُ مَطَاعِيمُ فِي الْمُحُولِ إِذَا اسد	تُرُوحَ رِيحُ الدِّخَانِ وَالْقُتْرِ (٣٩١)
وَقَدْ عَلِمْتُ عَلَيَا كَنَانَةَ أَنَا	مَطَاعِينَ فِي الْهَيْجَا مَطَاعِيمُ فِي الْمَحَلِّ (٣٩٢)
مَطَاعِيمُ فِي السَّلَاوِ مَطَاعِينَ فِي الْوُغَى	شِمَائِلُنَا تَنْكِي وَأَيَّمَانُنَا تَنْدَى (٣٩٣)
الْمَطْعَمُونَ الطَّعَامَ فِي السَّنَةِ الْأَزْ	مَةِ وَالْفَاعِلُونَ لِلزَّكَوَاتِ (٣٩٤)
الْمَطْعَمُونَ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَّةٌ	وَحَيْرٌ نَادٍ رَأَى النَّاسَ نَادِينَا (٣٩٥)
وَفَارِسَكُمُ إِذَا مَا الْحَرْبُ ثُبَّتْ	وَمَطْعَمَكُمُ إِذَا هَبَّتْ شِمَالًا (٣٩٦)

وتأتي بعض مشتقات «طعم» دون أن يُسمى نوع الطعام، أو الأشخاص المحتاجون، أو
الظروف المرافقة:

إِنْ يَكْسِبُوا يُطْعَمُوا مِنْ فَضْلِ كَسْبِهِمْ وَأَوْفِيَاءُ لِمَنْ آوَاهُ أَبْرَارُ (٣٩٧)
الْمَطْعَمُونَ الْجَفْنَةُ الْمُدْعَذَةُ (٣٩٨)

-
- ٣٨٧ — عمرو بن الإطناية: معجم الشعراء للمرزباني ص ٨.
٣٨٨ — رجل من ظفر: ديوان الهذليين ج ٣ ص ١١١.
٣٨٩ — الأعشى الكبير: الديوان ١٠/٦٨.
٣٩٠ — أوس بن حجر: الديوان ٨/٢٥.
٣٩١ — امرؤ القيس: الديوان ص ٤١٧.
٣٩٢ — عمرو بن كلثوم الكناني: معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٦.
٣٩٣ — عامر بن الطفيل: عيون الأخبار لابن قتيبة ج ١ ص ٣٤٣.
٣٩٤ — أمية بن أبي الصلت: الديوان ص ٣٤٥.
٣٩٥ — المرقش الأكبر: المفضليات ٤/١٢٨.
٣٩٦ — رجل من بني مالك بن حبيب: ديوان عمرو بن كلثوم ٢/٢٨. وانظر: عدي بن زيد: الديوان ٣/٢٠، وعبيد بن عبد العزى: قصائد جاهلية نادرة ص ١٢٣.
٣٩٧ — الأعشى بن النباش: شعر تميم ٣/١٤.
٣٩٨ — ليبيد بن ربيعة: الديوان ٩/٥٩.

فجاءتُه مستسمعُ الصوت للندى له عند إتيانِ المهيئينِ مَطْعَمٌ (٣٩٩)

قرى: وتعني أطلعهم أو أضاف: ترد مشتقات «قرى» مجردة، دون أن يسمى نوع الغذاء، أو يذكر الأشخاص المحتاجون:

وأخسبُ أني بعد ذلك أقتدي بأخلاقِ مَنْ يَقْرِي ومن يَتَعَفَّفُ (٤٠٠)
عتاةُ قِراءةٍ في الشتاءِ مساءً حماةُ كمالِيوثِ الضراغمِ (٤٠١)
إذا ما جتتهمْ تُبغِي قِراءُهمْ وَجَدْتَ الحَيْرَ عندهم عَسيراً (٤٠٢)

وترد كلمة «القرى» مرتبطة بكلمة «النار» التي توقد لهداية الضيف:

ثم فينا للقرى نارٌ يُرى عندها للضيف رُحْبٌ وسعة (٤٠٣)
إذا أحمَدَ النيرانُ من حَذَرِ القسرى رأيتَ سنا ناري يُشَبُّ اضطرامها (٤٠٤)

وقد يسمّى نوع الغذاء أحياناً بالارتباط بين «القرى» و«السديف» أو «الدر» أو «الشحم»:

ألمَ تعلمي أني إذا الضيفُ نابني وعزَّ القرى، أقرى السديفَ المُسرَّهَذَا (٤٠٥)
إذا مادَّرها لم يَقْر ضيفاً ضَمِنَ له قِراءُ من الشُّحومِ (٤٠٦)
إنّا لنقري حينَ نحمد بالقرى بقايا الشحومِ الآياتِ المفارقِ (٤٠٧)

وإذا ما ذكر الأشخاص المحتاجون الذين يذكرون مرتبطين «بالقرى» فإن «الضيف» يسمى في الدرجة الأولى:

-
- ٣٩٩ — المتلمّس الضبعي: الديوان ٣/٣٧.
٤٠٠ — عبد الله بن ثور العامري: قصائد جاهلية نادرة ص ١٥٧.
٤٠١ — حاجب المازني: العقد الفريد ٢٠٢/٥.
٤٠٢ — بشر بن أبي خازم: الديوان ٥/١٧. وانظر الديوان نفسه ٢٠/٤٦ وص ٢٤٠ من البحث، وزهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٢٩٠ وص ٢٢٦ من البحث، وعروة بن الورد: الديوان ١/١٧.
٤٠٣ — الأفوه الأودي: الديوان ص ١٨.
٤٠٤ — عمرو بن عبد الله العجلي: معجم الشعراء للمرزباني ص ٣٩.
٤٠٥ — حاتم الطائي: الديوان ١/٤٥.
٤٠٦ — لبيد بن ربيعة: الديوان ١٧/١٢.
٤٠٧ — الأسود بن يَغْفَر: الديوان ٢٦/٤٩. وانظر: الأخنس بن شهاب: خزانة الأدب للبغداد ص ٨ ج ٨ ص ٢٩.

لحا الله أنانا عن الضيف بالقرى وألأمننا عن عرض والده ذبّا (٤٠٨)
 أبى لكم أن النفوس أذلّة وأن القرى عن واجب الضيف عاتم (٤٠٩)
 فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا بيت عن قرى أضيفه غير غافل (٤١٠)
 نزلتم منزّل الأضيف منّا فعجلنا القرى أن تشتمونا (٤١١)
 كالجوابي لائني مترعة لقرى الأضيف أو للمحتضير (٤١٢)

وقد يسمى «العافي» أو «المرمل» مع «القرى» :

ويحمد العافي قراهم إذا ما لم يكن في الحى مخلوب (٤١٣)
 ويستعمل الشعراء بعض التعابير للدلالة على تقديم الطعام ، مثل : «شبع» و«شوى» :
 شبع :

ومن يأتيه من جائع البطن يشبع (٤١٤) ومن يأتيه من خائف ينس خوفه
 يأكلن دعلجة ويشبع من عفا (٤١٥) باتت كلاب الحى تنبح بيننا
 يروي بآنية الصريف ويشبع (٤١٦) من كان يشتو والأرامل حوله
 شوى :

يشوون للضيف والعفاة ويو فون قضاء إذا هم نذروا (٤١٧)
 حجروا على أضيفهم وشووا لهم من شط منقية ومن أكباد (٤١٨)

-
- ٤٠٨ — عامر بن مالك : أشعار العامرين الجاهليين ١/٩٢ .
 ٤٠٩ — خدّاش بن زهير : المصدر نفسه ٤/٥٤ .
 ٤١٠ — عامر بن الطقيّل : الديوان ٤/١٠ .
 ٤١١ — عمرو بن كلثوم : شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ٧٩/٥ .
 ٤١٢ — طرفة بن العبد : الديوان ٤٩/٢ . وانظر : سيرة بن عمرو الفقعسي : خزانة الأدب للبغدادي ج ٩ ص ٥١١ ، وقيس بن الخطيم : الديوان ٧/١٦ ، وحاتم الطائي : ذيل الديوان ٢/٢ .
 ٤١٣ — زهير بن مسعود : قصائد جاهلية نادرة ص ٩٤ . وانظر عبيد بن عبد العزّي : قصائد جاهلية ص ١٣٢ .
 ٤١٤ — خالد بن جعفر : أشعار العامرين الجاهليين ٣/٩٠ .
 ٤١٥ — الأسعر الجعفي : سمط اللآلي للبكري ص ٩٦٠ .
 ٤١٦ — الأفوه الأودي : الديوان ص ١٩ .
 ٤١٧ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٣١٥ .
 ٤١٨ — الأعشى الكبير : الديوان ١٣/١٦ .

وأخي محافظة طليقي وجهه هش جررت له الشواء بمسعر (٤١٩)

٧ — العناية بالمحتاجين والمعروف معهم على أنهما عطاء مجازي :

ساق الشعراء تعابير عدة للدلالة على العناية بالفقراء والأقارب وللإشارة إلى أفعال الخير مثل : الخير والمعروف والعصمة والفضل والنعمة والوصل .

الخير : تأتي كلمة « الخير » مجردة ، وقد توضع إلى جانب صفات حسنة ، وقيم نبيلة مثل « الوفاء » و« المجد » و« الندى » :

إني لعمرك ما بابي بذى غلّقي عن الصديق ولا خيري بممنون (٤٢٠)

إلى ملك كهلال السما ء أركى وفاء ومجداً وخيراً (٤٢١)

المعروف : يأتي لفظ « المعروف » مجرداً دون أن يوضح الشعراء أو يحددوا ما يقصدون بالمعروف ،

على الرغم من أنه ينظر إليه على أنه عطاء شامل ، ويلتمس من السائلين ، ويقدم من الأجواد :

وإذا افتقرت فلن أرى متخشعاً لأخي غنى معروفه مكشود (٤٢٢)

قد أشهد الشارب المعدّل لا معروفه منكّر ولا حصر (٤٢٣)

وقد يذكر « المعروف » مرتبطاً بالعطاء من « الدراهم » و« الإبل » :

إنّا إذا اجتمعت يوماً دراهمنا ظلت إلى سبل المعروف تستبق (٤٢٤)

الواهب الألف لا يغني به بدلاً إلا الإله ومعرفة بما اصطنعنا (٤٢٥)

العصمة : إن كلمة « العصمة » تشير إلى عناية خاصة بالمحتاجين الذين يعتصمون بالجواد :

٤١٩ — علقمة الفحل : الديوان ١/٧ .

٤٢٠ — ذو الإصبع العدواني : المفضليات ٦/٣١ .

٤٢١ — الأعشى الكبير : الديوان ٣٤/١٢ . وانظر : عبيد بن الأبرص : الديوان ٢/٨ وص ٢٤٢ من البحث .

والعرنس الكلابي : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٦٩١ ، وزهير بن أبي سلمى : الديوان

ص ٤٩ ، وأمّية بن أبي الصلت : الديوان ٨/١٧ — ١/٨٩ ، ٩ .

٤٢٢ — عروة بن الورد : الديوان ٤/٢٩ .

٤٢٣ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٣١٥ .

وانظر : الأعشى الكبير : الديوان ٣٦/٥٥ ، والأعشى بن النباش : شعر تميم ٥/١٤ ، وأمّية بن أبي

الصلت : الديوان ١١/١٩ ، وطرفة بن العبد : الديوان ٤/٥٦ ، وعدي بن وداع : قصائد جاهلية نادرة

ص ٥٧ .

٤٢٤ — حاتم الطائي : الديوان ٤/١١٧ .

٤٢٥ — أخت النضر بن الحارث : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٨٠٤ .

وعصمة في الزمــــن الكــــالاح (٤٢٦)

ولكن عصمة في كل يوم يطيف به المَحْوُل والعديم (٤٢٧)

وقد ترتبط كلمة «عصمة» بالمحتاجين «كاليتامي» و«الضيوف» :

ألسنا عصمة الأضياف حتى يضحى ما لهم نفلاً تواماً (٤٢٨)

الفضل : لا يوضح نوع العطاء مع كلمة «الفضل» :

ومن يك ذا فضل ويخُل بفضله على قومه يُستغن عنه ويُذمم (٤٢٩)

أرجي فواضل ذي بهجة من الناس يجمع حزماً وجوداً (٤٣٠)

وتذكر مشتقات مادة «فضل» غير مرة إلى جانب صفات أخرى وتسميات تدل على

العطاء «كالنعم» و«النائل» و«الكرم» :

أبقيت في العبسي فضلاً ونعمة وعمدة من باقيات المحامد (٤٣١)

فككت أسيراً، ثم أفضلت نعمة فسلم مبري العظام مهيض (٤٣٢)

فلأشكرن فضول نعمته حتى أموت وفضله فضل (٤٣٣)

نعمه : تأتي كلمة «نعمه» دون أن توصف أنواع العطايا :

تداركني أوس بن سعدى ينعمية وقد ضاق من أرض علي عريض (٤٣٤)

أفسدت بالمن ما أوتيت من نعم ليس الكريم إذا أسدى بمنان (٤٣٥)

٤٢٦ — لبید بن ربیعۃ : الديوان ١٦/٥٣ .

٤٢٧ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٢٠٩ .

٤٢٨ — حاجز بن عوف : قصائد جاهلية نادرة ص ٨٣ ، وانظر النابغة الذبياني : الديوان ٢/٥٧ وص ٢٣٢ من البحث .

٤٢٩ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٣٠ .

٤٣٠ — حاتم الطائي : الديوان ٣/٣٤ .

٤٣١ — النابغة الذبياني : الديوان ١/٥٢ .

٤٣٢ — بشر بن أبي خازم : الديوان ٧/٢٢ .

٤٣٣ — المسيب بن علس : شعره ١٦/١٦ . وانظر : زهير بن أبي سلمى : الديوان ١٠٦ وص ٢٣٠ من البحث ، ولبيد بن ربیعۃ : الديوان ٨٠/٤٨ وص ٢٢٣ من البحث .

٤٣٤ — بشر بن أبي خازم : الديوان ١/٢٢ .

٤٣٥ — امرؤ القيس : ذيل الديوان ١/٦٢ .

إِنَّ لِلَّهِ عَلَيْنَا نِعْمًا وَلَا يُدِينَا عَلَى النَّاسِ نِعْمٌ (٤٣٦)

وصل: ترد مشتقات مادة «وصل» مجردة دون أن تسمى الهدية، على أنها تأتي مرتبطة بالأشخاص الذين يعتنى بهم، وهم الأقرباء من «ذي نسب» و«أهل قرابة» و«رحم»:

وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتُهُ (٤٣٧)
وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ (٤٣٨)
وَلَا تَزْهَدَنَّ فِي وَصْلِ أَهْلِ قَرَابَةٍ (٤٣٩)
أَمَّا لِصَاحِبِ نِعْمَةٍ طَرَحَتْهَا (٤٤٠)
وَذِي رَحِمٍ بَلَّغْتُهَا بِلَالِهَا (٤٣٧)
لَذَخِرْ فِي صَرْمِ الْأَبَاعِدِ فَازْهَدْ (٤٣٨)
وَلَا تَكُ سَبْعًا فِي الْعَشِيرَةِ عَادِيًا (٤٣٩)
وَوَصَالِ رَحِمٍ قَدْ نَضَحَتْ بِلَالِهَا (٤٤٠)

وقد يذكر نوع العطاء في حالات نادرة، وهنا يربط الشعراء بين «الوصل» و«المال»:

وَذِي نَسَبٍ نَاءٍ بَعِيدٍ وَصَلْتُهُ (٤٤١)
لَا تَعْذِلْنِي عَلَى مَالٍ وَصَلْتُ بِهِ (٤٤٢)
بِمَالٍ وَمَا يَدْرِي بِأَنْتَ وَأَصْلُهُ (٤٤١)
رَحْمًا وَخَيْرُ سَبِيلِ الْمَالِ مَا وَصَلَا (٤٤٢)

ويستعمل الشعراء عبارات مجازية للإشارة إلى عناية عامة بالفقراء والمحتاجين كاليتامي

والجيران والمرملين:

الجابر:

هُمُ الْجَابِرُونَ عِظَامَ الْكَسِيرِ (٤٤٣)
إِذَا مَا الْكَسَائِرُ لَمْ تُجَبَّرْ (٤٤٣)

الحاشد (٤٤٤)

الحافظ:

وَالْحَافِظُ النَّاسَ فِي الْقَحَوطِ إِذَا (٤٤٥)
لَمْ يَرْسِلُوا تَحْتَ عَائِذِ رُبْعَا (٤٤٥)

-
- ٤٣٦ — عمرو بن كلثوم: الديوان ١/١.
٤٣٧ — قبل بن عمرو: شعر تميم ١/٢٠٣.
٤٣٨ — عبيد بن الأبرص: الديوان ٢٦/١٩.
٤٣٩ — الأعشى الكبير: الديوان ١٣/١٦.
٤٤٠ — المصدر نفسه ٤١/٣. وانظر أوس بن حجر: الديوان ٤٧/٤٨ وص ٢٢٨ من البحث.
٤٤١ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ١٤٣.
٤٤٢ — حاتم الطائي: الديوان ٧/٣٢.
٤٤٣ — عامر بن الطفيل: الديوان ٣/١٣.
٤٤٤ — انظر: عمرو بن الإطناية: معجم الشعراء للمرزباني ص ٨ وص ٢٤٧ من البحث، وعبيد بن العزى: قصائد جاهلية نادرة ص ١٣٢، وص ٢٢١ من البحث.
٤٤٥ — بشر بن أبي خازم: الديوان ٩/٢٦. وانظر الديوان نفسه ٢٠/٧ وص ٢٣٢ من البحث.

أحاط :

وَأَبُو الْيَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَوْسَهُمْ
فَسَرَّ عَمُودَ الْعَشِيرَةِ
فِيَعْمَلُهَا وَيَحُوطُهَا
وَيَحُوطُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَامِدٍ (٤٤٦)
رَقَّةً رَافِعَةً لِنَصَابِهَا
وَيَذُبُّ عَنْ أَحْسَابِهَا (٤٤٧)

أَقْفَى :

وَأَقْفَيْتُهُ دُونَ الْعِيَالِ لِحَافِنَا
أَلْسِنَا الْمُقْتَفِينَ بِمَنْ أَتَانَا
وَبَاتَ أُنَيْسِيهِ بِجَيْرٍ وَدِرْهَمٍ (٤٤٨)
إِذَا مَا حَارَدَتْ خَوْرُ اللَّقَاحِ (٤٤٩)

لَفَّ :

نَحْمِي حَقِيقَتَنَا وَنَمْنَعُ جَارَنَا
وَنَلْفَ بَيْنَ أَرَامِلِ الْإِيْتَامِ (٤٥٠)

أَلْعَشَّ :

ذُنَابِي لَا يَقُونَ بَعْدَ جَارٍ
وَلَيْسُوا يَنْعَشُونَ لَهُمْ فَقِيرًا (٤٥١)

وَأَسَى :

نَحْلَى يَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَسْوَهُمْ
وَأَبُو الْيَتَامَى كَانَ يُحْسِنُ أَوْسَهُمْ
وَنَعْمَ الْمَوَاسُونَ فِي النَّائِبَا
وَيَكْفُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَاهِدٍ (٤٥٢)
وَيَحُوطُهُمْ فِي كُلِّ عَامٍ جَامِدٍ (٤٥٣)
تِ لِلْجَارِ وَالْمَعْتَفِي الْمُرْمَلِ (٤٥٤)

وَقَى :

يَقُونَ فِي الْحَجَرَةِ جِيرَانَهُمْ
بِالْمَالِ وَالْأَنْفُسِ مِنْ كُلِّ بُؤْسٍ (٤٥٥)

٤٤٦ — أمية بن أبي الصلت ١/٢٠ .

٤٤٧ — دَحْتُوس بنت لَقِيْط : شعر تميم ٦/٦٨ — ٧ .

٤٤٨ — خِدَاش بن زهير : أشعار العامريين الجاهليين ١/٥٣ .

٤٤٩ — الأعشى الكبير : الديوان ١١/٧٣ .

٤٥٠ — عبيد بن الأبرص : الديوان ١٦/٤٧ .

٤٥١ — بشر بن أبي خازم : الديوان ٤/١٧ .

٤٥٢ — عبد الله بن عجلان النهدي : الوحشيات لأبي تمام ١/٢٠٢ .

٤٥٣ — أمية بن أبي الصلت : الديوان ١/٢٠ .

٤٥٤ — زهير المازني : شعر تميم ٨/٨٢ .

٤٥٥ — الأفره الأودي : الديوان ص ١٧ .

يستخدم الشعراء تعابير مرادفة لكلمة «الجود» مثل : «أبيض» ، و«خرق» و«خضارم» و«أريحي» و«طلق الوجه» و«هضوم» و«هش» و«الهام» . وهذه تسميات ترد مجردة دون أن يسمى نوع العطاء :

أبيض :

أَغْرُ أَيْضُ فَيَاضُ يَفْكُ عَنْ	أَيْدِي الْعِنَاةِ وَعَنْ أَعْنَاقِهَا الرِّبْقَا (٤٥٦)
وَيَيْضُ عَلَى النِّيرَانِ فِي كُلِّ شَتْوَةٍ	سَرَاةِ الْعِشَاءِ يَزْجُرُونَ الْمَسَابِلَا (٤٥٧)
يَيْضُ مَسَامِيحُ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ	أَخْلَفَ نَجْمٌ عَنْ نَوْتِهِ وَكَلَّوَا (٤٥٨)
يَيْضُ مَطَاعِيمُ فِي الشِّتَاءِ وَإِنْ	أَخْلَفَ نَوَّةٌ عَنْ وَتْلِهِ وَبَلَّوَا (٤٥٩)

خرق :

وَإِنِّي قَدْ عَلِمْتُ مَكَانَ خِرْقٍ	أَغْرُ كَأَنَّهُ فَرَسٌ كَرِيمٌ (٤٦٠)
كَرَامٌ إِذَا نَابَ التَّجَارُ أَلْدَّةٌ	مَخَارِيقُ لَا يَرْجُونَ لِلْخَمْرِ وَأَغْلَا (٤٦١)
وَأَغْرُ مُنْخَرِقُ الْقَمِيصِ سَمِيدَعٌ	يَدْعُو لِيَغْزُو ظَالِمًا فَيَجَابُ (٤٦٢)

الخضارم :

هُمْ الْخَضَارِمُ إِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا	وَلَا يُرَوْنَ إِلَى جَارَاتِهِمْ نُحُتَا (٤٦٣)
مَتَى مَا تَأْتِ نَادِينَا تَجِدُنَا	جَعَّاجَةً خَضَارِمَةً كَهَوْلَا (٤٦٤)

طلق الوجه أو واضح الوجه :

وَلَقَدْ تَعْلَمُ بِكَرٍّ أَنَا	وَاضِحُو الْأَوْجِهِ فِي الْأَزْبَةِ غُرَّ (٤٦٥)
---------------------------------	--

٤٥٦ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٥٢ . وانظر الديوان نفسه ص ١٣٩ .

٤٥٧ — لبيد بن ربيعة : الديوان ٧٢/٣٥ .

٤٥٨ — الأسود بن يَغْفَر : ذيل الديوان ٣/٤ وفي الأصل : «الشتاة» .

٤٥٩ — عدي بن زيد : الديوان ٣/٢٠ . وانظر : الأعشى الكبير : الديوان ١٣/٤ وص ٢٢٦ من البحث .

٤٦٠ — عارق الطائي : الوحشيات لأبي تمام ٣/٤١٤ .

٤٦١ — لبيد بن ربيعة : الديوان ٧٥/٣٥ .

٤٦٢ — مالك بن حريم : الوحشيات لأبي تمام ٣/٤٢١ .

٤٦٣ — الأعشى الكبير : الديوان ٤٣/١٣ .

٤٦٤ — دريد بن الصمة : الديوان ١٧/٥١ .

٤٦٥ — طرفة بن العبد : الديوان ١/٤٩ .

ولم يُلَفَّ يا عِثْمَانُ وَجْهَكَ مُظْلَمًا (٤٦٦)
كالبدْرِ لاقَةٌ ولا مُتَعَبِس (٤٦٧)

يقول له أهلاً وسهلاً ومرحباً
طلّق يَراحُ إلى الندى متبلج

الهمام (٤٦٨)

الأرحي:

مُ رَكوداً قِيامُهُمُ لِلْهَلَالِ (٤٦٩)
أبي الأضياف في السنة الجداد (٤٧٠)

أَرَحِي صَلْتُ يَظِلُّ لَه الْقَوُ
لفقد الأرحي أبي بجاد

هضم: وجمعها هضم:

إذا شغقت على الرزق العيال (٤٧١)
من الفتیان مُخْتَلَقٌ هَضُومٌ (٤٧٢)
ثُ جَالَتْ جِبَائِرُ أَعْضَادِهَا (٤٧٣)

فَاتِي ذُو مَحَافَظَةٍ هَضُومٌ
فلما أن تَنَشَّى قام خِرْقٌ
هَضُومُ الشَّتَاءِ إِذَا الْمُرْضِعَا

٩ — تعابير لفعل الجود:

يشير الشعراء بطرق مختلفة إلى تصوير الجود، ومن ذلك «فك الأسرى» و«دفع الدية»

و«نحر الإبل»:

أ — فك الأسرى: ترد مشتقات «فك» غالباً مرتبطة بـ «العاني» أو «الأسير» أو «الأغلال» أو «القيود» أو «الكبول»:

فِيَا رَبِّ مَكْرُوبٍ كَرَّرْتُ وَرَاءَهُ وَعَانِ فَكَّكْتُ الْعُلَّ عَنْهُ فَقَدَانِي (٤٧٤)

٤٦٦ — الأعشى بن النباش: شعر تميم ٧/١٩.

٤٦٧ — أبو اللّحام التغلبي: ديوان عمرو بن كلثوم ١٢/٣٦. وانظر: علقمة الفحل: الديوان ١/٧
وص ٢٥٠ من البحث.

٤٦٨ — انظر أوس بن حجر: الديوان ٣٥/٢١، والناطقة الذبياني: الديوان ٩/٢٩ وص ٢٤٥ من البحث.

٤٦٩ — الأعشى الكبير: الديوان ٤٤/١.

٤٧٠ — أبو دواد الإيادي: شعره ٤/٢٥. وانظر: بشر بن أبي خازم: الديوان ١٣/٥، ٤/٣٦، وامرؤ القيس:
الديوان ١١/٥٥.

٤٧١ — جابر بن قطن: شعر تميم ٤/٤٦.

٤٧٢ — البرج بن مُسْنَهَر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/٣٨٤.

٤٧٣ — الأعشى الكبير: الديوان ٥٣/٨. وانظر: أوس بن حجر ٤٧/٤٨ وص ٢٢٨ من البحث، وبشرو بن
عمر: المفضليات ٨/٧١، ولييد بن ربيعة: الديوان ٢٠/١٣ وص ٢٢٣ من البحث.

٤٧٤ — امرؤ القيس: الديوان ٧/٩.

بَحْمَلِ الدِّيَاتِ وَفَكَ الْعُنَاةِ
وَكَمْ مَطَرْتُ كَفَّاهِ مِنْ كَفِّ نَائِلِ
وَعَانِ فَكَكْتُ الْكَبْلَ عَنْهُ وَسُدْفَةَ
وَعَانِ كَبِيلٍ قَدْ فَكَكْنَا قِيُودَهُ
وَصَلَاتُ الْأَرْحَامِ قَدْ عَلِمَ النَّا
وَكَمْ مِنْ أَسِيرٍ قَدْ فَكَكْتُ وَعَائِلِ
وَقَتْلِ الْكُمَاةِ مَعْدَاً عَلَسْتُ^(٤٧٥)
لَهُ فِيكُمْ فَاشٍ وَكَمْ فَلَكُ مِنْ عَانِ^(٤٧٦)
سَرَّيْتُ، وَأَصْحَابِي هَذَيْتُ بِكَوَكَبِ^(٤٧٧)
وِغْلًا نَبِيلاً بَيْنَ خَنْدٍ وَعَاتِقِ^(٤٧٨)
سُ وَفَكَ الْأَسْرَى مِنَ الْأَغْلَالِ^(٤٧٩)
جَبَرْتُ وَقَدْ أُعِيْتُ عَلَيْهِ مَذَاهِبُهُ^(٤٨٠)

ب — دفع الدية : عُذ دفع الدية فعلاً كريماً ، وسمي بطرق مختلفة مرتبطاً بالإبل :

أَعْدِي حِمَالِ الثَّيْنِ وَمَتَّ—
نَهَوْضُ بِإِشْنِاقِ الدِّيَاتِ وَحَمَلُهَا
فَنَحْنُ عَقَلْنَا الْأَلْفَ عَنْكُمْ لِأَهْلِهِ
فَمَا أَبَقْتَ الْإِيَّامُ مِلْمَالٍ عِنْدَنَا
ثَلَاثَةُ أَثْلَاحٍ فَأَتَمَّانُ نَحِيلُنَا
رَاعَ الْإِنَاءِ وَسَابِي الْخُمْرِ^(٤٨١)
وَيَقْلُ الَّذِي يَجْنِي بِمَنْكِبِهِ نَعْبُ^(٤٨٢)
وَنَحْنُ وَرَدْنَا بِالْعَبُوقِ الْمُعْجَلِ^(٤٨٣)
سَوَى جِذَمِ أَذْوَادٍ مُحَدَّفَةِ النَّسْلِ
وَأَقْوَانُنَا وَمَا نَسُوقُ إِلَى الْعَقْلِ^(٤٨٤)

ج — نحر الإبل : استخدم الشعراء تعابير لنحر الإبل هي : جزر^(٤٨٥) وعقر ونحر :

عقر : ترد مشتقات مادة «عقر» مراراً، وتوضع بالارتباط مع الأشخاص المحتاجين نحو :
«الأصحاب» و«الشرب» و«الضيوف» :

-
- ٤٧٥ — المصدر نفسه ٥/٧٧ .
٤٧٦ — المصدر نفسه ص ٣٩٧ .
٤٧٧ — ليبد بن ربيعة : الديوان ١٩/٢ .
٤٧٨ — الأسود بن يَغْفَر : الديوان ٢٠/٤٩ .
٤٧٩ — الأعشى الكبير : الديوان ٤٠/١ .
٤٨٠ — يزيد بن غزرم الحارثي : معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٨٠ . وانظر : بشر بن أبي خازم : الديوان ٧/٢٢
وص ٢٥١ من البحث ، وأوس بن حجر : الديوان ٢/٤٩ ، وص ٢٢٧ من البحث ، وحاتم الطائي :
الديوان ١٣/٣٦ .
٤٨١ — القعقاع بن ذَرْمَاء الكلبی : معجم الشعراء للمرزباني ص ٢٠٧ .
٤٨٢ — طفيل الغنوي : أشعاره ١/١٢ .
٤٨٣ — الأعشى الكبير : الديوان ٢٩/٧٧ .
٤٨٤ — عمرو بن كلثوم : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/١٦٠ — ٤ .
٤٨٥ — انظر : أعشى باهلة : شعره ١٤/٤ وص ٢٤٥ من البحث .

لَنَا نَعَمْ لَا يَعْتَرِي الدَّمُّ أَهْلَهُ
وَبَرَكٍ قَدْ أَثَرَتْ بِمَشْرِفِي
وَلَا فَإِنَّا بِالشَّرِيسَةِ فَالْلُوى
نُعْقِرُ لِلضَّيْفِ الْعَرِيبِ وَتُحَلَبُ (٤٨٦)
إِذَا مَا زَلَّ عَنْ عُقْرِ رَمِيَتْ (٤٨٧)
نُعْقِرُ أَمَاتِ الرِّسَاعِ وَيُسِيرُ (٤٨٨)

نحر: ترد مشتقات نحر في أغلب الأحيان مجردة:

وَرَبْعِي نَحَرْتُ عَلَى ثَلَاثٍ
وَقَدْ كُنْتُ نَحَارَ الْجَزُورِ وَمَعْمَلِ الْ
وَأَنْحَرُ لِلشَّرْبِ الْكَرَامِ مَطِيَّتِي
نَحَارُ رَاغِيَةً، قَتَالَ طَاغِيَةً
النَّاحِرُ الْكُومَ مَا يَنْفِكُ يُطْعِمُهَا
لِحَمْدِ ثَلَاثَةٍ مِنْ بَعْدِ حِينَ (٤٨٩)
مَطِيٍّ وَأَمْضِي حَيْثُ لَاحِي مَاضِيَا
وَأَصْدَعُ بَيْنَ الْقَيْتَيْنِ رَدَائِيَا (٤٩٠)
حَلَالُ رَابِيَةٍ فَكَأَنَّكَ أَقِيَادُ (٤٩١)
وَالْوَاهِبُ الْمَثَّةَ الْحَمْرَا بِرَاعِيهَا (٤٩٢)

ويستخدم الشعراء بعض الكنايات ليشيروا إلى نحر الابل:

وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا
إِذَا الشَّوْلُ رَاحَتْ ثُمَّ لَمْ تَقْدِرْ لِحَمَّهَا
وَلَا نَلْعَنُ الْأَضْيَافَ إِنْ نَزَلُوا بِنَا
وَجَزُورٍ أَيْسَارٍ دَعَوْتُ لِحَتْفِهَا
يَكْبُونُ الْعِشَارُ لِمَنْ أَتَاهُمْ
يَذْعُرُ الْبَرَكُ فَقَدْ أَفْرَعَهُ
وَنِيَاطٍ مُقْفِرَةٌ أَخَافُ ضَلَالَهَا (٤٩٣)
بِالْبَاهَا ذَاقَ السُّنَّانَ عَقِيرُهَا
وَلَا يَمْنَعُ الْكُومَاءُ مِنَّا نَصِيرُهَا (٤٩٤)
بِمَغَالِقٍ مُتَشَابِهٍ أَجْسَامُهَا (٤٩٥)
إِذَا لَمْ تَسْكُتِ الْمَائَةُ الْوَلِيدَا (٤٩٦)
نَاهَضُ يَنْهَضُ نَهَضُ نَهَضَ الْمُخْتَزِلِ

- ٤٨٦ — الأعشى الكبير: الديوان ٢٢/٣٠ .
٤٨٧ — عمرو بن قعاس المرادي: الاختيارين ١٢/٣٦ .
٤٨٨ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٢١٨ ، وانظر: السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَيْكَةِ: شعر نعيم ١/١١٢ وص ٢٤٤ من البحث ، وأزبد بن قيس: أشعار العامريين الجاهليين ٤/١٢٢ وص ٢٤٤ من البحث .
٤٨٩ — مالك بن حريم: الوحشيات لأبي تمام ١/٤٢٦ .
٤٩٠ — عبد بَعُوثُ بْنُ وَقَّاصٍ: المفضليات ١٥/٣٠ — ١٦ .
٤٩١ — فارعة بنت شداد: الحماسة الشجرية ٣/٢٣٢ .
٤٩٢ — المهلهل بن ربيعة: شعراء النصرانية للويس شيخوخ ١ ص ١٦٦ .
٤٩٣ — الأعشى الكبير: الديوان ١١/٣ .
٤٩٤ — المصدر نفسه ١١/٨٢ — ١٤ .
٤٩٥ — لبید بن ربيعة: الديوان ٧٣/٤٨ .
٤٩٦ — المصدر نفسه ١/٦٨ .

دَنَسَ الْأَسْوَقَ بِالْعَضْبِ الْأَفْلَ (٤٩٧)
 بِأَسْوَاقِ عَافِيَاتِ اللَّحْمِ كُومِ (٤٩٨)
 وَزَمَاءَ غَيْرِ مُحَاوِلِ الْإِنْزَافِ (٤٩٩)
 ضَرَبْتُ بِسَيْفِي سَاقَ أَفْعَى فَخَرْتُ (٥٠٠)
 لَوْجِيَةِ حَقٍّ نَازِلٍ أَنَا فَاعِلُهُ
 مِنَ الْأَرْضِ ، لَمْ تَخْطُلْ عَلَيَّ حَمَائِلُهُ (٥٠١)
 شِهَابُ غَضَا فِي كَفِّ سَاعٍ مُبَادِرِ
 عَقِيلَةِ أَذْمٍ كَالِهَضَابِ بَهَازِرِ (٥٠٢)
 بِالْمَشْرِفِي إِذَا مَا اخْرُوطَ السُّفْرُ (٥٠٣)
 بِكُومَاءَ لَمْ يَذْهَبْ بِهَا النَّيُّ مَذْهَبَا
 دَعَتْ مُسْتَكِينُ الْجُوفِ حَتَّى تُصَيِّبَا (٥٠٤)
 مَرَايِخُ أُمُثَالِ الْجَرَاثِيمِ كُومَهَا (٥٠٥)
 وَقَدْ جَدُّ مِنْ فَرَطِ الْفَكَاهَةِ مَازُحُ
 وَأَعْرَاضُنَا فِيهِ بَوَاقِ صَحَائِحِ (٥٠٦)
 لَذَنُ الْمَهْزَةِ ذُو كُعُوبٍ كَالنَّوَى
 كُومَاءَ أَطْرَافِ الْعِضَاهِ لَهَا تَحْلَا (٥٠٧)
 عَضْبِ الْكَرْبَةِ مَوْشِكِ الْقِصَلِ
 إِنْ اللَّثِيمِ أَقْرَّ بِالْبَخْلِ (٥٠٨)

مَدَمَنْ يَجْلُو بِأَطْرَافِ الذُّرَى
 وَلَكِنَّا نُعَضُّ السَّيْفَ فِيهَا
 مَنْ لَا يَزَالُ يَكْبُ كُلُّ ثَقِيلَةٍ
 لَمَّا رَأَيْتُ النَّاسَ هَرَّتْ كَلَابُهُمْ
 وَقَمْتُ إِلَى بَرْكِ هَجَانٍ أُعِدُّهُ
 بِأَبْيَضٍ خَطَّتْ نَعْلُهُ حَيْثُ أَدْرَكْتُ
 وَقَمْتُ بِمَوْشِيِ الْمَتُونِ كَأَنَّهُ
 لِيَشْقَى بِهِ عُرْقُوبُ كُومَاءَ جَلْبَةٍ
 لَا تَأْمَنُ الْبَازِلُ الْكُومَاءُ ضَرَبْتُهُ
 وَقَمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهَوَاجِدِ فَاتَّقْتُ
 فَرَحْنَبْتُ أَعْلَى الْجَنْبِ مِنْهَا بِطَعْنَةٍ
 وَقَمْتُ إِلَى الْبَرْكِ الْهَوَاجِدِ فَاتَّقْتُ
 فَقَامَ أَبُو ضَيْفٍ كَرِيمٌ كَأَنَّهُ
 إِلَى جِذْمٍ مَالٍ قَدْ نَهَكْنَا سَوَامَهُ
 فَهَضْتُ لِلْبَرْكِ الْهُجُودَ وَفِي يَدِي
 فَمَنْحْتُ رُحْمِي عَائِطاً مَمْكُورَةً
 فَسَعَيْتُ نَحْوَ مَطِيئِي بِمَهْنَدٍ
 فَطَعَنْتُ لَبَّتَهَا عَلَى مَا تَحِيلَتْ

-
- ٤٩٧ — المصدر نفسه ٨٤/٢٦ — ٨٥ .
 ٤٩٨ — المصدر نفسه ١٩/١٣ .
 ٤٩٩ — قيس بن الخطيم : الديوان ٢/١٦ .
 ٥٠٠ — حاتم الطائي : الديوان ١/١٧ .
 ٥٠١ — المصدر نفسه ٧/١١٩ — ٨ .
 ٥٠٢ — المصدر نفسه ٥/٣١ — ٦ .
 ٥٠٣ — أعشى باهلة : شعره ١٥/٤ .
 ٥٠٤ — المثقب العبدى : الديوان ٧/٤ — ٨ .
 ٥٠٥ — معمر الأزدي : الأشباه والنظائر للخالدين ج ١ ص ٧٤ .
 ٥٠٦ — عتبة بن ربيعة الحارثي : شرح ديوان الحماسة للعرزوقي ٦/٦٧٤ — ٧ .
 ٥٠٧ — الأسعر الجعفي : سمط اللآلي للبكري ص ٩٦ .
 ٥٠٨ — امرؤ القيس : الديوان ١٧/٥٩ — ١٨ .

ذاك وقدماً يعجلُ البازلُ الـ
إذا هي لم تمنعُ برسلِ لحومِها
وَبَرَكِ هُجُودٍ قَدْ أَثَارَتْ خَافَتِي
فَمَرَّتْ كَهَاءَ ذَاتٍ خَيفٍ جُلَالَةٍ
يقولُ وقد تُرِّ الوظيفُ وساقِها
إِنْ أَكْ مَسْكِيراً فَلَا أَشْرَبُ
إِنَّا لَنَعَجَلُ بِالْعَيْطِ لَضِيغِنَا
نَحُلُّ الدِيَارَ وَرَاءَ الدِيَارِ
فَتَى كَانَ يُعْطِي السِّيفَ فِي الرُّوعِ حَقَّهُ
إِلَى رَجُلٍ يُزْجِي المَطِيَّ عَلَى الوَجَى
كوماء بالموت كشيبه الحَصِيرُ (٥٠٩)
من السيف لاقت حذّه وهو قاطع (٥١٠)
نَوَادِيَهُ أَمْشِي بِعَضْبٍ مُجَرَّدِ
عَقِيلَةُ شَيْخٍ كَالْوَيْلِ يَلْتَسِدُ
أَلَسْتَ تَرَى أَنَّ قَدْ أُتِيَ بِمَوْتِي؟ (٥١١)
وَعَلَا، وَلَا يَتَسَلَّمُ مِنِّي الْبَعِيرُ (٥١٢)
قَبْلَ الْعِيَالِ وَنَطْلُبُ الْأَوْتَارَا (٥١٣)
ثُمَّ نَجْفِجُ فِيهَا الْجُزُرَ (٥١٤)
إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي وَتَشَقَّى بِهِ الْجُزُرُ (٥١٥)
دِقَاقاً وَيَشَقَّى بِالسَّنَامِ سَمِينُهَا (٥١٦)

وكان الأجواد يستعدون دائماً لقدم الضيوف، لذا كانوا يحبسون بعض الإبل في فناء البيت، وقد عُدَّ هذا عملاً مجيداً، استخدم الشعراء له التعبير: «حبس»:

حَبَسْنَا وَلَمْ نَسْرُحْ لَكِنِّي لَا يُلَوِّنُنَا
عَلَى حُكْمِهِ صَبْرًا مُعَوَّدَةَ الْحَبْسِ (٥١٧)
حُبْسٌ فِي الْمَحَلِّ حَتَّى يُفْسَحُوا
لِابْتِغَاءِ الْمَجْدِ أَوْ تَرْكِ الْفَنَدِ (٥١٨)

٢ - الْمُعْطَى:

إِنَّ الَّذِينَ كَانَ يُهْدَى إِلَيْهِمْ، أَوْ الَّذِينَ اتَّمَسُوا الْمُسَاعَدَةَ، جَاءَتْ تَسْمِيَتُهُمْ عَلَى النَحْوِ
الآتِي:

- ٥٠٩ — الخرق بنت بدر: الديوان ٤/٨.
٥١٠ — الْمُخَضَّعُ الْقَيْسِي: معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٤٧.
٥١١ — طرفة بن العبد: الديوان ٨٧/١ — ٨٩.
٥١٢ — عمرو بن قميقة: الديوان ٢/١٢.
٥١٣ — عامر بن الطفيل: ذيل الديوان ٢/١٠.
٥١٤ — أوس بن حجر: ١٣/١٤.
٥١٥ — سلمة بن مالك: الأشباه والنظائر للمخالد بن ٣٤٤/٢.
٥١٦ — البرج بن مسهر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٧٨٠.
٥١٧ — منصور بن مسحاج: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٧٣٥.
٥١٨ — طرفة بن العبد: الديوان ٨/١٨. وانظر: أوس بن حجر: الديوان ١٣/١٨ ط. غاير. والمفضليات ٣/٦٩ وص ٢٢٨ من البحث والمُهْلِلُ بن ربيعة: سمط اللآلي لليكري ص ٢٩٩.

أثبتنا أن تعابير الضيف والتزيل والساري والطارق تحمل معنى واحداً^(٥١٩) ، وفيما يأتي تفصيل لكل هذه التسميات :

الضيف : تساق كلمة «الضيف» مرتبطة «بالطعام» ، ويذكر الشعراء «اللحم» و«الحليب» و«الجفان» و«القرى عامة» :

تكرّر أحالسيب اللديد عليهم	وتوفى جفان الضيف مخضاً معمماً ^(٥٢٠)
بث عيئها عني سفاهاً وراقها	فتى دون أضياف الشتاء شروب ^(٥٢١)
فاصبب لأضيافك ألبانها	فإن شر اللبن الوالج ^(٥٢٢)
ألا ليت يَملا الجفان لضيفه	له جفنة يشقى بها النيب والجُزر ^(٥٢٣)

وتأتي كلمة «الضيف» مجردة مراراً بحيث إننا لا نحتاج إلى ذكر الشواهد، وقد تساق مرتبطة ببعض الكلمات من مثل «منع» و«عصمة» و«بات» :

فذلك أحياءها وكل معمم	أرب بمنع الضيف غير مضيم ^(٥٢٤)
لا يمنع الضيف إلا ماجد بطل	إن الكريم كريم أينما كانا ^(٥٢٥)
والضيف أكرمه فإن ميته	حق ولائك لعنة للزل
واعلم بأن الضيف مخبر أهله	بميت ليلته وإن لم يُسأل ^(٥٢٦)

ويسمى الضيف مرتبطاً بهدايا نفيسة «كالإبل» و«الرفد» الشامل :

وضيفي مائزال لهم كهاة من السيمات بكر أو ضرع^(٥٢٧)

وذاك من شر حباء الضيفان^(٥٢٨)

-
- ٥١٩ — انظر ص ١٢٢ — ١٢٣ من البحث .
- ٥٢٠ — لبيد بن ربيعة : الديوان ٢٤/٤٢ .
- ٥٢١ — يزيد بن خذاق : الوحشيات لأبي تمام ١/٣٦٦ .
- ٥٢٢ — الحارث بن حلزة : الديوان ١٠/٧ .
- ٥٢٣ — ابنة ذي الإصبع العدواني : الأغاني ٩٤/٣ .
- ٥٢٤ — طقيل الغنوي : أشعاره ٣١/٧ .
- ٥٢٥ — زهير بن جئاب : الأغاني ٢٦/١٩ .
- ٥٢٦ — عبد قيس بن خفاف : شعر تميم ٤/١٥ — ٥ .
- ٥٢٧ — بشر بن أبي خازم : الديوان ٢٩/٢٧ .
- ٥٢٨ — أكم بن صيفي : شعر تميم ٦/٢٥ ، وانظر عنترة بن شداد : الديوان ٦/١٦ ، ولبيد بن ربيعة : الديوان ٩/٢٥ وص ٢٢١ من البحث .

وترد كلمة «الضيف» إلى جانب تسميات تشير إلى الظروف المرافقة لقدمه مثل :
«الشتاء» و«السنة المحل» و«الجماد» :

إلى قلبٍ بضيفِ الشتاءِ إذا الرِّيحُ هَبَّتْ بَلِيلِ بَلِيلًا (٥٢٩)
كرامٌ إذا الضيفُ عند الشتاءِ إذا ما المشارعُ أضحت جليداً (٥٣٠)
فتى يكره القِرْنُ المُكْمَى لقاءه وهوى ذراهُ الضيفُ في السنة المحلِ (٥٣١)
لفقد الأرحمى أبي بجمادٍ أبي الأضياف في السنة الجمادِ (٥٣٢)

النزيل : يستخدم الشعراء كلمة «النزيل» مرادفة لكلمة «الضيف» ، لذا نجد الارتباط بين مادة
«نزل» و«الضيف» واضحاً :

أكرمُ الضيفَ والنزيلَ وإنْ به شُ خميصاً يضم بَعْضِي بَعْضِي (٥٣٣)
وثانيةً أنْ لا أَصْمَتَ كَلْبَنَا إذا نَزَلَ الأضيافُ حِرْصاً لِنُودَعَا (٥٣٤)

ويذكر نوع العطاء الذي يقدم للنزيل كالطعام وفعل الخير ، وهنا نجد ترابطاً بين «النزيل»
و«الطعام» أو «القرى» أو «المعروف» :

وإنْ لمْ أَجِدْ لِنَزِيلِي قَرِيَّ قَطَعْتُ لَهُ بَعْضَ أَطْرَافِيهِ (٥٣٥)
يونسُ معروفي نَزِيلِي وَقَدْ أَخْرَجُ ضَبَّ الخَصْمِ الأَجْدَلِ (٥٣٦)
وقد ترد كلمة «النزيل» مجردة :

-
- ٥٢٩ — عبد قيس بن خُفاف : شعر تميم ١٠/١٤٦ .
٥٣٠ — امرؤ القيس : الديوان ٢٠/٥٤ .
٥٣١ — مسافر العجلي : الأشباه والنظائر للخالدين ٢٩٣/٢ .
٥٣٢ — أبو دواد الإيادي : شعره ٤/٢٥ ، وانظر : عدي بن وداع : قصائد جاهلية نادرة ص ٥٧ ومالك بن
حريم : الوحشيات لأبي تمام ١/٢٤٩ ، ومُعَيَّة بن الحُمام : معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٤٣ ، ويزيد
ابن خُذَّاق : الوحشيات ١/٣٦٦ .
٥٣٣ — ذو الإصبع العَدَواني : الحماسة الشجرية ١/٦٩ .
٥٣٤ — مالك بن حريم : الأصمعيات ١٦/١٥ . والأعشى الكبير : الديوان ١٤/٨٢ وص ٢٥٧ من البحث ،
وعامر بن الطفيل : الديوان ٤/١٠ وص ٢٤٩ من البحث ، وعمرو بن كلثوم : أمالي المرتضى ج ٣
ص ١٣٧ ، وص ٢٤٩ من البحث .
٥٣٥ — حاتم الطائي : الديوان ٢/٥٣ .
٥٣٦ — عدي بن وداع : قصائد جاهلية نادرة ص ٥٧ ، وانظر عمرو بن الإطنابة . معجم الشعراء للمرزباني
ص ٨ والمتنخل الهذلي : ديوان الهذليين ج ٢ ص ١٥ وص ٢٤٦ من البحث .

وما أحمَدُ نارَ لنا دون طارقٍ وما ذمنا في النازلين نزيل (٥٣٧)

الساري: ترد كلمة «الساري» إلى جانب دلائل الضيافة مثل: «النار» و«الكلب» وقد ترتبط «بالمبيت» أو «الجفنة»:

فيا موقدني ناري أرفعها لعلها (٥٣٨)
فقلت لأهلي ما بغام مطيئة
وسار تضىء لسار آخر الليل مقتر (٥٣٩)
وسار أضافته الكلاب التوابح (٥٣٩)
وسار تعناه المبيت فلم يدع (٥٤٠)
له طامس الظلماء والليل مذهباً (٥٤٠)

الطارق: يذكر الشعراء نوع العطاء الذي ينتظروه الطارق، عندما يربطون بين كلمة «الطارق» و«المال» أو «الطعام» أو «المبيت»:

فدو المال يؤتى ماله دون عرضه
لما نابه والطارق المتعمد (٥٤١)
ألا رب ضيف طارق قد قرئته
وأنسته قبل الضيافة بالبشر (٥٤٢)

وترد كلمة «الطارق» مجردة، دون أن يذكر نوع العطاء، وقد توضع إلى جانب كلمة «النار» رمز الضيافة:

ونار دَعَوْتُ بها الطارقيــــ
وأشعث يزهاه النبوح مدفع
عن الليل ملق عليها سُدُولاً (٥٤٣)
عن الزادِ ممن خَلَفَ الدهرُ مُحْضِلِ
أنا فلَمْ ندفعه إذ جاء طارقاً
وقلنا له قد طال طولك فانزل (٥٤٤)
وبالفورة الحراب ذو الفضل عامر
فنعم ضياء الطارق المتسور (٥٤٥)

٥٣٧ — السموءل: الديوان ص ١٧.

٥٣٨ — حاتم الطائي: الديوان ١/١١٤.

٥٣٩ — عتبة بن بَجِير: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٦٧٤.

٥٤٠ — المثقب العبدى: الديوان ١/٤. وانظر: المسيب بن علس: شعره ٣٨/٩ وص ٢٧٠ من البحث.

٥٤١ — الكلحبة اليربوعي: شعر تميم ١/٢٠٦.

٥٤٢ — غرغال الحنفي: الأشباه والنظائر للمخالدين ج ٢ ص ٢٥٨. وانظر: دريد بن الصمة: الديوان ٤/٤٧.

وص ٢١٣ من البحث، وضمرة بن ضمرة: شعر تميم ١/١٢٦ وص ٢٢١ من البحث.

٥٤٣ — عبد قيس بن خفاف: شعر تميم ٩/١٤٦.

٥٤٤ — طقيل الغنوي: شعره ٣٦/٦ — ٣٧.

٥٤٥ — لبيد بن ربيعة: الديوان ١٣/٨، وانظر: الأشعر الرقبان: عيون الأخبار لابن قتيبة ج ٣ ص ٢٦٩،

والسموئل: الديوان ص ١٧، وعتبة بن بَجِير: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٦٧٤.

٢ — الفقراء والسائلون :

أ — الفقراء : إن التسميات الأساسية التي تطلق على الفقراء هي : ذو الحاجة والخليل والفقير والمرمل :

ذو الحاجة أو أهل الحوائج أو طالب الحاجات :

وهي تسميات ترد مجردة :

كأن ذوي الحاجات حول قبابه	جمال لدى ماء يحمن حواني ^(٥٤٦)
رأيت ذوي الحاجات حول بيوتهم	قطينا لهم حتى إذا نبت البقل ^(٥٤٧)
الناس حول قبابه	أهل الحوائج والمسائل ^(٥٤٨)
تري طالب الحاجات نحو بيوتكم	عصائب هلكى تهدي عصائب ^(٥٤٩)

الخليل : وهو المعدم الفقير المحتاج . وبين نوع العطاء الذي كان يقدم للخليل مثل « المال » و « الإبل » :

وإن أتاه خليل يوم مسألة	يقول لا غائب مالي ولا حرم ^(٥٥٠)
وكفيت مولاي الأحم جريرتي	وحبست سائمتي على ذي الخلعة ^(٥٥١)
وإني لخلو للخليل وإنني	لمر لذي الأضغان أبدي له بغضي ^(٥٥٢)

الفقير : يذكر الشعراء العطاء الذي يحصل عليه الفقير عندما يربطون بين « الفقير » و « المال » أو « الإبل » أو « الجفنة » :

وإذا شئوا عادت على جيرانهم	رجح توفها مراع كؤوم
لا يجتوبها ضيفهم وفقيرهم	ومدفع ، طرق النبوح ، يتيم ^(٥٥٣)

٥٤٦ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٣٦٤ .

٥٤٧ — المصدر نفسه ١١١ .

٥٤٨ — الأعشى الكبير : الديوان ٣/٧٠ .

٥٤٩ — أبو قيس صيفي بن الأسلت : الديوان ص ٦٨ .

٥٥٠ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ١٥٣ .

٥٥١ — علباء بن أرقم : الأصمعيات ١١/٥٦ .

٥٥٢ — طرفة بن العبد : الديوان ٤/٥٦ . وانظر : أوس بن حجر : الديوان ٨/٤ ، وعدي بن الرعلاء : معجم الشعراء للمرزباني ص ٨٦ .

٥٥٣ — لبيد بن ربيعة : الديوان ٥١/١٥ — ٥٢ ، وانظر : الأعشى الكبير : الديوان ٣٥/٣ وص ٢٣٧ من البحث ، وعروة بن الورد الديوان ١/٢٣ وص ٢٢٨ من البحث .

ولكن في الغالب لا يسمّى نوع العطاء الذي يُقدّم للفقير :

طويل النجاد رفيع العما د يحمي المضاف ويعطي الفقيرا (٥٥٤)

المرمل : يبين مع الفعل « أرمل » النقص على أنه الزاد ، وقد لا يذكر نوع النقص الذي يعانيه « المرمل » أو « الأرملة » :

وأرملة تسعى بشعث كأنها وإياهم رداء حثت رئالها
هنأنا ولم نمن عليها فأصبحت رحيّة بال قد أرحنا هزالها (٥٥٥)
ليبك على ملحان ضيف مدفع وأرملة تزجي مع الليل أرملا (٥٥٦)

وترتبط كلمة « الأرامل » خاصة بكلمة « الشتاء » :

من الأكرمين منصيباً وضريّة إذا ما شتا تأوي إليه الأرامل (٥٥٧)
قتلت الذي يسمو إلى المجد منهم وتأوي إليه في الشتاء الأرامل (٥٥٨)
وأبي الذي كان الأرا مل في الشتاء له قطينا (٥٥٩)

وقد ذكرت كلمة « الأرملة » بالارتباط « بالجفنة » على أنها نوع العطاء الذي قدم إليها :

وجفنة كنضيق البشر متأقسة ترى جوانبها باللحم مفتوقا
يسرّتها ليتامسى أو لأرملة وكلت بالبائس المتروك محقوقا (٥٦٠)

ويتعلق بكلمة « الفقير » تعابير مجازية استعملها الشعراء بسبب حالة الفقراء الظاهرية كالبائس والأشعث والمعصب :

٥٥٤ — الأعشى الكبير : الديوان ٣٥/١٢ . وانظر : الأضبط بن قريع : شعر نعيم ٩/٩ ، وحاتم الطائي : الديوان

٦/٣٧ ، وعمرو بن الإطناية : معجم الشعراء للمرزباني ص ٩ .

٥٥٥ — المصدر نفسه ٨/٦٠ .

٥٥٦ — حاتم الطائي : الديوان ١/٨٧ ، وانظر : الجُميح الأسدي : المفضليات ١٢/١٠٩ . أوس بن حجر :

الديوان ٧/٤٠ ، وجنوب أخت عمرو ذي الكلب : ديوان الهذليين ج ٣ ص ١٢٢ ، والجُميح

الأسدي : المفضليات ١٢/١٠٩ ، ودريد بن الصمة : الديوان ٨/٣٤ ، وطرفة بن العبد : الديوان

٩/٦ ، وعبيد بن الأبرص : الديوان ١٦/٤٧ .

٥٥٧ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٢٩٦ .

٥٥٨ — بشر بن أبي خازم : الديوان ٥/٣٧ .

٥٥٩ — لبيد بن ربيعة : الديوان ٣/٤٩ .

٥٦٠ — الأسود بن يَغْفَر : الديوان ٥/٤٦ — ٦ .

البائس :

يَغْشَاهُمُ الْبَائِسُ الْمُدْقِعُ وَالضَّدَّ يَفُ، وَجَارٌ مَجَاوِرٌ جُنُبٌ (٥٦١)

الأشعث :

وَأَشْعَثَ يَزْهَاهُ الثُّبُوحُ مُدْقِعٍ عَنْ الزَّادِ مَنْ خَلَفَ الدَّهْرُ مُحْتَلٍ (٥٦٢)
تَبَيَّتْ إِمَاءُ الْحَسِيِّ تَطْهِي قَدُورَنَا وَيَأْوِي إِلَيْنَا الْأَشْعَثُ الْمُتَجَرِّفُ (٥٦٣)
أَبَا دَلِيحَةَ مِنْ يَوْصِي بِأَرْمَلَةٍ أَمْ مَنْ لِأَشْعَثَ ذِي طَمَرَيْنِ طَمَلَالٍ (٥٦٤)

المُعَصَّب :

بَحْرٌ يَقِیْضُ لِمَنْ أَنْحَاخُ بِيَابِهِ مِنْ سَائِلٍ، وَثَمَالٍ كُلُّ مُعَصَّبٍ (٥٦٥)
رَحْبُ الْمَبَاعَةِ وَالْجَنَابِ مُوْطَأٌ مَاوَى لِكُلِّ مُعَصَّبٍ مِسْوَأٍ (٥٦٦)

وترد كلمات مرادفة لكلمة الفقير استعملها الشعراء مثل : الضريك والمقتر والقروضوب والعائل والعديم والمحمل :

الضريك :

أَبْنِي رِبْعَةً مِنْ يَقُومُ مَقَامَهُ أَمْ مِنْ يَرُدُّ عَلَى الضَّرِيكِ وَيُخَيِّسُ (٥٦٧)
حَدَبٌ عَلَى الْمَوْلَى الضَّرِيكِ إِذَا نَابَتْ عَلَيْهِ نَوَائِبُ الدَّهْرِ (٥٦٨)

المقتر :

أَبْكِي أَبَا الْحَزَّازِ يَوْمَ مَقَامَةِ لَمْنَاخٍ أَضْيَافٍ وَمَاوَى مُقْتَرٍ (٥٦٩)

-
- ٥٦١ — طرفة بن العبد : الديوان ١/٢١ . وانظر : الأسود بن يَغْفَر : الديوان ٦/٤٦ وص ٢٦٤ من البحث .
٥٦٢ — طفيل الغنوي : أشعاره ٣٦/٦ .
٥٦٣ — طرفة بن العبد : الديوان ٥/١٧ .
٥٦٤ — أوس بن حجر : الديوان ٧/٤٠ . وانظر : الأعشى الكبير : الديوان ٨٠/٦٠ والجُمَيح الأسدي : المفضليات ١٣/١٠٩ ، وسلمة بن مالك : الأشباه والنظائر للخالدين ج ٢ ص ٣٤٤ .
٥٦٥ — بشر بن أبي خازم : الديوان ١٨/٧ .
٥٦٦ — قيس بن الخطيم ٣/١٦ . وانظر : عبيد بن الأبرص : الديوان ٤٠/٥٠ .
٥٦٧ — المهلهل بن ربيعة : سمط اللآلي للبكري ص ٢٩٩ .
٥٦٨ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٩٠ .
٥٦٩ — ليبد بن ربيعة : الديوان ١/٢١ ، وانظر الديوان نفسه ٩/٨ ، وديوان عمرو بن كلثوم ٣/٢٨ ، وص ٢٤١ من البحث .

القرضوب :

قوم إذا صرّحت كحلّ، يبوئهم عزّ الدليل ومأوى كلّ قرضوب^(٥٧٠)
العائل^(٥٧١) :

العديم أو المعدم :

بني متى ما هلكت وأنت حيّ فلاتحريم فواضلك العديم^(٥٧٢)
فلا وأبيك ماحي كحيّ لجار حلّ فيهم أو عديم^(٥٧٣)
ماويّ بل لست برعديدة أبلخ رجّاد على المغديم^(٥٧٤)

المحل :

ومأوى اليتامى المحلين إذا انتهوا إلى بابه شعناً وقد قحط القطر^(٥٧٥)

ويسمى الشعراء المحتاجين إلى الطعام، مثل : الجائع والجمع جياع أو جوع :

سلي الجائع الغرّان يا أمّ منذر إذا ما أتانني بين ناري ومجزري
هل أبسط وجهي أنه أول القرى وأبذل معروفني له دون منكري^(٥٧٦)
فيما لثعلبة بن عوف جفنة يأوي إليها في الشتاء الجوع^(٥٧٧)
أن نعم معترك الجياع إذا تحبّ السفير ومأوى البائس البطن^(٥٧٨)

وقد ترد كلمات مرادفة لكلمة الجائع « كالساغب » :

أصبرها وبني عمي ساغب فكفاك من إبة عليّ وعاب^(٥٧٩)

٥٧٠ — سلامة بن جندل : الديوان ٢٤/١ .

٥٧١ — انظر : يزيد بن مخرم : معجم الشعراء للمرزباني ص ٤٨٠ ، وص ٢٥٦ من البحث .

٥٧٢ — أبو قيس صيفي بن الأسلت : الديوان ص ٨٨ .

٥٧٣ — ليبد بن ربيعة : الديوان ١٣/١٣ .

٥٧٤ — ضمرة بن ضمرة : شعر تميم ٣/١٣٤ .

٥٧٥ — سلمة بن مالك : الأشباه والنظائر للخالدين ج ٢ ص ٣٤٤ .

٥٧٦ — حاتم الطائي : الديوان ١/١١٣ — ٢ ، وانظر الديوان نفسه ١٩/٣ .

٥٧٧ — الأفوه الأودي : الديوان ص ١٩ .

٥٧٨ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ١٢٢ . وانظر : طفيل الغنوي : أشعاره ١١٤ .

٥٧٩ — ضمرة بن ضمرة : شعر تميم ٣/١٢٤ .

ب - السائلون: يستخدم الشعراء للدلالة على السائلين التعابير الآتية: الباغي، والمجتدي والخابط والراجي والسائل والمعتز والعاري والعافي:

الباغي: يذكر الشعراء نوع العطاء الملتبس عندما يربطون بين «الباغي» و«القرى» أو «المبيت» أو «المعروف» أو «النعمة» أو «الخير»:

ولقد أجازي أهل كل حويس ^(٥٨٠)	ولقد أليز لكل باغي نعمة
والسائلون إلى أبوابه طرقاً ^(٥٨١)	قد جعل المبتغون الخير في هرم
عليها معدّ وهم سيرٌ وأنخيار ^(٥٨٢)	وعندهم يُبتغى المعروف قد علّمت
من الليل سيجفاً ظلمة وكسورها ^(٥٨٣)	ومستبحر يُبغى المبيت ودونه

الجادى والمجتدي: يربط الشعراء بين «المجتدي» و«المال» أو «المعروف» أو «الطعام» ليبينوا نوع العطاء:

مالي ويكرهني ذوو الأضغان ^(٥٨٤)	إنني ليحمدني الخليل إذا اجتدي
وهم لمن يجتدي المعروف أنهار ^(٥٨٥)	نجوم مكة يُستسقى الغمام بهم
للحم. وأن لا يدروا قدح رادف ^(٥٨٦)	جديرون ألا يجسوا مجتديهم

وقد ترد كلمة «المجتدي» مجردة تدل على أن السائل يطلب عطاءً شاملاً:

قليل الوفر مجتدياً حبانى ^(٥٨٧)	فتسى إن جئت مرتغباً إليه
وذو الرحم الذي قد يجتديني ^(٥٨٨)	يُخبّرُك المعاشرُ والمُصافى

الخابط أو المختبط: لا يسمى نوع العطاء الملتبس من قبل «الخابط» أو «المختبط»

-
- ٥٨٠ — عبد الله بن سليم: قصائد جاهلية نادرة ص ٢٠٧ .
 ٥٨١ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٤٩ .
 ٥٨٢ — الأعشى بن النباش: شعر تميم ٥/١٤ .
 ٥٨٣ — شريح بن الأصوص: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٧٥٢ . وانظر: أهبان بن همام الأسدي: الحماسة البصرية ١/٢٥٣، وبشر بن أبي خازم: الديوان ٥/١٧ وص ٢٤٨ من البحث، وعبيد بن عبد العزى: قصائد جاهلية نادرة ص ١٣٤ .
 ٥٨٤ — عدي بن الرّعاء: معجم الشعراء للمرزباني ص ٨٦ .
 ٥٨٥ — الأعشى بن النباش: شعر تميم ٦/١٤ .
 ٥٨٦ — المرقش الأكبر: المفضليات ٣/٥٠ .
 ٥٨٧ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ٣٥٨ .
 ٥٨٨ — حاتم الطائي: الديوان ٢/١٠٢ . وانظر: بشر بن أبي خازم: الديوان ٥/٣٦ .

وليسَ مانعٌ ذي قرْبى ولا نسبٍ يوماً ولا مُعْدماً من خابط ورقاً^(٥٨٩)
 ليكٍ على الثَّعْمانِ شربٌ وقينةٌ ومُخْتَبِطَاتٌ كالسَّعَالِي أرامِلُ^(٥٩٠)
 إلا يَكُنْ ورقٌ يوماً أراحَ به للخاطِبتَيْنِ فإِنِّي لَينَ العودِ^(٥٩١)

وقد يذكر العطاء عندما يربط الشعراء بين « الخابط » و « الأجرد » أو « الإبل » :

ومُخْتَبِطٍ قَدْ جاءَ أو ذي قرابة فما اعتذرتُ إبلي عليه ولا نفسي
 حَبَسْنَا ولم نَسْرَحْ لكي لا يلوئنا على حكمِهِ صَبْرًا مُعوَّدةَ الحَبْسِ^(٥٩٢)

الراجي : يذكر العطاء الملتبس على أنه عام حين يربط الشعراء بين « رجا » و « الندى » أو « السيب » أو « الإبل » :

على قبر من يرجى نداءه ويبتغى قراه إذا لم يحمِد الأرض حامداً^(٥٩٣)
 فإنَّ الذي يرتجى سَيُّئُهُ إذا مائِحلٌ عليه اختياراً^(٥٩٤)
 لعمرى لنعم المرء قيسٌ إذا انتهى إلى بابهِ راجٍ له ليس يَحْبِسُ^(٥٩٥)

السائل : ترد مشتقات مادة « سأل » مجردة ، دون تسمية الأشياء المرجوة :

لا يَنْكُتُونَ الأرضَ عِنْدَ سؤالِهِم لتلمسِ العِلَّاتِ بالعيْدانِ^(٥٩٦)
 إذا أتاه سائلٌ لا يَحْمَدُ إذا أتاه سائلٌ لا يَحْمَدُ^(٥٩٧)
 من يسأل الناسَ يحرموه وسائلُ الله لا يَخِيبُ^(٥٩٨)

-
- ٥٨٩ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٥٣ .
 ٥٩٠ — لبيد بن ربيعة : الديوان ١٢/٣٦ .
 ٥٩١ — بشامة بن الغدير : الأغاني ج ١٠ ص ٣١٢ . وانظر : الحارث بن ضرار : الحماسة البصرية ج ١ ص ٢٦٩ .
 ٥٩٢ — منصور بن مسجاح : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٧٣٥ . وانظر : عمرو بن قميئة : الديوان ٣/٨ وص ٢٢٥ من البحث .
 ٥٩٣ — أهبان بن همام : الحماسة البصرية ج ١ ص ٢٥٣ .
 ٥٩٤ — الأعشى الكبير : الديوان ٣٦/٥ .
 ٥٩٥ — التلمس الضيعي : الديوان ١٠/١٤ .
 ٥٩٦ — أمية بن أبي الصلت : الديوان ٣/٩١ .
 ٥٩٧ — بشر بن أبي خازم : الديوان ٤/١٣ .
 ٥٩٨ — عبيد بن الأبرص : الديوان ٢٤/٥ ، وانظر الديوان نفسه ٢١/٣٩ وص ٢٣٦ من البحث ، وزهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٤٩ وص ٢٦٠ من البحث .

وقد يربط الشعراء بين مشتقات «سأل» و«بخل» :

لَا يُقَالُ الْفُحْشُ فِي نَادِينَا لَا، وَلَا يَخْلُ فِينَا مَنْ يُسَلُّ (٥٩٩)

ويذكر نوع العطاء الملتبس مع مشتقات مادة «سأل»، عندما يربطها الشعراء بكلمات :
«الخير» أو «المعروف» أو «المال»

فَذَاكَ وَلَمْ تُحَرِّمْ طِفِيلَ بْنَ مَالِكٍ وَكُنَّا مَتًى مَا تُسَالِ الْخَيْرَ نَفْعَلُ (٦٠٠)
فَإِنْ يَتَّبِعُوا أُنْمَرَةً يَرُشُّدُوا وَإِنْ يَسْأَلُوا مَالَهُ لَا يَضِيزُنْ (٦٠١)
أَمَاوِيَّ إِنِّي لَا أَقُولُ لِسَائِلِ إِذَا جَاءَ يَوْمًا حَلَّ فِي مَالِنَا نَزَرُ (٦٠٢)

المعتز والعمري : وهذه كلمات ترتبط بكلمة «الندى» :

نَهْرًا جَارِيًا وَيَتِيًّا عَلِيًّا يَعْتَرِي الْمُعْتَفِينَ فَضْلُ نَدَاكَ (٦٠٣)
إِلَى يَتٍ مِنْ يَعْتَرِيهِ النَّدَى إِذَا النَّفْسُ أَعْجَبَهَا مَالُهَا (٦٠٤)
مَنْ لَا يَعِزُّ وَلَا يُوْذِي عَشِيرَتَهُ وَلَا نَدَاهُ عَنِ الْمُعْتَرِّ مَعْدُولُ (٦٠٥)

وقد ترد هذه الكلمات مجردة :

أَبَى الْخَفْضَ مَنْ يَعْشَاكَ مِنْ ذِي قَرَايَةٍ وَمِنْ كُلِّ سَوْدَاءٍ الْمَعَاصِمِ تُعْتَرِي (٦٠٦)
فَقُلْتُ بِحَسْبِهَا يَسْرٌ وَعَار وَمَرْتَحِلٌ إِذَا رَحَلَ الْوَفُودُ (٦٠٧)

العمري : يُذكر نوع العطاء مع العمري غير مرة، عندما يربط الشعراء بين «العمري» أو «المعتفي» و«المال» أو «القرى» أو «الجفان» أو «الإبل» :

٥٩٩ — طرفة بن العبد : الديوان ٢/٧٩ . وانظر الأعشى الكبير : الديوان ٢٤/٣ .

٦٠٠ — طفيل الغنوي : أشعاره ٤٠/٦ .

٦٠١ — الأعشى الكبير : الديوان ٣٦/٢ .

٦٠٢ — حاتم الطائي : الديوان ٣/٣٦ .

٦٠٣ — أمية بن أبي الصلت : الديوان ٢/٥٢ .

٦٠٤ — الأعشى الكبير : الديوان ٤٣/٢١ .

٦٠٥ — الأعشى بن النباش : شعر تميم ٨/١٨ .

٦٠٦ — عروة بن الورد : الديوان ١١/٣ .

٦٠٧ — الأسود بن يعفر : الديوان ٢/١١ . وانظر : حاتم الطائي : الديوان ٩/٥٠ ، وزهير بن أبي سلمى :

الديوان ص ١١٤ .

وَيَحْمَدُ الْعَافِي قَرَأْتُمْ إِذَا
إِذَا مَا أَلْزَمُوا وَلَقَدْ أُنَادِي
إِنِّي أَمْرٌ عَافِي إِنَائِي شَرَكَةٌ
وَلَهُ جَفَانٌ يَدْجُونَ بِهَا
فَقُتِلَ عَفَاتِي مَكْرَمِينَ وَطَائِحِي

مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَيِّ مَحْلُوبٌ (٦٠٨)
لِعَافِيهِمْ بَنَاجِرَةُ الْحَقَّاقِ (٦٠٩)
وَأَنْتَ أَمْرٌ عَافِي إِنَائِكَ وَاحِدٌ (٦١٠)
لِلْمَعْتَفِينَ وَلِلَّذِي يَسْهَرِي (٦١١)
فَرِيقَانِ: مِنْهُمْ بَيْنَ شَاوِرٍ وَقَادِرٍ (٦١٢)

وقد يشار إلى أن العطاء المطلوب شامل:

يَطُوفُ الْعُفَاةُ بِأَبْوَابِهِ
يَعَاصِي الْعَوَازِلَ طَلَّقَ الْيَدَيْنِ
يَنْزَعْنَ إِمَّةً أَقْسَامَ لَذِي كَرَمٍ

كَطُوفِ النَّصَارَى بَيَّتِ الْوُثْنَ (٦١٣)
يُرَوِّي الْعَفَاةَ وَيُرْخِي الْإِزَارَ (٦١٤)
بِحَرْ يَفِيضُ عَلَى الْعَافِينَ إِذْ عَدَمُوا (٦١٥)

وقد اعتنى الأجواد بأشخاص محتاجين مختلفين، يرد ذكرهم في الشعر الجاهلي «كالجانب» و«الطريد» و«الكفاء»:

يُثُوبُ عَلَيْهِمْ كُلُّ ضَيْفٍ وَجَانِبٍ
رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَهْمٍ بَنَ عَمْرٍو

كَأَنَّ دَهْدَاهُ الْقِلَاصِ تَضِيحُهَا (٦١٦)
إِلَى أُنْيَاتِهِمْ يَأْوِي الطَّرِيدُ (٦١٧)

- ٦٠٨ — زهير بن مسعود: قصائد جاهلية نادرة ص ٩٤ .
٦٠٩ — عدي بن وداع: قصائد جاهلية نادرة ص ٦١ .
٦١٠ — عروة بن الورد: الديوان ١/١١ .
٦١١ — المسيب بن علس: شعره ٣٨/٩ .
٦١٢ — حاتم الطائي: الديوان ٧/٣١، وانظر عيد الله بن سليم الأزدي: قصائد جاهلية ص ٢٠٣ وص ٢١٣ من البحث .
٦١٣ — الأعشى الكبير: الديوان ٥١/٢ .
٦١٤ — المصدر نفسه ١٤/٥ .
٦١٥ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ١٦٠، وانظر الديوان نفسه ص ١٣٩، والأسعر الجعفي: سبط اللآلي للبكري ص ٩٦٠، وأميرة بن أبي الصلت: الديوان ٢/٥٢، ويشامة بن الغدير: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٦٨٥. بشر بن عمرو: المفضليات: ١٣/٧١، وجنوب أخت عمرو ذي الكلب: ديوان الهذليين ج ٣ ص ١٢٣، وزيد بن حصين: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٥/٥٣٧، وعامر بن الطفيل: الديوان ٢/٨، وعدي بن وداع: قصائد جاهلية نادرة ص ٥٢، وعنتيك ابن قيس: معجم الشعراء للمرزباني ص ١٧٥ .
٦١٦ — عمرو بن قميئة: الديوان ١٦/٢ .
٦١٧ — ثعلبة بن عبد العزيز: الحماسة الشجرية ٢/٣ .

وَإِذْكَ سَنَا نَارَ النَّدَى عَلَى ضَوْءِهَا يَجِيءُ بِمَقُورٍ أَوْ طَرِيدٍ مُشَرَّدٍ (٦١٨)

وفي حين لم يذكر بالارتباط مع «الجانب» و«الطريد» سوى «المأوى»، فإن «الكفاء» كان يمنح الهدايا الثمينة «كالإبل» أو «الخير» الشامل، ويوضع في مكانة الجار والقريب:

نَحَابِي بِهَا أَكْفَاءُنَا وَنُھِنُّهَا وَنَشْرَبُ فِي أَمَانِهَا وَنَقَامِرُ (٦١٩)
خَيْرُ حَيٍّ مِنْ مَعَدٍّ عَلِمُوا لِكَفِيِّ الْجَارِ وَابْنِ عَمِّ (٦٢٠)

٣ - اليتامى:

تصور العناية باليتامى تصويراً عاماً، أو يربط الشعراء بين «اليتامى» وبعض التعابير المجازية «كالربيع» و«الندى»:

وَرُبِّيتَ أَيْتَاماً وَأُلْحَقْتَ صَبِيَةً وَأَدْرَكَتْ جَهْدَ السَّعْيِ قَبْلَ عَنَائِكَ (٦٢١)
غَيْثُ الْأَرَامِلِ وَالْأَيْتَامِ كُلُّهُمْ لَيْتَمُكَ ابْنُ كَلْثُومٍ فَقَدْ حَانَ يَوْمُهُ لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ إِلَّا ضَرًّا أَوْ نَفْعاً (٦٢٢)
يَتَامَى وَأَضْيَافٌ وَكُلُّ مُضْبِعٍ (٦٢٣)

وقد يبين ما يقدم لليتيم عندما يربط الشعراء أحياناً بين «اليتامى» و«الجزور» أو «القرى»:

عَلَى أَنْ لَيْسَ عَدِلاً مِنْ كُتَيْبٍ إِذَا طَرَدَ الْيَتِيمَ عَنِ الْجَزُورِ (٦٢٤)
رَأَيْتُ الْيَتَامَى لَا يَسُدُّ فَقُورَهُمْ قَرَانَا لَهُمْ فِي كُلِّ قَعْبٍ مُشْعَبٍ (٦٢٥)
وَجَفَنِي كَنْضِيحَ الْبُحْرِ مَتَأَمَةً تَرَى جَوَانِبَهَا بِاللَّحْمِ مَفْتُوقَا يَسْرِتْهَا لِيَتَامَى أَوْ لِأَرْمَلَةٍ وَكَلَّتْ بِالْبَائِسِ الْمَتْرُوكِ مَحْقُوقَا (٦٢٦)

-
- ٦١٨ — عبادة بن جُعْشُم: معجم الشعراء للمرزباني ص ١٦٩ .
٦١٩ — سَبْرَةُ بْنُ عَمْرٍو الْفَقْعَسِي: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٤/٦٠ .
٦٢٠ — طرفة بن العبد: الديوان ٥/١٢ .
٦٢١ — الأعشى الكبير: الديوان ٢٨/١١ .
٦٢٢ — المصدر نفسه ٤٦/١٣ .
٦٢٣ — الأسود بن عمرو بن كلثوم: ديوان عمرو بن كلثوم ١/٢٥ . وانظر: سلمة بن مالك الجعفي: الأشباه والنظائر للخالدين ج ٢ ص ٣٤٤، وعبد الله بن سليم: الوحشيات لأبي تمام ١/٢٠٢، وعبيد بن الأبرص: الديوان ١٦/٤٧ . والناطقة الذبياني: الديوان ٢/٥٧ وص ٢٣٩ من البحث .
٦٢٤ — المهلهل بن ربيعة: شعراء النصرانية للويس شيخوخ ج ١ ص ١٦٩ .
٦٢٥ — السموأل: الديوان ص ٤٣ .
٦٢٦ — الأسود بن يَغْفَر: الديوان ٥/٤٦ — ٦ .

وتأتي كنية «أبي الأيتام» مرتبطة بالرعاية الشاملة، دون أن يبين ما يفعله من خير أو يقدمه من عطاء:

ثوى عند الودّية جوف بضرى أبو الأيتام والكّل العجاف^(٦٢٧)
٤ — الجيران والمجاورون:

يرد اللفظان «الجار» و«المجاور» مجردين، وقد يذكر معهما أن العطاء شامل عام:

والجار أوصيكم بالجار إن له يوماً من الدهر يثنيه فينصرف^(٦٢٨)
وجارك لا يمتنّي عليّ — له إلا التي هو يقتالها^(٦٢٩)
قد يسعدّ الجار والضيف الغريب بنا والسائلون ونغلي ميسر النيب^(٦٣٠)
يانضل للضيف الغريب وللجار المضيم وحامل الغرم^(٦٣١)
لا تطرق الجارات من بعد هجعة من الليل إلا بالهدية تحمل^(٦٣٢)

وقد يذكر أحياناً نوع العطاء، فيربط الشعراء بين «الجار» و«الزاد» أو «اللحم» أو «التلاد»:

وجزور أيسار دعوت لحفها بمغالق متشابهه أجسامها
أدعو بهنّ لعافر أو مطفل — بذلت لجيران الجميع لحامها
فالضيف والجار الجنيب كأنما هبطا تبالة مخصباً أهضامها^(٦٣٣)
ويُسئل أن أرى جارات بيتي يجعن وأن أرى أهلي شباعا^(٦٣٤)
تبيتون في المشتى ملاء بطونكم وجاراتكم غرثي يثنّ خمائصا^(٦٣٥)

٦٢٧ — امرؤ القيس: الديوان ١/٩٠. وانظر: أمية بن أبي الصلت ١/٢٠.

٦٢٨ — الأعشى الكبير: الديوان ٦/٦٢.

٦٢٩ — المصدر نفسه ٧/٢١.

٦٣٠ — سلامة بن جندل: ذيل الديوان ٩/٥.

٦٣١ — الجُمَيْح الأسدي: المفضليات ١٢/١٠٩.

٦٣٢ — حاتم الطائي: الديوان ١/٦٤.

٦٣٣ — لبيد بن ربيعة: الديوان ٧٣/٤٨ — ٧٥.

٦٣٤ — عدي بن زيد: الديوان ١/٨٤.

٦٣٥ — الأعشى الكبير: الديوان ١١/١٩، وانظر: الأفوه الأودي: الديوان ص ١٧، وسنان بن أبي حازمة:

المفضليات ٤/١٠١، والشتري: المفضليات ٧/٢٠ وص ٢٣٠ من البحث، وعارق الطائي:

الوحشيات لأبي تمام ٢/٤١٤، وعبيد بن الأبرص: الديوان ١٦/١٢ وص ٢١٣ من البحث، وعبيد

ابن عبد العزّي: قصائد جاهلية نادرة ص ١٣٢ وص ٢٢١ من البحث.

٥ - الأقارب والأصدقاء :

شملت رعاية الأجواد الأقرباء والأصدقاء، واستعمل الشعراء للدلالة على الأقرباء التعابير من مثل الحمي وذو القرني أو ذي رحم أو ذي نسب والعشيرة :

الحمي : ترد كلمة الحمي مرتبطة بعطاء شامل :

ليبيك الضيف والمجالس والـ حي المخوي وطامع طمعاً (٦٣٦)
فنعم مناخ الحمي كان إذا انبرث شمال وأمسث لا يُعرجها سحر (٦٣٧)

ذو قرني وذو نسب وذو رحم وأهل قرابة : لدى هذه التعابير يشار إلى أن العطاء عام، وتستعمل غالباً إلى جانب مادة « وصل »، وقد يذكر أن العطاء « كالإبل » و « المال » (٦٣٨) :

العشيرة : يشير الشعراء إلى أن الأجواد يعتنون بالعشيرة عناية عامة، دون أن يحددوا نوعية العطاء أو العناية :

أنني حمدتُك للعشيرة إذ جاءت إليك مُرقة العظم (٦٣٩)
ينول العشيرة ما عنده ويغفر ما قال جهاها (٦٤٠)

أما التعابير التي يطلقها الشعراء على الأصدقاء فهي : الخل والصاحب والصديق والمولى، وهم يذكرونها غالباً مرتبطة بعطاء غير محدد :

علقم ياخير بنسي عامر للضيف والصاحب والزائر (٦٤١)

وقد يسمي الشعراء عطايا نفيسة حين يربطون بين هذه التعابير و « الإبل » أو « المال » :

٦٣٦ — بشر بن أبي خازم : الديوان ١٧/٢٦ .

٦٣٧ — سلمة بن مالك : الأشباه والنظائر للخالدين ٣٤٣/٢، وانظر : أوس بن حجر : الديوان ٦/٤١

وص ٢٢١ من البحث، وليد بن ربيعة : الديوان ٢/٢١ .

٦٣٨ — انظر مادة وصل ص ٢٥٢ من البحث .

٦٣٩ — طرفة بن العبد : الديوان ٨/٧ .

٦٤٠ — الأعشى الكبير : الديوان ٤٦/٢١ .

٦٤١ — الأعشى الكبير : خزانة الأدب للبغدادي ج ٣ ص ٤٠٢ . وانظر ذو الإصبع العدواني : المفضليات

٦/٣١ وص ٢٥٠ من البحث، وزهير بن أبي سلمى : الديوان ص ٩٠ وص ٢٦٥ من البحث،

وعبيد بن عبد العزى : قصائد جاهلية نادرة ص ١٣٢ وص ٢٢١ من البحث، وعدي بن زيد :

الديوان ٣٨/٢٣ وص ٢١١ من البحث، وعدي بن وداع : قصائد جاهلية ص ٥٢ وص ٢٢٦ من

البحث .

لَنَا إِبِلٌ لَمْ تُهِنْ رَهْماً كَرَامَتُهَا وَالْفَتَى ذَاهِبٌ
هَجَانٌ تَكَافَأَ فِيهَا الصَّدِيقُ وَيُذْرِكُ فِيهَا الْمُنَى الرَّائِبُ (٦٤٢)

ومن جملة الأصدقاء مجموعة من الأشخاص أطلق عليهم اسم «الفتيان»، و«الندامي»، وقد شملتهم رعاية الأجواد الذين دعوهم إلى مجالس الشراب، لذا فإن الكلمتين: «الفتيان» و«الندامي» تردان مرتبطتين «بالخمر»:

ليبك الشُّرْبُ والمدامةُ والـ فتيانٌ طُراً وطامعٌ طمعاً (٦٤٣)
لقد أصبحَ الفتيانُ صهباءَ صفوةً معتقةً صِرْفاً إذا الذِّيكُ أسحراً (٦٤٤)
وفتيانٍ صدقٍ قد غَدَوْتُ عليهمُ بلا دَخْنٍ ولا رجيعٍ مُجَنَّبٍ (٦٤٥)
فلَرُبُّ فتيانٍ صَبَّحَتْهُمْ من عاتقٍ صهباءٍ في الخرسِ (٦٤٦)
وكأسٍ كعينِ الذِّيكِ بأكْرَتْ حَدُّهَا بفتيانٍ صدقٍ والنواقيسُ تُضْرَبُ (٦٤٧)
وزقٌ قد جررتُ إلى الندامي وزقٌ قد شربتِ وقد سقيتِ (٦٤٨)
ونذمانِ يَزِيدُ الكأسَ طيباً سَقَيْتُ إذا تَعَرَّضَتْ النُّجُومُ (٦٤٩)
وقد سبأتُ لفتيانٍ ذوي كرمٍ قبلَ الصِّباحِ ولما تُقْرِعِ النُّفُسُ (٦٥٠)

٣ — رموز الضيافة وبعض الصيغ المحكمة:

١ — رموز الضيافة:

يذكر الشعراء رموزاً معينة للجود، وقد عدت دلالة على حسن الضيافة، وهذه الرموز هي:

النار والبرماد والكلب وأدوات الطعام:

- ٦٤٢ — خَزَار بن عمرو: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٧٣٤ — ٢٢. وانظر: أرتد بن قيس: أشعار العامريين الجاهليين ٤/١٢٢ وص ٢٤٥ من البحث، وزهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٣٤٧ وص ٢١٢ من البحث.
- ٦٤٣ — أوس بن حجر: الديوان ١١/٢٦.
- ٦٤٤ — امرؤ القيس: الديوان ٦/٦٠.
- ٦٤٥ — ليبد بن ربيعة: الديوان ١٠/٢.
- ٦٤٦ — زهير بن مسعود: قصائد جاهلية ص ٨٩.
- ٦٤٧ — الأعشى الكبير: الديوان ١٣/٣٠.
- ٦٤٨ — السموءل: الديوان ص ٤٩.
- ٦٤٩ — البرج بن مُسْهَر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٤٨٤.
- ٦٥٠ — الأسود بن يَغْفَر: الديوان ٢٦/٣٣.

١ — النار : يرد ذكر النار مرتبطاً « بالندى » أو « القرى » أو « الأجواد » :

تُسَبُّ لمَقْرُورَيْنِ يَصْطَلِيَانِهَا ويات على النار الندى والمخلُّ (٦٥١)
فَقُلْتُ لَهُ أَقْبَلْ فَإِنَّكَ رَاشِدٌ وإن على النار الندى وابن ثامل (٦٥٢)
لنعم الفتى تعشوا إلى ضوءِ ناره طريف بن مال ليلة الجوع والخصر (٦٥٣)

وترد كلمة النار مرتبطة ببعض الكلمات مثل : « أوقد » أو « شب » ، أو « أذكى » أو « رفع »
أو « حش » أو « أثار » أو « أضاء » :

وتوقد باليفاع الليل ناري تحش ولا يحس لها خبوت (٦٥٤)

توسّع قليلاً أو يكن ثم حسينا وموقدُها البادي أعف وأحمد (٦٥٥)
إني حمدت بني شيان إذ خمدت نيران قومي وفيهم شبت النار (٦٥٦)
ماذا ترجون إن أودى ربيعكم بعد الإله ومن أذكى لكم نارا (٦٥٧)
ولرفعي على الرباوة ناري علماً للمضلل والليل داج (٦٥٨)
رفعت له ناري فلما اهتدى بها زجرت كلابي أن يهر عقورها (٦٥٩)
أبكي لعبدي الله إذ حشت قبيل الصبح ناره (٦٦٠)
لعمري لقد لاحت عيون كثيرة إلى ضوء نار في يفاع تحرق (٦٦١)
ولما أضأنا النار عند شوائسنا عرانا عليها أطلس اللون بئس (٦٦٢)

-
- ٦٥١ — الأعشى الكبير : الديوان ٥٢/٣٣ .
٦٥٢ — حماس بن ثامل : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٧٤٨ .
٦٥٣ — امرؤ القيس : الديوان ١/٢٥ . وانظر : الأقوه الأودي : الديوان ص ٢٠ وض ٢٤٨ من البحث ، وعباءة ابن جعثم : معجم الشعراء للمرزباني ص ١٦٩ وض ٢٤٨ من البحث وليبد بن ربيعة : الديوان ٧٢/٣٥ وض ٢٥٤ من البحث .
٦٥٤ — عدي بن حرشة : معجم الشعراء للمرزباني ص ٨٥ .
٦٥٥ — حاتم الطائي : الديوان ١٧/٦٤ .
٦٥٦ — يزيد بن حمان : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٩٣ .
٦٥٧ — عدي بن زيد : الديوان ٢٤/٦ .
٦٥٨ — المصدر نفسه ٣/١٨ .
٦٥٩ — شريح بن الأحوص : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٧٥٢ .
٦٦٠ — العوراء ابنة سبيع : المصدر نفسه ١/٣٩٥ .
٦٦١ — الأعشى الكبير : الديوان ٥١/٣٣ .
٦٦٢ — المرقش الأكبر : المفضليات ١٤/٤٧ .

أنار أيننا غير أن ضيافه قليل وقد يُؤووا إليها فيكثر (٦٦٣)

وقد ترد كلمة «النار» مجردة:

ومرهق النيران يحمّد في الـ لأواء غير ملّعن القدر (٦٦٤)

وتعد كلمة «أحمد» رمزاً للبخل، وتذكر مجردة، أو مرتبطة بكلمة النار:

صَبَرْتُ على وطء الموالي وخطهم إذا ضنّ ذو القربى عليهم وأحمد (٦٦٥)

٢ — الرماد: ينظر إلى الرماد على أنه رمز للضيافة، ويأتي هذا التعبير مرتبطاً «بالقدر» أو «النار»، ويوصف دائماً بأنه «ضخم» أو «عظيم»:

عظيم رماد القدر لا متعبس ولا مؤيسّ منها إذا هو أوقدا (٦٦٦)

عظيم رماد النار يُحمّد أمرّة وذو شيمة محض كريم المضارب (٦٦٧)

أليسوا خير من ركب المطايا وأعظمهم إذا اجتمعوا رمادا (٦٦٨)

٣ — الكلب: يأتي ذكر الكلب بطرق مختلفة، وهو يرمز إلى الضيافة، وترتبط كلمة «الكلب» بالأشخاص المحتاجين الذين يقلدون نبح الكلاب ليستدلوا على خيمة الأجواد مثل: «الضيف» أو «الساري» أو «الطارق»:

٦٦٣ — أبو دواذ الإبادي: شعره ١/٣٣ وقد ورد البيت هكذا نقلاً عن مخطوط كتاب الشعر للفارسي. وانظر: الأسود بن يَغْفَر: الديوان ١/٥٥، وحاتم الطائي: الديوان ٢/١٨، ١٤/٢٠، ١٦/٦٤، ٣/٦٦، ١/٧٤ — ٣، ١/١١٤، والحارث بن حلزة: الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٢٣٩، وحماس بن ثامل: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٧٤٨، وعبّاءة بن جُعْشُم: معجم الشعراء للمرزباني ص ١٦٨، وعبد قيس بن خُفاف: شعر تميم ٥/١٤٤ — ٦، وعدي بن زيد: الديوان ١/٢٢، وعوف بن الأحوص: أشعار العامريين الجاهليين ٢/٦٠.

٦٦٤ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٩١، وانظر: الأعشى الكبير ٢٣/٣٦، وامرؤ القيس: الديوان ١٠/٣٢، وعبد يَغُوث بن وقّاص: المفضليات ٢٠/٣٠.

٦٦٥ — عمرو بن قميئة: الديوان ١٠/١. وانظر: الأعشى الكبير: الديوان ١٠/٨٢، وأوس بن حجر: الديوان ٢/٧، وحاتم الطائي: الديوان ١٦/٦٤، والسموئل: الديوان ص ١٧ وص ٢٦٢ من البحث، وعبد قيس بن خُفاف: شعر تميم ٦/١٤٤، وعوف بن الأحوص: أشعار العامريين الجاهليين ٧/٦٠، والمثقب العبدى: الديوان وزيد بن جُمّان: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٩٣.

٦٦٦ — عمرو بن قميئة: الديوان ٨/١.

٦٦٧ — أبو قيس صيفي بن الأسلت: الديوان ص ٦٧.

٦٦٨ — خالد بن مالك: شعر تميم ٤/٦٢، وانظر: أوس بن حجر: الديوان ٢/٧، وأهدم بن امرئ القيس: زهر الآداب للقيرواني ص ١٠٥٨.

أَيُّون لَا يَسْتَنْبِحُ الضَّيْفُ كَلْبَهُمْ طَرَوْقًا وَلَا يَعْطُونَ شَيْئًا عَلَى قَسْرِ (٦٦٩)
نَعَمْ مَحَلُّ الضَّيْفِ لَوْ تَعْلَمِينِيهِ بَلِيلٍ إِذَا اسْتَشْرِفْتُهُ النَّوَابِخُ (٦٧٠)
فَقُلْتُ لِأَهْلِي مَا بُغَام مَطِيَّةٍ وَسَارٍ أَضَافَتُهُ الْكِلَابُ النَّوَابِخُ (٦٧١)
وَمِثَالِي مَا قَدْ عَلِمْتَ وَمَا نَبَحْتُ كِلَابُكَ طَارِقًا مِثْلِي (٦٧٢)

إن المحتاج الذي يقلد نباح الكلاب يسمى «المستنبح»، ويذكر بالارتباط مع الظروف المرافقة «كالريح» أو «الليل»:

وَمُسْتَنْبِحٍ بَاتَ الصُّدَى يَسْتَبِيهُ إِلَى كُلِّ صَوْتٍ فَهَوَى فِي الرَّحْلِ جَانِحُ (٦٧٣)
وَمُسْتَنْبِحٍ فِي لُجٍّ لَيْلٍ دَعَوْتُهُ بِمَشْبُوءَةٍ فِي رَأْسِ صَمَدٍ مُقَابِلِ (٦٧٤)
وَمُسْتَنْبِحٍ تَسْتَكْشِفُ الرِّيحُ ثَوْبَهُ لَيْسَقُطَ عَنَّهُ، وَهُوَ بِالثَّوْبِ مُعْصِمُ (٦٧٥)
وَمُسْتَنْبِحٍ يَخْشَى الْقَوَاءَ وَدُونَهُ مِنْ اللَّيْلِ بَابَا ظِلْمَةٍ وَسُتُورِهَا (٦٧٦)
وَمُسْتَنْبِحٍ يَبْغِي الْمَبِيتَ وَدُونَهُ مِنَ اللَّيْلِ سَجْفَا ظُلْمَةٍ وَكُسُورِهَا (٦٧٧)

هذا وينظر إلى استمرار نباح الكلاب إذا ما قدم الضيوف على أنه رمز للبخل، وهنا نجد ارتباطاً بين: «الكلب» و«الضيف» و«هر»:

بَأْنِي لَا يَهْرُ الْكَلْبُ ضَيْفِي وَلَا يَقْضَى نَجْيُ الْقَوْمِ دُونِي (٦٧٨)
وَأَنْي لَا يَهْرُ الضَّيْفُ كَلْبِي وَلَا جَارِي يَبِيتُ خَبِيثَ نَفْسِي (٦٧٩)
رَفَعْتُ لَهُ نَارِي فَلَمَّا اهْتَدَى بِهَا زَجَرْتُ كِلَابِي أَنْ يَهْرَ عَقُورُهَا (٦٨٠)
إِذَا مَا يَخِيلُ النَّاسَ هَرْتُ كِلَابُهُ وَشَقُّ عَلَى الضَّيْفِ الضَّعِيفِ عَقُورُهَا

- ٦٦٨ — عاصم بن جويرية: شعر تميم ٥/١٤١.
٦٧٠ — حاتم الطائي: الديوان ١/٥١.
٦٧١ — عتبة بن ربيعة: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٦٧٤.
٦٧٢ — امرؤ القيس: الديوان ٢٢/٥٠.
٦٧٣ — عتبة بن ربيعة: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٦٧٤.
٦٧٤ — حماس بن ثامل: المصدر نفسه ١/٧٤٨.
٦٧٥ — المتلمس الضبيعي: الديوان ١/٣٧.
٦٧٦ — عوف بن الأحوص: أشعار العامرين الجاهليين ١/٦٠.
٦٧٧ — شريح بن الأحمص: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٧٥٢.
٦٧٨ — حاتم الطائي: الديوان ٣/١٠٢.
٦٧٩ — دريد بن الصمة: الديوان ٩/٣٤.
٦٨٠ — عوف بن الأحوص: أشعار العامرين الجاهليين ٢/٦٠.

فإني جبانُ الكلبِ يتي مُوطاً أجود إذا ما النفسُ شحَّ ضميرُها
وإنَّ كلابي قد أُقِرَّتْ وعُودُث قليلٌ على من يعتريني هريرها (٦٨١)
قدوري بصحراءَ منصوبةً وما ينبحُ الكلبُ أضيافِيسه (٦٨٢)
لما رأيتُ الناسَ هَرَّتْ كلابُهُم ضيرتُ بسيفي ساقٍ أفعى فخرت (٦٨٣)

٤ — أدوات الطعام: يعد الشعراء أدوات الطعام رمزاً للضيافة، واستعملوا لذلك «الجفنة» و«القدر»:

الجفنة: يستتج الباحث أن «الجفنة» تقدم إلى أشخاص محتاجين محددين، عندما يربطون بينها وبين «الحي» أو «الضيف» أو «الجار»...

وإني لأغشي أبعد الحي جفنتي إذا حرك الأطنابَ نكبأءَ خرَجَفُ (٦٨٤)
تنعى امرأً لا تغبُ الحي جفنته إذا الكواكب أخطأ نوعها المطرُ (٦٨٥)
من فقد مولى تصور الحي جفنته أو رزءُ مال، ورزءُ المال يُجْتَبَرُ (٨٨٦)
وقد تأتي كلمة الجفنة «مجردة»:

إذا ما غَشُوا الحَدَّادَ فُرق بينهم جفانٌ من الشيزى وراءَ جِفان (٦٨٧)
وقد يسمي الشعراء ما تحتويه الجفنة، وهو عادة أفضل أجزاء الناقة «كالشحم» أو «السنام» أو «السديف»:

إني أتممُ أيساري وأمنحهم — مثني الأيادي وأكسو الجفنةَ الأدما (٦٨٨)
فلقد أغوصُ بالخصم وقد — أملاً الجفنة من شحم القلِّ (٦٨٩)

-
- ٦٨١ — حاتم الطائي: الديوان ٧/٥٠ — ٩.
٦٨٢ — المصدر نفسه ١/٥٣.
٦٨٣ — المصدر نفسه ١/١٧.
٦٨٤ — المصدر نفسه ٦/٤٢ وانظر أيضاً ١٦/٦٨.
٦٨٥ — أعشى باهلة: شعره ١١/٤.
٦٨٦ — ليبد بن ربيعة: الديوان ١٥/٩. وانظر: الأسود بن يعفر ٦/٤٦، وطرفة بن العبد: الديوان ٥/١٦ — ٦، وعبيد بن الأبرص: الوحشيات لأبي تمام ٣/٢١٨ وص ٢٢٠ من البحث. والمسيب ابن علس: شعره ٣٨/٩.
٦٨٧ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٣٦٥.
٦٨٨ — النابغة الذبياني: الديوان ١٢/٦.
٦٨٩ — ليبد بن ربيعة: الديوان ١٤/٢٦.

وصبأ غداة إقامته وزعتها
 يروح فتى صدق ويغدو عليهم
 بجفان شيزى فوقهن سنام^(٦٩٠)
 بملء جفان من سديف يُدْفَق^(٦٩١)
 ويبين الشعراء أحياناً أن الجفنة ممتلئة أو عظيمة دون تسمية المحتوى، وهنا نجد الارتباط بين
 كلمة «الجفنة» و«ملاً» أو «عظيم».

ألا ذهب الحلال في القفرات
 وملاً الجفنة ملاً مدداً^(٦٩٢)
 المطعمون الجفنة المددعة
 سيوف حق وجفان مترعة^(٦٩٤)
 ومن يملأ الجفان في الحجرات^(٦٩٣)

وأعطوا حقوقاً ضمّوها وراثته
 ونسي القباب وملء الجفا
 مُثَرَّعُ الجفنة ريعي الندى
 عظام الجفان بالعشيات بالضحي
 وفي البيت ضخماء مملوءة
 عظام الجفان والصيام الخوافلا^(٦٩٥)
 ن والنار والخطب المُفَاد^(٦٩٦)
 حَسَنٌ مَجْلِسُهُ غَيْرُ لُطَم^(٦٩٧)
 مشايط للأبدان غير التوارف^(٦٩٨)
 وجفن على هَمَعٍ مُدْمَق^(٦٩٩)

القدر: يذكر أحياناً الأشخاص الذين يقدم إليهم القدر، من خلال الربط بين «القدر» و«الجار»
 أو «الضيف» أو «الفقير» أو «الناس»:

وماتشكي قنري إذا الناس أمحلو
 فلا وأبيك ما يطل ابن جارتني
 أوثفها طوراً، وطوراً أميرها
 يطوف حوآلي قدرنا ما يطورها^(٧٠٠)

-
- ٦٩٠ — المصدر نفسه ٩/٤٤ .
 ٦٩١ — الأعشى الكبير: الديوان ٥٨/٣٣ .
 ٦٩٢ — الخرنق بنت بلر: الديوان ١/٧ .
 ٦٩٣ — ليبد بن ربيعة: الديوان ٦/٢٠ .
 ٦٩٤ — المصدر نفسه ٩/٥٩ — ١٢ .
 ٦٩٥ — المصدر نفسه ٧٣/٣٥ .
 ٦٩٦ — امرؤ القيس: الديوان ١٠/٣٢ وانظر الديوان نفسه ١٨/٥٢ ، ٢/٩٤ .
 ٦٩٧ — المثقب العبدى: المفضليات ١٥/٧٧ .
 ٦٩٨ — المرقش الأكبر: المفضليات ١٤/٥٠ .
 ٦٩٩ — السموءل: الديوان ص ٢٧ .
 ٧٠٠ — حاتم الطائي: الديوان ١٠/٥٠ — ١٥ .

تَرى أَنَّ قَدْرِي لَا تَزَالُ كَانَهَا لَذِي الْفُرُوقِ الْمَقْرُورِ أُمُّ يَزُورَهَا (٧٠١)
فَقَدْ دَوَّرَهُ بِفَنَائِهِ لِلضَّيْفِ مَتَرَعَةً زَوَاحِرَ (٧٠٢)

وقد يبين محتوى «القدر» عندما يربطون بين كلمتي «القدر» و«السنام»، على أنهم غالباً ما يذكرون كلمة «القدر» دون أن يسموا المحتوى أو الأشخاص المحتاجين:

بَقِيَّةُ قَدَرٍ مِنْ قَدُورٍ تَوَرَّثَتْ لآلِ الْجُلَّاحِ كَابِراً عَنْ كَابِرِ (٧٠٣)

ويستعمل الشعراء بعض صفات الجفان على أنها أسماء كالخليج والرجح والردح والرح والدماء والمغررة:

غَدَاةٌ دَعَاهُ الْحَارِثَانِ وَمَسْهَرٌ فَلَا قِيَّ خَلِيجاً وَاسِعاً غَيْرَ أُخْرَمَا (٧٠٤)
وَيَكْلَلُونَ إِذَا الرِّيحُ تَنَاحَتْ خَلِجاً تُمَدُّ شَوَارِعاً أَيْتَامَهَا (٧٠٥)
وَإِذَا شَتَّوْا عَادَتْ عَلَى جِيرَانِهِمْ رَجَحٌ تَوَفِيهَا مَرَابِعٌ كَسُومٌ (٧٠٦)
إِلَى رُدْجٍ مِنَ الشُّبُزَى مِلَاءٍ لِبَابِ الْبُرِّ يُلَبِّكُ بِالشُّهَادِ (٧٠٧)
تَرَى الرُّحَّ مِنْ شُبُزَى لَدَى كُلِّ مَجْلِسٍ كَحَوْضِ الْأَضَى مِنْ بَعْدِ شَيْعِ الْمَعَارِكِ (٧٠٨)
لَهُ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ دَهْمَاءُ جَوْنَةٍ تَلْقَمُ أَوْصَالَ الْجَزُورِ الْعُرَاعِرِ (٧٠٩)
إِذْ لَا تَزَالُ لَكُمْ مَغْرَغْرَةٌ تَغْلِي وَأَعْلَى لَوْنَهَا صَهْرٌ (٧١٠)

ويسمى بعض الشعراء كنايات للجفنة مثل «شامية» و«أم بيضاء» و«سوداء»:

شَامِيَّةٌ لَمْ تُتَّخَذْ لِدَخَامَسٍ الْـ طَبِيخٌ وَلَا ذِمٌّ الْخَلِيطِ الْجَاوِرِ (٧١١)

-
- ٧٠١ — عوف بن الأحوص: أشعار الجاهليين العامريين ٦/٦٠ .
٧٠٢ — أمية بن أبي الصلت: الديوان ٣/٣٨ .
٧٠٣ — النابغة الذبياني: الديوان ٥/٤٠ . وانظر أعشى باهلة: شعره ٣٢/٤، وحاتم الطائي: الديوان ١/١٨، ١١/٥٠، ١/٥٣، وحجر بن حية: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١/٧٢٩، وزهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٩١، وطرفة بن العبد: الديوان ٥/١٧ . وليبد بن ربيعة: الديوان ١٤/٤٩ .
٧٠٤ — لبید بن ربيعة: الديوان ١٧/٤٢ .
٧٠٥ — المصدر نفسه ٧٧/٤٨ .
٧٠٦ — المصدر نفسه ٥١/١٥ .
٧٠٧ — أمية بن أبي الصلت: الديوان ٧/١٧ .
٧٠٨ — طرفة بن العبد: الديوان ٥/٦٧ .
٧٠٩ — النابغة الذبياني: الديوان ٤/٤٠ .
٧١٠ — عنترة بن شداد: الديوان ٣/٢٨ .
٧١١ — حاتم الطائي: الديوان ٨/٣١ .

وقلت لها يأم بيضاء فتية طعامهم من القدر المعجل (٧١٢)
وعاد فتى صدق عليهم بجفنة وسوداء لأياً بالمزادة ثم رُق (٧١٣)
وقد يكفي الشعراء بتسمية بعض لوازم الجفنة أو أدوات الطعام كالأثافي والمذانب والقعب والإناء والمراجل:

وجدنا أهـونَ الأموالِ هُلكاً وَجَدَكَ مائِصَّبَتْ له الأثافي (٧١٤)
ومذانب ما تستعار وجفنة سوداء عند نشيجها ما ترفع (٧١٥)
وكان اليتامى لا يسدّ اختلالهم هدايا لهم في كل قعب مشعب (٧١٦)
ومعرض تغلي المراجـل تحته عجلت طبخته لرهط جوع (٧١٧)

٢ — بعض الصيغ المحكمة:

تساق التعابير المحكمة الآتية للإشارة إلى هدف الجود واستقبال الضيوف وأيدي الأجواد التي تعد رمزاً للضيافة:

أ — اكتساب الحمد والشكر: يصف الشعراء فعل الجود الذي يشتركون به الشكر، ويستعملون لذلك «اشترى» و«التمن» و«الحمد» و«حسن الثناء» في صيغ محكمة مترابطة:

فتى يشتري حسنَ الثناء بماله ليقى وما أبقيتَ مثْلَ المحامد (٧١٨)
ومن يشتري حسنَ الثناء بماله يقولون: هذا خاسِرٌ وهو رابح (٧١٩)
المشتري حسنَ الثناء بماله وإذا توجّه مُعطياً لم يَحْبَس (٧٢٠)
ومن يَلتمسُ حُسْنَ الثَّناءِ بماله يَصُنُّ عِرْضَهُ من كلِّ شِئْءٍ مُوبِق (٧٢١)

-
- ٧١٢ — عروة بن الورد: الديوان ٦/٧.
٧١٣ — الأعشى الكبير: الديوان ٥٩/٣٣.
٧١٤ — قبيصة بن النضراني: شرح ديوان الحماسة ٤/٣٥٨.
٧١٥ — الأفوه الأودي: الديوان ص ١٩.
٧١٦ — حجية بن المضرب: الأغاني ج ٢ ص ٣١٨. وانظر السموءل: الديوان ص ٤٣ وص ٢٧١ من البحث.
٧١٧ — الحادرة: الديوان ٩/٣.
٧١٨ — لقيط بن زُرارة: شعر تميم ١/٢٢١.
٧١٩ — حاتم الطائي: ذيل الديوان ٢/٣، وانظر المصدر نفسه ٢/٦١، وص ٢١٢ من البحث.
٧٢٠ — أبو اللّحام التغلبي: ديوان عمرو بن كلثوم ١٤/٣٦.
٧٢١ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٢٥٢.

بأبي الأشعث قيس إنّه
تشتري الحمد بأعلى بيعه
ولكن على الحمد إنفاقه
وإني لأشري الحمد أبغي رباحه
والحمد لا يشتري إلا له ثمن
والمعطيان ابتغاء الحمد مألهمما
أقي العرض بالمال التلاد واشتري
وكم مشتر من ماله حسن صيته
أبت لي عفتي وأبى بلائي

يشتري الحمد بمنفوس الثمن (٧٢٢)
واشتراء الحمد أدنى للريح (٧٢٣)
وقد يشتريه بأعلى الثمن (٧٢٤)
وأترك قرني وهو خزيان ناعس (٧٢٥)
مما تضر به النفوس علوم (٧٢٦)
والحمد لا يشتري إلا بأثمان (٧٢٧)
به الحمد إن الطالب الحمد مشتري
لأيامه في كل مبدئ ومخضر (٧٢٨)
وأخذي الحمد بالثمن الريح (٧٢٩)

ب - حماية العرض : يسمى المال غير مرة على أنه وسيلة «لحماية العرض» «والحسب» ، ويرد مرتبطاً مع الأفعال «جعل» و«وقى» و«ذبح» و«بذل» و«صان» :

وأجعل مالي دون عرضي ، وإنني
وأجعل مالي دون عرضي جنة
أصون به عرض الكرام وأتقي
أجعل المال لعرضي جنة
أجعل مالي دون الدنيا غرضاً

كذلكم مما أفيء وأثلف (٧٣٠)
لنفسى فاستغني بما كان من فضل (٧٣١)
لثيماً إذا أكرمه رد عن عرضي (٧٣٢)
إن خير المال ما أدى الذمم (٧٣٣)
وما وهى ملامور فانصدعا (٧٣٤)

-
- ٧٢٢ — الأعشى الكبير : الديوان ٢٤/٧٨ .
٧٢٣ — المصدر نفسه ٢٢/٣٦ .
٧٢٤ — المصدر نفسه ٦٩/٢ .
٧٢٥ — الهذلول بن كعب : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٨/٢٣٩ .
٧٢٦ — علقمة الفحل : الديوان ٣٢/٢ .
٧٢٧ — حاجب بن حبيب : المفضليات ١٣/١١١ .
٧٢٨ — لبيد بن ربيعة : الديوان ٣/٨ — ٤ .
٧٢٩ — عمرو بن الإطناية : الاختيارين ٤/١٦ . وانظر : الأسود بن يعفر : الديوان ١/٢٣ ، وبشر بن أبي خازم : الديوان ٥/٢٤ وص ٢٢٥ من البحث ، وعبيد بن الأبرص : الديوان ١٦/١٢ وص ٢١٣ من البحث .
٧٣٠ — حاتم الطائي : الديوان ١١/٤٢ .
٧٣١ — المصدر نفسه ٤/٦ .
٧٣٢ — المصدر نفسه ٢/١١٥ .
٧٣٣ — المثقب العبدى : الديوان ٢٤/٦ .
٧٣٤ — ذو الإصبع العدواني : المفضليات ٦/٢٩ .

ونقي بآمن مالنا أحسابنا
أموالنا نقى النفوس بها
وماخير مال لا يقى الذم ربه
لأنقى بالأحساب مالا ولكن
ذريني يكن مالي لعرضي وقاية
بنّي ومالي دون عرضي وقاية
وذبي عن مآثر صالحات
نحامي على مجد الأغر بمالنا
فذو المال يؤتى ماله دون عرضه

(٧٣٥) ونَجْرُ في الهَيْجَا الرِّمَاحُ وَتَدْعِي
(٧٣٦) مِنْ كُلِّ مَا يُدْنِي إِلَيْهِ الذَّمُّ
(٧٣٧) وَنَفْسٍ أَمْرِي فِي حَقِّهَا لَا يُهَيِّئُهَا
(٧٣٨) نَجْعُلُ الْمَالَ جُنَّةَ الْأَحْسَابِ
(٧٣٩) يَاقِي الْمَالَ عِرْضِي قَبْلَ أَنْ يَتَبَدَّدَا
(٧٤٠) وَقَوْلِي كَوَقْعِ الْمَشْرِفِيِّ الْمَصْمَمِ
(٧٤١) بِمَالِي وَالْعَوَارِمِ مِنْ لِسَانِي
(٧٤٢) وَنَبْذِلُ حَزْرَاتِ النَّفُوسِ لِنَحْمَدَا
(٧٤٣) لِمَا نَابَهُ، وَالطَّارِقِ الْمُتَعَمِّدُ

وقد يذهب الشعراء إلى تحديد أكبر عندما ينظرون إلى أن الإبل وحليها تدافع عن أحسابهم:

تدافع عن أحسابنا بلحومها
وألبانها إن الكريم مدافع (٧٤٤)
ج — تعابير الاستقبال: تستخدم التعابير الآتية للتعبير عن استقبال المضيف لضيوفه:

فقال له: أهلاً وسهلاً ومرحباً
يقول له أهلاً وسهلاً ومرحباً
وقلت له أهلاً وسهلاً ومرحباً

(٧٤٥) أَرَى رَحِمًا قَدْ وَاظَمَتْهَا صِلَاتُهَا
(٧٤٦) وَلَمْ يُلَفْ يَاعِثَانُ وَجْهَكَ مُظْلَمًا
(٧٤٧) وَأَكْرَمْتُهُ حَتَّى غَدَا وَهُوَ حَامِدُ

-
- ٧٣٥ — الحادثة: الديوان ١١/٣ .
٧٣٦ — المرقش الأكبر: المفضليات ٣٢/٥٤ .
٧٣٧ — موسى بن جابر: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٣/١٢٧ .
٧٣٨ — عبيد بن الأبرص ١٢/٦ .
٧٣٩ — حطائط بن يغفر: شعر تميم ٧/٦٠ .
٧٤٠ — أوس بن حجر: الأشباه والنظائر ج ١٩٧/٢ .
٧٤١ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٣٤٨ .
٧٤٢ — يزيد بن فُسْجَم: معجم الشعراء للمريزاني ص ٤٧٨ .
٧٤٣ — الكلّجة اليزبوعي: شعر تميم ١/٢٠٦ .
٧٤٤ — المُخَضَّعُ القيسي: معجم الشعراء للمريزاني ص ٤٤٧ .
٧٤٥ — الأعشى الكبير: الديوان ٢٦/١٠ .
٧٤٦ — الأعشى بن النباش: شعر تميم ٧/١٩ .
٧٤٧ — ضمرة بن ضمرة: شعر تميم ١١/١٢٦ .

فقلت ألا أهلاً وسهلاً ومرحباً
فلما أتاني والسماءُ ثُبُلُهُ
متى آتته فيها يُقْلُ لي مَرْحَباً
فقلت له: أهلاً وسهلاً ومرحباً
فلما أتوني قلت: خيرٌ مُعَرَّسٍ
وبالسَّهْبِ ميمونُ الخليفةِ قَوْلُهُ
جعلتُك مني حيثُ أجعلُ أشجاني (٧٤٨)
فلقيته: أهلاً وسهلاً ومرحباً (٧٤٩)
وأهلاً وسهلاً أخطأتك الأشياءُ (٧٥٠)
رَشِدْتُ، ولم أَعُدْ إليه أسائِلُهُ (٧٥١)
ولم أَطْرِخْ حاجاتهمُ بالمعاذِرِ (٧٥٢)
للمتسِرِ المَعْرُوفِ أَهْلٌ وَمَرْحَبٌ (٧٥٣)

د — العلاقة بين اليد والجود: يرد اللفظان «اليد» أو «الكف» مرتبطين بكلمات «كالندي» أو «المطر» أو «الغمامة»، للإشارة إلى الجود، دون أن يسمّى نوع العطاء، أو يشار إلى الأشخاص المحتاجين:

لَهُ كَفَّان: كَفُّ كَفِّ ضُرٍّ
خاضل الكفِّ ما يَلِطُ إذا ما ان
وابسَطُ يمينك بالندي
كريمٌ ثناه تمطر الخيرَ كَفُّه
فاستمطروا الخيرَ من كَفِّهِ إِنْهُمَا
وإذا تُشَّـمُّ بروفُهُمْ
أَنخنا بفيّاض اليديّن، يمينُهُ
وكفُّ فواضلٍ خَضِلُ نَدَاهَا (٧٥٤)
تَابَهُ مجتدوه باعتلال (٧٥٥)
وامدّد لها باعاً طويلاً (٧٥٦)
كثيرُ رَمادِ القدرِ غيرُ مُلْعَن (٧٥٧)
بسيِّهٍ يَتَرَوَّى منهما البُعْدُ (٧٥٨)
جاءت أَكْفُهُمُ المواطِرُ (٧٥٩)
تَبَكَّرُ بالمعروفِ ثمَّ تُسْرُوحُ

- ٧٤٨ — العريان: شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٧/٧١١.
٧٤٩ — المثقّب العبدى: الديوان ٦/٤.
٧٥٠ — عبد قيس بن شُفّاف: شعر تميم ٣/١٤٧.
٧٥١ — حاتم الطائي: الديوان ٦/١١٩.
٧٥٢ — المصدر نفسه ٤/٣١.
٧٥٣ — طفيل الغنوي: أشعاره ٥/٢.
٧٥٤ — بشر بن أبي خازم: الديوان ٢١/٤٦.
٧٥٥ — المصدر نفسه ٥/٣٦، وانظر المصدر نفسه ٦/٢٢ وص ٢٤٢ من البحث.
٧٥٦ — ذو الإصْبَعِ العَدُوّاني: الأغاني ج ١ ص ١٠٠.
٧٥٧ — الأسود بن يَغْفَر: الديوان ١٩/٦٨.
٧٥٨ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٢٨١.
٧٥٩ — أمية بن أبي الصلت: الديوان ١٣/٣٨.
٧٦٠ — أبو الجويرية العبدى: الأشباه والنظائر للخالدين ج ٢ ص ٢٣٥.

وإنَّ يَدَ النِّعْمَانِ لَيْسَتْ بِكَزَّةٍ
تَحِينُ بِكَفِّهِهِ الْمَنَابِيا، وَتَارَةً
بَاكَرَتْهَا قَبْلَ أَنْ يَيْدُو الصُّبَاخُ لَنَا
أَلَيْسَ بِفِيَاضٍ يَدَاهُ غَمَامَةٌ
كَأَنَّ الْعَطَايَا وَالْمَنَابِيا بِكَفِّهِ
وَلَكِنْ سَمَاءٌ تَمْطُرُ الْوَيْلَ وَالذَّيْمَ (٧٦١)
تُسْجَنُ سَحَابًا مِنْ عَطَاءٍ وَنَائِلِ (٧٦٢)
فِي يَتِّ مُنْهَمِرِ الْكَفِّينِ مِفْضَالِ (٧٦٣)
ثَمَالِ الْيَتَامَى فِي السَّنِينَ مُحَمَّدِ (٧٦٤)
سَحَابَانِ مَقْرُونَانِ مُؤْتَلِفَانِ (٧٦٥)

وكان من المؤلف أن يصف الشعراء أيدي الأجواد مجازياً بالجود :

قَبْلَ امْرِئٍ طَلَّقَ الْيَدَيْنِ مُبَارِكِ
وَصَبْرٌ عَلَى الدُّفْرِ فِي رُزْزِهِ
إِذَا مَا هُمْ جَلَسُوا بِالْعَشِيِّ
مُتَحَلِّبِ الْكَفِّينِ مِثْلَ
حَسَنِ الْفِكَاهَةِ لَا تَذُمُّ لِحَامُهُمْ
أَوْدَى بِهِمْ مَنْ يُرَادِنِي وَأَعْلَمُهُمْ
وَإِسْطَ يَدَيْكَ بِمَا مَلَكَ
أَلْفَى أَبَاهُ بَنَجْوَةً فَسَمَا لَهَا (٧٦٦)
وَإِعْطَاءُ كَفِّ وَاجْزَالِهَا (٧٦٧)
فَأَحْلَامُ عَادٍ وَأَيْدِي هُضْمِ (٧٦٨)
لِ الْبَذْرِ قَوَّالٍ وَقَاعِلِ (٧٦٩)
سَبْطِي الْأَكْفِ فِي الْحُرُوبِ مَسَاعِرِ (٧٧٠)
جَوْدَ الْأَكْفِ إِذَا مَا اسْتَعْسَرَ الْبُوسُ (٧٧١)
سَتْ وَشَيْدِ الْحَسْبِ الْأَيْلِ (٧٧٢)

٤ - تعابير البخل

لعل أكثر الألفاظ التي تخصّ البخل هي : بخل وشح وضمن :

-
- ٧٦١ — عِلْبَاءُ بْنُ أَرْقَمَ : الْأَصْمَعِيَّات ١٩/٥٥ .
٧٦٢ — النَّابِغَةُ الذِّبْيَانِي : الدِّيَوَان ٢٩/٢٦ .
٧٦٣ — عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ : الدِّيَوَان ١٤/٤٠ .
٧٦٤ — زَهْرُ بْنُ أَبِي سَلْمَى : الدِّيَوَان ٢٣٣ .
٧٦٥ — أُمَامَةُ بِنْتُ الْجُلَاحِ : التَّذَكُّرَةُ السَّعْدِيَّةُ لِلْعَبِيدِي ص ١٠٩ .
٧٦٦ — الْأَعَشِيُّ الْكَبِيرُ : الدِّيَوَان ١٩/٣ .
٧٦٧ — الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ٣٦/٢١ .
٧٦٨ — الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ٤٨/٤ .
٧٦٩ — الْمَصْدَرُ نَفْسَهُ ٣/٧٦ .
٧٧٠ — ثَعْلَبَةُ بْنُ صَعْتَرٍ : الْمَفْضَلِيَّات ١٦/٢٤ .
٧٧١ — الْمُتَلَمِّسُ الضَّبْعِيُّ : الدِّيَوَان ١٤/٤ .
٧٧٢ — ذُو الْإِصْبَعِ الْعَدَوَانِي : الْأَغَانِي ج ٣ ص ١٠٠ . وَانْظُرْ : عَتْرَةُ بْنُ شَدَادٍ : الدِّيَوَان ٦/٧ ، وَبِشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ : الدِّيَوَان ١٣/٣١ .

يستعمل اللفظ « بخل » في الدرجة الأولى للإشارة إلى البخل عامة ، وترد مشتقات مادة

« بخل » مجردة :

فنعن كماء المزن مافي نصابنا كهمام ولا فينا يعد بخل (٧٧٣)
بئس الفحولة حين جدتهم عرك الرهان وبئس ما بخلوا (٧٧٤)
وللمخلق إذلال لمن كان باطلا ضيناً ومن يتحل يلّم ويلهد (٧٧٥)

ونجد مادة « بخل » ومشتقاتها مراراً بجانب صفات سيئة أخرى ، « كالجين » و « اللوم »

و « الحصر » :

من لا يشيعه عجز ولا بخل ولا يبيت لديه اللحم موشوقا (٧٧٦)
ويلمه رجلا تأبى به غناً إذا تجرد لا حال ولا بخل (٧٧٧)
تجوذ لهم نفسي بما ملكت يدي ونصري فلا فحشي عليهم ولا بخل (٧٧٨)
فطعنت لبتها على ما خيلت إن اللئيم أقر بالبخل (٧٧٩)
كالبدر طلق حلو شمائله لا البخل أرى به ولا الحصر (٧٨٠)
وبل أم بني الحجاج إن تدبوا لا بخل فيهم ولا في الخصم إشار (٧٨١)

وينظر إلى « البخل » قبل كل شيء على أنه نقيض « الجود » ، لذا فالتعبيران يردان مرتبطين :

أشاور نفس الجود حتى تطيعني وأترك نفس البخل ما أستثيرها (٧٨٢)
إن البخل ملوم حيث كان ول كن الجواد على علاقه هرم (٧٨٣)

٧٧٣ — السموءل : الديوان ص ١٥ .

٧٧٤ — المتلمس الضبعي : الديوان ٥/٢ .

٧٧٥ — عدي بن زيد : الديوان ٤٠/٢٣ — ٤١ .

٧٧٦ — الأسود بن يعفر : الديوان ٢/٤٦ .

٧٧٧ — المتحل الهذلي : ديوان الهذليين ج ٢ ص ٣٤ .

٧٧٨ — دريد بن الصمة : الديوان ٢/٥٠ .

٧٧٩ — امرؤ القيس : الديوان ١٨/٥٩ .

٧٨٠ — المصدر نفسه ص ٤١٧ .

٧٨١ — الأعشى بن النباش : شعر تميم ٤/١٤ .

٧٨٢ — حاتم الطائي : الديوان ١٣/٥٠ .

٧٨٣ — زهير بن أبي سلمى : الديوان ص ١٥٢ .

أُرِنِي جَوَاداً مَاتَ هَزْلاً لَعْنِي أَرَى مَاتَرِينَ أَوْ بِخِلاً مَخْلداً (٧٨٤)
وَأَنْتَ أَمْرٌ مَنَا وَلَسْتَ بِخَيْرِنَا جَوَادٌ عَلَى الْأَقْصَى وَأَنْتَ بِخَيْلٍ (٧٨٥)
فَأَجَابَتْ بِصَوَابٍ قَوْلَهَا مَنْ يَجُذُّ يُحْمَدُ، وَمَنْ يَبْخُلُ يُذَمُّ (٧٨٦)

ويذكر دائماً أنه يبخل بالمال، لذا نجد ترابطاً بين مشتقات مادة «بخل» و«المال» في جمل
محكمة الترابط:

وَطَيَّبَ نَفْسِي أَنِّي لَمْ أَقْلُ لَهُ كَذَبْتَ وَلَمْ أَبْخُلْ عَلَيْهِ بِمَالِي (٧٨٧)
وَلَا بَخَلْتُ بِمَالِي عَنْ مَذَاهِبِهِ فِي حَاجَةِ الرِّزِّ إِنْ كَانَتْ وَلَا الذَّمِّ (٧٨٨)
وَأَسْلَمْتُهُ عِنْدَ جِدِّ الْقِتَالِ وَتَبَخَّلُ بِالْمَالِ أَنْ تُفْتَدِيَ (٧٨٩)
لَا تَبْخُلَنَّ بِمَالٍ عَنْ مَذَاهِبِهِ فِي غَيْرِ زَلَّةٍ إِسْرَافٍ وَلَا تَعَبٍ (٧٩٠)
أَبْنِي إِنْ الْمَسَالِ لَا يَكِي إِذَا فَقَدَ الْبَخِيلُ (٧٩١)
أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ (٧٩٢)

وقد يربط الشعراء بين البخل و«الفضل» أو «الرشد» أو «الإبل»:

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ وَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ عَلَى قَوْمِهِ يُسْتَفَنَ عَنْهُ وَيُذَمُّ (٧٩٣)
وَلَا يَمْنَعُهُ مِنْ حَمْدٍ وَشُكْرِ وَلَا يَبْخُلُ بِهِ عَنْ فِعْلِ رَشْدٍ (٧٩٤)
سَيَذْفَعُنِي يَوْماً إِلَى رَبِّ هَجْمَةٍ يُدَافِعُ عَنْهَا بِالْعُقُوقِ وَبِالْبُخْلِ (٧٩٥)

ويستخدم الشعراء مادة «بخل» للإشارة إلى بخل المرأة بالوصال:

-
- ٧٨٤ — حُطَّائِطُ بْنُ يَغْفَرٍ: شعر تميم ٤/٦٠.
٧٨٥ — طرفة بن العبد: الديوان ١/٦٩.
٧٨٦ — الملقب العبدى: الديوان ٦/٦، وانظر ص ٢١٩ من البحث.
٧٨٧ — صخر بن عمرو: شرح ديوان الحماسة ٥/٣٨٩.
٧٨٨ — عدي بن زيد: الاختيار ١٦/١١٥.
٧٨٩ — شرح بن الأحوص: أشعار العامريين الجاهليين ٣/١٠٣.
٧٩٠ — أعشى طرود: شعره ١٠/١.
٧٩١ — ذو الإصبع العدواني: الأغاني ج ١ ص ٩٩.
٧٩٢ — طرفة بن العبد: الديوان ٦٣/١.
٧٩٣ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٣٠.
٧٩٤ — أبو قيس صيفي بن الأسلت: الديوان ص ٧١.
٧٩٥ — عروة بن الورد: الديوان ٨/٦.

أَجُودَ وَتَبْخُلِينَ إِذَا التَّقِينَا يَلِينُ لَكَ الْفَوَاضِلُ وَتَغْلَظِينَا (٧٩٦)
مَنْيْتَنَا بَعْدَ وَبَعْدَ غَدٍ حَتَّى بَخَلْتَ كَأَسْوَأَ الْبَخْلِ (٧٩٧)

٢ - ضَنْ:

يربط الشعراء بين الفعل «ضَنْ» و«المال» أو الأَطْعَمَة من سنام الناقة أو لبنها:

تَلُومَ عَلَى إِعْطَائِي الْمَالَ ضَلَّةً إِذَا ضَنَّ بِالْمَالِ الْبَخِيلُ وَصَرَدَا (٧٩٨)
وَلَا أَضِنَّ بِمَعْرِوفِ السَّامِ إِذَا كَانَ الْقَتَارُ كَمَا يُسْتَرَوُحُ الْقَطَرُ (٧٩٩)
أَمْ كَيْفَ يَنْفَعُ مَا تُعْطِي الْعَلُوقَ بِهِ رُثْمَانُ أَثْفٍ إِذَا مَا ضَنَّ بِاللَّبَنِ (٨٠٠)

وقد ترد كلمة «ضَنْ» مجردة:

إِنْ يَجُذِّكَ الْفَتَى فَذَاكَ وَإِلَّا رُبَّمَا ضَنَّ بِالْيَسِيرِ الْعَتِيدُ (٨٠١)

٣ - شَحَّ:

تأتي مشتقات مادة «شَحَّ» مرتبطة بكلمة «المال»

لَا يَشْحُونُ عَلَى الْمَالِ وَمَا عَوَّدُوا فِي الْحَيِّ تَصَرُّارَ اللَّقْحِ (٨٠٢)
تَرَى اللَّحْزَ الشَّحِيحَ إِذَا أَمَرْتَ عَلَيْهِ لِمَالِهِ فِيهَا مَهِينَا (٨٠٣)
وقد يذكر الجذر «شَحَّ» مجرداً:

فَمَهْلًا بَنِي سَعْدٍ عَنِ الشَّحِّ إِنَّهُ سَلَاخُ أَخِي الْعَجَزِ الْمُقِيمِ عَلَى الْوَثْرِ (٨٠٤)

٧٩٦ — أمية بن أبي الصلت: الديوان ١٥/٩٤.

٧٩٧ — امرؤ القيس: الديوان ٣/٥٠.

٧٩٨ — حاتم الطائي: الديوان ٢/٤٥.

٧٩٩ — لبيد بن ربيعة: الديوان ١٧/٩.

٨٠٠ — أفتون التعلبي: المفضليات ٩/٦٦.

٨٠١ — جندب بن العنبر: شعر تميم ٢/٤٩، وانظر: عمرو بن قميئة: الديوان ١٠/١ وص ٢٧٦ من

البحث، والأسقع بن الغدير: الوحشيات ٢/٢٧٤ وص ٢١٢ من البحث، وعبد الله الأزدي: قصائد

جاهلية نادرة ص ٢٠٣.

٨٠٢ — الأعشى الكبير: الديوان ٤٨/٣٦.

٨٠٣ — عمرو بن كلثوم: شرح القصائد السبع لابن الأنباري ٤/٥.

٨٠٤ — عاصم بن جويرية: شعر تميم ٦/١٤١. وانظر: أبو دواد الإيادي: الأغاني ج ١٦ ص ٣٧٥، وليد

ابن ربيعة: الديوان ٦٩/٣٥.

ويحلو للشعراء أن يربطوا بين الجذر « شَح » وكلمة « النفس » :

أَعَاذَلْ لَا وَاللَّهِ مَا مِنْ سَلَامَةٍ وَلَوْ أَشْفَقَتْ نَفْسُ الشَّحِيحِ الْمُثْمَرِ (٨٠٥)
فَإِنِّي جَبَانُ الْكَلْبِ بَيْتِي مُوْطَأُ أَجُودُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُهَا (٨٠٦)
أَعَاذَلْ إِنْ الْجُودَ لَيْسَ بِمَهْلِكِي وَلَا تَخْلِدِ النَّفْسُ الشَّحِيحَةَ لَوُثْمِهَا (٨٠٧)
إِنَّا نَعِيفُ فَلَا نَرِيبُ حَلِيفَنَا وَنَكْفُ شَحَّ نَفْسِنَا فِي الْمَطْمَعِ (٨٠٨)

٤ - ويستعمل الشعراء بعض التعابير مجازياً للدلالة على البخل ، مثل حرم وذخر ومسك ومنع :

حرم :

يذكر الشعراء المادة التي يبخل بها ، والأشخاص الذين يحرمون من الجود أحياناً ، يربط بين الفعل « حرم » و « الفضل » أو « الندى » أو « الجار » أو « العديم » أو « ذي قرى » :

أَجُودُ عَلَى الْأَبَاعِدِ بِاجْتِدَاءٍ وَلَمْ أَحْرَمْ ذَوِي قُرْبَى وَلَا ضَرَّ (٨٠٩)
لَا أَحْرَمُ الْجَارَةَ الدُّنْيَا إِذَا اقْتَرَبَتْ وَلَا أَقُومُ بِهَا فِي الْحَيِّ أُخْزِيهَا (٨١٠)

مسك : يرتبط ذكر « المال » بمادة « مسك » :

أَعَاذَلْ إِنْ الْجُودَ لَا يَنْقُصُ الْغِنَى وَلَا يَدْفَعُ الْإِمْسَاكَ عَنْ مَالٍ مَكْثَرِ (٨١١)
تَقُولُ أَلَا أَمْسَكَ عَلَيْكَ فَإِنِّي أَرَى الْمَالَ عِنْدَ الْمَسْكِينِ مَعْبُوداً (٨١٢)

وقد ترد « مادة » مسك مجردة :

فَلَوْ أَنِّي ثَمَرْتُ مَالِي وَتَسَلَّيْتُ وَأَمْسَكْتُ إِمْسَاكاً كَبَخْلٍ مَنِيْعِ (٨١٣)

-
- ٨٠٥ - ليبد بن ربيعة : الديوان ٢/٨ .
٨٠٦ - حاتم الطائي : الديوان ٨٠/٥٠ .
٨٠٧ - المصدر نفسه ٢/١٢٢ .
٨٠٨ - الحادرة : الديوان ١٠/٣ .
٨٠٩ - عوف بن عطية : المفضليات ٢/٩٥ .
٨١٠ - حُجْر بن حَيَّة : شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/٧٢٩ . وانظر : الأعشى الكبير : الديوان ٨٣/٢ وأبو قيس صيفي بن الأسلت : الديوان ص ٨٨ وص ٢٦٣ من البحث .
٨١١ - عبيد بن عبد العزى : قصائد جاهلية نادرة ص ١٣١ .
٨١٢ - حاتم الطائي : الديوان ٢/٤٥ .
٨١٣ - ليبد بن ربيعة : الديوان ٣/١٠ .

منهم مُنْصِفٌ، ومنهم عديمٌ ويخيل عليك في بُحَالٍ (٨١٤)

منع: الأشخاص التي تُمنع أن تهدي تسمى من خلال ربط الشعراء لاشتقاقات مادة «منع»
و«الإبل» أو «المتاع» أو «الزاد»:

لقد أردى الفوارس يومَ جنسي
فما نسلب القتلى كما قد فعلتم
وَلَبَسُ ثِيَابِ المِيتِ عَارٌ وَذِلَّةٌ
وَمَنَعُ الأَسِيرِ الزَادُ من أَقْبَحِ السَّبِّ (٨١٦)

وقد يربط الشعراء بين مادة «منع» والأشخاص المحتاجين كالسائل أو «الفقير»:

عسى سائلٌ في حاجة إنْ مَنَعْتَهُ
من اليومِ مُؤْلاً أنْ يَسُوءَكَ في غَدِ (٨١٧)
هَلْ أَنْتِ مانِعَتِي عطَاءَ الله من رَجُلٍ فقيرٍ (٨١٨)

٥ — ترد تعابير مجازية أخرى للبخل، ويربط الشعراء أغلبها «بالمال» أو «الزاد» أو «المعروف» أو «الندى»، وهذه التعابير هي: أبقى وحبس وحصر وادخر وذخر وتخزن وحفظ وصدد وصّر وعزّز وقتر وكسع الشول وأنقص وأنكر:

استبقِ مَالَكَ لا يفرِّكْ ذو نسبٍ
ولا أَكُونُ وكَاءَ الزَادِ أُخِيبُهُ
لهم مجلسٌ لا يحصرون عن الندى
قد أشهدُ الشاربَ المعدَّلَ لا
فأُبَشِّرُ، وقَرَّ العينَ منك، فإنني
من ابنِ عَمٍّ ولا عَمٍّ ولا خالٍ (٨١٩)
إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّ الزَادَ مَأْكُولٌ (٨٢٠)
ولا يَزِدْهِمُ جَهْلٌ مَنْ كَانَ جاهلاً (٨٢١)
مَعْرُوفُهُ منكَرٌ ولا حَصْرٌ (٨٢٢)
أَجِيءُ كَرِيماً لا ضَعِيفاً ولا حَصْرَهُ (٨٢٣)

٨١٤ — عبيد بن الأبرص: الديوان ١٨/٤١.

٨١٥ — طفيل الغنوي: أشعاره ١/٢٧.

٨١٦ — أدهم بن حازم الضبي: الحماسة البصرية ج ١ ص ٧٠. وانظر: الأعشى الكبير: الديوان ١٤/٨٢،
وص ٢٥٧ من البحث.

٨١٧ — عدي بن زيد: الديوان ٣٩/٢٣.

٨١٨ — عمرو بن لأى: الوحشيات لأبي تمام ٢/٢٥٨.

٨١٩ — أحيحة بن الجلاح: الحماسة البصرية ج ١ ص ٤٢.

٨٢٠ — طفيل الغنوي: شعره ١٦/٥.

٨٢١ — لييد بن ربيعة: الديوان ٧١/٣٥.

٨٢٢ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٣١٥.

٨٢٣ — حاتم الطائي: الديوان ٩/٣٠.

وكان أبي عتيبة شمرية
 وأرضى به أهل الحقوق ولم يضح
 فذاك الفتى لاجامع المال ذاخراً
 وأقبلن يعرضن نحو امرئ
 ثم لا يخزن فينا لحمها
 لحفظ المال أيسر من بغاه
 ولآتي قد علمت مكان عث
 عن الأضياف والجيران عزت
 فإن الكثر أعياني قديماً
 ألا أعان على جودي بميسرة
 فما زادني الإقتار منهم تقريباً
 ألفت أربد يستضاء بوجهه
 سنح الخلائق في عز ومكرمة
 لا تكسر الشول بأغبارها

ولا تلقاه يدخر النصيب (٨٢٤)
 به الذخر زاداً للتي هي أنفع
 لأولاد سوء حيث حلوا وأوضعوا (٨٢٥)
 إذا كسب المال لم يخزن (٨٢٦)
 إنما يخزن لحم المدخر (٨٢٧)
 وسير في البلاد بغير زاد (٨٢٨)
 له إبل منعمة تسوم
 فأودت والفتى ديس أثيم (٨٢٩)
 ولم اقتِر، لذن أني غلام
 فلا يرد ندى كفي إقتاري (٨٣١)
 وما زادني فضل الغنى منهم بعدا (٨٣٢)
 كالبدر، غير مقتر مستأثر (٨٣٣)
 عرني مجدي متى ما ينقصوا يزيد (٨٣٤)
 إنك لا تدري من الناتج (٨٣٥)

٦ — يستعمل الشعراء بعض المرادفات القليلة لكلمة «البخيل» على أنها صفة دون تسمية المادة

- ٨٢٤ — آمنة بنت عتيبة : شعر تميم ٣/٢٦ .
 ٨٢٥ — أمية بن أبي الصلت : الديوان ٣/٤١ — ٤ .
 ٨٢٦ — الأعشى الكبير : الديوان ٦٨/٢ .
 ٨٢٧ — طرفة بن العبد : الديوان ٥٠/٢ .
 ٨٢٨ — المتلمس الضبي : الديوان ٧/٨ .
 ٨٢٩ — عارق الطائي : الوحشيات لأبي تمام ٤٨/٣٦ .
 ٨٣٠ — الحارث بن مسهر : الاختيارين ٣/١٩ .
 ٨٣١ — حاتم الطائي : الديوان ٢/٢٣ .
 ٨٣٢ — المصدر نفسه ٥/١٠٨ .
 ٨٣٣ — لبيد بن ربيعة : الديوان ٤/٢١ .
 ٨٣٤ — الأعشى بن النباش : شعر تميم ٣/١٣ .
 ٨٣٥ — الحارث بن جلة : الديوان ٤/٧ ، وانظر : أبو اللّحاح التغلبي : ديوان عمرو بن كلثوم ١٤/٣٦
 وص ٢٨١ من البحث ، ، والأعشى الكبير : الديوان ٤٨/٣٦ و ٣٦/٥٥ ، ولبيد بن ربيعة : الديوان
 ٩/٢٥ .

التي ييخل بها غالباً، وهذه المرادفات من نحو: الجعد والجامد والحريص والحقلد والصعب والعقص
والكز والكرم والمصان:

- حَتَّى تَزُورِي بَنِي بَدْرِ فَإِنَّهُمْ
أَتَيْتُ حُرَيْثاً زَائِراً عَنْ جَنَابَةِ
جَمَادٍ بِهَا الْبَسْبَاسُ تَرْهَضُ مُعْزَهَا
فَلَا يُعْطَى الْحَرِيصُ غِنًى لِحَرِصٍ
نَحْنُ كَمَنْ قَدْ مَضَى، وَمَا إِنْ أَرَى
تَقِي نَقِي لَمْ يُكْثَرْ غَنِيمَةً
إِذَا مَا كُنْتَ لِحَاساً بِخِيَالٍ
لَا فَعَلَهُ فَعَلٌ وَلَيْسَ كَقَوْلِهِ
وَمَا أَنْتَ مِنْ كَلْبٍ وَهَرَاءَ فَانْتَسَبَ
- شَمُّ الْعَرَانِينَ لَا سُودَ وَلَا جُعْدَ (٨٣٦)
وَكَانَ حَرِيثٌ عَنْ عَطَائِي جَامِداً (٨٣٧)
بَنَاتِ اللَّبُونِ وَالسَّلَاقِمَةِ الْحُمْرَا (٨٣٨)
وَقَدْ يَنْمِي لِذِي الْعَجْزِ الثَّرَاءُ (٨٣٩)
شَحّاً يَزِيدُ الْحَرِيصَ مِنْ عَدَدِ (٨٤٠)
بَنَهْكَ ذِي قُرْبَى وَلَا بِحَقْلَدِ (٨٤١)
سَوْولاً لِلْمَطَاعِ وَذَا عِقَاصِ (٨٤٢)
قَوْلٌ وَلَيْسَ بِمَفْحَشٍ كَزَمِ (٨٤٣)
وَلَا الْقَيْنَ فَاقْعُدْ يَا بَنَ مَصَّانَ مُرْغَمَا (٨٤٤)

* * *

- ٨٣٦ — بشر بن أبي خازم: الديوان ١٧/١٢.
٨٣٧ — الأعشى الكبير: الديوان ٤/٧.
٨٣٨ — المصدر نفسه ٤/٧.
٨٣٩ — قيس بن الخطيم: الديوان ٥/١٢.
٨٤٠ — أبو الذيال: طبقات فحول الشعراء لابن سلام ص ٢٩٤.
٨٤١ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٢٣٤.
٨٤٢ — عبيد بن الأبرص: الديوان ١٩/٣٠.
٨٤٣ — زهير بن أبي سلمى: الديوان ص ٣٨٦.
٨٤٤ — بشر بن غليق: قصائد جاهلية نادرة ص ١٩٠. وانظر: علباء بن أرقم: الأسمعيات ١٩/٥٥.

— الخاتمة —

قام الشعر العربي بدور غير عادي في المجتمع البدوي العربي الجاهلي ، فهو مرجع أصلي لا يستغنى عنه لفهم العلاقات الاجتماعية لذلك العصر . لقد رعى الشعراء مصالح مجتمعاتهم ، وصوروا مثله العليا في قصائدهم ، وكان الحديث عن الجود والبخل يحتل مكانة كبيرة بين مواضيع شعرهم .

ويستنتج من الدراسة أن الجود كان فضيلة ذات قيمة كبيرة في مجتمع القبيلة العربي ، ينبغي على سيد القبيلة أن يتصف بها أولاً ، وإلا فقد كثيراً من مكانته القبلية واحترامه . وعلى النقيض من ذلك كان البخل عاراً واتخذ موضوعاً أساسياً في قصائد الشعراء الهجائية ، ولم يرد الناس أن يكون لهم شأن معه .

ولقد وجدنا أنه على الرغم من العلاقة الحميمة الوطيدة بين الجود والضيافة ، فإن جود الطبقة العليا في المجتمع تجاه الفقراء ، وجود الملوك والأمراء تجاه الزوار يختلفان عن جوهر الضيافة التي كانت محصورة في الغرباء المحتاجين قبل كل شيء . ورأينا أنه لم تكن هناك مؤسسات لدى العرب تقوم بالضيافة ، كما عند اليونانيين القدماء والرومانيين ، وإنما عدت مطلباً أخلاقياً دعا إليه الشعراء .

والبحث يدل على أن الشعر الجاهلي صور الجود والبخل على حد سواء ، لذا لا يستطيع الباحث أن يردد فقط ما قاله طه حسين من أن « الشعر الجاهلي يمثل لنا العرب أجوداً كراماً مهينين للأموال ، مسرفين في ازدهارها »^(١) ، والذي ساقه على أنه دليل آخر على انتحال الشعر الجاهلي ، وإنما كان هناك الأجواد والبخلاء الذين كانت لهم أهمية في عالم تخيل الشعراء . إن الشعر الجاهلي كان مرآة واقعية عكست لنا مفهوم الجود ، وقواعد الضيافة والبخل عند العرب في العصر الجاهلي .

١ — في الأدب الجاهلي ص ٧٧ ، القاهرة بلا تاريخ ، ط ٩ .

فهرس الشعراء

الهمزة

آمنة بنت عتبة البربوعية : ٦٦ — ٢٩١ .

أخِيحَة بن الجَلّاح : ٥٢ — ٧٢ — ١٣٧ — ٢٣٧ — ٢٩٠ .

الأخْنَسُ بن شِهَاب التغلبي : ٢٤٨ .

أدهم بن حازم الضبي : ٢٩٠ .

أزبد بن قيس العامري : ٥٧ — ١٣٨ — ٢٤٥ — ٢٧٤ — ٢٥٧ .

الأشعر الجُعْفَيّ : ١٣٣ — ٢٤٩ — ٢٥٨ — ٢٧٠ .

الأشْعَق بن العَدِير : ١٣٣ — ٢١٢ — ٢٨٨ .

الأسود بن عمرو بن كلثوم : ١١٩ — ٢٧١ .

الأسود بن يَغْفَر : ٣٤ — ٤٣ — ٥٥ — ٦٤ — ٧٨ .

٨١ — ٨٣ — ٩٢ — ٩٦ — ١٢٦ — ١٣٤ — ١٦٩ .

١٩٢ — ٢٠٦ — ٢١٤ — ٢١٥ — ٢٢٢ — ٢٢٧ .

٢٢٧ — ٢٣٢ — ٢٣٩ — ٢٤١ — ٢٤٨ — ٢٥٤ .

٢٥٦ — ٢٦٤ — ٢٦٩ — ٢٧١ — ٢٧٤ .

٢٧٦ — ٢٧٨ — ٢٨٢ — ٢٨٤ — ٢٨٦ .

أسيد بن عنقاء : ١٧٣ .

الأشعر الرُّقْبَان الأسدي (عمرو بن حارثة) : ١٢٢ — ٢٦٢ .

الأضْبَط بن قُرَيْع السَّعْدِي : ٧٠ — ١١٦ — ٢٦٤ .

أعشى باهلة : ٧٥ — ٩٥ — ١٦١ — ٢٢٣ — ٢٤٣ .

— ٢٤٥ — ٢٥٦ — ٢٥٨ — ٢٧٨ — ٢٨٠ .

أعشى طرود : ٧٢ — ٢٨٧ .

الأعشى الكبير : ٢٦ — ٢٨ — ٣٩ — ٤٠ — ٤١ .

٤٣ — ٤٥ — ٥٠ — ٥١ — ٥٥ — ٧٧ — ٧٩ .

٨٣ — ٨٤ — ٩١ — ٩٦ — ٩٧ — ١١٧ — ١١٩ .

— ١٢٠ — ١٢١ — ١٢٢ — ١٢٤ — ١٢٥ .

١٢٨ — ١٢٩ — ١٣٠ — ١٣٣ — ١٣٥ — ١٣٧ .

— ١٣٨ — ١٣٩ — ١٤٠ — ١٤١ — ١٤٢ .

١٤٣ — ١٤٤ — ١٤٥ — ١٤٦ — ١٤٧ — ١٤٨ .

— ١٤٩ — ١٥٠ — ١٥٢ — ١٥٥ — ١٥٦ .

١٥٨ — ١٥٩ — ١٦٠ — ١٦١ — ١٦٢ — ١٦٥ .

— ١٦٧ — ١٦٨ — ١٧٠ — ١٧٢ — ١٧٤ .

١٧٥ — ١٧٦ — ١٩٥ — ٢٠٠ — ٢٠١ — ٢٠٤ .

— ٢٠٦ — ٢١٣ — ٢١٤ — ٢١٦ — ٢١٩ .

٢٢٠ — ٢٢٢ — ٢٢٣ — ٢٢٤ — ٢٢٥ — ٢٢٦ .

— ٢٢٩ — ٢٣٠ — ٢٣١ — ٢٣٢ — ٢٣٣ .

٢٣٤ — ٢٣٥ — ٢٣٧ — ٢٣٩ — ٢٤٠ — ٢٤١ .

— ٢٤٢ — ٢٤٣ — ٢٤٤ — ٢٤٦ — ٢٤٧ .

٢٤٩ — ٢٥٠ — ٢٥٢ — ٢٥٣ — ٢٥٤ — ٢٥٥ .

— ٢٥٦ — ٢٥٧ — ٢٦١ — ٢٦٣ — ٢٦٤ .

٢٦٥ — ٢٦٨ — ٢٦٩ — ٢٧٠ — ٢٧١ — ٢٧٢ .

— ١٢٠ — ٩٥ — ٩٤ — ٩٠ — ٨٩ — ٨١ — ٧١
 ١٥٢ — ١٤٥ — ١٤٣ — ١٣٩ — ١٣٢ — ١٣٠
 — ١٩٧ — ١٦٧ — ١٦٢ — ١٦٠ — ١٥٥ —
 ٢٢٣ — ٢٢١ — ٢١٩ — ٢١٧ — ٢١٥ — ٢١٤
 — ٢٣١ — ٢٣٠ — ٢٢٨ — ٢٢٧ — ٢٢٦ —
 ٢٤٦ — ٢٤٥ — ٢٤٠ — ٢٣٥ — ٢٣٤ — ٢٣٢
 — ٢٦٤ — ٢٥٩ — ٢٥٦ — ٢٥٥ — ٢٤٧ —
 ٢٧٣ — ٢٧٦ — ٢٨٣ .

أوس بن غَلَفَاء الهُجَيْمِي : ٥٧ — ١٣٩ — ٢٣٥ .

ب

الْبَرْجُ بن مُسْنَهْر : ٢٥٥ — ٢٥٩ — ٢٧٤ .

بسطام بن قيس : ٤٠ — ٤١ .

بَشَامَة بن الغدير : ٢٢٩ — ٢٦٨ — ٢٧٠ .

بشر بن أبي خازم : ٣٥ — ٤٦ — ٦٥ — ٩١ — ٩٢
 ٩٥ — ١١٦ — ١١٨ — ١٢٠ — ١٢٦ — ١٣٠ —
 — ١٣٢ — ١٣٣ — ١٤١ — ١٤٢ — ١٤٤ —
 ١٤٥ — ١٤٧ — ١٥٤ — ١٦٦ — ١٦٧ — ١٧٠ —
 — ١٨٤ — ١٩٢ — ١٩٥ — ٢٢٥ — ٢٢٧ —
 ٢٢٨ — ٢٣١ — ٢٣٣ — ٢٣٥ — ٢٣٧ — ٢٤٠ —
 — ٢٤٢ — ٢٤٤ — ٢٤٨ — ٢٥١ — ٢٥٥ —
 ٢٥٦ — ٢٦٠ — ٢٦٤ — ٢٦٥ — ٢٦٧ — ٢٧٣ —
 ٢٨٢ — ٢٨٤ — ٢٨٥ — ٢٩٢ .

بشر بن عَلَيق الطائي : ١٧٥ — ٢٩٢

بشر بن عمرو بن مَرْثَد : ٢٢٢ — ٢٢٣ — ٢٥٥ —
 ٢٧٠ .

ت

تَابُط شَرًّا : ٦٤ — ٢٣٦ .

أبو تمام (حبيب بن أوس) : ١٨٠

— ٢٧٣ — ٢٧٤ — ٢٧٥ — ٢٧٦ — ٢٧٩ —
 ٢٨١ — ٢٨٢ — ٢٨٣ — ٢٨٥ — ٢٨٨ — ٢٨٩ —
 ٢٩٠ — ٢٩١ — ٢٩٢ .

الأعشى بن النَّبَّاش : ٨١ — ٩٧ — ١٥٦ — ١٧٣ —
 ١٧٦ — ٢١٤ — ٢١٥ — ٢٤٢ — ٢٤٧ — ٢٥٠ —
 ٢٥٥ — ٢٦٧ — ٢٦٩ — ٢٨٣ — ٢٩١ .

أفعى بن جناب : ٢٠٣

أفنون التغلبي : ٢٢٤ — ٢٨٨

الأفوه الأودي : ٣٤ — ٧٩ — ٨٤ — ١٣٠ — ١٩٥ —
 — ٢٣٧ — ٢٤٨ — ٢٥٣ — ٢٦٦ — ٢٧٢ —
 ٢٧٥ — ٢٨١ .

أُنْكُم بن صَيْفِي الرِّياحِي : ١٢٦ — ١٢٨ — ٢١٩ —
 ٢٦٠ .

أُمَامَة بنت الجُلاح : ١٧٠ — ٢١٤ — ٢٢٤ —
 ٢٨٥ .

امرؤ القيس : ٣١ — ٣٥ — ٤٢ — ٦٧ — ٧٨ — ٨٣ —
 ٩٢ — ٩٩ — ١١٩ — ١٢١ — ١٢٣ — ١٣٩ —
 — ١٧١ — ١٩١ — ١٩٥ — ٢٠٤ — ٢٠٧ —
 ٢١٦ — ٢٢٢ — ٢٢٧ — ٢٢٩ — ٢٣٠ — ٢٣١ —
 — ٢٤١ — ٢٤٧ — ٢٥٥ — ٢٥٨ — ٢٦١ —
 ٢٧٢ — ٢٧٤ — ٢٧٥ — ٢٧٦ — ٢٧٧ — ٢٧٩ —
 ٢٨٦ — ٢٨٨ .

أمية بن أبي الصَّلْت : ٣٢ — ٣٣ — ٣٥ — ٣٩ — ٤١ —
 ٤٢ — ٧٠ — ٧٩ — ٨٩ — ٩٠ — ٩٤ — ٩٦ —
 ٩٨ — ١١٩ — ١٤٥ — ١٤٦ — ١٤٧ — ١٦١ —
 — ١٦٦ — ١٦٩ — ١٧٦ — ٢١٣ — ٢٢٠ —
 ٢٢٣ — ٢٢٤ — ٢٣١ — ٢٣٣ — ٢٣٨ — ٢٤١ —
 — ٢٤٤ — ٢٤٦ — ٢٤٧ — ٢٥٠ — ٢٥٣ —
 ٢٦٨ — ٢٦٩ — ٢٧٠ — ٢٧٢ — ٢٨٠ — ٢٨٤ —
 ٢٨٨ — ٢٩١ .

أهبان بن هَمَّام الأسدي : ٢٦٧ — ٢٦٨ .

أوس بن حارثة بن لأم : ٦٥ .

أوس بن حجر : ٣٤ — ٤٢ — ٤٧ — ٥٦ — ٦٣ —

ث

ثَعْلَبَةُ بْنُ صُعَيْرٍ الْمَازَنِيُّ: ١٠٥ — ٢٤١ — ٢٨٥.

ج

جَابِرُ بْنُ حَبَابٍ: ٩٩ — ١٢٩ — ١٣٩ — ٢٣٦.

جَاهِرُ بْنُ قَطَنٍ النَّهْشَلِيُّ: ٦١ — ٢٤٤ — ٢٥٥.

أَبُو جَبِيلٍ الْبَرْجَمِيُّ: ١٨٠.

جَذْعُ بْنُ سَنَانٍ: ١٠٨.

جَرِيرُ بْنُ عَطِيَّةٍ: ١٨٤.

الْجُمَيْحُ الْأَسَدِيُّ: ١٢٥ — ٢٦٤ — ٢٦٥ — ٢٧٢.

جُنْدُبُ بْنُ الْعَنَبَرِ: ٢٨٨.

جَنُوبُ أُخْتِ عَمْرِو ذِي الْكَلْبِ: ٦٦ — ٩٣ — ١٣٠.

— ١٥٩ — ٢٤٠ — ٢٤٦ — ٢٦٤ — ٢٧٠.

أَبُو الْجَوْهَرِيَّةِ الْعَبْدِيُّ: ٢٨٤.

ح

حَاتِمُ الطَّائِي: ٣١ — ٣٣ — ٣٤ — ٣٥ — ٤٠.

— ٤٣ — ٤٤ — ٤٥ — ٤٧ — ٤٨ — ٥٣ — ٥٧.

— ٥٩ — ٦٠ — ٦١ — ٦٢ — ٦٣ — ٦٥ — ٦٧.

— ٦٩ — ٧٠ — ٧١ — ٧٦ — ٨٠ — ٨٣ — ٨٥.

— ٨٧ — ٨٨ — ٩٥ — ٩٩ — ١٠٢ — ١٠٣ — ١٠٤.

— ١٠٨ — ١٠٩ — ١١٥ — ١١٦ — ١٢٠.

— ١٢٢ — ١٢٣ — ١٢٤ — ١٢٥ — ١٢٧ — ١٣٠.

— ١٣٢ — ١٣٧ — ١٣٩ — ١٤٠ — ١٤١.

— ١٤٦ — ١٤٨ — ١٥٢ — ١٥٥ — ١٥٦ — ١٦٠.

— ١٦٥ — ١٧٣ — ١٧٦ — ١٧٧ — ١٧٨.

— ١٧٩ — ١٩٦ — ٢١٢ — ٢١٣ — ٢١٤ — ٢١٥.

— ٢١٦ — ٢١٨ — ٢٢٢ — ٢٢٤ — ٢٢٥.

— ٢٢٧ — ٢٢٨ — ٢٢٩ — ٢٣٤ — ٢٣٥.

— ٢٣٦ — ٢٣٧ — ٢٤٢ — ٢٤٥ — ٢٤٨ — ٢٤٩.

— ٢٥٠ — ٢٥١ — ٢٥٢ — ٢٥٨ — ٢٦١.

— ٢٦٢ — ٢٦٤ — ٢٦٦ — ٢٦٧ — ٢٧٠ — ٢٧٢.

— ٢٧٥ — ٢٧٦ — ٢٧٧ — ٢٧٨ — ٢٧٩.

— ٢٨٠ — ٢٨١ — ٢٨٢ — ٢٨٦ — ٢٨٨ — ٢٨٩.

— ٢٩٠ — ٢٩١.

حَاجِبُ بْنُ حَبِيبٍ الْأَسَدِيُّ: ٤٦ — ٢٢٦ — ٢٨٢.

حَاجِبُ بْنُ ذِيانٍ الْمَازَنِيُّ: ٢٤٨.

حَاجِبُ بْنُ زُرَّارَةَ الدَّارِمِيُّ: ١٣٦ — ٢٣٠.

حَاجِزُ بْنُ عَوْفٍ الْأَسَدِيُّ: ١٢٨ — ٢٥١.

الحَادِرَةُ: ٣٥ — ٤٧ — ٩٥ — ١٥٩ — ٢٢٠.

— ٢٢٩ — ٢٨١ — ٢٨٣ — ٢٨٩.

الحَارِثُ بْنُ بَدْرٍ: ١١٠.

الحَارِثُ بْنُ جِلْزَةَ: ٨٦ — ٩٤ — ١٢٥ — ١٤٩.

— ١٥٤ — ١٥٥ — ١٥٨ — ١٧٥ — ٢١٤ — ٢٢٠.

— ٢٣٦ — ٢٦٠ — ٢٧٦ — ٢٩١.

الحَارِثُ بْنُ ضَرَارٍ النَّهْشَلِيُّ: ٢٦٨.

الحَارِثُ بْنُ مُسَهَّرٍ: ٥٦ — ٥٩ — ٦٢ — ٦٣ — ٢٣٦.

— ٢٩١.

الحَارِثُ بْنُ ظَالِمٍ: ١٤٢ — ٢٣٨.

الحَارِثُ بْنُ وَغْلَةَ الشَّيْبَانِيِّ: ٣٤.

حَاطِبُ بْنُ مَالِكٍ النَّهْشَلِيُّ: ٢٤٢.

حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَذَلِيُّ (الْأَعْلَمُ): ٤٤ — ٢١٦.

حَبِيبَةُ ابْنَةِ عَبْدِ الْعُزَّى: ٤٠ — ٢٣٨.

حَجَرُ بْنُ حِيَةَ: ٧٦ — ٢٨٠ — ٢٨٩.

حَجَرُ بْنُ خَالِدٍ: ٥١ — ٢١٤ — ٢٤٢.

حَاجِيَةُ بْنُ الْمَضْرَبِ: ٢٣٠ — ٢٨١.

حَرَّانُ بْنُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَافَةَ: ٢٠٠.

حَرِّيُّ بْنُ ضَمْرَةَ النَّهْشَلِيِّ: ١٩٣.

حَزَّازُ بْنُ عَمْرِو: ١٣٨ — ٢٧٤.

حَسَانُ بْنُ ثَابِتٍ: ٢٥ — ٢٠٢.

حُطَّائِطُ بْنُ يَغْفَرٍ: ٦٠ — ٦٤ — ٢١٤ — ٢٨٣.

— ٢٨٧.

حَنِيفَةُ (امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ): ٦٦ — ٢٢٨.

خ

خالد بن جعفر: ٣٥ — ١٣٢ — ٢٤٩.

خالد بن مالك التَّهْشَلِي: ٩٧ — ٢٢١ — ٢٧٦.

خداش بن زهير العامري: ٥٩ — ١٠٧ — ١٠٨ —

١٢٧ — ٢١٤ — ٢٢٣ — ٢٤٩ — ٢٥٣.

الخرنق بنت بدر: ٣٤ — ٧٨ — ٩٠ — ٩٨ — ١٣٩ —

١٦٤ — ٢٠٣ — ٢٣١ — ٢٥٩ — ٢٧٣ —

٢٧٩.

الخرَّيْمِي: ١٠٢.

د

دَحْتَنُوسُ بنت لَقِيط: ١٢١ — ٢٥٣.

دريد بن الصمة: ٣٥ — ٥٧ — ٦٠ — ٩٧ — ١٢٠ —

١٢٩ — ١٩٤ — ١٩٥ — ١٩٧ — ٢١٣ —

٢٢٣ — ٢٢٧ — ٢٣١ — ٢٣٤ — ٢٣٦ — ٢٤٥ —

٢٥٤ — ٢٦٤ — ٢٧٧ — ٢٨٦.

أبو دواد الإيادي: ٥٩ — ٦٢ — ٩١ — ٩٤ — ١٢٩ —

١٣٧ — ١٣٨ — ٢١٣ — ٢٢٢ — ٢٤٣ —

٢٥٥ — ٢٦١ — ٢٧٦ — ٢٨٨.

ذ

ذو الإصبع الغنَّوَانِي (حرثان بن محرث): ٣٤ — ٤٧ —

٦٦ — ٨١ — ٩٠ — ١٠٩ — ١١٧ — ١٢٨ —

١٢٩ — ٢١٣ — ٢٢٩ — ٢٥٠ — ٢٦٠ — ٢٦١ —

٢٧٣ — ٢٨٤ — ٢٨٥ — ٢٨٧.

أبو الذَّيَال: ٥٦ — ٦٣ — ٢٩٢.

ز

الرَّيْبَع بن أبي الحَقِيق: ٦٩ — ٢١٤.

ز

زهير بن أبي سلمى: ٣٣ — ٣٤ — ٣٥ — ٣٩ — ٤٠ —

٤٢ — ٤٣ — ٤٥ — ٤٧ — ٦٠ — ٦٥ — ٨٩ —

٩١ — ٩٣ — ٩٦ — ٩٩ — ١٠١ — ١١٥ —

١١٨ — ١٢٠ — ١٢١ — ١٣١ — ١٣٢ — ١٣٤ —

١٣٥ — ١٣٧ — ١٣٨ — ١٣٩ — ١٤١ —

١٤٥ — ١٤٧ — ١٥٤ — ١٥٧ — ١٦٥ — ١٦٩ —

١٨٠ — ١٩٢ — ١٩٥ — ٢٠٤ — ٢١٢ —

٢١٤ — ٢١٥ — ٢١٩ — ٢٢١ — ٢٢٣ — ٢٢٤ —

٢٢٦ — ٢٢٩ — ٢٣٠ — ٢٣١ — ٢٣٦ —

٢٣٨ — ٢٤٠ — ٢٤٤ — ٢٤٥ — ٢٤٨ — ٢٤٩ —

٢٥٠ — ٢٥١ — ٢٥٤ — ٢٥٧ — ٢٦٣ —

٢٦٤ — ٢٦٥ — ٢٦٦ — ٢٦٧ — ٢٦٨ — ٢٦٩ —

٢٧٣ — ٢٧٦ — ٢٧٨ — ٢٨٠ — ٢٨١ —

٢٨٣ — ٢٨٤ — ٢٨٥ — ٢٨٦ — ٢٨٧ — ٢٩٠ —

٢٩٢ —

زُهير بن جَنَاب الكلبي: ١٢٨ — ٢٦٠.

زهير السَّكْبُ المازني: ٤١ — ٢١٢ — ٢٢٧ — ٢٤٦ —

٢٥٣ —

زُهَيْر بن مَسْعُود الضَّبِّي: ٣٥ — ١٣٣ — ٢٠٤ —

٢٤٩ — ٢٧٠ — ٢٧٤.

ابن زُبَايَة التيمي: ١٧٤.

زيد بن حصين بن ضرار الضبي: ٢٧٠.

زينب بنت مالك: ٣٥.

س

سيرة بن عمرو الفقعسي: ٢٣٧ — ٢٤٩.

سحيم عبد بني الحَسْحَاس: ١٥١.

سُعْدَى بنت الشَّمْرَدَل: ١٥٦ — ٢٢٢ — ٢٤٦.

سلامة بن جندل: ٩٧ — ١٢٤ — ١٣٢ — ١٩٤ —

— ٢٠٣ — ١٩٥ — ١٩٤ — ١٧٦ — ١٧٤ —
 ٢٠٧ — ٢١٢ — ٢١٦ — ٢١٨ — ٢٢١ — ٢٢٣ —
 — ٢٢٤ — ٢٢٦ — ٢٢٨ — ٢٣٢ — ٢٣٥ —
 ٢٣٧ — ٢٤٢ — ٢٤٤ — ٢٤٦ — ٢٤٩ — ٢٥٠ —
 — ٢٥٤ — ٢٥٩ — ٢٦٣ — ٢٦٤ — ٢٦٥ —
 ٢٦٩ — ٢٧٣ — ٢٧٨ — ٢٨٠ — ٢٨٧ — ٢٩١ .
 طَرِيفُ بْنُ تَمِيمٍ الْعَنْبَرِيُّ : ٥٦ — ٢٣٦ .
 طَفِيلُ الْغَنَوِيِّ : ٤٣ — ٤٩ — ٦٩ — ١٠٠ — ١٠٢ —
 — ١٢١ — ١٢٨ — ١٥٤ — ٢٤٦ — ٢٥٦ —
 ٢٦٠ — ٢٦٥ — ٢٦٦ — ٢٦٩ — ٢٨٤ — ٢٩٠ .

ظ

ظَفَر (رجل من بني ظفر) : ١٥٧ — ٢٤٧ .

ع

عَارِقُ الطَّائِي : ٢٥٤ — ٢٧٢ — ٢٩١ .
 عَاصِمُ بْنُ جُوَيْرِيَةَ : ٨٨ — ٢٢٤ — ٢٧٧ — ٢٨٨ .
 عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ : ٥٦ — ٩٤ — ٩٦ — ٩٨ — ١٠٨ —
 — ١٢٢ — ١٥٨ — ١٧١ — ١٧٥ — ٢٤١ —
 ٢٥٢ — ٢٥٩ — ٢٦١ — ٢٧٠ .
 عَامِرُ بْنُ الظَّرْبِ : ٢٠٥ .
 عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ : ٧٦ — ١٢٧ — ٢٤٣ — ٢٤٩ .
 عَبَّاءُ بْنُ جُعْشَمٍ الْعَبْسِيُّ : ٢١٤ — ٢٤٣ — ٢٧١ —
 ٢٧٥ — ٢٧٦ .
 الْعَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ : ٢٠٥ .
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ثَوْرٍ الْعَامِرِيُّ : ٢٢١ — ٢٤٨ .
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَدْعَانَ : ٧٧ — ١٥٢ — ١٨٦ — ٢٠٧ —
 ٢٢٤ .
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْدَةَ الْعَامِرِيُّ : ١٦٩ .
 عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ : ١٨٢ .

٢٠٤ — ٢٦٦ — ٢٧٢ .

سَلْمَةُ بْنُ مَالِكٍ الْجَعْفِيُّ : ٩٣ — ١٣٥ — ٢٥٩ —
 ٢٦٥ — ٢٦٦ — ٢٧١ — ٢٧٣ .
 السُّلَيْكُ بْنُ السُّلَكَةِ : ١٠٩ — ١٣٠ — ١٦١ — ٢٢٥ —
 ٢٤٥ — ٢٥٧ .
 السَّمُوعُ : ٦١ — ٧٦ — ٨٥ — ٩٢ — ١٢٢ —
 ١٢٤ — ١٦٢ — ١٧٣ — ٢٤٤ — ٢٦٢ — ٢٧١ —
 ٢٧٤ — ٢٧٦ — ٢٧٩ — ٢٨١ — ٢٨٦ .
 سَيْنَانُ بْنُ أَبِي حَارِثَةَ : ١٣٠ — ١٣٤ — ١٦١ — ٢٣٨ —
 ٢٤٥ — ٢٤٦ — ٢٧٢ .
 سَهْمُ بْنُ الْحَارِثِ : ١٠٧ .
 سَوَّارُ بْنُ الْمُضَرَّبِ : ٤٧ .

ش

شَرِيحُ بْنُ الْأَحْوَصِ : ١٢٠ — ٢٦٧ — ٢٧٥ — ٢٧٧ —
 ٢٨٧ .
 الشُّتَيْرِيُّ الْأَزْدِيُّ : ٥١ — ٦٦ — ٦٨ — ١٧١ —
 ٢٧٢ .

ص

صَخْرُ بْنُ عَمْرٍو : ٢٨٧ .
 صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ : ٢٠٥ .

ض

ضَمْرَةُ بْنُ ضَمْرَةَ النَّهْشَلِيُّ : ٥٧ — ١٠١ — ١٢٧ —
 ٢٢١ — ٢٤١ — ٢٦٢ — ٢٦٦ — ٢٨٣ .

ط

طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ : ٣٤ — ٤٨ — ٥٩ — ٦٩ — ٧٠ —
 ٧٦ — ٧٧ — ٨٩ — ٩١ — ٩٨ — ١١٦ — ١٣١ —
 — ١٣٥ — ١٤٠ — ١٤٦ — ١٥٠ — ١٥١ —
 ١٦١ — ١٦٢ — ١٦٣ — ١٦٥ — ١٦٩ — ١٧٢ .

عدي بن وداع الأزدي: ١٣٣ — ١٤٦ — ٢٥٠ — ٢٦١ — ٢٧٣ .
 العرندس الكلاني: ١٩٥ — ٢٥٠ .
 عروة بن لقيط الأزدي: ٦٩ .
 عروة بن الورد: ٣٤ — ٤٧ — ٥٧ — ٦٠ — ٦٣ — ٧١ — ٧٩ — ١٠٢ — ١٠٩ — ١١٠ — ١٢٧ — ١٣٣ — ١٤٦ — ١٧٨ — ٢٢٨ — ٢٤٨ — ٢٥٠ — ٢٦٣ — ٢٦٩ — ٢٧٠ — ٢٨١ — ٢٨٧ .
 العريان: ١٠٠ — ٢٨٤ .
 أبو العريان الطائي: ١٥٣ .
 عفيف بن معد يكرب: ١٩٦ — ٢٠٦ .
 علباء بن أرقم الشكري: ١٦٩ — ١٧٦ — ١٩٤ — ٢٢٢ — ٢٦٣ — ٢٨٥ — ٢٩٢ .
 علقمة الفحل: ٢٧ — ٤٥ — ٥٥ — ١٥٦ — ١٩٢ — ١٩٥ — ٢٠٥ — ٢١٨ — ٢٢٩ — ٢٣١ — ٢٣٦ — ٢٤١ — ٢٤٦ — ٢٥٠ — ٢٥٥ — ٢٨٢ .
 عمرو بن الإطنابة: ٤٦ — ١١٥ — ١١٧ — ١٣٢ — ١٣٧ — ١٣٩ — ٢١٢ — ٢٢٦ — ٢٢٩ — ٢٣٦ — ٢٤٧ — ٢٥٢ — ٢٦١ — ٢٦٤ — ٢٨٢ .
 عمرو بن بَرّاقة الهَمْداني: ٣١ .
 عميرة بن جُعيل الثَّقَلبي: ٢٧ .
 عمرو الجمحي: ٢٥ .
 عمرو بن عبد الله العجلي: ٢٤٨ .
 عمرو بن قعاس المرادي: ٢٥٧ .
 عمرو بن قميثة: ٣٢ — ٣٤ — ٨٠ — ٨٥ — ٩٦ — ١٣٤ — ١٤٤ — ١٦٤ — ١٩٤ — ١٩٥ — ٢٠٦ — ٢٢٠ — ٢٢١ — ٢٢٩ — ٢٣١ — ٢٣٨ — ٢٥٩ — ٢٦٨ — ٢٧٠ — ٢٧٦ — ٢٨٨ .
 عمرو بن كلثوم: ٢٦ — ٣٥ — ٤٥ — ٥٦ — ٥٨ — ٦١ — ٩٢ — ١٠١ — ١٢١ — ١٢٢ — ١٢٧ — ١٣٢ — ١٥٦ — ١٦٧ — ٢٠٣ — ٢١٨ — ٢٢٠ — ٢٣٤ — ٢٣٧ — ٢٤١ — ٢٤٩ — ٢٥٢ — ٢٥٥ — ٢٥٦ — ٢٦١ — ٢٦٥ — ٢٨٨ — ٢٩١ .

عبد الله بن عبد المدان: ٣٩ — ٢٢١ .
 عبد الله بن عَجَلان النهدي: ٢٣٨ — ٢٣٩ — ٢٥٣ .
 عبد الله بن سَلِيم العامِدي الأزدي: ٩٨ — ٩٩ — ١٣٣ — ١٣٤ — ٢١٣ — ٢١٩ — ٢٤٢ — ٢٦٧ — ٢٧٠ — ٢٧١ — ٢٨٨ .
 عبد قَيْس بن خُفَاف البَرْجُمي: ٢٥ — ٣٤ — ٥٠ — ٨٢ — ٩٢ — ١٢٣ — ١٧٤ — ٢١٤ — ٢٢١ — ٢٢٤ — ٢٤١ — ٢٦٠ — ٢٦٢ — ٢٧٦ — ٢٨٤ .
 عبد يَغُوث بن وَقَّاص الحارثي: ٢٨ — ٨٤ — ١٦٤ — ٢٥٧ — ٢٧٦ .
 عبيد بن الأبرص: ٢٥ — ٣٥ — ٤٧ — ٤٨ — ٥١ — ٥٥ — ٦٣ — ٦٥ — ١١٦ — ١١٨ — ١٣٢ — ١٦٦ — ١٦٩ — ١٩٢ — ٢٠١ — ٢١٣ — ٢٢٠ — ٢٢٩ — ٢٣٧ — ٢٤١ — ٢٤٤ — ٢٥٠ — ٢٥٢ — ٢٥٣ — ٢٦٤ — ٢٦٨ — ٢٧١ — ٢٧٢ — ٢٧٨ — ٢٨٢ — ٢٨٥ — ٢٩٠ — ٢٩٢ .
 عبيد بن عبد العزى: ٩٣ — ١٥٦ — ٢٠٧ — ٢١٣ — ٢١٩ — ٢٢١ — ٢٤٧ — ٢٤٩ — ٢٥٢ — ٢٦٧ — ٢٧٢ — ٢٧٣ — ٢٨٩ .
 عبيد بن العرندس الكلاني: ١٣٣ .
 عبيد بن وداع: ٢٤٣ .
 عُبَبة بن بُجَير الحارثي: ١٠٢ — ١٢٢ — ٢٥٨ — ٢٦٢ — ٢٧٧ .
 عتبة بن مالك: ١٢٧ .
 عَتِيك بن قيس: ١٧٢ — ٢١٤ — ٢٧٠ .
 العُجَير السلولي: ١٠٢ .
 عدي بن خَرَشَة الخَطمي: ٨٤ — ٢٧٥ .
 عدي بن الرِّعَاء الفسائي: ١٣٧ — ٢٦٣ — ٢٦٧ .
 عدي بن زيد العبادي: ٣١ — ٣٤ — ٤٥ — ٦٠ — ٦١ — ٦٣ — ٧٠ — ٨٤ — ٨٥ — ٩٦ — ١١٦ — ١٤٩ — ١٥٧ — ١٧٣ — ٢١١ — ٢٢٤ — ٢٣٠ — ٢٣٣ — ٢٣٩ — ٢٤٤ — ٢٥٤ — ٢٧٢ — ٢٧٣ — ٢٧٥ — ٢٧٦ — ٢٧٨ — ٢٩٠ .

عمرو بن كلثوم الكناني: ٢٤٧.

عمرو بن مالك بن ضبيعة (الأعلم): ٤٣ — ٢٢٤.

عترة بن شداد: ٣٤ — ٣٥ — ٧٨ — ٩٦ — ٩٨ —

٩٩ — ١٢٨ — ١٤١ — ١٧١ — ١٨٠ — ١٩٥ —

٢١٢ — ٢٢١ — ٢٢٣ — ٢٢٧ — ٢٤٠ — ٢٦٠ —

— ٢٨٠ — ٢٨٥.

العوراء ابنة سبيع: ٢٧٥.

عوف بن الأحوص: ٨٨ — ٢٧٦ — ٢٧٧.

عوف بن عطية بن الخرع التيمي: ١١٨ — ١٣٩ —

١٩٣ — ١٩٤ — ١٩٥ — ٢١٢ — ٢١٤ — ٢٢٧ —

— ٢٤١ — ٢٨٩.

غ

غريال بن مجمع الحنفى: ١٠٢ — ١٢٢ — ٢٦٢.

ف

فارعة بنت شداد المربية: ٦٦ — ٢٥٧.

ق

القاسم بن أمية بن أبي الصلت: ١٧٦.

قيصة بن النصراني الجرمي: ٢٨١.

قتيلة (أخت النصر بن الحارث): ٤٦.

أبو قردودة الطائي: ٥١ — ١٦٩ — ٢٢٤ — ٢٣١ —

٢٣٥.

قطن بن نهشل: ١٤١.

القعمقاع بن ذرماء الكلبي: ١٢١ — ٢٥٦.

قيس بن الخطيم: ٧٠ — ٧١ — ٩٨ — ١٣٢ — ١٥٨ —

— ١٦٤ — ٢١٩ — ٢٢٢ — ٢٣٤ — ٢٤٣ —

٢٤٩ — ٢٥٨ — ٢٦٥ — ٢٩٢.

أبو قيس صيفي بن الأسلت: ٣٢ — ٣٤ — ٤٥ —

٥٠ — ٧١ — ١١٦ — ١٣١ — ١٧٢ — ٢١٢ —

٢٦٣ — ٢٦٦ — ٢٧٦ — ٢٨٧ — ٢٨٩.

قيس بن عاصم: ٣٥ — ٤٦ — ٤٨ — ١١٠ — ١٨٧ —

— ٢٠٥ — ٢١٤ — ٢٤٥.

قيسل بن عمرو الهجيمي: ١١٨ — ٢٥٢.

ك

كيشة الكندية: ١٦٨ — ٢١٨.

أبو كندراء العجلي: ٤١ — ٦٢ — ٢١٥.

كردم: ٩٤ — ١٥٩.

الكلحبة اليربوعي: ٤٧ — ٢٢٢ — ٢٣٦ — ٢٦٢ —

٢٨٣.

كنان بن عبد ياليل: ١٨٣.

ل

لبيد بن ربيعة: ٣٠ — ٣٤ — ٤١ — ٥٠ — ٦١ —

٧٠ — ٧٥ — ٧٦ — ٧٧ — ٧٨ — ٨١ — ٩٠ —

٩٢ — ٩٣ — ٩٥ — ١٠٥ — ١٠٧ — ١١٨ —

١١٩ — ١٢٦ — ١٢٨ — ١٣١ — ١٣٢ — ١٣٤ —

— ١٣٥ — ١٣٦ — ١٤٠ — ١٤٣ — ١٤٦ —

١٥٥ — ١٥٧ — ١٦٢ — ١٦٣ — ١٦٥ — ١٦٦ —

١٧٠ — ١٧١ — ١٨٣ — ١٨٤ — ١٨٥ —

١٩٢ — ١٩٤ — ١٩٥ — ٢٠٧ — ٢١٢ — ٢١٥ —

— ٢٢١ — ٢٢٣ — ٢٢٤ — ٢٢٥ — ٢٢٧ —

٢٢٨ — ٢٣٣ — ٢٣٤ — ٢٣٩ — ٢٤٠ — ٢٤١ —

— ٢٤٢ — ٢٤٣ — ٢٤٥ — ٢٤٧ — ٢٤٨ —

٢٥١ — ٢٥٤ — ٢٥٥ — ٢٥٦ — ٢٥٧ — ٢٦٠ —

— ٢٦٢ — ٢٦٣ — ٢٦٤ — ٢٦٦ — ٢٦٨ —

٢٧٢ — ٢٧٥ — ٢٧٨ — ٢٨٠ — ٢٨٨ — ٢٨٩ —

المسيب بن علس : ٢٧ — ٧٥ — ٨٩ — ٩٣ — ١٤٦
— ١٤٨ — ١٤٩ — ١٦٦ — ١٦٨ — ١٧٠ —
١٧١ — ٢١٨ — ٢٢٣ — ٢٢٧ — ٢٢٩ — ٢٣٠ —
— ٢٤٠ — ٢٥١ — ٢٦٢ — ٢٧٠ — ٢٧٨ .

مطروود بن كعب : ١٨٢ .

معاوية بن مالك (معود الحكماء) : ٢١ — ٥٨ — ٩٧ —
— ١٢١ — ٢٢٤ .

مُعَقَّر الأزدِي : ٢٥٨ .

مُعَبَّة بن الحُمَام المَرِي : ٩١ — ٢٦١ .

المُمَزَّق العَبْدِي : ٢١٦ — ٢٤٣ .

المُنَحَّل اليَشْكُرِي : ٢٠٠ — ٢٠٢ — ٢٤٣ .

منصور بن مسجاح الضُّبِّي : ١٣٤ — ٢٥٩ — ٢٦٨ .

المُهْلَهْل بن رَبِيعَة : ١٣١ — ١٣٥ — ١٤١ — ١٤٤ —
— ١٦٢ — ٢٣٢ — ٢٤٠ — ٢٥٧ — ٢٥٩ —
— ٢٦٥ — ٢٧١ .

أبو المهوَّش الأَسْدِي : ١٥٧ .

الموج بن زِيَان التغلبي : ٩٢ .

موسى بن جابر الحنفِي : ٤٨ — ٢٨٣ .

مِيَّة بنت ضرار : ٨١ .

ن

النابعة الذِيَّانِي : ٣٤ — ٤١ — ٦٥ — ٧١ — ٧٧ —
— ٧٩ — ١٢٤ — ١٣٥ — ١٤١ — ١٤٣ — ١٤٤ —
١٤٥ — ١٤٦ — ١٤٧ — ١٥٢ — ١٥٥ — ١٦٧ —
— ١٦٨ — ١٦٩ — ١٧١ — ١٧٢ — ١٩٦ —
٢١٣ — ٢١٧ — ٢١٩ — ٢٢٠ — ٢٢٤ — ٢٢٦ —
— ٢٢٨ — ٢٣٠ — ٢٣١ — ٢٣٢ — ٢٣٣ —
٢٣٩ — ٢٤٠ — ٢٤٤ — ٢٥١ — ٢٧١ — ٢٧٨ —
— ٢٨٠ — ٢٨٥ .

النَّجَاشِي الحَارِثِي (قيس بن عمرو بن مالك) : ٢٨ .

نُفَيْل بن عبد العُزَّى : ٢٧٠ .

— ٢٩٠ — ٢٩١ .

أبو اللُّحَام التغلبي : ٩٨ — ١٦٤ — ٢٤٧ — ٢٧٥ —
— ٢٨٤ .

لحم (رجل من قبيلة لحم) : ٣٢ .

لَقِيطُ بن زُرَّارَة الدَّارِمِي : ٢٠٢ — ٢٨١ .

ليل بنت طريف التغلبية : ١٨٠ .

م

مالك بن الحارث : ١٢٥ .

مالك بن حَرِيم الهَمْدَانِي : ٣٤ — ٥٢ — ١٠٨ —
— ٢٥٤ — ٢٥٧ — ٢٦١ .

المُتَلَمِّسُ الضُّبِّي : ٣١ — ٣٤ — ٥٣ — ٧٢ — ٨٧ —
— ١٠٨ — ١٣٩ — ١٥٤ — ١٧٤ — ٢٢٥ —
— ٢٤١ — ٢٤٨ — ٢٦٨ — ٢٧٧ — ٢٨٥ — ٢٩١ .

الْمُنَحَّل الهَذَلِي (مالك بن عويمر) : ١٠١ — ١٠٨ —
— ١٠٩ — ١٥٤ — ١٧٣ — ٢٢٦ — ٢٤٦ — ٢٦١ —
— ٢٨٦ .

الْمُثَقَّب العَبْدِي : ٣٤ — ٣٥ — ٤٥ — ٤٧ — ١٠٣ —
— ١٢٣ — ٢١٢ — ٢١٩ — ٢٣٩ — ٢٥٨ —
— ٢٦٢ — ٢٧٦ — ٢٧٩ — ٢٨٢ — ٢٨٤ — ٢٨٧ .

المُثَلَّم بن رباح المَرِي : ٤٩ — ٥٨ — ٢٣٥ — ٢٣٨ .

أبو المثلَّم الهَذَلِي : ٤٢ — ٥٨ — ٢٢٦ — ٢٣١ .

أبو محجن الثقَفِي (عمرو بن حبيب) : ١٨٣ .

النَّحْبَل السَّعْدِي : ٥٩ .

المُخَضَّع القَيْسِي : ١٦٢ — ٢٥٩ — ٢٨٣ .

المَرَّار الفَقَّعَسِي : ٨٣ .

المَرْقُش الأصغر : ٦٢ — ٩٣ — ١٣٩ — ٢٣٤ .

المَرْقُش الأكبر : ٣٤ — ٤٨ — ٨٥ — ٩٥ — ١٠٧ —
— ١٣٤ — ١٥٦ — ٢٠٧ — ٢٤٧ — ٢٦٧ — ٢٧٥ —

— ٢٧٩ — ٢٨٣ .

مسافر العَجَلِي : ٩٦ — ١٢٨ .

الهدم بن امرئ القيس : ٨١ — ٢٧٦ .

الهدلول بن كعب العبدي : ٤٦ — ٢٨٢ .

الهديل بن مشجعة البولاني : ١١٧ .

همام بن رياح التبريقي : ٢١٢ — ٢٢٢ — ٢٢٤ — ٢٢٩ .

ابن وابصة الثقفي : ٢٣٦ .

ورقة بن نوفل : ٢٠٥ .

الوليد بن المغيرة : ٢٠٥ .

وهب بن عبد مناف : ٢٣٥ .

يزيد بن حمان السكوني : ٣١ — ٣٤ — ٨٥ — ٢٧٥ — ٢٧٧ .

يزيد بن حذاف العبدي : ٤٠ — ٩٢ — ١١٠ — ١٢٤ — ١٢٦ — ٢٦٠ — ٢٦١ .

يزيد بن الصديق : ١٥٧ .

يزيد بن عمرو النخعي : ١٧٣ .

يزيد بن قسحم الخزرجي : ٢١٣ — ٢٨٣ .

يزيد بن مخرم الحارثي : ١٢٠ — ١٣١ — ٢٥٦ — ٢٦٦ .

المصادر والمراجع

١ — باللغة العربية :

- ١ — القرآن الكريم .
- ٢ — الأخبار الموفقيات : الزبير بن بكار ، تحقيق سامي مكّي العاني ، بغداد ١٩٧٢ .
- ٣ — الاختيارين : الأخفش الأصغر ، تح فخر الدين قباوة ، دمشق ١٩٧٤ .
- ٤ — أدب الكاتب : ابن قتيبة ، تح محمد الدالي ، بيروت ١٩٨٢ .
- ٥ — إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) : ياقوت الحموي ، تح مرجليوث ، لندن ١٩٢٣ — ١٩٢٧ .
- ٦ — الأشباه والنظائر من أشعار المتقدمين والجاهلية والمخضرمين : الخالديان ، تح السيد محمد يوسف ، القاهرة ١٩٥٨ — ١٩٦٥ .
- ٧ — الاشتقاق : ابن دريد الأزدي ، تح عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٨ .
- ٨ — أشعار الأعشى ، ومعها شعر الأعشين ، تح غاير : Gedichte von Abū Basīr Maimūn : ibn Qais al- A'sā, nebst Sammlungen von Stücken anderer Dichter des gleichen Beinamens und von al- Musayyab ibn Alas, ed. R. Geyer (Gibb Mem NS VI), London 1928.
- ٩ — أشعار أوس بن حجر ، تح غاير : Gedichte und Fragamente des Aus ibn Haḡar, ed. R. Geyer, SBWA, Bd. 126/13. Wien 1892.
- ١٠ — أشعار العامرين الجاهليين ، جمع ونح عبد الكريم يعقوب ، سورية ١٩٨٢ .
- ١١ — أشعار طفيل الغنوي ، تح كرنكو : The poems of Tufail ibn Auf al- Ghanawi, ed. F. Krenkow (GMS 25), London 1927.

- ١٢ — الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر العسقلاني، تح علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٧٠ — ١٩٧٢.
- ١٣ — الأصمعيات: الأصمعي، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة ١٩٧٦.
- ١٤ — الأعلام: خير الدين الزركلي، القاهرة ١٩٥٤ — ١٩٥٩.
- ١٥ — الأغاني: أبو الفرج الأصفهاني، مج ١ — ١٦ دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٥٢ — ١٩٦١، مج ١٧ — ٢٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٠ — ١٩٧٤.
- ١٦ — الأمالي: أبو علي القالي، القاهرة ١٩٢٦.
- ١٧ — أمالي المرتضى: علي بن الحسين، تح محمد النعساني، القاهرة ١٩٠٧.
- ١٨ — الأمثال: أبو عكرمة الضبي، تح رمضان عبد التواب، دمشق ١٩٧٤.
- ١٩ — أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذري، تح محمد حميد الله، ج ١، القاهرة ١٩٥٩.
- ٢٠ — البخلاء: الجاحظ، تح محمد طه الحاجري، القاهرة ١٩٨١.
- ٢١ — البخلاء: الخطيب البغدادي، تح أحمد مطلوب وآخرين، بغداد ١٩٦٤.
- ٢٢ — بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب: محمود شكري الألوسي، تح محمد بهجة الأثري، مصر ١٩٢٣.
- ٢٣ — البيان والتبيين: الجاحظ، تح عبد السلام هارون، القاهرة ١٩٤٨ — ١٩٥٠.
- ٢٤ — تاج العروس من جواهر القاموس: المرتضى الزبيدي، القاهرة ١٣٠٦ — ١٣٠٧.
- ٢٥ — تاريخ آداب اللغة العربية: جرجي زيدان، تح شوقي ضيف، القاهرة ١٩٥٧.
- ٢٦ — تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي): شوقي ضيف، ط ٩، القاهرة ١٩٨١.
- ٢٧ — تاريخ الأدب العربي قبل الإسلام: نوري حمودي القيسي وآخرون، بغداد ١٩٧٩.
- ٢٨ — تاريخ الرسل والملوك (تاريخ الطبري): الطبري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٦٠ — ١٩٦٩.
- ٢٩ — تاريخ العرب: فيليب حتى وآخرون، بيروت ١٩٦٥.
- ٣٠ — تاريخ يعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر، بيروت ٥٥ — ١٩٥٦.
- ٣١ — تأويل مشكل القرآن: ابن قتبية، تح السيد أحمد صقر، القاهرة ١٩٥٤.
- ٣٢ — التذكرة السعدية في الأشعار العربية: محمد بن عبد الرحمن العبيدي، تح عبد الله الجبوري، النجف ١٩٧٢.

- ٣٣ — التعازي والمرثي: المبرد، تح محمد الدياجي دمشق ١٩٧٤.
- ٣٤ — التلخيص في معرفة الأسماء الأشياء: أبو هلال العسكري، تح عزة حسن، دمشق ٦٩ — ١٩٧٠.
- ٣٥ — ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: أبو منصور الثعالبي، القاهرة ١٩٠٨.
- ٣٦ — ثمرات الأوراق: ابن حجة الحموي، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧١.
- ٣٧ — جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري): الطبري، القاهرة ١٩٦٨.
- ٣٨ — جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام: محمد بن أبي الخطاب القرشي، تح علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٦٧.
- ٣٩ — جمهرة الأمثال: أبو هلال العسكري، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، وعبد المجيد قطامش، القاهرة ١٩٦٤.
- ٤٠ — حماسة البحتري: البحتري، تح لويس شيخو، بيروت ١٩١٠.
- ٤١ — الحماسة الشجرية: ابن الشجري، تح عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، دمشق ١٩٧٠.
- ٤٢ — الحماسة البصرية: صدر الدين البصري، تح مختار الدين أحمد، حيدر آباد ١٩٦٤.
- ٤٣ — الحور العين: نشوان الحميري، تح كمال مصطفى، القاهرة ١٩٤٨.
- ٤٤ — الحياة العربية من الشعر الجاهلي: أحمد محمد الحوفي، بيروت ١٩٧٢.
- ٤٥ — الحيوان: الجاحظ، تح عبد السلام هارون، القاهرة ٣٨ — ١٩٤٥.
- ٤٦ — خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: عبد القادر البغدادي، تح عبد السلام هارون، القاهرة ٧٦ — ١٩٨١.
- ٤٧ — ديوان الأسود بن يعفر: تح نوري حمودي القيسي، بغداد ١٩٦٨.
- ٤٨ — ديوان الأعشى الكبير: شرح وتعليق محمد محمد حسين، بيروت ١٩٨٣.
- ٤٩ — ديوان الأفوه الأودي: في كتاب الطرائف الأدبية ص ٢ — ٢٤.
- ٥٠ — ديوان امرئ القيس: تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٥٨.
- ٥١ — ديوان أمية بن أبي الصلت: تح عبد الحفيظ السطلي، ط ٣، دمشق، بلا تاريخ.
- ٥٢ — ديوان أوس بن حجر: تح محمد يوسف نجم، بيروت ١٩٦١.
- ٥٣ — ديوان بشر بن أبي خازم: تح عزة حسن، دمشق ١٩٦٠.
- ٥٤ — ديوان أبي تمام: شرح الخطيب التبريزي، تح محمد عبده عزام، القاهرة ٦٤ — ١٩٦٥.
- ٥٥ — ديوان جرير بن عطية: تح نعمان أمين طه، القاهرة ٦٩ — ١٩٧١.

- ٥٦ — ديوان الحارث بن حلزة: تح كرنكو، بيروت ١٩٢٢.
- ٥٧ — ديوان حسان بن ثابت: تح وليد عرفات، لندن ١٩٧٠.
- ٥٨ — ديوان الخرنق بنت بدر: تح حسين نصار، القاهرة ١٩٦٩.
- ٥٩ — ديوان دريد بن الصمة: تح محمد خير البقاعي، دمشق ١٩٨١.
- ٦٠ — ديوان سحيم عبد بني الحسحاس: تح عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٥٠.
- ٦١ — ديوان سلامة بن جندل: تح فخر الدين قباوة، حلب ١٩٦٨.
- ٦٢ — ديوان السموءل: تح محمد حسن آل ياسين، بغداد ١٩٥٥.
- ٦٣ — ديوان شعر حاتم الطائي: تح عادل سليمان جمال، القاهرة ١٩٧٥، وتح شولتهس، ليزج ١٨٩٧.
- ٦٤ — ديوان شعر الحاددة: تح ناصر الدين الأسد، القاهرة ١٩٦٩.
- ٦٥ — ديوان شعر عمرو بن كلثوم، تحقيق كرنكو، بيروت ١٩٢٢.
- ٦٦ — ديوان شعر المتلمس الضبعي: تح حسن كامل الصيرفي، القاهرة ١٩٦٨.
- ٦٧ — ديوان شعر المثقّب العبدى: تح حسن كامل الصيرفي، القاهرة ١٩٧٠.
- ٦٨ — ديوان الشنفرى الأزدي: في «الطرائف الأدبية»، ص ٢٦ — ٤٢.
- ٦٩ — ديوان طرفة بن العبد: تح درية الخطيب ولطفي الصقال، دمشق ١٩٧٥.
- ٧٠ — ديوان غامر بن الطفيل: تح ليال، لندن ١٩١٣.
- ٧١ — ديوان عبيد بن الأبرص: تح حسين نصار، القاهرة ١٩٥٧.
- ٧٢ — ديوان عدي بن زيد: تح محمد جبار المعيد، بغداد ١٩٥٥.
- ٧٣ — ديوان عروة بن الورد: تح محمد بن أبي شنب، الجزائر — باريس ١٩٢٦.
- ٧٤ — ديوان علقمة الفحل: تح لطفي الصقال ودريّة الخطيب، حلب ١٩٦٩.
- ٧٥ — ديوان عمرو بن قميئة: تح حسن كامل الصيرفي، القاهرة ١٩٦٥.
- ٧٦ — ديوان عنترة بن شدّاد: تح محمد سعيد المولوي، دمشق ١٩٧٠.
- ٧٧ — ديوان قيس بن الخطيم: تح ناصر الدين الأسد، القاهرة ١٩٦٢.
- ٧٨ — ديوان أبي قيس صيفي بن الأسلت: تح حسن محمد باجودة، القاهرة ١٩٧٣.
- ٧٩ — ديوان النابغة الذبياني: تح محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة ١٩٧٧.
- ٨٠ — ديوان الهذليين، القاهرة ٤٥ — ١٩٥٠.
- ٨١ — ربيع الأبرار ونصوص الأخبار: محمود بن عمر الزمخشري، تح سالم النعيمي، بغداد ١٩٧٦.
- ٨٢ — زهر الآداب وثمر اللباب: الحصري القيرواني، تح علي محمد البجاوي، القاهرة ١٩٥٣.

- ٨٣ — سمط اللآلي : أبو عبيد البكري ، تح عبد العزيز الميمني ، القاهرة ٣٦ — ١٩٣٩ .
- ٨٤ — السيرة النبوية : عبد الملك بن هشام ، تح مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ١٩٣٦ .
- ٨٥ — السيرة النبوية : ابن كثير ، تح مصطفى عبد الواحد ، القاهرة ٦٤ — ١٩٦٦ .
- ٨٦ — شرح ديوان الحماسة : التبريزي ، القاهرة ١٢٩٦ هـ .
- ٨٧ — شرح ديوان الحماسة : المرزوقي ، تح أحمد أمين وعبد السلام هارون ، القاهرة ٥١ — ١٩٥٣ .
- ٨٨ — شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : تح أحمد زكي العدوي ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ٨٩ — شرح ديوان لبيد بن ربيعة : تح إحسان عباس ، الكويت ١٩٦٢ .
- ٩٠ — شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : ابن الأنباري ، تح عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٨٠ .
- ٩١ — شروح سقط الزند : أبو العلاء المعري ، تح مصطفى السقا وآخرين ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ٩٢ — شعر أعشى باهلة : في أشعار الأعشى ، ط غاير ، ص ٢٦٦ — ٢٦٩ .
- ٩٣ — شعر أعشى طرود : في أشعار الأعشى ، ط غاير . ص ٢٨٤ — ٢٨٥ .
- ٩٤ — شعر تميم في العصر الجاهلي ، جمع وتح صلاح كزارة :
- Die Dichtung der Tamim in vorislamischen Zeit, ed. Salah Kazzarah, Diss. Erlangen 1982.
- ٩٥ — الشعر الجاهلي : محمد النويهي ، القاهرة ، بلا تاريخ .
- ٩٦ — شعر الحرب في العصر الجاهلي : علي الجندي ، بيروت ١٩٦٦ .
- ٩٧ — شعر أبي دواد الإيادي : جمع وتح فون غرونباوم :
- Abü Dua'äd al- Iyädî, Collection of fragments, ed. G. E. von Grunebaum, in: WZKM 51. 1948-52, S. 83-105, 249-282.
- ٩٨ — شعر ربيعة بن مقروم الضبي : صنعة نوري حمودي القيسي ، مستلة من العدد الحادي عشر لمجلة كلية الآداب ، بغداد ١٩٦٨ .
- ٩٩ — شعر عبد الله بن الزبير : تح يحيى الجبوري ، بيروت ١٩٨١ .
- ١٠٠ — شعر المسيب بن علس ، في : أشعار الأعشى ، ط غاير .
- ١٠١ — الشعر وأيام العرب في العصر الجاهلي : عفيف عبد الرحمن ، بيروت ١٩٨٤ .
- ١٠٢ — الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، تح أحمد محمد شاكر ، القاهرة ١٩٧٧ .
- ١٠٣ — الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور : شوقي ضيف ، القاهرة ١٩٧٧ .
- ١٠٤ — شعراء النصرانية قبل الإسلام : لويس شيخو ، بيروت ١٩٧٦ .

- ١٠٥ — صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: القلقشندي، القاهرة ١٩٢٢.
- ١٠٦ — طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلام الجمحي، تح محمود محمد شاكر، القاهرة ١٩٧٤.
- ١٠٧ — الطرائف الأدبية (مجموعة من الأشعار): جمع وتبع عبد العزيز الميمني، القاهرة ١٩٣٧.
- ١٠٨ — ظاهرة القلق في الشعر الجاهلي: أحمد خليل، رسالة ماجستير، حلب ١٩٨٦.
- ١٠٩ — العقد الفريد: ابن عبد ربه، تح أحمد أمين وآخرين، القاهرة ٤٠ — ١٩٥٣.
- ١١٠ — العمدة في صناعة الشعر ونقده: ابن رشيق القيرواني، تح محمد النعساني، القاهرة ١٩٠٧.
- ١١١ — عيون الأخبار: ابن قتيبة، القاهرة ١٩٦٣.
- ١١٢ — الفتوة: ابن المعمار البغدادي، تحقيق محمد جواد وآخرين، بغداد ١٩٥٨.
- ١١٣ — الفتوة عند العرب: عمر الدسوقي، القاهرة ١٩٥١.
- ١١٤ — الفروسية في الشعر الجاهلي: نوري حمودي القيسي، بغداد ١٩٦٤.
- ١١٥ — الفروق اللغوية: أبو هلال العسكري، القاهرة ١٣٥٣ هـ.
- ١١٦ — فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: أبو عبيد البكري، تح عبد المجيد عابدين وإحسان عباس، الخرطوم ١٩٥٨.
- ١١٧ — في الأدب الجاهلي: طه حسين، ط ٩، القاهرة، بلا تاريخ.
- ١١٨ — القاموس المحيط: الفيروزآبادي، القاهرة ١٩٥٢.
- ١١٩ — قصائد جاهلية نادرة (من كتاب منتهى الكلب من أشعار العرب): تح يحيى الجبوري، بيروت ١٩٨٢.
- ١٢٠ — القيان والغناء في العصر الجاهلي: ناصر الدين الأسد، القاهرة ١٩٦٨.
- ١٢١ — الكرماء: أبو هلال العسكري، تح محمود الجبلاوي، القاهرة ١٣٢٦ هـ.
- ١٢٢ — الكشف عن حقائق التنزيل وعبون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري، القاهرة ١٩٤٨.
- ١٢٣ — لسان العرب: ابن منظور الإفريقي، بيروت ٥٥ — ١٩٥٦.
- ١٢٤ — متن البخاري بحاشية السندي: البخاري، القاهرة، بلا تاريخ.
- ١٢٥ — مجمع الأمثال: أحمد بن محمد الميداني، القاهرة ١٣١٠ هـ.
- ١٢٦ — المحاسن والمساوي: إبراهيم بن محمد البيهقي، تح Schwally غيسن ١٩٠٢.
- ١٢٧ — محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الراغب الأصفهاني بيروت ١٩٦١.

- ١٢٨ — المخبر : ابن حبيب البغدادي ، تح ليشتن شتير ، حيدر آباد ١٩٤٢ .
- ١٢٩ — مختارات ابن الشجري : ابن الشجري ، تح محمود سن زناني ، بيروت ١٩٨٠ .
- ١٣٠ — المرأة في الشعر العربي : أحمد محمد الحوفي ، ط ٢ ، القاهرة بلا تاريخ .
- ١٣١ — مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي ، تح ماينراد وزميله ، بيروت ٦٦ — ١٩٧٩ .
- ١٣٢ — المستجاد من فعلات الأجواد : المحسن بن علي التنوخي ، تح محمد كرد علي ، دمشق ١٩٤٦ .
- ١٣٣ — المستطرف في كل فن مستظرف : شهاب الدين أحمد الإيشي ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- ١٣٤ — المستقصى في أمثال العرب : الزمخشري ، حيدر آباد ١٩٦٢ .
- ١٣٥ — مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : ناصر الدين الأسد ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ١٣٦ — المعارف : ابن قتيبة ، تح ثروت عكاشة ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ١٣٧ — المعاني الكبير : ابن قتيبة ، تح كرنكو ، حيدر آباد ١٩٤٩ .
- ١٣٨ — معجم البلدان : ياقوت الحموي ، بيروت ٥٥ — ١٩٥٧ .
- ١٣٩ — معجم الشعراء : محمد بن عمران المرزباني ، تح عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ١٤٠ — المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ، بيروت ١٩٨٠ .
- ١٤١ — المفضليات : المفضل بن محمد الضبي ، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧٦ .
- ١٤٢ — المنق في أخبار قريش : ابن حبيب البغدادي ، تح خورشيد أحمد مختار ، حيدر آباد ١٩٦٤ .
- ١٤٣ — الموشع في مآخذ العلماء على الشعراء : محمد بن عمران المرزباني ، تح علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ١٤٤ — الميسر والأزلام : عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٤٥ — الميسر والقдах : ابن قتيبة ، تح محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٨٥ هـ .
- ١٤٦ — نقائص جرير والفرزدق : أبو عبيدة ، تح بيرن Beran ، لندن ١٩٠٥ — ١٩١٢ .
- ١٤٧ — نهاية الأرب في فنون الأدب : التويري ، القاهرة ١٩٢٣ .
- ١٤٨ — النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين المبارك بن الأثير ، تح طاهر أحمد الزاوي وآخرين ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ١٤٩ — المهجاء الجاهلي : عباس بيومي عجلان ، القاهرة ١٩٨٢ .
- ١٥٠ — الوحشيات : أبو تمام ، تح عبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٩٦٣ .

- ١٢٨ — المحبر : ابن حبيب البغدادي ، تح ليشتن شتير ، حيدر آباد ١٩٤٢ .
- ١٢٩ — مختارات ابن الشجري : ابن الشجري ، تح محمود سن زنائي ، بيروت ١٩٨٠ .
- ١٣٠ — المرأة في الشعر العربي : أحمد محمد الحوفي ، ط ٢ ، القاهرة بلا تاريخ .
- ١٣١ — مروج الذهب ومعادن الجوهر : المسعودي ، تح ماينراد وزميله ، بيروت ٦٦ — ١٩٧٩ .
- ١٣٢ — المستجاد من فعلات الأجواد : المحسن بن علي التنوخي ، تح محمد كرد علي ، دمشق ١٩٤٦ .
- ١٣٣ — المستطرف في كل فن مستظرف : شهاب الدين أحمد الإشبيلي ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- ١٣٤ — المستقصى في أمثال العرب : الزمخشري ، حيدر آباد ١٩٦٢ .
- ١٣٥ — مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية : ناصر الدين الأسد ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ١٣٦ — المعارف : ابن قتيبة ، تح ثروت عكاشة ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ١٣٧ — المعاني الكبير : ابن قتيبة ، تح كرنكو ، حيدر آباد ١٩٤٩ .
- ١٣٨ — معجم البلدان : ياقوت الحموي ، بيروت ٥٥ — ١٩٥٧ .
- ١٣٩ — معجم الشعراء : محمد بن عمران المرزباني ، تح عبد الستار أحمد فراج ، القاهرة ١٩٦٠ .
- ١٤٠ — المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ، بيروت ١٩٨٠ .
- ١٤١ — المفضليات : المفضل بن محمد الضبي ، تح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٧٦ .
- ١٤٢ — المنق في أخبار قريش : ابن حبيب البغدادي ، تح خورشيد أحمد مختار ، حيدر آباد ١٩٦٤ .
- ١٤٣ — الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء : محمد بن عمران المرزباني ، تح علي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٦٥ .
- ١٤٤ — الميسر والأزلام : عبد السلام هارون ، القاهرة ١٩٥٣ .
- ١٤٥ — الميسر والقдах : ابن قتيبة ، تح محب الدين الخطيب ، القاهرة ١٣٨٥ هـ .
- ١٤٦ — نقائض جرير والفرزدق : أبو عبيدة ، تح بيرن Beran ، ليدن ١٩٠٥ — ١٩١٢ .
- ١٤٧ — نهاية الأرب في فنون الأدب : النويري ، القاهرة ١٩٢٣ .
- ١٤٨ — النهاية في غريب الحديث والأثر : مجد الدين المبارك بن الأثير ، تح طاهر أحمد الزاوي وآخرين ، القاهرة ١٩٦٣ .
- ١٤٩ — الهجاء الجاهلي : عباس بيومي عجلان ، القاهرة ١٩٨٢ .
- ١٥٠ — الوحشيات : أبو تمام ، تح عبد العزيز الميمني ، القاهرة ١٩٦٣ .

٢ — باللغات الأجنبية

- 1 — BEESTON, A.F.L.: The Game of Maysir and some modern parallels. in: Arabian Studies, Bd. II 1975 p.1-6.
- 2 — BROCKELMANN, C.: Geschichte der arabischen Literatur, Bd. I-II, Leiden 1943-49, Suppl. Bd. III, 1937-42.
- 3 — BROCKELMANN, C.: Grundriss der vergleichenden Grammatik der Semitischen Sprache, Bd. I-II, Berlin 1908-13.
- 4 — FISCHER, W.: Farb Formenbezeichnungen in der Sprache der altarabischen Dichtung, Wiesbaden 1965.
- 5 — FREYTAG, G.W.: Darstellung der arabischen Verskunst (Nachdruck), Osnabrück 1968.
- 6 — FREYTAG, G.W.: Einleitung in das Studium der arabischen Sprache (Neudruck der Ausgabe von 1861) Osnabrück 1972.
- 7 — HUBER, A.: Über das "Meisir" genannte Spie der heidnischen Araber, Diss. Leipzig 1885.
- 8 — JACOB, G. Altarabisches Beduinenleben, 2. Au Berlin 1897.
- 9 — LEXIKON der alten Welt, "Gastfreundschaft", Zürich und Stuttgart 1965.
- 10 — LEXIKON für Theologie und Kirche. "Gastfreundschaft", Bd. IV S.526-528, "Freigebigkeit" S.324-325, Freiburg 1960.
- 11 — MOMMSEN, Th.: Römische Forschungen, Bd. I, Berlin 1864.
- 12 — Paulys Real-Encyclopädie der Klassischen Altertumwissenschaft, "Hospitium", Bd. VIII, S.2493-98, Stuttgart 1913.
- 13 — REALLEXIKON für Antike und Christentum, "Gastfreundschaft", Bd. VIII, S.1061-1123, Stuttgart 1972.
- 14 — REINERT, W.: Das Recht in der altarabischen Poesie, Diss. Köln 1963.
- 15 — RÖSSLER, O: Der Semitische Charakter der libyschen Sprache. in ZA 50/1952. S. 121-150.
- 16 — SCHMIDT, L.: Die Ethik der alten Griechen, Bd. I-II, Stuttgart.
- 17 — SCHROEDER, F.: Zur Bedeutungsgeschichte von Gast, in: Zeitschrift für deutsche Philologie, Bd. 56 S. 385-94, Stuttgart 1931.
- 18 — SEZGIN, F.: Geschichte des arabischen Schrifttums. Bd. I-IX, Leiden 1967-84.
- 19 — SOWAYAN, S.A.: Nabati, Poetry the Orel Poetry of Arabia, USA 1985.
- 20 — VON ARENDONK; Hätim at-tä'i, in: Enzyklopädie des Islam, Bd. II S.308, Leiden-Leipzig 1913.

- 21 — VON IHERING, R.: Die Gastfreundschaft im Altertum, in: Deutsche Rundschau, Bd. LT, 1987.
- 22 — VONSODEN, W.: Akkadisches Handwörterbuch Bd. I, Wiesbaden 1965.
- 23 — WEINHOLD, K.: Altnordisches Leben, bearbeitet und neu hrsg. VON GEORG Siefert Stuttgart 1938.
- 24 — WÖRTERBUCH der Klassischen arabischen Sprache hrsg. durch DMG, Bd. I, Wiesbaden 1970.

التريسي Academic 82

Trrissy@hotmail.com

المحتوى

• بين يدي الكتاب	٧
• المقدمة	١١
• التمهيد	١٥
١ — أهمية الضيافة والجود في العهود القديمة وفي مجتمع القبيلة العربية	١٥
٢ — مكانة الشعر والشاعر في العصر الجاهلي	٢٣
٣ — مفهوم الكرم والجود	٣٠

الفصل الأول

قيمة الضيافة والجود

١ — التقدير العالمي للجود (الجود فضيلة عالية)	٣٩
٢ — هدف الجود وغايته	٤٤
٣ — نصائح تدعو إلى الجود	٥٠
٤ — العاذلة	٥٤
٥ — آراء ونظرات فلسفية حول الجود والبخل	٦٩

الفصل الثاني

معاملة الضيوف والحديث عن المأدبة

- ١ — دلائل الضيافة ٧٥
- ٢ — وسائل هداية الضيف ٨٢
- ٣ — ظروف العطاء ٩٢
- ٤ — آداب الضيافة والمآدب ١٠١
- ٥ — الشغف بالضيافة والمغالة في إكرام الضيف ١٠٨

الفصل الثالث

فضائل الجود

- ١ — أهمية الجود في السلوك الاجتماعي والأشخاص الذين شملتهم رعاية الأجواد ١١٥
- ٢ — نوعية العطاء ١٣٩
- ٣ — تشبيهات الجود والمحتاجين ١٦٦
- ٤ — استعارات البخل وصوره ١٧٣
- ٥ — أجواد الجاهلية حسب الروايات العربية ١٧٧

الفصل الرابع

صور خاصة بالجود

- ١ — الميسر ١٩١
- ٢ — الخمر ٢٠٠

الفصل الخامس

تعايير الضيافة والجود والبخل في الشعر الجاهلي

- ١ — العطاء والمعطي ٢١١
 - ٢ — المعطي ٢٥٩
 - ٣ — رموز الضيافة وبعض الصيغ المحكمة ٢٧٤
 - ٤ — تعابير البخل ٢٨٥
- الخاتمة ٢٩٣
- فهرس الشعراء ٢٩٥
- المصادر والمراجع ٣٠٥

الجود والبخل في الشعر الجاهلي / محمد فؤاد نعناع. — دمشق: دار طلاس، ١٩٩٤. —
٣١٤ ص؛ ٢٤ سم.

١-١٠٠٩ ر ٨١١ ن ع ن ج ٢-العنوان ٣-نعناع

مكتبة الأسد

رقم الاصدار ٦٣٢

رقم الإيداع — ١٩٩٤/٤/٣٨٠

موافقة وزارة الاعلام

رقم: ٢٢٦٣٤

تاريخ: ١٩٩٣/١٠/١٩

التريسي Academic 82

Trrissy@hotmail.com

هذا الكتاب

يدرس هذا الكتاب ظاهرتي الجود والبخل في العصر الجاهلي . فهو يبين فضيلة الجود وغايته ونصيحة الشعراء للتحلي به ، كما يبين دلائل الضيافة وآدابها والشغف بها ، ويحدد وسائل هداية الضيف وظروف العطاء .

ويبحث الكتاب في أهمية الجود في الحياة الاجتماعية محدداً الأشخاص الذين شملتهم رعاية الأجواد ، ومعرفةً بأبرز أجواد الجاهلية ، ومبيناً نوعية العطاء .

ويرسم الكتاب صورة فنية للأجواد والبخلاء والعاذلات اللواتي كنَّ يلمن الرجال بسبب الجود ، كما يرسم جوانب الجود والبخل المتعلقة بالميسر والخمر .

ويضع الكتاب اللبنة الأولى في الأساليب والتعابير التي استعملت في الجود والبخل في الأشعار الجاهلية ، وذلك بالاعتماد على مختارات شعرية غزيرة تشكل نواة أساسية لديوان الجود والبخل في العصر الجاهلي . ويحفل الكتاب بإشارات كثيرة إلى مظاهر الجود والضيافة والبخل في العهود القديمة . إنه بحث طريف « جمع بين استقراء العالم وتذوق الأديب » .

